المملكة العربية السعودية
جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
كلية الدراسات العليا
قسم العدالة الجنائية
السياسة الجنائية

عِظَم الإساءة إلى النبي

دراسة تأصيلية رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير

إعداد
فهد بن عبد الرحمن بن علي العليان
الرقم الجامعي ٤٢٥٠١٩١

إشراف فضيلة الدكتور
وليد بن عثمان الرشودي

١٤٢٦ هـ ـ ١٤٢٧ هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بســـم الله الرحمن الرحيم



جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences

كلية الدراسات العليا

قســـم: العدالة الجنائية

نموذج رقم (٢٦)

تخصص: سياسة جنائية

ملخـــص رسالـــة ☒ ماجستير ☐ دكتـــوراه

عنوان الرسالة : عِظَم الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، دراسة تأصيلية .

إعداد الطالـب : فهد بن عبد الرحمن العليان

إشـــــراف : د . وليد بن عثمان الرشودي

لجنة مناقشة الرسالة :

١ - د . وليد بن عثمان الرشودي مشرفاً ومقرراً

٢ - د . جلال الدين محمد صالح عضواً

٣ - د. محمد بن عبد الله الشنقيطي عضواً

٤ -

تاريخ المناقشة : ١٧ / ٥ / ١٤٢٨هـ الموافق ٣ / ٦ / ٢٠٠٧م.

مشكلة البحث : وتتمثل في أن الإساءة إلى الرسول إساءة إلى الله تعالى ، حيث تتضمن قدحاً وإساءة إلى المُرسِل سبحانه ، ثم هي إساءة مباشرة إلى الرسول تدل على ضعف الإيمان أو عدمه بالرسول أو بدينه أو بدعوته ، إذ قد يصل الأمر بصاحبه إلى الكفر والردة .

أهميـة البحث : تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال التلازم بين الإيمان بالله تعالى والإيمان برسوله ، فلا يصح إيمان عبد آمن بالله ولم يؤمن برسوله ، ثم ما يترتب على الإيمان به من القيام بحقوقه وما يجب له من التعزير والتوقير والنصرة وغير ذلك

وعلى الرغم من خطورة هذه المسألة إلا أننا نرى تعدياً من لدن الكافرين ،وتساهلاً من بعض جهلة المسلمين أو المندسين بينهم ، حيث لا يرون فيها كفراً ولا ردة بل محرمات ومكروهات فحسب .

أهـــداف البحـــث

١ ـ ذكر نصوص الكتاب والسنة وكلام الأئمة في شأن الإساءة وما يندرج تحتها .

٢ ـ بيان موقف المسلم من الإساءة ، والذي رسم القرآن الكريم معالمه الواضحة .

٣ ـ بغية أن تسهم هذه الدراسة في علاج بعض المظاهر المنحرفة والسلوكيات الشاذة ، ويلقي الضوء على بعض صور وأنماط الإساءة .

٤ ـ التدليل على أن الإساءات الغربية لا تندرج تحت بند حرية التعبير ، بل تحت إطار العنصرية والسخرية بالإسلام ورسوله .

فروض البحث/ تساؤلاته

السؤال الرئيس هو : ما حكم الإساءة إلى الرسول ،وما دوافعها ، وما الآثار المترتبة عليها ؟

والأسئلة الفرعية هي : ١ ـ ماذا يعني الإيمان بالرسول وهل له ما يناقضه ؟

٢ ـ ما بواعث الإساءة إلى الرسول ، وما آثارها ؟

٣ ـ ما موقف الغرب من الرسول ؟

٤ ـ هل التطاول على الرسول مما يبرر ، وأنه من حرية التعبير ؟

منهـج البحـث

يستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال جمع المعلومات المتعلقة بالدراسة، وتكوين الأفكار المناسبة للوصول إلى نتائج محددة، عن طريق الاطلاع على المصادر والمراجع التي تناولت موضوع الدراسة.

كما يحاول الباحث قراءة أحداث الإغارة على الرسول وما تنطوي تحمله من توجه وهدف .

أهـم النتائـج

١ ـ رغم تنوع أساليب الإساءة إلى الرسول في العصر الحاضر إلا أنها تتفق وتتشابه من حيث المضمون مع الإساءات المتقدمة في صدر الإسلام وما بعده .

٢ ـ حرية التعبير حق مصون في الإسلام ، وهو مشروط بألا يتعارض مع المبادئ الشرعية والمصالح المرعية ، ومن ذلك أنه يحرم على المرء التعرض لكرامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

٣ ـ أن الإساءة إلى الرسول بالسب أو السخرية أو بأي صورة تدل على ذلك أو شيء منه إنما يعد ناقضاً من نواقض الإيمان يوجب الكفر والردة ، لأنه يدل على الاستخفاف بالمسبوب .

٤ ـ أن للإساءة إلى الرسول آثاراً سيئة على المسيئين في الدنيا كالعقوبات ، وفي الآخرة بأن يجازيهم الله بجنس صنيعهم الذي صنعوه في الدنيا .

بســـــم الله الرحمن الرحيم

جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

Naif Arab University For Security Sciences



College of Graduate Studies

نموذج رقم (٢٧)

Department: The criminal Justice

Specialization: Islamic criminal legislation

THESIS ABSTRACT ☒ MA ☐ PH.D

Thesis Title: The greatness of dis-respect to the Prophet (PBUH) - original study

Prepared by: Fahad Bin Abdul Rahman Al Olayan

Supervisor: Dr. / Waleed Bin Othman Al Rashwady

Thesis Defence Committee:

1- Dr. / Waleed Bin Othman Al Rashwady (Decider)

2- Dr/ Galal Al Din Mohammed Saleh (member)

3- Dr/ Mohammed Bin Abdullah Al Shankeet (member)

4-

Defence Date: 17/5/1428 - 3/6/2007

Research Problem: It shows that the dis-respect to the prophet is considered directly dis-respect to Allah since it includes mockery and dis-respect to the Sender. The dis –respect to the Messenger directly refers to the weakness of faith or none for the Messenger which may lead to dis belief

Research Importance: The importance of this issue lies in the great link between the faith to Allah and His Messenger. There is no faith except you believe in Allah and His Messenger and the results of those rights like respect, dignity, and support. Although the danger of this issue, we find a lot of disbelievers and ignorant who consider this just not allowed or Haram, not disbelief.

Research Objectives:

1- Mentioning of chapters from the Holy Quraan, Sunnah and scientists regarding this issue.

2- The clarifications of Muslim action towards this dis-respect which the Quraan specified its clear features

3- Spotting the shed on some pictures and types of that dis-respect to cure to some extent this deviated phenomenon and deviated behaviors.

4- Showing that the western dis-respect can't be mentioned under the freedom, but under the discrimination, mockery to Islam and his Messenger.

Research Hypotheses / Questions:

1- The main question is what is judgment of dis-respect to the Messenger, motives and the results of it?

The minor questions are: 1- What is the belief in the Messenger and is there what is contrary to it?

2- What are the motives and effects of dis-respect to the Messenger?

3- What is the western situation to the Messenger?

4- Could we consider the dis-respect to the Messenger as the liberty of word?

Research Methodology:

The researcher used the original, analytical, comparative context through collecting all data and forming the suitable ideas to get good results by searching for the sources and references that discussed this issue. The researcher attempts also to read the current attack on the Messenger and know what is its aim and direction.

Main Results:

1- Despite the variety of disrespect, it is similar to the previous dis-respect at the beginning of Islam.

2- The liberty of word is allowed in Islam but not contrary to the Islamic rules and it is not allowed for man to expose the dignity and respect of prophets.

3- The disrespect to the Messenger by any kinds is contrary to faith lead to disbelief.

4- The disrespect to the Messenger has a lot of bad effects in life like punishments and in the Hereafter like punishment from Allah like what they do in their life.

"إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) [١] ،(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا) [٢] ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً) [٣]

أما بعد ، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ". [٤]

ثم إن من رحمة الله تعالى بعباده وفضله عليهم أن أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ، بعثهم رحمة بالعالمين ، وجعلهم وسائط بينه سبحانه وبين خلقه [٥] ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، يدعون أقوامهم إلى التوحيد ويحذرونهم من الشرك بالله تعالى . [٦]

وإن حاجة الناس إلى الرسالات أعظم بكثير من أي حاجة أخرى ، فلا بقاء لأهل الأرض ولا دوام لهم عليها ، إلا ما دامت الرسالة وآثارها فيهم ، فإذا ما ذهبت الآثار قامت القيامة [٧] ، ولولا الرسالة لعاش الناس بمنزلة منحطة ، كانحطاط حياة الأنعام ، بل أضل سبيلاً .

---

(1) سورة آل عمران آية : ١٠٢ .

(2) سورة النساء آية : ١ .

(3) سورة الأحزاب ، الآيتان : ٧٠ ، ٧١ .

(4) هذه تسمى خطبة الحاجة ، والتي كان النبي يبدأ بها خطبه ويعلمها أصحابه ψ ، وكان السلف يقدمونها في خطبهم ودروسهم وسائر شؤونهم ، وقد رويت عن ستة من أصحاب النبي ، وهم عبد الله بن مسعود و أبو موسى الأشعري وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله ونبيط بن شريط وعائشة ψ وتابعي واحد وهو الزهري .وقد رواه الإمام مسلم مختصراً في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة ، برقم ١٤٣٦ . وهوجزء ومنه (وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ...) قال عنه الألباني : قلت : ولم يسق مسلم لفظه كله وإنما أحال بباقية على اللفظ الذي ساقه قبله من طريق عبد الوهاب بن عبد المجيد عن جعفر به نحوه وفيه بدل قوله : (وكل محدثة بدعة) (وكل بدعة ضلالة) أنظر : خطبة الحاجة خطبة الحاجة التي كان رسول الله يعلمها أصحابه ، للألباني رحمه الله ، ص ١١ـ ٢٥ .ثم إنه ذكر أن له عدة طرق ، وقد خرجها بتمامها ، وقال عن ذكره لإحدى الروايات عن عبد الله بن مسعود ψ (رويت من أربعة طرق) : صحيح . أ . هـ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، عند ذكره لرواية أحمد ، ج ١ ، ص ٣٥٠ ، برقم ٣١٠٥ .
وقد كانت هذه الكلمات المباركات سبباً في إسلام الصحابي ضماد بن ثعلبة الأزدي τ ، ذلك أن ضماداً قدم مكة وكان يرقي ، فسمع أهل مكة يقولون لمحمد ساحر أو كاهن أو مجنون ، فلقيه فقال يا محمد : إني أعالج . فقال : " الحمد لله نحمده ونستعينه .... " الحديث وهو لفظ مسلم المذكور آنفاً . قال ابن حجر " وفيه : فأسلم ضماد وبايع عن قومه ...، فبعث النبي جيشاً فمرو ببلاد ضماد ، فقال أميرهم : لا تأخذوا لهم شيئاً . وقد كان صديقاً للنبي وكان يتطبب ، فخرج يطلب العلم، ثم جاء وقد بُعث النبي " أنظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، الترجمة برقم ٤٣٤١ ، ج ٣ ص ٤٧٦ .

(5) وفي هذا الباب ، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " الرسول هو الواسطة بيننا وبين الله فى تبليغ أمره ونهيه وتحليله وتحريمه ووعده ووعيده " . أنظر : مجموع الفتاوى : ج ١ ، ص ٢٩٣ ، ج ٧ ، ص ٤٠ ، ج ٢٧ ، ص ٤٢٩ ، ج ٣٥ ، ص ٣٧٥ .

(6) قال شيخ الإسلام : "وقد بعث الله محمداً بتحقيق التوحيد وتجريده ، ونفي الشرك بكل وجه ، حتى في الألفاظ ". اقتضاء الصراط المستقيم ، ج ٢، ص ٣٦٩.وانظر تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد ، للصنعاني ، ص ٥٦٨ ، مطبوع ضمن الجامع الفريد ، ط ٦ ، ١٤٢٥هـ . وقد أشار الإمام محمد ابن عبد الوهاب أن التوحيد هو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلى عباده ، أنظر : كشف الشبهات في التوحيد ، ص ٢٦٣ ، والمطبوع ضمن الجامع الفريد . وانظر : الرد على شبهات المستغيثين بغير الله ، ص ٦١٣ ، لأحمد ابن إبراهيم بن عيسى ، ضمن الجامع أيضاً .

(7)للاستزادة أنظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، للدكتور صالح الفوزان ، ص ١٧٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " والرسالة ضرورية للعباد ، لا بد لهم منها ، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء ، والرسالة روح العالم ونوره وحياته " . (١)

ويضيف تلميذه ابن القيم رحمه الله ، فيقول : " ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد إلى معرفة الرسول وما جاء به ، وتصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل " (٢) ، فلا دليل يهدي ولا سبيل يرشد ، إلا ما جاء منهم عن الله تعالى (٣) ،" فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به واتباعها ،منها إلى الطعام والشراب ، فإن هذا إذا فات حصل الموت في الدنيا ، وذاك إذا فات حصل العذاب" (٤)

وقد خص الله تعالى لكل نبي شِرعة ومنهاجاً ، ليستقيموا عليه ولا يحيدوا عنه اعوجاجاً ، لا يمنة ولا يسرة .

ثم جاءت خاتمة الرسالات ببعثة الرحمة المهداة للبشرية جمعاء ، محمد بن عبد الله ،حيث يقول الله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (٥) ، يقول ابن عباس τ : " من تبعه كان له رحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يُبتلى به سائر الأمم من الخسف والمسخ والقذف " . (٦)

ختم الله تعالى هذه الرسالات العظيمة بأفضل الأولين والآخرين وأعظم خلقه أجمعين وسيد الأنبياء والمرسلين وصفوة خلقه ،الذي أخرج به الناس من الظلمات إلى النور ،وهداهم إلى صراطه المستقيم ، قال تعالى : (صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ) (٧) ، فشرع له أفضل الشرائع وأنزل عليه أفضل الكتب.

وإن من أجل الأمور شناعة ، ما ينافي ويناقض عقيدة التوحيد ـ التي لا مساومة عليها ألبته ـ ، هو الوقيعة في نبي الله محمد ،بالإساءة إليه (٨) ـ سواء كانت سباً أو سخرية أو استهزاء أو غيرذلك ـ ، بشتى الصور الإجرامية ، التي تتكرر عبر مر التاريخ ، وتتشكل في كل زمان ومكان بشكل متغير وتأخذ لوناً متبايناً عما سلفه ، فمرة يواجه بالتكذيب والجحود ، ومرة بالتنقص ، ومرة برمي التهم ، ومرة بالاعتداء ، بل بمحاولة القتل ، كما هو حال قتلة الأنبياء يهود ، يقول الله تبارك وتعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا) (٩) ، ولئن كانت صور الإساءة مختلفة ، فالمضمون واحد ، والنسق منسجم في إطار متحد .

---

(1) أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١٩ ، ص ٩٣ .

(2) أنظر : زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ١ ، ص ٦٩ ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط . ومفتاح دار السعادة ، كلاهما لابن القيم الجوزية ، ج ٢ ، ص ٥

(3) قال شيخ الإسلام ابن تيمية :" وفي الكلام المأثور عن الإمام أحمد ، أصول الإسلام أربعة : دال ودليل ومبين ومستدل ، فالدال هو الله ، والدليل هو القرآن ، والمبين هو الرسول ، قال تعالى (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) سورة طه : الآية ١٢٣ ، والمستدل هم أولو العلم وألو الألباب الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم " ، أنظر: النبوات ، ص ٧٦ .

(4) أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١ ، ص ٥ .

(5) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .

(6) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ١٧ ، ص ٢٧٠ .

(7) سورة الشورى ، آية : ٥٣ .

(8) قال القلقشندي : " أول من سن الإساءة فرعون ، عند قوله لموسى عليه السلام (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) سورة الشعراء ، آية : ٢٣ ، فأجابه بقوله (رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ) سورة الشعراء ، آية : ٣٤، أنظر : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ٤٧٨ ، ٤٧٩، بتصرف.

(9) سورة الفرقان ، آية : ٣١ .

فمرة يُساء إليه بأنه (كَذَّابٌ أَشِرٌ) [١] ومرة يُتهم بأنه (سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) [٢] ، فآذوه في نفسه وبدنه وأهله وأصحابه ، ثم مضايقته وحصار دعوته وتسفيه رأيه ومقاطعته في شعب أبي طالب ، وقتاله وتجييش الجيوش ضده ، ثم ما تلا ذلك من الإفك والوقيعة في عرضه من لدن المنافقين ، ومروراً بافتراءات وانحرافات أهل الأهواء والمبتدعة ، وعلى مر الزمن وتعاقب الأيام دأب بعض الحاقدين على الرسالة والرسل على توجيه سهامهم المسمومة ، كما هو حال كثير من المستشرقين ، [٣] ، ووصولاً إلى كتاب سلمان رشدي المسمى (آيات شيطانية) ، وأخيراً وليس آخراً بالحملة المقيتة الساخرة بالرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول ، من ذلك البلد القصي[٤]، ومن ثم الإمعان بإعادة نشرها لأكثر من مرة في الصحف الأوروبية [٥]، ثم ما تلاها من تصريح فاضح من المدعو بابا الفاتيكان الكاثوليكي (السادس عشر) ،كل هذا عبر مسلسل صليبيي حاقد وقذر .

وإن المسلم الواثق بالله تعالى في خضم هذه الأحداث ليرى وميض النور يلوح من بعيد عبر غياهب الظلام ، وعبر هذه الإساءات المتكررة ، سيما الرسوم الكاريكاتورية ، التي وحدت الصف الإسلامي في خطوة غير مسبوقة ، يقول الله تعالى (فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) [٦] ، فكم تحمل الآلام من آمال .

وإذا كان لكل شيء أصل وأساس ، فأصل بناء دين الإسلام وأساسه يقوم على أصلين عظيمين ، هما :

الأول : عبادة الله وحده لا شريك له .

والآخر : الإيمان برسول الله . [٧]

وهذا حقيقة قول : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، فمن خرج عنهما أو عن واحد منهما ، فلا عمل له مقبول ولا دين له يرتجى ، قال الله تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) [٨] ، فالله سبحانه وتعالى بعث في كل أمة رسولاً ، وبعث هؤلاء الرسل الكرام بالتوحيد ، وهذا هو الدين

---

(1) سورة القمر ، آية : ٢٥ .
(2) سورة الذاريات ، آية ٥٢ .
(3) للاستزادة ، أنظر : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ، للدكتور : لخضر شايب .
(4) يقول الدكتور عبد الرحيم عبد الواحد : " الدنمارك لا تمثل فاعلاً رئيسياً بين دول الغرب ، إلا أن الرسوم ودلالاتها والإسقاطات التي تستهدف ترسيخها ، في سياق المرحلة المعاصرة ، التي تدور تفاعلاتها بين العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب ، استدعت إلى أرض الواقع الميراث التاريخي للعلاقات بين الجانبين ، وهو الميراث الذي أتسم أساساً بالصراع ، رغم بعض جوانب التعاون التي غلبت بعض الفترات " ، أنظر : رسومات شيطانية ، للدكتور : عبد الرحيم عبد الواحد ومصطفى محمد ، ص ٨ ، والذي لا يفوتني أن أشكر الدكتور : عبد الرحيم ، على تعاونه وتجشمه صعوبة إرسال الكتاب عند طلبي إياه من الإمارات العربية المتحدة ، فله مني الدعاء والثناء .
(5) الأمر الذي أدى إلى عنف في بعض البلاد العربية والإسلامية ضد عدد من سفارات وقنصليات دول معينة ، والذي كان هو الآخر إساءة ، وإن كنا لنحيي هذه الغيرة على حرمات الله ورسوله ، إلا أن الخطأ لا يعالج بمثله أبداً ، فإذا كان الحماس غير منضبط بالضوابط الشرعية والمصالح المرعية ، فإنه حتماً سيؤدي إلى عواقب وخيمة ونتائج لا تحمد . قال أبو حاتم رحمه الله : "...ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشد من الاستعمال بمثلها "،أنظر : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ص ١٦٦. ولقد عجبت أشد العجب من بعض جهلة المسلمين الذين قال قائلهم : هلمَّ نسب نبيهم كما سبوا نبينا ! .
(6) سورة النساء ، آية ١٩ .
(7) أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١ ، ص ٨٠ .
(8)سورة النحل ، آية : ٣٦.

الذي لا يُقبل من أحد سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) . [١]

إذا كان كذلك فمن المتعين على كل مسلم ، أن يعرف ما يدل عليه كل واحد من هذين الأصلين العظيمين ، وما يشتملان عليه من الأحكام والمتعلقات الشرعية ، ومنه أن يعلم حكم الواقع في شخص النبي ، أو الاستخفاف بشرعه ، ليحذر ويكون على بينة من الأمر ، قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [٢]

ومن هنا وحيث وفق الباري جل وعلا للدراسة في جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، قسم العدالة الجنائية تخصص سياسة جنائية ، وكان من متطلبات إتمام الدراسة للماجستير إعداد رسالة علمية ، وعليه فقد وقع اختياري على البحث التكميلي الذي اخترت له عنواناً :

" عِظَم الإساءة إلى النبي ... دراسة تأصيلية "

(1) سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .
(2) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ .

الفصل التمهيدي

(المدخل للدراسة)

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : الإطار المنهجي للدراسة :

ويشتمل على :

١. مشكلة الدراسة :

تتمثل الإساءة إلى الرسول في الدرجة الأولى في كونها إساءة إلى الله تعالى ، ولدين الإسلام ، ذلك أن الله تبارك وتعالى قد اختار لهذه المهمة السامية والرسالة العظيمة صفوة خلقه وأفضل رسله ، محمد ، الذي لا يمكن أن يكمل إيمان المرء إلا أن يؤمن به إيماناً جازماً ، ومنها تدرك أن الإساءة تتضمن قدحاً وإساءة للمُرسِل سبحانه ، وهذا أمر خطير ومزلة عظيمة قد تصل بصاحبها إلى الكفر والردة ـ نسأل الله العافية ـ ، ولعل من الملاحظ عبر الإساءات المتعاقبة تساهل بعض المندسين والمحسوبين ،أوتهوينهم من عظيم كهذا جهلاً أو تجاهلاً ،وبالنظر في مسلسل العداء القديم لأنبياء الله تعالى وللإسلام ونبيه خصوصاً ، والذي ما زال يبث صوراً متكررة تحمل الحقد الدفين والكراهية المتأصلة منذ أمد بعيد ، إلا أنه في هذه المرة وقعت أزمة حادة ثم انفجرت، وبطريقة متصاعدة ، من خلال الهجوم السافر الذي تعرض له شخص الرسول الكريم منذ (٣٠ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٥م) ، وهو ما يُؤذن بحملة جديدة حاقدة ، ذلك " أن أزمة الرسوم ليست سوى مرحلة ، بما يعني أنها لا تمثل (نهاية التاريخ) للأزمات بين العالم الإسلامي والغرب ، وأن الموقف مرشح لأزمات أكثر ، تتطلب الكثير من الحكمة في إدارتها " [1] .

وكان من آخرها تصريح زعيم البابوية الكاثوليكية ، الذي كان يُنتظر منه امتصاص الغضب ، وتدارك الموقف ،ولو في الساعات الضائعة والحرجة ،وأن يكون أكثر تعقلاً من الصغار ،الأمر الذي يعني ازدياد مظاهر هذه الهجمة ، وأخذها منحاً آخر لدى القوم ،بدليل التضافر المهول والتسابق من قِبَل بعض الصحف الأوروبية بإعادة النشر للرسوم [2] ، تضامناً مع حمالة الحطب ، بحيث لم تعد خُرقات فردية أو شطحات شاذة ، بل هي حملة منظمة ومدعومة بكل الوسائل الممكنة وإن بررها البعض !، سيما بعد أحداث (الحادي عشر من

---

(1) أنظر : رسومات شيطانية ، ص ١٠ .

(2) ومما يؤسف له أن اقترفت صحف عربية وإسلامية نفس الخطيئة والإساءة ، حيث أُعيد نشر الرسوم في ثمان دول إسلامية ، هي : الجزائر ومصر واليمن والسودان والأردن والسعودية والمغرب وماليزيا وإندونيسيا والبوسنة والهرسك ، وإن كانت بعضها نشرتها من باب تغطية الحدث إعلامياً ، أو توعية جماهيرها، وأنها لم تقصد السوء والإساءة ، إلا أن ذلك لا يعفيها من المسؤولية ، إذ قد يوقع بعضهم في حكم ساب الرسول . يقول بعضهم : " ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة واحدة فإن في ذلك تزهيداً لأهل الإحسان في الإحسان وتدريباً لأهل الإساءة على الإساءة ". أنظر : صبح الأعشى ، ج ١، ١٣.

سبتمبر ٢٠٠١م) ، الذي أصبح الإسلام ورسوله مادة دسمة للإساءة ، يستمتع بها القارئ والمشاهد والمستمع الغربي .

إذاً تكمن مشكلة الدراسة في : الاعتداء والتجني على الرسول ، والإساءة إلى شخصه الكريم، من خلال صور متعددة ، كان من آخرها الرسوم الكاريكاتورية ، ثم ما تلا ذلك ، فما الدوافع وراء هذا التجني المقيت ؟

هذا الأمر الذي أقض مضاجع المؤمنين وجرح قلوب الغيورين من أهل الإسلام قاطبة ، وآلمهم أشد الألم ، فكان كالطعنة في الصميم ، والضربة في مقتل .

من خلال ذلك الحدث الشنيع ، الذي دفعني للتفكير والميول إلى تناول هذه القضية ، كأطروحة علمية للماجستير ، دفاعاً عمن حظي باصطفاء الله له فاختصه بالنبوة وميزه بالرسالة .

ومن هنا يبرز التساؤل الرئيس ، وهو :

- **ما حكم الإساءة إلى الرسول ، وما دوافعها ، وما الآثار المترتبة عليها ؟**

٢. أهمية الدراسة .

لقد اصطفى الله تبارك وتعالى من خلقة أنبياءه وخصهم بما لم يخص به غيرهم ، وجعل لهم من القدر والشأن الشيء العظيم ، فلا سبيل للناس يوصلهم إلى الله إلا عن طريقهم ، ثم إنه سبحانه قد خص نبيه محمداً على سائر إخوانه من الأنبياء بخصائص عظيمة وسمات جليلة ، يفضل بها عمن سبقه منهم ،فختم به أفضل شرائعه وأنزل عليه أحسن كتبه .

إذا كان كذلك فإن التجني على الرسول ، أو الحط من قدره أو الوقيعة به أو الإساءة إليه بأي لون إنما هو جُرم خطير ،ومثلبة كبيرة في الدين ، وهتك لمبناه العظيم ، وهذا يناقض أصل الدين وأساسه ، يقول القاضي عياض رحمه الله : " وحكم من سب سائر أنبياء الله تعالى ... حكم نبينا " [١] ، أي الكفر . وقال شيخ الإسلام رحمه الله : " و من سب الرسول فقد عاداه ومن عاداه فقد حاربه و قد حارب الله أيضاً " . [٢]

فالأصل القائم له ، هو كمال التوقير والتعزير والنصرة ، فالإساءة بشتى صورها من سب وسخرية وغيرهما ناقض من نواقض الإسلام ، يقول شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : " من استهزأ بشيء من دين الرسول ، أو ثواب الله ، أو عقابه كفر ، والدليل قوله تعالى (لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) [٣] ، [٤]

وتكمن أهمية الدراسة في الأسباب التالية :

١. ما خص الله سبحانه وتعالى به نبيه ، من المكانة الرفيعة والقدر الكبير الذي لا يتحقق به إيمان العبد إلا أن يؤمن به ويصدقه ويجله ويعظمه ويوقره وينصره كما شرع الله تعالى ، وأنه أفضل الخلق ، وأكملهم علماً وعملاً ، اختصه الله بالوحي وجعله واسطة بينه وبين خلقه ، وأنه هو الأوفر بين الأنبياء حظاً بهذا ، قال الله تعالى (فَآمِنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [٥] وقال سبحانه : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ

(1) للاستزادة ، أنظر : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، ج ٢ ، ص ٢٩٠.
(2) الصارم المسلول ، ج ٣ ، ص ٧٣٣ .
(3) سورة التوبة ، آية ٦٦ .
(4) رسالة نواقض الإسلام ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٧٣.
(5) سورة التغابن ، آية : ٨ .

وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) (١) ، وفي عموم الأنبياء يقول ابن كثير : " فالمؤمنون ....، يصدقون بجميع الأنبياء والرسل ...، الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون إلى سبيل الخير ." (٢) يقول الإمام ابن حزم رحمه الله : " فصح ضرورة أن الله تعالى شهد لهم بما أظهر على أيديهم ، فصح ما أتوا به عنه ، وأنه تعالى صدقهم فيما قالوه " (٣) ، وفي هذا وأمثاله كما يكون لعامة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو لنبينا محمد أخص .

٢ ـ عندما وقع الاختيار على موضوع الدراسة ، وتمت الموافقة المبدئية عليه ، أخذت أبحث وأقرأ ، فلم أجد ـ في حد علمي ـ دراسة متكاملة تتناول الموضوع وتبين عظم الإساءة إلى الرسول ، وهذا مما أكسبني أهميته وشجعني على أن أكتب فيه وأتناوله من هذا المنظار .

٣ـ خطورة هذا الأمر وهو الإساءة إلى الرسول وما يترتب عليها من الردة والكفر المخرج من الملة ، الأمر الذي يوجب على المسلم العلم به ليحذر ويكون على بينة منه ، ولذا فقد " أجمع العلماء على أن كل مسلم صدر منه سب الرسول أو تنقيصه وجب قتله و يحكم بكفره و ردته عن دين الإسلام " (٤) ،ولهذا فإن الله تعالى يحذر عباده ويبين لهم سبيل المخالفين من المجرمين فيقول تعالى (وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (٥)، قال ابن كثير رحمه الله : " أي ولتظهر طريق المجرمين المخالفين للرسل". (٦)

يقول حذيفة τ :" كان الناس يسألون رسول عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني ." (٧) ، فالمؤمن دائم الخوف والوجل أن يقترف شيئاً من محارم الله تبارك وتعالى وهو لا يدري ، إذ أن " من عرف الشر وذاقه ، ثم عرف الخير وذاقه ، فقد تكون معرفته بالخير ومحبته له ، ومعرفته بالشر وبغضه له ، أكمل ممن لم يعرف الخير والشر ، ويذوقهما كما ذاقهما ، بل من لم يعرف إلا الخير ، فقد يأتيه الشر ، فلا يعرف أنه شر ، فإما أن يقع فيه ، وإما أن لاينكره ، كما أنكره الذي عرفه" . (٨)

٤ـ ضرب الأمثلة والصور من الإساءات على مر العصور ، والتي تبين حجم العداوة ، وأنه لا تقارب بين ملة الإسلام وملة الكفر ، رغم دعاوى التقريب ، التي أثبتت فشلها الأيام ، (هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) . (٩)

٥ـ بالنظر إلى موقف بعض المسلمين من تلك الإساءات المتكررة والمتنوعة ، يُلحظ أن هناك غلواً أو جفاءً ، فأُدخل في الكفر وما في حكمه ما ليس منه ، كمن أُكره على قول كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، كما قال الله تعالى : (مَن كَفَرَ بِاللّهِ مِن بَعْدِ إيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٨٥ .
(2) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ .
(3) المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار ، لابن حزم الأندلسي ، ج ١ ، ص ٧ .
(4) الرد على البكري ،لابن تيمية ، ج ٢ ، ص ٦٨٣ .
(5) سورة الأنعام ، آية : ٥٥ .
(6) تفسير القرآن العظيم ، ج ٧ ، ص ١٨٦.
(7) رواه البخاري ، في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، برقم ٣٣٣٨ ، وكتاب الفتن ، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ، برقم ٦٥٥٧ ، ومسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، برقم ٣٤٣٤ .
(8) مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .
(9) سورة آل عمران ، آية : ١١٩ .

[1] ، قال ابن كثير : " فهو استثناء ممن كفر بلسانه ووافق المشركين بلفظه مكرهاً لما ناله من ضرب وأذى ، وقلبه يأبى ما يقول ، وهو مطمئن بالإيمان بالله ورسوله " . [2]

وفي المقابل نجد أن هناك أناساً من المتخاذلين قد تساهلوا في أمر خطير كهذا ، ولا يرون أن فيه ردة أو كفراً ، بل مكروهات ومحرمات فحسب ، ويتهموننا بأننا لا نقبل الرأي الآخر ، وأن نفوسنا تضيق حيال حرية التعبير !

وأهل السنة ـ وهم أهل الحق دائماً ـ ، أخذوا بأسباب التوسط والاعتدال ، فكانوا على بصيرة من أن يروج عليهم ما راج على غيرهم ، فقد توسطوا بين الغالين والجافين ، إذ أنهم قدروا رسولهم حق قدره وعظموه حق تعظيمه فأطاعوه فيما أمر وصدقوه فيما أخبر وقدموا محبته على النفس والمال والأهل والولد وسعوا في إظهار دينه وإعلاء كلمته ، ونصر ما جاء به وجهاد من خالفه وتحكيمه وحده والتسليم له والرضا به إلى غير ذلك من أنواع التعظيم المشروع الذي فهمه السلف الصالح وعملوا به ، فصدَقَ عليهم التحقق بوصف الوسطية التامة والخيرية الكاملة . [3]

٣. أهداف الدراسة .

لقد حبا الله سبحانه وتعالى الحبيب وتفضل عليه بالخصائص العظيمة ، والعطايا الكريمة ، والفضائل الجزيلة ، وهذا مما يدفع المسلم إلى التعظيم والإجلال لرسول الله ظاهراً وباطناً ، ثم ما يورثه حباً وشوقاً إلى لقائه ، والذب عنه والدفاع عن سنته .

وهذه الدراسة تستهدف بيان عظم الإساءة إلى النبي ، وما يترتب عليها ، وذلك من خلال ما يلي :

١ـ ذكر نصوص الكتاب والسنة ، ونقل كلام الأئمة في شأن الإساءة وما يندرج تحتها من السخرية والاستهزاء والشتم والسب ، وأثر ذلك على المسلم والكافر ، من ذلك قوله تعالى في شأن المنافقين : (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [4] ، قال السعدي رحمه الله :" بالأقوال الردية ، والعيب له ولدينه إلى أن قال : فأساؤوا ـ أي المنافقين ـ كل الإساءة ، من أوجه كثيرة أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة " . [5]

٢ـ بيان موقف المسلم من الإساءة إلى الرسول ، والذي رسم القرآن معالمه الواضحة ، في حكم الإساءة والقعود مع المسيئين والمستهزئين ، وموقف المسلم منهم ، بقوله تعالى : (وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا) [6]

(1) سورة النحل ، آية : ١٠٦.
(2) تفسير القرآن العظيم ، ج ١٤ ، ص ٧٦٥ .
(3) للاستزادة ، أنظر : خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء ، للصادق بن محمد بن إبراهيم ، ص ٩ ، ١٠ .
(4) سورة التوبة ، آية : ٦١ .
(5) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ج ١٠ ، ص ٣٤٢ .
(6) سورة النساء ، آية : ١٤٠ .

" وفي هذه الآية باعتبار عموم لفظها الذي هو المعتبر دون خصوص السبب ، دليل على اجتناب كل موقف يخوض فيه أهله بما يفيد التنقص والاستهزاء للأدلة الشرعية " . [١]

٣- بالرغم من خطورة هذه المسألة ، وما يجب على المسلم من الحذر حيالها [٢] ، إلا أنه يُلحظ من خلال الواقع في بلاد الإسلام عموماً وقوع بعض الأفراد فيها ، فمرة نسمع ومرة نقرأ ومرة نشاهد بعضاً من مظاهر هذه الإساءة التي تتكرر خلال أوصاف متغيرة وألوان متباينة ، سيما بين صفوف أدعياء الثقافة ودعاة العلمنة والتغريب وأرباب الحداثة والتوجهات المريبة وأهل الكفر والزندقة ، وفي بعض الأحايين تُغطى برداء الضحك والمزاح وتلطيف الأجواء ، ـ كما يقولون ـ ، بل ربما لُبِّس على البعض ، من دهماء القوم ، بأن هذه من قبيل الحرية في التعبير والرأي ، والتي لا تعني بأي حال من الأحوال التعدي والتجاوز والإساءة وارتكاب الموبقات والولوج في حمئة الرذيلة .

٤- بُغية أن يسهم طرق هذا الموضوع في علاج بعض المظاهر المنحرفة ، والسلوكيات الشاذة ، ويلقي الضوء على بعض الصور والأنماط المنتشرة ، والتي بُلي بها البعض من المسلمين ، أو من أولئك القوم الذين دأبوا على السير في هذا النفق المظلم ليأتوا على الإسلام من قواعده ، وهيهات ، (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [٣] ،كما أرجو أن يسهم في إثراء المكتبة الإسلامية بما ينفع ويفيد .

٥- رجاء أن يكون كاتب هذه الأسطر من المنتصرين لدينه ولنبيه خير البرية وأزكى البشرية ، وأن يعمنا جميعاً بلطفه ورحمته وأن يكتبنا من المفلحين ، (فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) . [٤] ، [٥]

٦- بيان واقع كثير من المسلمين الذين يقترفون الإساءة إلى الرسول ، أو إلى سنته مباشرة أو بسبب ما ، والتي تمثل جهلاً أو اتباعاً بلا علم أو هوى أو غير ذلك من خلال عرض بعض الصور ،كمن يغلو برسول ويرفعه فوق منـزلته التي أنزله الله إياها وارتضاها له ، كمن يُقسم ويحلف به ، وقد قال : (من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك) [٦] ،وفي المقابل نرى أن لدى البعض تخوف وجفاء من جانب خفي ، فيما يختص بتعظيم الرسول ،

---

(1) فتح القدير ، للشوكاني ، ج ١ ص ٧٩٤، ٧٩٥ .

(2) إذا تأملت حال في كثير من الناس اليوم ، ترى التساهل في أمور عظيمة من هذا الباب ، يقترفونها ، وما علموا أنها توردهم المهالك ، وكان الأولى بالمسلم أن يسلك سبيل التقوى والورع ، والبعد عن سبيل المجرمين وانتحال المبطلين ، والله المستعان ، فعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله يقول وأهوى النعمان بإصبعيه إلى أذنيه : إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) ، الحديث رواه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ، برقم : ٥٠ ، ومسلم ، في كتاب المساقاة ، باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، برقم : ٢٩٩٦ ، واللفظ له .

(3) سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

(4) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧ .

(5) قال ابن كثير رحمه الله : " وكان من صنعه تعالى أنه أظهر رسوله ونصره وجعل له بسبب خروجه من مكة أنصاراً وأعواناً وجنداً يقاتلون في سبيل الله تعالى ولم يزل يرقيه تعالى من شيء إلى شيء حتى فتح له مكة التي أخرجته ومكن له فيها وأرغم أنوف أعدائهم منهم من سائر أهل الأرض حتى دخل الناس في دين الله أفواجا وظهرت كلمة الله ودينه على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها في أيسر زمان ولهذا قال تعالى (فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ) " ، سورة إبراهيم ، الآيتان : ١٣ ، ١٤ ، أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ١٣ ، ص ٦٨٤ .

(6) رواه أحمد في المسند ، برقم ٥٧٩٩ ، ورواه الترمذي في كتاب النذور والأيمان ، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله ، برقم ١٤٥٥ ، قال الألباني : صحيح ، أنظر : السلسلة الصحيحة ، ج ٥ ، ص ٦٩ .

أو تعظيم أهل بيته الصالحين ، خوفاً من مشابهة بعض المبتدعة الذين ضلوا في هذا الباب [١] ، وضابط المسألة وحاكمها ما وافق الدليل الصحيح الصريح ، واتبع الهدي القويم عن رسول رب العالمين ، قال تعالى : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) . [٢] قال ابن كثير : " قوله (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أي عن أمر رسول الله وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته ، فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله ، فما وافق ذلك قُبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان ،كما ثبت في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله قال : (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) [٣] أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطناً وظاهراً (أن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك ". [٤]

٧- بيان عظم الإساءة إلى النبي ، و ما يترتب عليه من العقوبات ، و أن هذه الإساءة بالرسوم الكاريكاتورية ، لا تندرج تحت بند حرية الرأي والتعبير ، وإنما تحت إطار العنصرية ، والسخرية بالإسلام ورسوله ،حتى عند أهل القانون الذين يرون أن " حرية الرأي والتعبير مقيدة بقيد عدم انتهاك حرمة الدين ، على أساس أنه وإن كانت حرية الاعتقاد مكفولة بمقتضى الدستور [٥] ، إلا أن هذا لا يبيح لمن يجادل في أصول دين من الأديان أن يمتهن حرمته أو يحط من قدره ،أو يزدريه عن عمد منه " . [٦]

إذا كان كذلك ، فإن الحرية السليمة والحقة والتي ينبغي أن يُنادى بها هي التي لا تتجاوز الثوابت الشرعية ولا تتعارض مع المسلمات الدينية ، وبهذا التوازن تُحفظ الحقوق ولا تضيع الواجبات .

٤- أسئلة الدراسة .

إن من أوجب الواجبات وألزم الأركان على كل مسلم القيام بما تقتضيه شهادة أن محمدًا رسول الله من حقوق وواجبات، فلا يصح إيمان مسلم لم يقم بما تقتضيه هذه الكلمة من الإيمان برسول الله والتصديق لخبره والطاعة لأمره ، وتوقيره واحترامه ، وتعزيره بنصرته ونصرة سنته بأغلى ما يملك ، فلا تطاول أو انتقاص .
والمسلم وهو يتعبد الله بذلك راضياً مسروراً، يفدي رسول الله بروحه ، وهو يعلم أن إيمانه لا يتحقق إلا إذا كان رسول الله أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين ، فإن " حب الله ورسوله موجود في قلب كل مؤمن لا يمكنه دفع ذلك من قلبه إذا كان مؤمناً و تظهر

---

(1) وهم النواصب الجافين لأهل البيت ، والروافض الغالين فيهم .أنظر : استجلاء ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف ، للسخاوي ، ج ١،ص ١٦٧ .والنهي عن سب الأصحاب للمقدسي ، ص ٨٥ .وصب العذاب على من سب الأصحاب ، للألوسي ، ص ١٦٤ - ١٧٩ . و الصحابة ومكانتهم في الإسلام ، لنور عالم الأميني ، ص ٧٥ - ٨٣ .
(2) سورة النور ، آية : ٦٣ .
(3) أخرجه البخاري ، في كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، برقم ٢٦٩٧ ، بلفظ : (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد) ، ورواه مسلم ، في كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، برقم ٣٢٤٢ ، واللفظ له .
(4) أنظر: تفسير القرآن العظيم ، ج ١٨ ، ص ٤٠٧ . قال القرطبي رحمه الله ، في قوله تعالى : (أن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) : والفتنة هنا القتل قاله ابن عباس وقال عطاء : الزلازل والأهوال وقال جعفر بن محمد : سلطان جائر يسلط عليهم وقيل : الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول . الجامع للأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ٢٩٤ .
(5) أي الدستور المصري .
(6) جرائم الرأي والإعلام في التشريعات الإعلامية وقانون العقوبات والإجراءات الجنائية (دراسة تحليلية) ، للدكتور : عبد الرحيم صدقي ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

علامات حبه لله و لرسوله إذا أخذ أحد يسب الرسول و يطعن عليه أو يسب الله و يذكره بما لا يليق به فالمؤمن يغضب لذلك أعظم مما يغضب لو سب أبوه و أمه " . (١)

فعن أنس بن مالك τ قال : قال رسول الله :(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (٢) ، ولا غرو في ذلك فإن محبة رسول الله هي السبيل إلى السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة، فلِمَ لا يحبه المسلم وهو يعلم أنه رسول الله وما ترك ساعة من ليل أو نهار إلا وأنفقها في سبيل أن يصل الدين إلى المسلم نقيًا من أي شائبة ، لم لا يحبه المسلم وهو يقرأ في سيرته كيف ضحى رسول الله بوقته وماله وجهده وحياته في سبيل نشر هذا الدين العظيم .

إن رسول الله ليس رمزًا من رموز الأمة المسلمة فحسب ، بل هو حجر الأساس في هذه الأمة المسلمة، فلولا رحمة الله بالناس ببعثة محمد ما كان لهذه الأمة وجود ، ويوم أن يدافع المسلم عن نبيه ورسوله محمد ، فهو ليس يدافع عن هذا الرمز فحسب ، ولكن يدافع عن عقيدة وإيمان ودين ،هي أغلى عند المسلم من حياته .

وإن المرء ليعجب أشد العجب أن يتم التطاول على الرسول ، الذي اصطفاه الله بالنبوة وأكرمه بالرسالة ، من بعض أولئك القوم الذين يؤمنون ببعض الأنبياء ، وهم يعلمون ويدركون (٣) أن بين أنبياء الله تعالى ما بينهم من الاشتراك والالتقاء في أمور عدة ، منها عقيدة النبوة والرسالة ، إذ أن القدح بأحدهم قدح بالله تعالى أولاً ، ثم فيما اشتركوا فيه من الصفات والمكرمات .

وفي المقابل رأينا من المنصفين وبعض الباحثين من يُشيد برسول الله ويذكره بجميل الصفات ، وينعته بأفضل السمات ، وهم ليسوا على دينه . (٤)

من خلال هذا يمكن طرح السؤال الرئيس (السابق) ، وهو :

---

(1) مجموع الفتاوى : ج ١٦ ، ص ٣٤٣ .

(2) رواه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان ، برقم ١٤ ، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة الرسول ، برقم ٦٣. قال ابن حجر رحمه الله : " فإذا تأمل النفع الحاصل له من جهة الرسول الذي أخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان إما بالمباشرة وإما بالسبب علم أنه سبب بقاء نفسه البقاء الأبدي في النعيم السرمدي وعلم أن نفعه بذلك أعظم من جميع وجوه الانتفاعات فاستحق لذلك أن يكون حظه من محبته أوفر من غيره لأن النفع الذي يثير المحبة حاصل منه أكثر من غيره ولكن الناس يتفاوتون في ذلك بحسب استحضار ذلك والغفلة عنه ولا شك أن حظ الصحابة ψ من هذا المعنى أتم لأن هذا ثمرة المعرفة وهم بها أعلم والله الموفق " . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١ ، ص ٢٧٩ .

(3) قال الله تعالى : (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) سورة النمل ، آية : ١٤ . يقول ابن جرير الطبري رحمه الله : (وجحدوا بها) ، الجحود : التكذيب بها ، وقوله (واستيقنتها أنفسهم) أيقنتها قلوبهم وعلموا يقينا أنها من عند الله فعاندوا بعد تبينهم الحق ومعرفتهم به ، وقوله (ظلماً وعلواً) يعني بالظلم : الاعتداء ، والعلو : الكبر كأنه قيل : اعتداءً وتكبراً وقوله : (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) يقول تعالى لنبيه محمد : فانظر يا محمد بعين قلبك كيف كان عاقبة تكذيب هؤلاء الذين جحدوا آياتنا حين جاءتهم مبصرة وماذا حل بهم من إفسادهم في الأرض ومعصيتهم فيها ربهم وأعقبهم ما فعلوا فإن ذلك أخرجهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم إلى هلاك في العاجل بالغرق وفي الآجل إلى عذاب دائم لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون يقول : وكذلك يامحمد سنتي في الذين كذبوا بما جئتهم به من الآيات على حقيقة ما تدعوهم إليه من الحق من قومك . أنظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٩ ، ص ٥٠١ ، بتصرف يسير .

(4) حول هذه المسألة ، أنظر : قالوا عن الإسلام ، للدكتور عماد الدين خليل ، من منشورات الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ومحمد أعظم عظماء العالم ، للشيخ أحمد ديدات و مايكل هارت ، (والذي جعل الرسول على رأس قائمة أكثر الأشخاص تأثيراً في العالم ، لأنه الوحيد في التاريخ الذي تحقق له النجاح الكامل ـ كل الكمال ـ على المستوى الديني والدنيوي) ، وثناء الغربيين على سيد المرسلين ، لمحمد بن علوي العيدروس ، و محمد والخناجر المسمومة الموجهة إليه ، للنصراني الأرثوذكسي الدكتور : نبيل لوقا بباوي .

- **ما حكم الإساءة إلى الرسول ، وما دوافعها ، وما الآثار المترتبة عليها ؟**

وللإجابة على هذا السؤال (الرئيس) ، لا بد من الإجابة على هذه الأسئلة الفرعية التالية :

ـ ماذا يعني الإيمان بالرسول وهل له ما يناقضه ؟
ـ ما حقوق الرسول على أمته ؟
ـ ما بواعث الإساءة إلى الرسول وما صورها ؟
ـ ما موقف الغرب من الرسول ؟
ـ هل التطاول على النبي مما يُبَرَر ، وأنه من حرية التعبير ؟
ـ ما الأثر المترتب على الإساءة ، وما حكمها في الشريعة الإسلامية ؟

٥. حدود الدراسة **.**

نظراً لطول الموضوع وعمق جوانبه وتجذُّر مسائله ، مما يعني صعوبة الإلمام به والإحاطة بكل جوانبه ، لذا فلا بد من تحديد ماذا يريد الباحث من خلال طرحه له .
وذلك من خلال ثلاثة أمور :

- **الحدود الموضوعية :** تقتصر الدراسة على تناول صور الإساءة الواقعة على النبي ، وتحديداً ما يدخل تحت مُسمى السخرية والاستهزاء .
- **الحدود الزمانية :** تقتصر الدراسة على الإساءات الواقعة على النبي ، مع التركيز على إساءة العصر في الإساءة إلى الرسول في الدانمارك ،وما أعقبها من الإساءات المتكررة ، مع الإشارة للمتقدم منها حسبما يتيسر ، إذاً هي دراسة غير محددة الزمن من حيث تناولها للمشكلة .
- **الحدود المكانية :** الدراسة ستتناول جوانب المشكلة وتعالجها قدر المستطاع ،في بلد إقامة الدارس ، المملكة العربية السعودية [1] ، وليس لها حد مكاني .

٦. مصطلحات الدراسة **.**

جاء في الدراسة بعض المصطلحات العلمية ، والتي تحتاج إلى بيان وتوضيح ، وذلك لارتباط مدلولاتها بأصل الدراسة ومراد الدارس منها ، ومن أبرز تلك المصطلحات ما يلي :

أولاً : تعريف الإساءة **.**

أ ـ تعريف الإساءة في اللغة :

قال ابن منظور : ساءَهُ يَسُوءُه سَوْءًا وسُوءًا وسَواءً وسَواءة : فعل به ما يكره نقيض سَرَّه .

ويقال : ساءَ ما فَعَلَ فُلان صَنِيعاً يَسُوءُ ، أي قَبُحَ صَنِيعُه صَنِيعاً ، والسُّوءُ الفُجُورُ والمُنْكَر ، ويقال فلان : سيِّيءُ الاخْتِيار .

---

(1) والتي لا تفيد ـ بطبيعة الحال ـ أن المشكلة وقعت في بلد الدارس ابتداءً ، كما لا يغيب عن فطنة القارئ الكريم .

وقال عزوجل (إِنْ أَحْسَنْتُم أَحْسَنْتُم لأنفسِكم وإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَها) [١] ،يذهب بعض المفسرين إلى أن معنى الإساءة في الآية هو: المعصية ،وقال تعالى (ومَن أساءَ فعليها) [٢] ، فساءَ يَسُوءُ فعل لازم ومُجاوِز تقول ساءَ الشيءُ يَسُوءُ سَوْءاً فهو سيِّءٌ إذا قَبُحَ ، قال اللحياني : السوء اسم جامع للآفات والداء . [٣] ، ورجل أَسْوَأَ : أي قبيح ، وأساءَ الرجلُ إساءة خلافُ أَحسَن وأساءَ إليه نَقِيضُ أَحْسَن إليه . [٤] ويقال : أسأتُ إليه في الصُّنْع وخَزْيانُ سَوْآنُ من القُبْح . [٥]

قال بعضهم : يقال : استاء فلان بمكاني ورجل مسُتاء ، أي ساء أمره ، ويقال استأت من السوء مثل استررت من السرور ، والسيئة الخطيئة ، والسيئ والسيئة عملان قبيحان .
والإساءة تكون بالقول والفِعال . [٦]

ومما تقدم يتبين أن الإساءة لفظ شامل يطلق على الفعل القبيح ، و يطلق على الخطيئة ، و يطلق على فعل المكروه بالغير ، و يطلق على المعصية والمنكر . [٧]

ب ـ تعريف الإساءة في الاصطلاح :

على الرغم من ورود هذا اللفظ في القرآن ، سواء كان مجيئه بلفظ (ساء) أو (سوء) أو (سِيءَ) أو(السيئ) أو غيرها من الألفاظ ، وهو كثير، كما في قوله تعالى (سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ) [٨] ، وقوله تعالى (وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) [٩] ، وقوله تعالى (زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [١٠] ،وقوله تعالى (اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) [١١] ، إلا أنني لم أجد له تعريفاً عند المتقدمين على طول فترة البحث والإعداد ، لكن بعض المتأخرين قد استخلص من كتب المصطلحات ما أوردته عن كلمتي (السيئة ، والسوء) تعريفاً ، فقالوا : " فعل أمر قبيح جارٍ مجرى الشر ، يترتب عليه غمٌّ لإنسان في أمور دينه ودنياه ، سواء أكان ذلك في بدنه أو نفسه أو فيما يحيط به من مال أو ولد أو قُنيَةِ " [١٢]

لكن في الغالب عند الفقهاء أنه لا يخرج استعمالهم له عن المعنى اللغوي ، فبعضهم يساير أهل اللغة في المعنى المقصود من لفظ الإساءة ، لكن من الملاحظ أنه غير شائع في استعمالاتهم ، إنما يعبرون عنه بالمعنى المراد منه ، فالإساءة إذا كانت ناتجة عن تجاوز الحد

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٧ .
(2) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .
(3)موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٢٩ .
(4) لسان العرب : ج ١ ، ٩٥ ، ٩٧ ، بتصرف يسير .
(5)قال في التاج : وقال أبو بكر في قوله : ضربَ فلانٌ على فلانٍ سَاية : فيه قولان : أحدهما السَّايَةَ : الفَعْلَةُ من السَّوْءِ فتُرك همزُها والمعنى فعَلَ به ما يؤدِّي إلى مكروه والإساءةِ به ، هذا أحد معانيها " . وهو الأقرب للمراد ، أنظر : تاج العروس ، ١٤٢ .
(6) تاج العروس ، ٣٦٨٣ .
(7) موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ .
(8) سورة الأعراف ، آية : ١٧٧ .
(9)سورة هود ، آية ٧٧ .
(10) سورة التوبة ، آية : ٣٧ .
(11) سورة فاطر ، آية : ٤٣ .
(12) أنظر : موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، ج ٩ ، ص ٣٨٣٨ .

في حق قرره الشرع فإن الفقهاء يعبرون عن ذلك بلفظ المضارة والضرر والإضرار . ومن ذلك إطلاقهم على الإساءة إضرار أحد الزوجين بالآخر .

أما إذا كانت الإساءة ناتجة عن سوء طبع وإلحاق الضرر بالغير غير مستند إلى حق أسيء استعماله ، فإن الفقهاء يعبرون عن ذلك باسم الفعل نفسه ، فمن ألحق الضرر بالغير من ناحية المال ، فإن ذلك يعرف عندهم باسم السرقة أو الغصب أو النهب أو الاختلاس ، وإذ كان الضرر لاحقاً بالنفس أو أطرافها ، سُمي جناية وجرحاً ، وإذ كان لاحقاً بالعرض سُمي قذفاً أو زناً .

كما أن له ألفاظاً تتصل به ، مثل :

أ ـ الضرر : فالإساءة والضرر يلتقيان في المعنى ، إلا أن الإساءة قبيحة ، أما المضرة فقد تكون حسنة ، كالضرب للتأديب .

ب ـ التعدي : وهو مجاوزة الشيء إلى غيره ، والتعدي الظلم ، فالإساءة والتعدي قد يلتقيان في المعنى .

وبعض الأصوليين يعتبر الإساءة مرتبة بين الكراهية التحريمية والتنـزيهية ، فهي أفحش من الكراهية التنـزيهية ، وأدون من الكراهية التحريمية ، ويقولون : إن تارك سنة الهدي ـ كالأذان والجماعة ـ مسيء يستوجب اللوم . (١)

وقال الفتوحي : يسمى الحرام محظوراً وممنوعاً ومعصية وقبيحاً وسيئة .

ويقال لفاعل المكروه : مخالف ومسيء وغير ممتثل ، مع أنه لا يذم فاعله ، و لا يأثم على الأصح ، قال الإمام أحمد فيمن زاد على التشهد : أساء ، وظاهر كلام بعضهم أن الإساءة تختص بالحرام ، فلا يقال أساء إلا لفعل محرم . (٢)

لكن ما مقصود الباحث بالإساءة ؟

الإساءة هي : اسم جامع لكل قول أو فعل قبيح ، أو ما دونهما ،كالهمز واللمز ، ويترتب عليه أذية لمن وقع عليه ، سواء كان حسياً أو معنوياً ، وبأي وسيلة كان عرضها .

ثانياً : الأنبياء والرسل .

أولاً : الأنبياء :

ـ تعريف النبي لغة :

نبأ : النَّبَأُ الخبر ، والجمع أَنْبَاءٌ وإنَّ لفلان نَبَأً أي خبراً ، قال عز وجل (عَمَّ يَتساءَلُون عن النَّبَإِ العظيم) (٣) . وقوله عز وجل (فَعمِيَتْ عليهم الأَنْبَاءُ يومئذٍ فهم لا يَتَساءَلون) (٤) فسمَّى الحُجَج أَنْبَاءً وهي جمع النَّبَإِ لأَنَّ الحُجَجَ أَنْبَاءٌ عن الله عز وجل .

---

(1) للاستزادة أنظر : الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم ج ٨ ، ص ٥٨٤ . والإحكام في أصول الأحكام ، للآمدي ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(2) للاستزادة ، أنظر : الموسوعة الفقهية ، ج ٣ ، ص ١٤١ ، ١٤٢. و موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي ، ج ٥ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١.

(3) سورة النبأ ، آية : ١ .

(4) سورة القصص ، آية : ٦٦ .

والنَبِـيءُ : المُخْبِـر عـن اللـه عـز وجـل ، لأنـه أنْبَـأ عنـه ، وهـو فَعِيـلٌ بمعنـى فاعِـلٍ ...، للمبالغة من النَّبَإِ الخَبَر ، لأنه أنْبَأَ عن الله ، أي أَخْبَرَ ، ويجوز فيه تحقيق الهمز وتخفيفه يقال نَبَأَ ونَبَّأَ وأنْبَأَ ، قال الفرَّاءُ النبيُّ : هو من أنْبَأَ عن الله . [1]

قـال سيبويه : لـيس أحد مـن العـرب إلاّ ويقـول : تَنَبَّأَ مُسَيْلِمة بـالهمز ، غيـر أنـهم تركـوا الهمز في النبيِّ كما تركوه في الذُرِّيَّةِ والبَرِيَّةِ إلاّ أهلَ مكة . قال الزجاج : القِرَاءة المجمع عليها في النَّبِيِّين والأنْبِياء طرح الهمز ، وقد همز جماعة من أهل المدينة جميع ما في القرآن من هذا ، واشتقاقه من نَبَأَ وأنْبَأَ أي أخبر ، قال والأجود ترك الهمز .[2] ،قـال الجوهري يُجْمع أنْبِيَـاء ، لأن الهمز لما أُبْدِل وأُلْزم .

وقال بعضهم بأن النبي أُخِذ من النَّبْوةِ والنَّباوةِ وهي الارتفاع عن الأرض أي إنـه أشْرَف على سائر الخَلْق ، قالوا والنَّبيُّ : مشتق من النَّبَاوةِ ، وهي الشـيءُ المُرْتَفِعُ . [3] ، [4]

ثانياً : الرسل .

ـ تعريف الرسول لغة :

قال بعض أرباب أهل اللغة بأن الإرسال ، هو : التَّسْليطُ و الإطـلاق و الإهمـال والتَّوْجِيهُ : والرِّسـالَةُ بالكسر والفتح كصَبورٍ وأميرٍ ، و(أَرْسَلْتُ رَسُولًا) بعثتـه برسـالة يؤديهـا ، و (أَرْسَلْتُ) الطائر من يدي إذا أطلقته " . [5]

والرَّسولُ ، المُرْسَلُ ، " وبِهِ فُسِّرَ إرْسالُ اللهِ عَزَّ وجَلَّ أنْبياءَهُ عليهمُ الصلاة والسَّلامُ كأنَّـهُ وَجَّهَ إليهم أنْ أنْذِرُوا عِبادِي " .

قال شيخ الإسلام : " الرسول هو المبلغ لرسالة مرسله " [6] ،وقال الشوكاني عند قولـه تعالى (رَسُولاً مِّنْهُمْ) [7] ، " والرسول هو المرسل " . [8]

والرَسُول : الجمع رُسْلٌ ورُسُلٌ ، والرَّسُولُ أيضاً : الرسـالة ، أي بمعناهـا ،كمـا أن لفظ (الرُّسُل) هي جمع الرَّسُول. [9]

والرسول الذي يتابع أخبار من بعثه ، أُخذ من قولهم : جاءت الإبل رسـلاً أي متتابعـة . ، " قال ابن الأنباري : يشبه أن يكون أصله ناقة مرسـال ورسله ، إذا كانت سـهلة السير ماضية أمام النوق ، ويقال : جاء القوم أرسـالاً : أي بعضهم فـي أثـر بعض " . [10] وقـد سُـمِّيَ الرَّسُـولُ رَسُولاً لأنَّهُ ذُو رِسالَةٍ . [11]

ـ الفرق بين النبي والرسول (التعريف الإصطلاحي) :

---

(1) أنظر : القاموس المحيط ، ص ٢٣ .
(2) وقد ذكر نحوه صاحب تاج العروس ، ص ٢٢٩ .
(3) أنظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، لابن الأثير ، ج ٥ ، ص ٨ .
(4) أنظر : لسان العرب ، ج ١ ، ص ١٦٢ .
(5) المصباح المنير : ج ١ ، ص ٢٢٦ .
(6) مجموع الفتاوى ج ١٣ ، ص ١٦٩ .
(7) سورة البقرة ، آية ١١٣
(8) فتح القدير : ج١ ، ص ٢٢٤ .
(9) مختار الصحاح: ص ٢٦٧ .
(10) فتح القدير : ج١ ، ص ٢٢٤ .
(11) الزاهر ، للأزهري : ج ١ ، ص ٩٢ . و تـاج العـروس : ص ٧١٠٦ . و التعـاريف ، للمنـاوي : ج ١ ، ص ٣٦٣ . و تحرير ألفاظ التنبيه ، للنووي : ج١ ، ص ٥٢ .

في مسألة الفرق بين النبي والرسول ، وتحديد مسمى كل منهما ، كلام لأهل العلم كثير ، قال المناوي : " وقد طال فيما بينهما من النسبة الكلام ، والمحققون على تراد فهماً ، وأنه لا فارق إلا الكتاب " . (١)

فالفرق بين الأنبياء و الرسل قد جاء بهما القرآن جمعاً و مفصلاً، بقول الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (٢)

واختلف أهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين :

أحدهما : أن الأنبياء و الرسل واحد ، فالنبي رسول و الرسول نبي ، وقالت المعتزلة : لا فرق بينهما فإنه تعالى خاطب محمداً مرة بالنبي وبالرسول مرة أخرى . (٣) وعلى اعتبار أنهم كلهم مبلغين عن الله تعالى ، فهو معنى النبوة والرسالة (٤) ، فالرسول مأخوذ من تحمل الرسالة و النبي مأخوذ من النبأ وهو الخبر إن هُمِزَ ، لأنه مخبر عن الله تعالى و مأخوذ من النبوة إن لم يهمز وهو الموضع المرتفع ، وهذا أشبه لأنه قد كان يخاطب بهما ، فهو نبى ورسول ، قال تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٥) ، فجمعت الآية بين وصفه بالنبوة والرسالة ،وقد يحل كل لفظ محل الآخر، كما قال تعالى (وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ) (٦)

والقول الثاني : أنهما يختلفان لأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات ، والرسول أعلى منزلة من النبي ،لذلك سميت الملائكة رسلاً ولم يسموا أنبياء ، ومما يدل على ذلك حديث البَراء (قُلتُ : ورسولك الذّي أرْسَلْت . فردّ عَلَيّ وقال : ونبيّك الّذي أرْسَلْت) (٧) ، قال الجزري : إنما رد عليه ليختلف اللفظان ويجمع له الثناءين معنى النبوة والرسالة ، ويكون تعديداً للنعمة في الحالتين ، وتعظيماً للمنة على الوجهين . (٨)

وقد نقل بعضهم الإجماع على أن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة . (٩)

واختلف من قال بهذا في الفرق بينهما على أقوال :

أحدها : أن الرسول هو: الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي ، والنبي هو : الذي يوحى إليه في نومه . وقريباً منه :

القول الثاني : أن الرسول هو : من نزل عليه كتاب أو أتى إليه ملك ، والنبي : من يوقفه الله على الأحكام أو يتبع رسولاً آخر . (١٠)

القول الثالث : أن الرسول هو : المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام ، والنبي هو: الذي يحفظ شريعة غيره .

---

(1) فيض القدير : ج١ ، ص ٩ .
(2) سورة الحج ، آية : ٥٢ .
(3) التعريفات : ص ١٤٨ . وانظر : رسالة في أسس العقيدة ، محمد عودة السعوي ، ص ٨٥ .
(4) فيض القدير ، ج ١ ، ص ٩ .
(5) سورة الأحزاب ، آية : ٤٠ .
(6) سورة الزخرف ، آية : ٦ .
(7) رواه البخاري ، في كتاب الدعوات ، باب إذا بات طاهراً وفضله ، برقم : ٥٨٣٦ ، ومسلم ، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، برقم : ٤٨٨٤ .
(8) النهاية في غريب الأثر ،لابن الأثير : ج ٥ ، ص ٨ .
(9) رسالة في أسس العقيدة ، محمد عودة السعوي ، ص ٨٥ .
(10) عمدة القاري ج ١ ص ١٤،٢٨٥ . وفيض القدير ، ج ١ ، ص ٩ . وذلك كأنبياء بني إسرائيل إذ كانوا على شريعة التوراة ولم يأت أحد منهم بشرع جديد ناسخ للتوراة ، فتكون منزلته حينئذ بمنزلة المجدد لتعاليم الرسل السابقين . أنظر النبوات ، ص٢٢٥، وما بعدها .

القول الرابع : أن الرسول هو : الذي معه كتاب ، كموسى υ، والنبي هو : الذي ينبئ عن الله وإن لم يكن معه كتاب كيوشع υ . [١]

القول الخامس : أن الرسول هو : المبعوث إلى أمة ، والنبي هو : المحدث الذي لا يبعث إلى أمة [٢] .

القول السادس : الرسول هو : المرسل بوحي من الله ليبلغ إلى الناس ، فلا يكون الرسول إلا نبياً ، والنبي هو : المنبأ بوحي من الله ، وإن لم يؤمر بتبليغه ، وإذا لم يؤمر فهو نبي وليس رسول . [٣]

الخلاصة :

أن الرسول : من بعثه الله إلى قوم وأنزل عليه كتابًا أو لم ينـزل عليه كتابًا لكن أوحى إليه بحكم لم يكن في شريعة من قبله .

والنبي : من أمره الله أن يدعو إلى شريعة سابقة دون أن ينـزل عليه كتاباً ، أو يوحي إليه بحكم جديد ناسخ أو غير ناسخ ، وعلى ذلك فكل رسول نبي [٤] ، ولا عكس ، وقيل : هما مترادفان ، والأول أصح . [٥]

ثالثاً : تعريف الإيمان .

أ ـ تعريف الإيمان في اللغة :

الإيمانُ ضدُّ الكفر ، وهو بمعنى التصديق وضدُّه التكذيب ، يقال آمَنَ به قومٌ وكذَّب به قومٌ ،وهو مصدر (آمَنَ) يُؤْمِنُ إيماناً فهو مُؤْمِنٌ .

واتَّفق أهلُ العلم من اللُّغَويّين وغيرهم أن الإيمانَ معناه : التصديق ، قال الله تعالى (قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا) [٦] ، فأَخْرج الله هؤلاء من الإيمان فقال (ولَمّا يدْخل الإيمانُ في قُلوبِكم) أي لم تُصدِّقوا إنما أَسْلَمْتُمْ. وقوله (وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [٧] لم يختلف أهل التفسير أنّ معناه : ما أنت بمُصدِّقٍ لنا . [٨]

ويرى علماء السلف أن الإيمان يأتي على معنيين ، هما :

الأول : صدق به ، وذلك حين التعدية بالباء كما في قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ..) [٩] ، فقوله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ) [١٠] ، أي صدق . [١١]

---

(1) عمدة القاري : ج ١ ،ص ١٤ ، ٢٨٥ .
(2) أعلام النبوة : ج١ ، ص ٤٢ .
(3) التحرير والتنوير ، ج ٨ ، ص ٤٩٠ .
(4) أنظر : شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، ص١٦٧ .
(5) للاستزادة ، أنظر : محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، عبد الرؤف محمد عثمان ، ص ١٥ .
(6) سورة الحجرات ، آية : ١٤ .
(7) سورة يوسف ، آية : ١٧ .
(8) لسان العرب : ج ١٣ ، ص ٢١ .
(9) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .
(10) سورة البقرة ، آية ٢٨٥ .
(11) معالم التنزيل ، للبغوي : ج ١ ، ص ٣٥٦ .

الثاني : أقر له ، وذلك إذا عدي باللام ،كما في قوله تعالى (.. وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ) [(١)] ، [(٢)]

إلا أن بعضهم اعترض على الإجماع المنقول في المعنى اللغوي ، بأن الإيمان هو التصديق فقط ، فقالوا : بأنه يتضمن التصديق مع الإقرار والطمأنينة ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن الإيمان وإن
كان يتضمن التصديق فليس هو مجرد التصديق و إنما هو الإقرار و الطمأنينة " . [(٣)]

ب ـ تعريف الإيمان عموماً :

تنوعت عبارات السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان ، فهم :

١ ـ تارة يقولون قول وعمل .
٢ ـ وتارة يقولون هو قول وعمل ونية .
٣ ـ وتارة يقولون قول وعمل ونية واتباع السنة .
٤ ـ وتارة يقولون قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح . [(٤)]

وهذا الاختلاف في عبارات السلف وإطلاقاتهم على معنى الإيمان وتفسيره إنما هو اختلاف تنوع في العبارة وتباين في اللفظ ليس إلا ، وليس هو من اختلاف التضاد ، " وكل هذا صحيح فإذا قالوا : قول وعمل ، فانه يدخل في القول قول القلب واللسان جميعاً ، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق ". [(٥)]

وقد عرّف أهل السنة الإيمان بأنه : قول القلب وقول اللسان وعمل القلب وعمل الجوارح .

وبهذا المعنى حكى غير واحد منهم الإجماع على ذلك ، قال شيخ الإسلام : " وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، ومعنى ذلك أنه قول القلب وعمل القلب ثم قول اللسان وعمل الجوارح " . [(٦)]

وقد تلقى أهل السنة هذا التعريف بالقبول والتسليم ، إتباعاً للنصوص الشرعية من القرآن والسنة [(٧)] ، فمن ذلك قوله تعالى (أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ) [(٨)] ، مما يدل على أن الإيمان تصديق بالقلب ، وقوله تعالى (قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا) [(٩)] مما يدل

---

(1) سورة يوسف ، آية : ١٧ .
(2) للاستزادة ، أنظر : حقوق النبي على أمته ، للدكتور محمد التميمي ، ج ١ ، ص ٢٢ .
(3) الصارم المسلول : ج ٣ ، ص ٩٧٦ ، وذلك في معرض رده على الشبهة الثانية ،وللاستزادة أنظر : مجموع الفتاوى : ج ٢ ، ص ٤٠ ، ج ٧ ، ص ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٤ . والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، لابن عبد البر ، ج ٩ ، ص ٢٣٨ ، ٢٤٣ .
(4) كل هذه التعريفات أوردها شيخ الإسلام ، أنظر : مجموع الفتاوى : ج ٧ ، ص ١٧٠ ، ٥٠٥ ، وابن مندة ، في كتاب الإيمان : ج ١، ص ٣٣١ .
(5) أنظر : مجموع الفتاوى : ج ٧ ، ص ١٧٠ .
(6) مجموع الفتاوى : ج ٧ ، ص ٦٧٢ ، قال رحمه الله : " ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان وعمل القلب واللسان والجوارح " ، العقيدة الواسطية ، ج ١ ، ص ٢٤ . وللاستزادة انظر مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج ١ ؛ ص ٣٣١ . وعدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، كلاهما لابن القيم ، ص ٨٨ . والإيمان ، لابن منده : ج ١ ، ص ٣٣١ ، ٣٤١. وقد ذكر ابن عبد البر رحمه الله انعقاد الإجماع على ذلك ، فقال : " أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ولا عمل إلا بنية والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية "، التمهيد : ج ٩ ، ص ٢٣٨ .
(7) أنظر : نواقض الإيمان القولية والعملية ، للدكتور عبد العزيز العبد اللطيف ، ص ١٥ .
(8) سورة المجادلة ، آية : ٢٢ .
(9) سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

على أن الإيمان إقرار باللسان،وقوله لوفد عبد القيس : (آمركم بأربع ،وأنهاكم عن أربع ، آمركم بالإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وتعطوا من المغنم الخمس ..) ، [1] مما يدل على أن الإيمان عمل بالجوارح .

إذاً يكون التعريف الجامع المانع للإيمان هو : أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية . [٢]

وهذا التعريف هو الذي يميز قول السلف في مسمى الإيمان عن غيرهم ، ممن خالفهم . [٣]

رابعاً : تعريف الرسوم الكاريكاتورية [٤] (باعتباره مركباً) .

---

(1) رواه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ) سورة الصفات ، آية ٩٦ ، برقم ٧٠٠١ . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ، برقم ٢٣ .

(2) يقول اللالكائي : " والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية "، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، ، ج ١ ، ص ١٥١ ، ١٦٧ ، ١٧٢ . وللاستزادة ، أنظر : الإيمان ، لابن مندة ، ج ١ ، ص ٣٤١ . والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، للإمام البيهقي ، ص ، ١٧٤ ،١٨٠، ١٨١ ، ١٨٣ . والسنة ، لأبي بكر الخلال ، ج ٥٦٦ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ . والسنة ،لعبد الله بن أحمد بن حنبل الشيباني ، ج ١ ، ص ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣١٧ . وشرح العقيدة الطحاوية ، لأبن أبي العز الحنفي ، ٣٦١ ، ٣٤٢ .

(3) والمخالفون للسلف في مسمى الإيمان هم :

١ ـ المرجئة ، بطوائفهم الخمس : أ ـ الجهمية : الذين قالوا بأن الإيمان هو : معرفة القلب فقط ، أي المعرفة بربوبية الله تعالى .

ب ـ الأشاعرة : الذين قالوا بأن الإيمان هو : التصديق فقط ، أي التصديق بما جاء به الرسول ρ من عند الله .

ج ـ الماتريدية : الذين قالوا بقول الأشاعرة .

د ـ الكرّامية : الذين قالوا بأن الإيمان هو : قول اللسان فقط .

هـ ـ مرجئة الأحناف (مرجئة الفقهاء) ـ كما سماهم شيخ الإسلام رحمه الله ، أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٣٥٤، ٣٩٤، ٣٨٧، ٥٠٧ ـ ، والذين قالوا بأن الإيمان هو : قول اللسان وتصديق الجنان ، وهو كما قالت الكلابية . وكل هذه الطوائف أخرجت الإيمان عن العمل .

٢ ـ الخوارج : الذين قالوا بأن الإيمان قول واعتقاد وعمل ، ولكنهم يكفرون من أخل بشيء من ذلك ، ويقولون بأنه خالد في النار .

٣ ـ المعتزلة : وقالوا بقول الخوارج ، إلا أنهم قالوا بأنه في الدنيا في منزلة بين منزلتين ، أي ليس بمؤمن ولا كافر ، ووافقوهم فيما بقي .

وللاستزادة ، أنظر تفاصيل هذه الأقوال : في كتاب الإيمان ، لابن مندة ، ج ١ ، ٣٣١ . والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث ، للبيهقي ، ص ١٨٢ . والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، للإسفراييني ، ص ٩٧ . والسنة ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، ج ١ ، ص ٢٣٢ ، ٣٠٧ . والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، لعبد القاهر البغدادي =ص ١٩ ، ١٧٧ . والفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، ج ٣ ، ص ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢٧ . وشرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز ، ص ٣٣١ ، ٥٢٠ . وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، لابن عيسى ، ج ٢ ص ١٣٩ . ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، للأشعري ، ص ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ . ومجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام بن تيمية ، ج ٣ ، ٣٥٥ ، ٣٧٤ ، ج ٤ ص ١٢ ، ج ٧ ، ص ٥٠ ، ٨٧ ، ١٦٦ ، ١٣٢ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٤، ج ١٠ ، ص ٧٤٨ ، ج ١١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ . والفتاوى الكبرى ، ج ٦ ، ص ٣٩١ ، ٥٠٨ . ومنهاج السنة النبوية ، لابن تيمية ج ، ٣ ، ص ٨٢ ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ ، ٢٨٨ . والاستقامة ، لابن تيمية ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ١٨٦ . النبوات ، ولابن تيمية ، ص ١٤٢ ، ١٤٤ . والصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم ، ج ١ ، ص ٢٣١ ، ج ٢ ، ص ٤٥٥ ، ج ٣ ، ص ٩٥٠ . ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيم ، ج ٣ ، ص ٤٩٤ . ومعارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، لحافظ حكمي ، ج ١ ، ص ٦٢ ، ٣٧٣ .

(4) نشأت الرسوم الساخرة منذ أوائل القرن العاشر الهجري في ألمانيا ، باستخدام الزعيم الألماني (مارتين لوثر) الرسوم لخدمة ديانة ضالة ، ثم انتقلت على يدي رسامين غربيين إلى إيطاليا وذلك في نهاية القرن العاشر الهجري ، باسهام الرسام الساخر (هانيبال كاراتتشي) ، أول من رسم صوراً باعثة على الضحك ، ثم شقت طريقها إلى أمريكا برسم (بنيامين فرنكلين) ثعباناً مقطعاً إلى ثمانية أجزاء ، ثم تطورت في أمريكا ، وخاضت غمار السياسة على يد (توماس ناست) في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، ثم انتشرت في أنحاء العالم بانتشار الصحافة . أنظر : الرسوم الساخرة في الصحافة دراسة تحليلية تقويمية ، لسليمان الشبانة ، رسالة ماجستير لم تنشر ، ص ٧٥ . بينما تقول الموسوعة الإعلامية :

يختلف الرسم ، فإما أن يكون توضيحياً ، أو بيانياً ، أو رسوماً متحركة أو كرتونية ، وهذا الأخير هو ما يهمنا ، فما هو تعريفه وما مفهومه ؟

لكن قبل ذلك لا بد أن أشير إلى أن الرسم الكاريكاتور والرسم الساخر يحملان في الغالب نفس المعنى ، إذ أن كل واحد يفسر بالآخر ، وهذا ما سيتضح من خلال سرد بعض تعريفاته .

١ ـ يعرفه قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية بأنه :

" فن الإضحاك والسخرية ، عن طريق مسخ صفات موضوع السخرية ، وغالباً ما يكون ذلك بتضخيم إحدى صفاته المميزة " . (١)

٢ ـ أما موسوعة المورد فتصفه بصورة مبسطة حيث تقول :

" طريقة في الرسم تبالغ على نحو ساخر في إظهار أبرز خصائص شخص ما أو عصر ما أو حدث ما ، ألخ ". (٢)

٣ ـ لكن الموسوعة السياسية والتي تميل به نحو السياسة والاجتماع، إذ تقول :

" هو أحد الفنون الغرافكية (الخطية) تستهدف النقد السياسي والاجتماعي ، والتي تعتمد على المبالغة في الرسم وعلى المفارقات غير المعقولة أحياناً في المواقف وذلك لإثارة الضحك والتحريض على السخرية . وكثيراً ما يكون الكاريكاتور مضحكاً مبكياً في آن معاً ، وتشكل الصحف والمجلات الوسيلة الأساسية إن لم تكن الوحيدة لإيصال هذا النوع من الفنون الهادفة إلى الجماهير " . (٣)

٤ ـ وجاء في الموسوعة الإعلامية ، وهو من أشمل التعريفات والذي يتوافق إلى حد كبير مع مضمون الموضوع بأنه :

" الفعل أو العمل الصادر عن الإنسان إرادياً ، والذي يؤدي إلى تشويه أو مسخ الصورة الواقعية أو استبدالها بصورة هزلية معبرة عن الأفكار والمفاهيم لغرض توصيلها إلى ذهن القارئ ". (٤)

خامساً : مفهوم حرية التعبير (٥) .

أ ـ الحرية في اللغة :

" وقد ظهرت مثل هذه الرسوم عند قدماء المصريين واليونانيين والصينيين وغيرهم ، فعرف الفراعنة فن الرسم .. " ص ٢٠٠٣ . وانظر : الموسوعة السياسية ، ص ٣٧ .

(1) ص ٣٢٣ .

(2) ص ١٧٣ .

(3) ص ٣٧ .

(4) ص ٢٠٠٣ .

(5) تجدر الإشارة إلى أن لفظ (الحرية) يختلف مراد الفقهاء منها عند إيرادهم لها ، عن مراد الباحث منها هنا اصطلاحاً ، وربما اتفقت بوجه من الوجوه في اللغة ، فهم يوردونها في مقابل العبد والرقيق في أبواب كثيرة ، كما في كتاب الصلاة والبيع والنكاح وغيرها في سائر كتب الفقه . أنظر : ، بدائع الصنائع ، ج ١ ، ص ٣٨٨ ، ٥١٥ ، والمبسوط ، ج ٤ ، ص ٤٦ ، ٦٤ ، ٢٦٠ ، الأم ، ج ١ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ، المغني ، ج ١ ، ص ٦٥١ ، ٦٧١ ، ٦٧٥، والشرح الكبير ، ج ١٢ ، ٥١٢ ، الكافي ، ج ١ ، ٢٦٢ . وغيرها .

ـ يرى بعضهم بأن لفظ (التعبير) مختص بتفسير الرؤيا ، وهو العبور من ظواهرها إلى بواطنها . وقال في السراج : العبارة ما استفيد من لفظ وغيره مع بقاء رسم ذلك الغير . أنظر : التوقيف على مهمات التعاريف : ج١ ، ص ١٨٤ ، ٤٩٩ . والبعض يقول : بأن التعبير أخص من التأويل كما في قوله تعالى (إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ) سورة يوسف ، آية : ٤٣ ، أي إن كُنْتُم تَعْبُرُونَ الرُّؤْيا فعداها باللام ، لسان العرب ، ج ٤ ، ص٥٢٩ . تاج العروس ، ص ٣١٤٤ .

والحُرِّيَّةُ : الأرضُ اللينةُ الرمليةُ [1] " الطَّيِّبَةُ الصالِحَةُ للنَّباتِ وهو مَجَازٌ ، وفي الأساس : أَرْضٌ حُرَّةٌ : لا سَبَخَةَ فيها " ، " و من العربِ : أشرافُهم ، " والحُرِّيَةُ من الناس : خِيارُهم " [2] ، والحُرُّ مِن كلِّ شيْءٍ : أَعْتَقُه [3]، والحُرّيّة مصدر الحُرّ وحقيقتها الخَصلة المنسوبة إلى الحُرّ ، ويقال لجماعة الأحرار حُرّيّةٌ نسبةً إليها . [4] ،حُرِّيَّةٌ : بالضم من حرية الأصل [5] (أي أن أصل الإنسان حر) .

وللعلم فإن هذا اللفظ (الحرية) لم يرد في القرآن الكريم ، بينما ورد لفظ (الحر) الذي هو أصل معناها اللغوي .

ب ـ التعبير في اللغة :

عبر : عَبَرَ الرُؤيا يَعْبُرُها عَبْر وعِبارةً ، وعبَّرها فسَّرها وأخبر بما يؤول إليه أمرُها .
وعَبَرْت النهرَ والطريق أَعْبُره عَبْراً وعُبوراً إذا قطعته من هذا العِبْر إلى ذلك العِبر ، فقيل لعابر الرؤيا عابر ، لأنه يتأمل ناحيَتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها ويتدبَّر كل شيء منها ويمضي بفكره فيها من أول ما رأى النائم إلى آخر ما رأى [6].

وعَبَّر عمَّا في نفسه أَعْرَبَ وبيّن وعَبّر عنه غيرُه ، فأَعْرَب عنه والإسم العِبْرةُ . [7] والعِبارةُ ، وعَبَّرَ الدَّهَبَ تَعْبيراً : وزَنَه دِيناراً دِيناراً ولم يُبالِغْ في وَزْنِه ، وعَبَّرَ به : أراهُ عُبْرَ عَيْنِه . [8]وعَبَّرَ عن فلان إذا تكلم عنه ، واللسان يُعبر عمَّا في الضمير . [9]

إذاً فالتعبير هو: التحدث والتكلم والإعراب والإفصاح عما في نفس المرء وضميره .

ج ـ مفهوم حرية التعبير (باعتباره مركباً) :

هذا المصطلح باعتباره هكذا مركباً ، مصطلح حادث وجديد ، فلم يعرفه أهل اللغة و لا غيرهم ـ كما مرَّ ـ أو يشيروا إليه في مصنفاتهم ولا في معاجمهم ألبته .
ولكن حاول البعض إيجاد مفهوم له ، وتحديد المقصود منه ، فمن ذلك :

١ ـ جاء في الموسوعة السياسية :

" حق ديمقراطي[10] يضمن حرية المواطن في التعبير عن رأيه في كافة الأمور العامة دون التعرض لأي عقاب ، وهو مضمون شكلياً في أكثر الدول الديمقراطية البورجوازية ، وإن كانت هذه الحرية في كثير من الأحيان محصورة فعلياً بالطبقات المسيطرة أو بأجهزتها المتعددة .

---

(1) أنظر : القاموس المحيط ، ص ٤٧٩ .
(2) كتاب العين :ج ٣ ، ص ٢٤ .
(3) أنظر : تاج العروس ، ص ٢٦٨١ . وانظر : كتاب العين :ج ٢ ، ص ١٢٩ .
(4) المغرب في ترتيب المعرب : ج١ ، ص ١٩٤ .
(5) مختار الصحاح: ص ١٦٧ .
(6) لسان العرب : ج ٤ ، ص ٥٢٩ .
(7) المرجع السابق : ج ٤ ، ص ٥٢٩ .
(8) القاموس المحيط : ص ٥٥٨ .
(9) مختار الصحاح ، ص ٤٦٧
(10) الديمقراطية : هي من مظاهر النظم التي يمارس فيها الشعب مظاهر السيادة بواسطة مجلس منتخب من نواب من الشعب ، وفيها يحتفظ الشعب بحق التدخل المباشر لممارسة بعض مظاهر السيادة عن طريق وسائل مختلفة أهمها : كالاقتراع الشعبي ، والاستفتاء الشعبي ،والاعتراض الشعبي ، ولا شك في أن النظم الديمقراطية أحد صور الشرك الحديثة في الطاعة والانقياد ، أو في التشريع ، إذ تلغي سيادة الخالق سبحانه ، وحقه في التشريع المطلق ، وتجعل ذلك من حقوق المخلوقين . أنظر الموسوعة الميسرة ج ٢ ص ١٠٥٦ .

وينظر إليها البعض على أنها حرية مطلقة ، بينما هي في الواقع حرية نسبية تتوقف عند حدود تهديد الأنظمة والقيم السائدة " .[1]

٢ - ويعرفه معجم مصطلحات الإعلام و المعجم الإعلامي فيقولان :

" حق الفرد في اتخاذ الآراء دون تدخل وفي التعبير عن رأيه ، ويشمل هذا الحق حرية البحث عن المعلومات أو الأفكار من أي نوع ونقلها بغض النظر عن الحدود ، وذلك إما شفاهة أو كتابة أو طباعة ، وسواء كان ذلك في قالب فني أو بأي وسيلة أخرى يختارها ، وذلك في حدود القانون من أجل حماية النظام العام " .[2]

نخلص من هذا أن حرية التعبير - في نظر الباحث - هي : حق المرء في التعبير عن رأيه والإفصاح عما في نفسه من خلال الحديث مشافهة أو كتابة أو إشارة أو بأي وسيلة توصل رأيه لغيره ، وذلك بما لا يتعدى حدود حرية الآخرين ولا يتعارض مع النصوص الشرعية .

٧. منهج الدراسة .[3]

ينحصر منهج الدراسة بالمنهج الاستقرائي التحليلي التأصيلي .
كما يحاول الباحث قراءة أحداث الإغارة على شخص الرسول الكريم ، ومن ثم تفسيرها وتأويلها واستنتاج ما تنطوي عليه وما تحمله من توجه وهدف ، وذلك عبر فصول قصة العداء الطويل لرسول الله ، والتي لم يُسقِط كاتبوها شيئاً من فصولها الحاقدة .

- **المبحث الثاني : الدراسات السابقة .**

بعد أن وقع اختياري بعد توفيق الله تبارك وتعالى على هذا الموضوع وموافقة القسم عليه مبدئياً تفحصت في فهارس المكتبات العامة والمشهورة وطُفت في بعض المكتبات العربية وسافرت وقرأت ما شاء الله أن أقرأ وبحثت وسألت بعض الأساتذة الكرام وبعض المهتمين ، فتحصل لي من ذلك عدم وجود دراسة علمية بالمعنى الأكاديمي تُعنى بهذا الموضوع وتتناول جوانبه حتى ساعة تدوين هذه الأسطر حسب اطلاعي ، إلا ما نُشر من كُتيِّبات ونشرات ومقالات ساعة الحدث كما هو الحال في الصحف والمجلات والدوريات والشبكة العالمية (الإنترنت) .

- **المبحث الثالث : تنظيم فصول الدراسة**

والتي تشتمل على - عدا المقدمة والفصل التمهيدي والذي سبق ذكرهما - ثلاثة فصول وخاتمة وفهارس .

---

(1) ص ٢٤٧ ، وفيه يقول : وتتخذ حرية التعبير قوالب وإطارات عديدة مختلفة ، فمن حرية القول ، إلى حرية الكتابة ، إلى الحرية الأدبية والفنية ، وبذلك تتضمن حرية الصحافة ووسائل الإعلام وحرية الخطابة وحرية التعبير الفني وتتداخل مع حرية التنظيم المهني والسياسي . أ . هـ ومما ينبغي التنبه له أن الديمقراطيه وإن كفلت الحرية الشخصية وغيرها إلا أنها ليست مطلقة فهي مشروطة بعدم الاعتداء على حرية الآخرين ، فحيث تنتهي حرية المرء تبدأ حرية الآخرين . من إفادات فضيلة المشرف ، وفقه الله .

(2) أنظر : معجم مصطلحات الإعلام ، للدكتور : أحمد زكي بدوي ، ص ٧٣ .و المعجم الإعلامي ، للدكتور : محمد منير حجاب ، ٢١٨

(3) * كان من المقرر أن أقوم بالترجمة للأعلام الغير مشهورين ،وأن أستعيض بالتاريخ الهجري المبارك عن الميلادي ولكن الوقت قد داهمني فلم أجد فسحة ولو بسيطة للقيام بذلك ولعل الله يكتب في العمر فسحة فأقوم به بحول الله وقوته .
- كما أُنبه على أن ذكر بيانات المصادر والمراجع ستكون في آخر الرسالة ضمن قائمة فهرسة المصادر والمراجع .

الفصل الأول

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : الإيمان بجميع الأنبياء والرسل

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل .

المطلب الثاني : من أصول الدين عدم التفريق في الإيمان بين الرسل .

المبحث الثاني : الإيمان بالنبي محمد ،وبيان معنى شهادة (أن محمداً رسول الله) .

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : فضل الرسول وعظيم قدره **.**

المطلب الأول : تعريف الإيمان بالنبي .

المطلب الثاني : معنى شهادة (أن محمداً رسول الله) .

المطلب الثالث : نواقض الإيمان بالنبي .

المبحث الثالث : حقوق النبي على أمته .

الفصل الثاني

الإساءة إلى النبي وحرية التعبير

وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : الإساءة إلى الرسول في مرحلة بداية الدعوة من صدر الإسلام ، وفيه تمهيد ومطلبان

التمهيد : الإساءة إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام سنة ماضية .

المطلب الأول : حفظ الله تعالى وحمايته لنبيه .

المطلب الثاني : صور من الإساءة إلى الرسول .

المبحث الثاني : الإساءة إلى الرسول في العصر الحاضر .

وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : خطورة الوقيعة في شخص النبي أو المساس به ،وأنه مزلة خطيرة .

المطلب الثاني : صور من الإساءة إلى النبي .

المطلب الثالث : الإساءة إلى شخص النبي بالرسوم الكاريكاتورية في الدانمارك - نموذجاً - .

المطلب الرابع : الإساءة إلى الرسول في شرعه أو حكمه أو شيء مما يتعلق به .

المبحث الثالث : بواعث الإساءة إلى النبي .

المبحث الرابع : حرية التعبير والتحيز الغربي .

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم حرية التعبير .
المطلب الثاني : مدى اعتبار (حرية التعبير) حقاً في الإسلام .
المطلب الثالث : التحيز في وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام .

الفصل الثالث

حكم الإساءة إلى الرسول وأثرها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث .

التمهيد : ويشتمل على مقدمات عامة .

المبحث الأول : حكم الإساءة إلى الرسول .

وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : الإساءة حسب جسامة العقوبة .
المطلب الثاني : أنواع الإساءة ،وحكم كل نوع منها .
المطلب الثالث : حكم رسم صورة الرسول أو تمثيل خَلقِه .
المطلب الرابع : تقرير كفر المسيء إلى النبي ، وأنه يجب قتله .

المبحث الثاني : أقسام المسيئين إلى الرسول وحكم كل قسم .

وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : في حكم المسيء إلى الرسول من الكفار .
المطلب الثاني : في حكم المسيء إلى الرسول من المنافقين .
المطلب الثالث : في حكم المسيء إلى الرسول من المسلمين .

المبحث الثالث : أثر الإساءة إلى الرسول .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر الإساءة على المسيئين في الدنيا والآخرة .
المطلب الثاني : أثر الإساءة على الأمة الإسلامية .

الخاتمة : وفيها أبرز نتائج الدراسة وأهم التوصيات .

الفهارس : ـ فهرس المصادر والمراجع .
ـ فهرس الموضوعات .

*****

وفي الختام أحمد الله تعالى أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً على ما يسر وأعان على إتمام هذه الرسالة العلمية حتى خرجت بصورتها الحالية .

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ممثلة برئيسها وكافة العاملين فيها ،كما أشكر كلية الدراسات العليا ممثلة بعميدها ووكيله وأمينها، وأخص بالشكر قسم العدالة الجنائية ممثلاً برئيسه وأعضاء هيئة التدريس فيه على ما ما يبذلون من جهود في خدمة العلم وطلابه .

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان **لفضيلة شيخنا الدكتور : وليد بن عثمان الرشودي** ـ المشرف على الرسالة ـ على ما وجدته منه من النصح والتوجيه ، مما كان له الأثر الطيب في نفسي ، والذي أفدت منه الأدب قبل العلم ، فأسأل الله تعالى أن يبارك في الجميع وأن يوفقهم لكل خير كما أسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجه صواباً على سنة رسوله .

الفصل الأول

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وما يتضمنه

وفيه ثلاثة مباحث .

المبحث الأول : الإيمان بجميع الأنبياء والرسل **.**

المبحث الثاني : الإيمان بالنبي محمد وبيان معنى شهادة (أن محمداً رسول الله) .

المبحث الثالث : حقوق النبي على أمته .

المبحث الأول

الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل .

المطلب الثاني : من أصول الدين عدم التفريق في الإيمان بين الرسل .

المطلب الأول

وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل

تتجلى أهمية الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بأنه السبيل الوحيد الموصل إلى الله تعالى ، فلا يتحقق الإيمان بالله إلا أن يؤمن العبد بالأنبياء جميعاً ، وهو الركن الرابع من أركان الإيمان العظيمة ومبانيه الجسيمة .

وإذا لم يكن العقل مستقلاً بمعرفة طريق الهداية، ولم يكن العلم المادي التجريبي قادراً على التوصل إلى المعارف الضرورية، والأخلاق القويمة، والشرائع العادلة، فمن القادر إذن على انقاذ البشرية من عمايتها، وإخراجها من ضلالتها؟

الجواب: أنه لم يظفر المخلوق الضعيف بوسيلة تهديه إلى الصراط المستقيم بين السبل المتفرقة إلا بوسيلة تأتيه من الخالق القوي الغني الرحمن الرحيم الحكيم الخبير، فهو أرحم بعبده من أن يجعله يهيم على وجهه، وهو سبحانه خبير بحاجاته، فهو ربه وخالقه، أعلم به منه، وبما

ينفعه ولا يضره، وما يصلحه ولا يفسده، وبما يهديه ولا يضله، فأي استضاءة بغير نوره ظلمة، وأي اهتداء بغير هديه ضلالة.
ولكن ما هي تلك الوسيلة أو الواسطة بين الله وخلقه التي تبلغهم عن الله مراده ؟

الجواب: إن من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم رسلاً بشراً رجالاً من أنفسهم ؛ يعرفونهم بربهم، ويدلونهم عليه، ويبينون لهم أسماء الله وصفاته، ومحابه ومساخطه، وثوابه وعقابه، وكل ما يحقق لهم صلاحهم في دنياهم وأخراهم [١]

ويشير شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أهمية الإيمان بالأنبياء إذ يقول " والرسالة ضرورية للعباد لابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء ، والرسالة روح العالم ونوره وحياته فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور والدنيا مظلمة ملعونة الا ما طلعت عليه شمس الرسالة وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة وهو من الأموات

قال الله تعالى (أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) [٢] وأما الكافر فميت القلب في الظلمات [٣]

وسمى الله تعالى رسالته روحاً والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة قال الله تعالى (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا) [٤] فذكر هنا الأصلين وهما الروح والنور فالروح الحياة والنور النور .

وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب فان آخر ما يُقدَّرُ بعدَم الطبيب موت الأبدان وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى الحياة معه أبداً أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً " . [٥]

يقول ابن القيم رحمه الله : " فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولاينال رضى الله البتة إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة إليهم أعظم من ضرور البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير وما ظنك بمن إذا غاب عنك هديه وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وصار كالحوت إذا فارق الماء ووضع في المقلاة فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسل كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يحس بهذا إلا قلب حي و ما لجرح بميت إيلام " . [٦]

---

(1) أنظر : رسالة خاتم النبيين ، ص ٤١ ، ٤٢ .
(2)سورة الأنعام ، آية : ١٢٢ .
(3) ومن أموات القلوب ما ذكره ابن حزم : في " ذكر شنع لقوم لا تعرف فرقهم ، قال أبو محمد : إدعت طائفة من الصوفية أن أولياء الله تعالى أفضل من جميع الأنبياء والرسل ، وقالوا : من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك ، وأستباحوا بهذا نساء غيرهم ، وقالوا : إننا نرى الله ونكلمه وكلما قذف في نفوسنا فهو حق " . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج٤ ، ص ١٧٠ .
(4) سورة الشورى ، آية : ٥٢ .
(5) مجموع الفتاوى : ج ١٩ ، ص ٩٣ - ٩٧ .
(6) زاد المعاد : ج١ ، ص ٦٨ ، وانظر : مفتاح دار السعادة : ج ٢ ، ص ٥ .

والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة متواترة على تأكيد هذا المعنى العظيم ، وهنا أشير إلى شيء منها ، والتي تدل على وجوب الإيمان بهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام ، فمن ذلك :

١- قوله تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (١)

فذكر الله الإيمان بالرسل في جملة ما آمن به الرسول والمؤمنون من أركان الإيمان ، وبين أنهم في إيمانهم بالرسل لا يفرقون بينهم فيؤمنون ببعض دون بعض ، بل يصدقون بهم جميعاً .

قال الإمام الشوكاني رحمه الله : " أي صدق الرسول بجميع هذه الأشياء التي جرى ذكرها وكذلك المؤمنون كلهم صدقوا بالله وملائكته وكتبه ورسله " . (٢)

٢- قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا) (٣)

فلا يصح إيمان أحد من الخلق إلا بالإيمان بما أمره الله به ، والكفر بشيء منه كفر بجميعه ،لأن جحود شيء من ذلك جحود بجميعه . (٤)

٣- (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا) (٥)

يقول ابن كثير رحمه الله : " يتوعد تبارك وتعالى الكافرين به وبرسله من اليهود والنصارى حيث فرقوا بين الله ورسله في الإيمان فآمنوا ببعض الأنبياء وكفروا ببعض بمجرد التشهي والعادة وما ألفوا عليه آباءهم لا عن دليل قادهم إلى ذلك فإنه لا سبيل لهم إلى ذلك بل بمجرد الهوى والعصبية فاليهود - عليهم لعائن الله - آمنوا بالأنبياء إلا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، والنصارى آمنوا بالأنبياء وكفروا بخاتمهم وأشرفهم محمد والسامرة لا يؤمنون بنبي بعد يوشع خليفة موسى بن عمران ، والمجوس يقال إنهم كانوا يؤمنون بنبي لهم يقال له زرادشت ثم كفروا بشرعه فرفع من بين أظهرهم والله أعلم ، والمقصود أن من كفر بنبي من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء (٦) فإن الإيمان واجب بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً إنما هو عن غرض وهوى وعصبية " . (٧)

قال الإمام الطحاوي رحمه الله:"ونحن مؤمنون بذلك كله لانفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاؤوا به " ،قال الشارح : أي : لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض بل نؤمن بهم ونصدقهم كلهم فإن من آمن ببعض وكفر ببعض كافر بالكل ...، فإن

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٨٥ .
(2) فتح القدير : ج١ ، ص ٤٦٣ .
(3) سورة النساء ، آية : ١٣٦ .
(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن : ج ٤ ، ص ٣٢٤ ، بتصرف .
(5) سورة النساء ، الآيتان :١٥٠ ، ١٥١ .
(6)سيأتي مزيد بيان حول حكم الإساءة إلى النبي في الفصل الثالث بمشيئة الله .
(7) تفسير القرآن العظيم : ج ١ ، ص ٧٦٠ .

المعنى الذي لأجله آمن بمن آمن به منهم موجود في الذي لم يؤمن به وذلك الرسول الذي آمن به قد جاء بتصديق بقية المرسلين فإذا لم يؤمن ببعض المرسلين كان كافراً بمن في زعمه أنه مؤمن به لأن ذلك الرسول قد جاء بتصديق المرسلين كلهم فكان كافراً حقاً وهو يظن أنه مؤمن فكان من الأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً " . [(١)]

٤- قال تعالى : (وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [(٢)]

في هذه الآية الكريمة بيان لما يقابل ما جاء في الآيتين السابقتين في نفس السياق من ذات السورة وفيه حال أهل الإيمان والتوحيد من الإيمان والتصديق برسل الله تعالى ، إذ وصفهم بالإيمان به سبحانه وبرسله كلهم من غير تفريق بينهم في الإيمان ببعضهم دون بعض ، وإنما يعتقدون أنهم مرسلون من الله تعالى . [(٣)]

فالذين صدقوا بوحدانية الله وأقروا بنبوة رسله أجمعين وصدقوهم فيما جاؤوهم به من عند الله من شرائع دينه ، ولم يكذبوا بعضهم ويصدقوا بعضهم ولكنهم أقروا أن كل ما جاؤوا به من عند ربهم حق ، هؤلاء الذين هذه صفتهم من المؤمنين بالله ورسله ، سوف يعطيهم جزاءهم وثوابهم على تصديقهم الرسل في توحيد الله وشرائع دينه وما جاءت به من عند الله . [(٤)]

قال ابن كثير : " يعني بذلك أمة محمد فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله " . [(٥)]

ولعل ذكر هذا القدر من أدلة الكتاب العزيز كاف ، إذ أن المؤمن ينصاع لأمر واحد فكيف بأمر قد تضافرت عليه النصوص .

أما السنة المطهرة فقد دلت على ما دل عليه القرآن الكريم ، من أن الإيمان بالرسل ركن من أركان الإيمان ، ومن ذلك ما يلي :

١- حديث عمر بن الخطاب τ قال : (بينما نحن عند رسول الله ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر ،لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد ،حتى جلس إلى النبي فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ،ووضع كفيه على فخذيه ،وقال يا محمد : أخبرني عن الإسلام ،فقال رسول الله : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً ،قال : صدقت ،قال :فعجبنا له يسأله ويصدقه ،قال :فأخبرني عن الإيمان ،قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ،قال : صدقت ،قال : فأخبرني عن الإحسان ،قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ،قال : فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرني عن أمارتها ،قال : أن تلد الأمة ربتها ،وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ، قال : ثم انطلق فلبثت ملياً ،ثم

---

(1) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٣٦٩.
(2) سورة النساء ، آية : ١٥٢ .
(3) للاستزادة انظر : أصول الإيمان ، إعداد نخبة من العلماء ، ص ١٥٣ ، ١٥٤ .
(4) أنظر : جامع البيان : ج ٤ ، ص ٣٤٥ ، بتصرف .
(5) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٧٦٠ .

قال لي : يا عمر أتدري من السائل ،قلت : الله ورسوله أعلم ،قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم) [١]

قال ابن حجر رحمه الله : " والإيمان بالرسل التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله " . [٢]

وكذا قال ابن دقيق العيد رحمه الله : " والإيمان برسل الله : هو أنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم وأنهم بلغوا عن الله رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم . " [٣]

قال ابن أبي العز شارح الطحاوية : " هذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل " . [٤]

ولهذا " فإن التوحيد والإيمان بالرسل متلازمان وكذلك الإيمان باليوم الآخر فالثلاثة متلازمة ...فهذه الأصول الثلاثة توحيد الله والإيمان برسله وباليوم الآخر أمور متلازمة ولهذا قال سبحانه (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ) " . [٥] ، [٦]

فهذا الحديث دليل على أن الإيمان بالرسل مع بقية الأركان من الواجب على المسلم تحقيقه واعتقاده .

٢ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كان النبي إذا قام من الليل يتهجد قال اللهم لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق ، اللهم لك أسلمت وعليك توكلت وبك آمنت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك) .[٧]

قال العلامة بدر الدين العيني : " قوله (والنبيون حق) بأنهم من عند الله " [٨] ،فشهادة النبي أن النبيين حق ضمن ما ذكر من أصول الإيمان العظيمة ، كالإيمان بالله وبوجود الجنة والنار وقيام الساعة ، وتقديمه ذلك بين يدي دعائه وقيامه ، دليل على أهمية الإيمان بالرسل والأنبياء وعظيم مكانته في الدين .

يتقرر مما سبق وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وأن الإيمان بهم من أعظم دعائم هذا الدين ومن أصوله الجسام .

نخلص من هذا أن الإيمان بالرسل هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه أو أخبر به نبيه في سنته إجمالاً وتفصيلاً .

---

(1) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب سؤال جبريل النبي ، برقم ٤٨ ، ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، برقم ٩ .
(2) فتح الباري : ج ١ ، ص ١١٨ . وللاستزادة أنظر : عمدة القارئ ج ١ ، ص ٢٩٢ ، و تحفة الأحوذي ج ٧ ، ٢٨٩ ، و شرح السيوطي لسنن النسائي ، ج ٨ ، ٩٧ ، وغيرها .
(3) شرح الأربعين النووية : ص ١٢ .
(4) شرح العقيدة الطحاوية : ص ٢٩٧ .
(5) سورة الأنعام ، آية ١١٢ .
(6) مجموع الفتاوى : ج ١٨ ، ص ٥٦ .
(7) رواه البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء إذا انتبه بالليل ، برقم ٥٨٤٢ .
(8) عمدة القاري : ج ٧ ، ص ١٦٧ .

إذاً فالإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام يكون على وجهين متلازمين ، وهما :

الأول : الإيمان المجمل :

وهو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله كما قال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ) [١]،وبأنهم جميعهم صادقون ، بارون ، راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون قال تعالى (هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ) [٢] وقال تعالى بعد أن ذكر طائفة كبيرة من الأنبياء والرسل (وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) [٣]

قال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله : " هذا الهدي الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل، فوفقتهم به لإصابة الدين الحقّ الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم، وشرفَ الدنيا، وكرامة الآخرة " [٤] ،وبأنهم كلهم كانوا على الحق المبين ، والهدى المستبين جاءوا بالبينات من ربهم إلى أقوامهم قال تعالى حكاية عن أهل الجنة (لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) [٥] وقال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [٦]

من هذا تعلم أنه يجب علينا " الإيمان بمن سمى الله في كتابه من رسله ، والإيمان بأن الله تعالى أرسل رسلاً سواهم وأنبياء ، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم ، فعلينا الإيمان بهم جملة ، لأنه لم يأت في عددهم نص " [٧] ،وقد قال تعالى (وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ) [٨] ، وقال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ) [٩]

ولذا قال الإمام الطبري رحمه الله عند قوله تعالى (قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [١٠] وقوله : (وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى) يعني : وآمنا أيضاً بالتوراة التي آتاها الله موسى وبالإنجيل الذي اتاه الله عيسى

---

(1) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

(2) سورة يس ، آية : ٥٢ .

(3) سورة الأنعام ، الآيتان : ٨٧ ، ٨٨ .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٥١٣ ، وانظر : أصول الإيمان ، ص ١٥٩ ، وحاشية ثلاثة الأصول ، لابن قاسم رحمه الله ، ص ٩٣ ، وأركان الإسلام لأبن باز رحمه الله ، ص ٣٠ ، الإيمان هو الأساس ، لعبد الله الأهدل ، ص ١٦١ .

(5) سورة الأعراف ، آية : ٤٣.

(6) سورة الحديد ، آية ٢٥ .

(7) هذا غير ما ذُكر في القرآن وهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً عليهم أفضل الصلاة والسلام، كما سيتبين لاحقاً ، وقد رأيت من أفرد لذلك رسالة في تضعيف حديث أبي ذر τ في عدد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهي (الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم) لعبد الله المحمود ، وللاستزادة أنظر تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٧٧٨ و فتح القدير ، ج ١ ، ص ١٠٨ ، ٨١٣ و الدر المنثور ، ج ١ ، ١٢٦ و ج ٢ ، ص ٧٤٦ و عمدة القارئ : ج ١٥ ، ص ٢٠٤ .

(8)سورة النساء ، آية : ١٦٤ .

(9) سورة غافر ، آية : ٧٨ .

(10) سورة البقرة ، آية : ١٣٦ .

والكتب التي أتى النبيين كلهم وأقررنا وصدقنا أن ذلك كله حق وهدى ونور من عند الله وأن جميع من ذكر الله من أنبيائه كانوا على حق وهدى ،يصدق بعضهم بعضاً على منهاج واحد في الدعاء إلى توحيد الله والعمل بطاعته (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ) يقول : لا نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض ونتبرأ من بعض ونتولى بعضاً كما تبرأت اليهود من عيسى ومحمد عليهما السلام وأقرت بغيرهما من الأنبياء وكما تبرأت النصارى من محمد وأقرت بغيره من الأنبياء بل نشهد لجميعهم أنهم كانوا رسل الله وأنبياءه بعثوا بالحق والهدى . [١]

وأصل دعوتهم واحدة وهي الدعوة إلى توحيد الله قال الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُون) [٢] ، قال ابن كثير رحمه الله " فكل نبي بعثه الله يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له والفطرة شاهدة بذلك " . [٣]

قال شارح الطحاوية : " والرسل كلهم من أولهم نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام متفقون في دعوتهم إلى التوحيد وإفراد الله بالعبادة ، وهم أكمل الناس إيماناً و توحيداً لله تعالى ، فلا توحيد أكمل من الذي قامت به الرسل ودعوا إليه وجاهدوا الأمم عليه ولهذا أمر سبحانه نبيه أن يقتدي بهم فيه كما قال تعالى بعد ذكر مناظرة إبراهيم قومه في بطلان الشرك وصحة التوحيد وذكر الأنبياء من ذريته (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ) [٤] " . [٥]

وهذا الاتفاق هو في أصل الدين والتوحيد ، أما الشرائع فبينهم ما بينهم من التفاوت والاختلاف الذي لا ينافي أو يعارض شيء من أصل دعوتهم ، قال الله عز وجل (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) [٦] ، قال الشيخ حافظ الحكمي : يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله ، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي والحلال والحرام (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [٧] ، [٨]

وقال (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة ، قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي) [٩]

والإيمان بأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به ، ولم يكتموا ، ولم يغيروا ، ولم يزيدوا ، فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ) [١٠] ، وأنهم كلهم على الحق المبين " . [١١] فقامت بذلك الحجة على الخلق قال تعالى (لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ

---

(1) جامع البيان : ج ١ ، ص ٦١٨ .
(2) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .
(3) تفسير القرآن العظيم : ج ٣ ، ص ٢٣٧ .
(4) سورة الأنعام ، آية : ٩٠ .
(5) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٨٩ .
(6) سورة المائدة ، آية : ٤٧ .
(7) سورة هود ، آية : ٧ .
(8) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ص ١١٧ ، وللاستزادة أنظر : موقف المسلمين من سائر الأنبياء والمرسلين ، لأخينا الدكتور ياسر السلامة حفظه الله ، ضمن مجلة البحث العلمي الإسلامي ، العدد ٧ .
(9) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء برقم ٣١٨٦ ، ٣١٨٧ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، برقم ٤٣٦٢ .
(10) سورة النحل ، آية ٣٥ .
(11) أعلام السنة المنشورة ، للشيخ حافظ حكمي رحمه الله ، ص ٤٨ .

رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا) [١] وقال تعالى (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) [٢] .

وكما يجب الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به فيجب الإيمان بأنهم بينوا بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله ولا يحل خلافه قال تعالى (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ) [٣] (فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) [٤]

كما يجب الإيمان بأن الرسل بشر مخلوقون ، ليس لهم من خصائص الربوبية شيء ، وإنما هم عباد أكرمهم الله بالرسالة قال تعالى (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) [٥] ، وقال تعالى عن نوح (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ) [٦] وقال عز وجل آمرًا نبينا محمدًا أن يقول لقومه (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ) [٧]

وبأنهم منصورون مؤيدون من الله ، وأن العاقبة لهم ولأتباعهم قال تعالى (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) [٨] [٩]

وأنهم معصومون ، قال ابن حجر رحمه الله : "وعصمة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام حفظهم من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفيسة والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة . " [١٠]

قال ابن عقيل المكي : " وإجمال القول في عصمة الأنبياء أنهم معصومون في زمن النبوة وقبلها من الصغائر والكبائر كلها ، فلا يعتمدون الكبيرة ولا الصغيرة لا في الاعتقاد ولا في القول و لا في الفعل ، وينبهون إلى ما يصدر منهم على سبيل السهو أو الخطأ في التأويل ، وقد يُعاتبون على ما يقع منهم على هذين الوجهين " . [١١]

كما يجب اعتقاد تفاضل الرسل على ما أخبر عز وجل في قوله تعالى : (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ) [١٢]

---

(1) سورة الجن ، آية : ٢٨ .
(2) سورة النساء ، آية : ١٦٥.
(3) النحل ، آية : ٣٥ .
(4) النحل ، آية ٨٢ .
(5) سورة إبراهيم ، آية : ١١ .
(6) سورة هود ، آية : ٣١ .
(7) سورة الأنعام ، آية : ٥٠ .
(8) سورة غافر ، آية : ٥١ .
(9) أصول الإيمان ، ص ١٥٩ ـ ١٦١ .
(10) فتح الباري ، ج ١١ ، ص ٥٠١ ،٥٠٢ ، وفي موضوع (عصمة الأنبياء) عليهم الصلاة والسلام ألفت كتب تستقصيها من القرآن الكريم ، من ذلك : الفِصَل ، لأبن حزم ، للاستزادة أنظر مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ٢٩٥ ، حيث بين أن العصمة المعلومة بدليل الشرع والعقل والإجماع ، هي : العصمة في التبليغ .
(11) إعلام المسلمين بعصمة النبيين ، للشيخ إسحاق بن عقيل عزوز المكي ، ص ٢٩ .
(12) سورة البقرة ، آية : ٢٥٣ .

ومجمل هذا الاعتقاد أنه يقود المسلم إلى تصديقهم ، وإجلالهم ، وتعظيمهم كما شرع الله تعالى ، وأنهم أفضل الخلق عند الله تعالى ، قد اختصهم بوحيه ، وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه في تبليغ دينه ، وهم أكمل الخلق علماً وعملاً .

فيجب الإيمان بكل هذا وبكل ما جاء في الكتاب والسنة عن الرسل على وجه العموم إيمانًا مجملًا .

ثانياً : الإيمان المفصل :

وهو الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه أوثبت عن النبي تسميته ، إيمانًا مفصلًا على نحو ما جاءت به النصوص ، من ذكر أسمائهم وأخبارهم وفضائلهم وخصائصهم ، وغير ذلك .

والمذكورون في القرآن من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون ، ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ) [١] ، وورد ذكر الباقين في مواضع أخرى من القرآن ، كما في قوله تعالى (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا) [٢] ، وقوله (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا) [٣] ، وقوله (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) [٤] وقال (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا) [٥] ، وقوله (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ) [٦] ، وقوله (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ) [٧] .

فيجب الإيمان بهؤلاء الأنبياء والمرسلين إيمانًا مفصلًا ، والإقرار لكل واحد منهم بالنبوة أو الرسالة على نحو ما أخبر الله تعالى أو رسوله عنهم . [٨]

كما يجب اعتقاد صحة ما جاءت به النصوص من ذكر فضائلهم وخصائصهم وأخبارهم ، كاتخاذ الله إبراهيمَ ومحمدًا صلى الله عليهما وسلم خليلين لقوله تعالى (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا) [٩] ولحديث عبد الله بن الحارث النجراني قال : حدثني جندب قال : سمعت النبي قبل أن يموت بخمس وهو يقول: (إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله تعالى قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ..) الحديث [١٠] ، وكتكليم الله تعالى لموسى لقوله تعالى (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) [١١] وكذلك تسخير الجبال والطير لداود يسبحن بتسبيحه كما في قوله (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ

---

(1) سورة الأنعام ، الآيات : من ٨٣ ـ ٨٦ .
(2) سورة الأعراف ، آية : ٦٥ .
(3) سورة الأعراف ، آية : ٧٣ .
(4) سورة الأعراف ، آية : ٨٥ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ٣٣ .
(6) سورة الأنبياء ، آية : ٨٥ .
(7) سورة الفتح ، آية : ٢٩ .
(8)أصول الإيمان ، ص ١٦١ ، وانظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٣٥٩ .
(9) سورة النساء ، آية : ١٢٥ .
(10)رواه مسلم ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، برقم : ٨٢٧ .
(11) سورة النساء ، آية : ١٦٤ .

وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) (١) ، وإلانة الحديد لداود كما قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ) (٢) وتسخير الرياح لسليمان تسير بأمره ، وتسخير الجن له يعملون بين يديه ما يشاء ، قال تعالى (وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ) (٣) وتعليم سليمان منطق الطير ، قال تعالى (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) (٤)

كما يجب الإيمان بما قص الله عز وجل في كتابه من أخبار الرسل (٥) مع أقوامهم ، وما جرى بينهم من الخصومة ، ونصر الله لرسله وأتباعهم ، كقصة موسى مع فرعون ، وإبراهيم مع قومه ، وقصص نوح وهود وصالح وشعيب ولوط مع أقوامهم ، وما قص الله علينا في شأن يوسف مع إخوته وأهل مصر ، وقصة يونس مع قومه ، إلى آخر ما جاء في كتاب الله من أخبار الأنبياء والرسل . (٦)

قال شيخ الإسلام : " كل ما أخبر به من قصص الأنبياء فإنه عُلِمَ أنه أهلك نوح وعاد وثمود وفرعون و لوط و مدين و غيرهم بذنوبهم و أنه نجى الأنبياء و من اتبعهم بإيمانهم و تقواهم كما قال (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) (٧) " (٨) ،وكذلك ما جاء في السنة فيجب الإيمان به إيمانًا مفصلًا ، كما جاءت به نصوصها .

وأما أولو العزم من الرسل فقد قيل فيهم أقوال أحسنها : ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس و قتادة : أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم قال : وهم المذكورون في قوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) (٩) وفي قوله تعالى (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ) (١٠) ، (١١) .

قال المناوي : " خيار ولد آدم خمسة : نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وخيرهم محمد عليهم الصلاة والسلام ، وهم أولو العزم وأفضلهم بعد محمد إبراهيم عليهما الصلاة

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : ٧٩ .
(2) سورة سبأ ، آية : ١٠ .
(3) سورة سبأ ، آية : ١٢ .
(4) سورة النمل ، آية ١٦ .
(5) قال شيخ الإسلام رحمه الله ، في معرض رده على بعض المبتدعة ، وبيان زيفهم : " وصاروا في أخبار الرسل ـ يقصد غالية المتفلسفة و المتصوفة و المتكلمة ـ تارة يكذبونها وتارة يحرفونها وتارة يفوضونها وتارة يزعمون أن الرسل كذبوا لمصلحة العموم " . أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٢ ، ص ٢٣٢ .
(6) ولأبي الحسن السبتي الأموي ، كتاب تعرض فيه لعدد من قصص الأنبياء التي شنع بها المغرضون ، ثم هو يفند أقوالهم ويدحضها ، وهو : تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ، وكذلك للشيخ عبد العزيز السدحان كتاب بعنوان : آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، نبه فيه على جملة من المسائل المهمة .
(7) سورة الأعراف ، آية : ١٦٥ .
(8) مجموع الفتاوى : ج ٨ ، ص ٢٧٨ ، وللاستزادة ، أنظر : المرجع نفسه ج ١٥ ، ص ١٠٣ ، و ج ١٦ ، ص ١٩٣ ، ج ١٧ ، ص ٢١ ، و منهاج السنة النبوية ، ج ٥ ، ص ٣١٨ ، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، ج ٥ ، ٣٢٥ ، كلها لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله
(9) سورة الأحزاب ، آية : ٧ .
(10) سورة الشورى ، آية : ١٣ .
(11) شرح العقيدة الطحاوية في العقيدة السلفية ، ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

والسلام ، نقل بعضهم الإجماع عليه ، وفي الصحيح (خير البرية إبراهيم) (١) قال في أسرار التنزيل : لا نزاع في أن أفضل الأنبياء والرسل هؤلاء الأربعة محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ". (٢)

وأفضل أولي العزم الخليلان إبراهيم ومحمد عليهما وعليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام ، وأفضل الخليلان محمد . (٣)

وبذلك يتحقق الإيمان بالرسل بقسميه المجمل والمفصل . (٤)

المطلب الثاني

من أصول الدين عدم التفريق في الإيمان بين الرسل وما يستلزمه

الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وبما جاؤا به ، حق لازم ، وشرع واجب ، وهذا مما لا يختلف فيه المسلمون ، أو يتنازعوا عليه .

يقول شيخ الإسلام : " والمسلمون آمنوا بهم كلهم ولم يفرقوا بين أحد منهم فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم " (٥) ، "ولم يغلوا فيهم غلو النصارى ولا قصروا في حقهم تقصير اليهود" . (٦)

وإن من لوازم الإيمان بهم عدم التفريق بينهم في تصديقهم والإيمان (٧) ، فدينهم واحد ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، وقد حكى بعض أهل العلم الإجماع على ذلك :" فالإيمان بما جاء به النبيون مما

---

(1) رواه مسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، برقم ٤٣٦٧ .

(2) فيض القدير ، ج ٣ ، ص ٦١٨ .

(3) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ، ص ١٧٩ .

(4) أنظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٢٧٦ ، وما بعدها . و أصول الإيمان ١٦٠ ، وما بعدها . والإيمان ، للأمين الحاج محمد أحمد ، ص ٢١ ، ٢٢ ،. وللاستزادة ، أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١ ، ص ٣٢٠ . والجواب الصحيح ، ج ٢ ، ص ٢٤٦ . و التمهيد لابن عبد البر ، ج ١٤ ، ص ١٢٢ . و شرح قصيدة ابن القيم ، لأحمد بن عيسى ، ج ٢ ، ص ٣٤١ . ومعارج القبول ، للحكمي ، ج ٣ ، ص ١٠١٥ . و الإرشاد ، ص ١٧٧ ، وما بعدها . و شرح الدرر المضيّة في عقد أهل الفرقة المرضية ، للشيخ صالح الفوزان حفظه الله ، ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ .

(5) الصفدية ، لابن تيمية ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

(6) قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأما المسلمون فهداهم الله لما اختلف فيه من الحق بإذنه ، فآمنوا بأنبياء الله كلهم ،ولم يفرقوا بين أحد منهم ". الجواب الصحيح ، ج ٢ ، ص ٢٦٢ . قال أبو الحسن السبتي : " فإنهم في النزاهة والعصمة كأسنان المشط لا يُفَرَّقُ بين أحد من رسله " تنزيه الأنبياء ، ص ١٣٦ . وانظر : الحسام الممدود في الرد على اليهود ، لعبد الحق الإسلامي المغربي ، ص ١٧٢ -١٩٣ .و موقف اليهود والنصارى من المسيح υ وإبطال شبهاتهم حوله ، للدكتورة سارة العبادي ، ص ٢٩١ ، وما بعدها .

(7) أما من حيث الفضل والكمال والخصائص والشريعة ، وغير ذلك مما عده أهل العلم ، فقد بين علماء الإسلام هذه الأمر وجلوه وأوضحوه ، غاية البيان والإيضاح ، بأن نبينا محمداً أفضل الأنبياء على الإطلاق ، وممن تكلم في ذلك : شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى ، ج ٢٧ ، ، ص ٣١٨ . وفي منهاج السنة ، ج ١ ، ص ٥٢٤ ، ج ٨ ، ص ٥٤٩ . ، يقول رحمه الله : " وإبراهيم خير البرية هو أفضل الأنبياء بعد محمد " . مجموع الفتاوى ، ج ٢٧ ، ص ٢٦٢ . والخلال ، إذ يقول رحمه الله : " ونحن نفخر على الأمم كلها أن نبينا أفضل الأنبياء " السنة ، لأبي بكر للخلال ، ج ١ ، ص ٢٤٠ . وأبي الفضائل أحمد الرازي في حجج القرآن ، ص ١١ . وأبي سعيد عبد الرحمن بن محمد الشافعي في الغنية في أصول الدين ، ص ٥٥ . وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة ، ج ٤ ، ص ١١٧٩ . وجمال الدين أحمد الغزنوي في أصول الدين ، ١٤١ . وإبراهيم بن محمد الحلبي في نعمة الذريعة في نصرة الشريعة ، ص ٦٢ . ورسالة في تحقيق أفضلية محمد ρ ، للعلامة شمس الدين أحمد باشا ، تحقيق ودراسة عبد العزيز العمر ، رسالة ماجستير ، لم تنشر .

أمرنا أن نقوله ونؤمن به وهذا مما اتفق عليه المسلمون أنه يجب الإيمان بكل نبي ومن كفر بنبي واحد فهو كافر " [1] ، يقول الله تعالى (وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [2] " يعني بذلك أمة محمد فإنهم يؤمنون بكل كتاب أنزله الله وبكل نبي بعثه الله " . [3]

ويقول السبتي رحمه الله : " وهذا هو الحق الذي يُرغب فيه ولا يُرغب عنه ، فإياك أيها المقلد الغر أن تسمع من كل ناعق غبي يدخل الميدان حاسراً حتى تأتيه كل طعنة سلكى نجلاء فهو لا يعرف ما ألزمه تعالى من دينه ولا ما يخلصه في معتقده ومعاملته عند الله تعالى فيتكلم في تفاصيل أحوال المرسلين ورؤساء المقربين وهو لا يعرف النبوة ولا شروطها ولا ما يجب لها " . [4]

ويقول تعالى (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [5]

وقد فسر بعض السلف رحمهم الله قوله تعالى (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ) ، أي : لا نكفر بما جاءت به الرسل ولا نفرق بين أحد منهم ولا نكذب به . [6]

ومما يستدل به في تقرير هذه المسألة ما يلي :

أ ـ قوله تعالى (قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [7]

ب ـ قوله تعالى (قُلْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) [8]

ج ـ قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً) [9]

وتقرير دليل التسليم بنبوة الرسول محمد ، وأن الإيمان بغيره يستلزم الإيمان به ، أن يقال: على أي شيء استندت في إيمانك به ، (لمن يؤمن بأي نبي كان) ؟

والجواب : أن كل من يؤمن بنبي من الأنبياء يعتمد على أحد الأمور التالية :

ـ تواتر دعوى النبوة .

ـ ظهور دليل النبوة .

---

(1) أنظر : منهاج السنة النبوية ، ج ٦ ، ص ١٨٨ .
(2) سورة النساء ، آية : ١٥٢ .
(3) أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٧٦٠ .
(4) تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ، لأبي الحسن علي بن أحمد السبتي الأموي ، ص ١٢٢ .
(5) سورة البقرة ، آية : ٢٨٥ .
(6) وهو التفسير المروي عن مقاتل بن حيان في هذه الآية ، أنظر : فتح القدير ، ج ١ ، ص ٤٦٤ .
(7) سورة البقرة ، آية ١٣٦ .
(8) سورة آل عمران ، آية : ٨٤ .
(9) سورة النساء ، آية : ١٥٠ .

- صحة دعوة النبي من توحيد الله وعبادته وغير ذلك .
- صلاحية شخص النبي صدقه وأمانته وغير ذلك .(١)

ولو تأملنا في شأن الرسول محمد ومدى تحقق هذه الحيثيات فيه لما وسع إنسان عاقل يحكم بالعدل بين الأمور المتماثلة، وتماثل الأمور المتطابقة إلا أن يؤمن به ،لا سيما أنه قد جاء بأعظم الدلائل، ورسخ التوحيد، ونفى الشرك، وأكمل الشرائع، وتمم محاسن الأخلاق، ولا زال دينه أظهر الأديان، وكتابه أصح الكتب.

فالعاقل المنصف إن رأى نجمين لم يتردد أن يقول : إنهما نجمان، وإن رأى نورين لم يتوقف في أن يقول إنهما نوران، ومن يقل غير هذا فينفي عن أحدهما ما للآخر فهو خائن للحقيقة، ملزم نفسه بنفي الاثنين ، إذ النظر في أحدهما نظير النظر في الآخر، وينبغي أن يكون حكمه على أحدهما قرين الحكم على الآخر. (٢)

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام أشبه ما يكونون بالإخوة كلهم ينتمون لأب واحد وهي النبوة ، و الرسالة والدعوة إلى التوحيد ، وأمهاتهم شتى وهي شرائعهم المختلفة، كما في حديث أبي هريرة (إخوة من علاّت، وأمهاتهم شتى،ودينهم واحد). (٣)

قال الإمام النووي رحمه الله : " قال العلماء (أولاد العلات) بفتح العين المهملة وتشديد اللام هم الإخوة لأب من أمهات شتى ،وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان ، قال جمهور العلماء : معنى الحديث : أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف " . (٤)

فالذي يكذب بالرسول محمد ، أو يكذب بدعوته فإنه يكذب بكلّ نبي قبله ممن جاء بدليل صادق على نبوته ، وهذا تفريق بين متماثلين ، وجمع بين نقيضين ، إذ يستلزم الإيمان بهم جميعاً ، أو الكفر بهم جميعاً ،فإثبات أحد المتشابهين أو المتماثلين دون الآخر ، فساد في العقل ، أو إنكار وجحود وعناد ، قال شيخ الإسلام : " فإذا جوزتم أن يكون الشيئان متماثلين من كل وجه وأن العقل يجزم بثبوت أحدهما وانتفاء الآخر كان هذا قدحاً في أصل كل علم وعقل " (٥)

إذً فنبوة " محمد تثبت بمثل ما تثبت به نبوات الأنبياء قبله وبأعظم من ذلك ... إن التكذيب بنبوة محمد مع التصديق بنبوة غيره في غاية التناقض والفساد وأنه ما من طريق يعلم بها نبوة غيره إلا ونبوته تعلم بمثل تلك الطريق وبأعظم منها فلو لم تكن نبوته وطريق ثبوتها إلا مثل نبوة غيره وطريق ثبوتها لوجب التصديق بنبوته كما وجب التصديق بنبوة غيره ولكان تكذيبه كتكذيب ابراهيم وموسى وغيرهما من الرسل " . (٦)

فمن أصول الدين عدم التفريق في الإيمان والتصديق بين الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، حيث أن دعوتهم واحدة ، فكل نبي يأتي يقول لقومه : أعبدوا الله ، فهذا نوح υ يقول (

(1) وممن أشار إلى هذه الأمور أو بعضها الإمام البغوي في : معالم التنـزيل ، ج ٣ ، ص ١٥٤ ، ٢٠٥ ، وابن القيم في : إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ .
(2) أنظر : رسالة خاتم النبيين محمد ، لابن غشيان ، ص ١٨٣ .
(3) سبق تخريجه ، أنظر : ص ٥٠ .
(4) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للنووي ، ١٥ ، ص ١١٩ ، ١٢٠ . وانظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر ، ج ٦ ، ص ٤٨٩ .
(5) النبوات ، ص ٢٣٤ .
(6) الجواب الصحيح ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ .

... اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [١] ، وهذا هود υ يقول (... اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ) [٢] ، وهذا صالح υ يقول (... اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ..) [٣] ، وعلى هذه الدعوة (اعْبُدُواْ اللّهَ) سار كل الأنبياء ، فكل نبي يدعو إليها قومه ، ومن جاء بعده يؤكد دعوة من سبقه .

قال شيخ الإسلام : " فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له وعبادته تعالى في كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام ، فلا يكون عابداً له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله " . [٤]

إذ تقرر ذلك فإن التكذيب أو الجحود بنبوة نبينا محمد مستلزم التكذيب بسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،ثم إن مما يترتب على التكذيب بنبوة ، يدل على فساد ما توصلتم إليه وامتناع أن يكون ذلك صدقاً ، لأنه هو الطريق ، فالتصديق به طريق للتصديق بغيره من الأنبياء " فإنكم إذا كذبتم محمداً لم يبق لكم طريق تعلمون به صدق غيره من الأنبياء فيمتنع مع تكذيبه القول بصدق غيره بل من اعتقد كذبه وصدق غيره لم يكن عالماً بصدق غيره بل يكون مصدقاً لهم بغير علم وإذا لم يكن عالماً بصدقهم لم يجز احتجاجه قط بأقوالهم بل ذلك قول منه بلا علم ومحاجة فيما لا علم له بها ، فإن الدلائل الدالة على صدق محمد أعظم وأكثر من الدلائل الدالة على صدق موسى وعيسى ومعجزاته أعظم من معجزات غيره والكتاب الذي أرسل به أشرف من الكتاب الذي بعث به غيره والشريعة التي جاء بها أكمل من شريعة موسى وعيسى عليهما السلام وأمته أكمل في جميع الفضائل من أمة هذا وهذا ولا يوجد في التوراة والإنجيل علم نافع وعمل صالح إلا وهو في القرآن أو مثله أو منه وفي القرآن من العلم النافع والعمل الصالح ما لا يوجد مثله في التوراة والإنجيل " . [٥]

وعليه فمن فرق بين الرسل في الإيمان فآمن ببعض وكفر ببعض ، كان كافراً ، كما قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا . وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا) [٦]

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٥٩ .
(2) سورة الأعراف ، آية : ٦٥ .
(3)سورة الأعراف ، آية : ٧٣ .
(4) الجواب الصحيح ، ج ١ ، ص ٨٣ .
(5) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٥ ، ٦ .
(6)سورة النساء ، الآيات : ١٥٠ - ١٥٢.

المبحث الثاني

الإيمان بالنبي محمد ، وبيان معنى شهادة (أن محمداً رسول الله) .

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد : فضل الرسول وعظيم قدره .

المطلب الأول : تعريف الإيمان بالنبي .

المطلب الثاني : معنى شهادة (أن محمداً رسول الله) .

المطلب الثالث : نواقض الإيمان بالنبي .

التمهيد

فضل الرسول وعظيم قدره

إن من رحمة الله بعباده أن أرسل إليهم هذا النبي الكريم ، الذي هدى الله ُبه الناسَ ، فأخرجهم ـ بإذنه سبحانه ـ من الظلمات إلى النور ، وطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ، فكان إتمام النعمة ، وعظيم المنة ببعثته ، إلى أهل الأرض قاطبة ، مؤمنهم وكافرهم ، برهم وفاجرهم ، فتحققت السعادة والفلاح لمن آمن به وأذعن لأمره ، ووقعت الشقاوة والخسارة لمن كفر به وأعرض عن طاعته والتسليم لأمره .

ولذا امتن الله تعالى على عباده بهذه النعمة إذ يقول (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [(١)]

يقول ابن عاشور :" ليست نعمة إرسال هذا الرسول إليهم قاصرة على رفع النقائص عنهم وعلى تحليتهم بكمال علم آيات الله وزكاة أنفسهم وتعليمهم الكتاب والحكمة ، بل هي أجل من ذلك ، إذ كانت منقذة لهم من ضلال مبين كانوا فيه وهو ضلال الإشراك بالله .

وإنما كان ضلالاً مبيناً ، لأنه أفحش ضلال ، وقد قامت على شناعته الدلائل القاطعة ، أي فأخرجهم من الضلال المبين إلى أفضل الهدى " . [(٢)]

إذ أنهم كانوا " في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء فصاروا أعمق الناس علماً وأبرهم قلوباً وأقلهم تكلفاً وأصدقهم لهجة " . [(٣)]

ويكفي شرفاً للنبي أن الله تعالى بيَّن في كتابه الكريم عظيم فضله ، وعلو مكانته ، وشرف منزلته ، فمن ذلك :

١- أن الله عز وجل أخذ الميثاق على الأنبياء بأن يؤمنوا به ويتبعوه وينصروه ـ إن أدركوه ـ :

يقول الله تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) . [(٤)]

ومما يؤيد ذلك حديث عمر بن الخطاب τ ،أنه أتى النبي بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب ، فقرأه النبي فغضب ، فقال : (أمتهوكون [(٥)] فيها يا ابن الخطاب ، والذي نفسي بيده

---

(1)سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .
(2) التحرير والتنوير ، ج ١٥ ،ص ٨٦ .
(3) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
(4) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .
(5) التَّهَوُّكُ : السُّقوط في هُوَّة الرَّدى ، وقال الجوهري : التَّهَوُّكُ مثل التَّهَوُّر ، وهو : الوقوع في الشيء بقلة مُبالاة ، وغير رَوِيَّةٍ ، وقيل : التَّهَوُّك التحيُّر . أنظر : لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٥٠٨ .

لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى υ كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني) . (١)

قال ابن كثير : " لو كان الأنبياء بل المرسلون بل أولو العزم منهم في زمانه ما وسعهم إلا اتباعه ،والدخول في طاعته واتباع شريعته " . (٢)

٢ـ تقديمه في الذكر على من تقدمه من الرسل عليهم الصلاة والسلام :

وهذا يلحظ في عموم آي القرآن الكريم ، وهو يقدم حتى على أولوا العزم من الرسل ، فمن ذلك قوله تعالى (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) (٣) ،وقوله تعالى (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا) . (٤)

قال السمرقندي : " في هذا تفضيل نبينا لتخصيصه بالذكر قبلهم ،وهو آخرهم " . (٥)

٣ـ قسَمِه سبحانه وتعالى بعظيم قدره :

قال تعالى (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ) (٦) ،وفي هذه الآية شرف عظيم ، ومقام كريم لنبينا ، حيث أقسم الله تعالى بحياته ، وهو ما لم يكن لأحد أبداً .

قال القاضي عياض : " اتفق أهل التفسير في هذا أنه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد ، وأصله ضم العين من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه : وبقائك يا محمد وقيل : وعيشك وقيل : وحياتك ، وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف " . (٧)

وقال ابن كثير : " أقسم تعالى بحياة نبيه صلوات الله وسلامه عليه وفي هذا تشريف عظيم ومقام رفيع وجاه عريض " . (١)

---

(1) رواه أحمد في المسند ، برقم ١٤٦٢٣ . وقد اختلف في تحسينه وتضعيفه ، فقال ابن حجر في الفتح : رجاله موثوقون إلا أن في مجالد ضعفاً ، ج ١٣ ، ص ٣٣٤ . وقال الألباني : حسن ، أنظر : تحريم آلات الطرب ، ص ١٥٩. وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لضعف مجالد ،وهو ابن سعيد ، أنظر : مسند أحمد بن حنبل ، ج ٣ ، ص ٣٨٧ . وقد ذكره غير واحد ، كأبي نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة ، ج ١ ، ص ١٠ ، برقم ٧ . والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، ج ٤ ، ص ١٥ ، ج ٨ ، ص ٢٦٢ . ، وقد أشار صاحب عون المعبود أيضاً إلى من خرجه – غير أحمد -كأبن أبي شيبة والبزار ، ج ٢٥ ، ص ٧٤ ، وقد بحثت عنه فيهما فلم أجده ، إلا أن ابن حجر في الفتح ذكر روية البزار وضعفها ، أنظر : ج٢٠ ، ص ٤٢٥ . وللاستزادة أنظر : جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ،ج ٣ ، ص ٧ . وكنز العمال ،ج ١ ، ص ٢٠٠ .

(2) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٤٧٧ . وانظر : ماذكر عن السلف في معنى الآية ، عند الطبري ، في جامع البيان ، ج ٣ ، ص ٥٤٣ . ومعالم التنزيل ، للبغوي ، ج ٢ ، ص ٦٢. وغيرهما .

(3) سورة النساء ، آية : ١٦٣ .

(4) سورة الأحزاب .وعند قوله تعالى (شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ بْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ..) (١٣) سورة الشورى ، والتي قُدم فيها نوح υ ، على نبينا محمد ، قد حاول الزمخشري أن يجيب عن ذلك ،فمما قال : " وذلك أن الله تعالى إنما أوردها لوصف دين الإسلام بالأصالة والاستقامة فكأنه قال : شرع لكم الدين الأصيل الذي بعث عليه نوح في العهد القديم ، وبعث عليه محمد خاتم الأنبياء في العهد الحديث ،وبعث عليه من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير ". أنظر : الكشاف ، ج٥ ، ص٣١٢ . وقال بعضهم : " السر في تقديمه أنه هو المخاطب والمنزل عليه هذا المتلو فكان أحق بالتقديم " . أنظر روح المعاني ، ج ٢١ ، ص ١٥٤.

(5) الشفا ، ج ١ ، ص ٤٠ .

(6) سورة الحجر ، آية ٧٢: .

(7) الشفا ، ج ١ ، ص ٣٠ .

قال العز بن عبد السلام "والإقسام بحياة الْمقسَم ، يدل على شرف [2]حياته ،وعزتها عند الْمقسِم" [3]

٤ـ تخصيصه حين مخاطبته بالنبوة والرسالة ،دون غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

مما فضّل الله به نبيه محمداً أن لقبه باسم النبوة والرسالة ، وهذا على خلاف غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، سواء أكان نداءً ، أم إخباراً ، وفي هذا دلالة على تفضيل الرسول على سائر الأنبياء ،فمن ذلك قوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) . [4] وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ..) . [5]

قال أبو نعيم : ومن فضائله : إخبار الله عز وجل عن إجلال قدر نبيه ، وتبجيله ، وتعظيمه ، وذلك أنه ما خاطبه في كتابه ، ولا أخبر عنه إلا بالكناية التي هي النبوة أوالرسالة ، التي لا أجلَّ منها فخراً ، ولا أعظم منها خطراً ، وخاطب غيره من الأنبياء وقومهم ، وأخبر عنهم بأسمائهم ، ولم يذكرهم بالكناية التي هي غاية المرتبة ، إلا أن يكون الرسول في جملتهم بمشاركته معهم في الخطاب والخبر ، فأما في حال الانفراد ، فما ذكرهم إلا بأسمائهم ، والكناية عن الاسم غاية التعظيم للمخاطب المجلل ، والمدعو العظيم ؛ لأن من بلغ به غاية التعظيم كني عن اسمه .

ففضل الله عز وجل نبيه ، وبلغ به غاية الرتبة ، وأعالي الرفعة ، فقال لنبيه : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) [6] وغيرها من الآيات الكثيرة .

وخاطب آدم ومن دونه من النبيين بأسمائهم ، وكذلك الإخبار عنهم ، فنادى آدم υ : (يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) . [7]

وأخبر عنه فقال : (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى) . [8]

ونادى نوح υ ، فقال (يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلاَمٍ مِّنَّا) . [9]

وأخبر عنه بقوله : (وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ) . [10]

ونادى إبراهيم υ (يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا) . [11]

وأخبر عنه فقال (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ) . [1]

---

(1)تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٧٣١ . وانظر في هذا : جامع البيان ، ج ٧ ، ص ٥٢٦ . والجامع لأحكام القرآن ، ج٢٠ ، ص ١٤٤

(2) في الأصل : (شرق) ، ولعل الصواب ما أثبت .

(3) بداية السول في تفضيل الرسول ، ، للعز بن عبد السلام ، ص ٣٧ .

(4) سورة : الأنفال ، آية : ٦٤ .

(5) سورة : المائدة ، آية : ٤١ .

(6)سورة : الأحزاب ، آية : ٤٥ .

(7)سورة : البقرة ، آية : ٣٥ .

(8) سورة : طه ، آية : ١٢١.

(9) سورة : هود ، آية : ٤٨.

(10) سورة : هود ، آية : ٤٢.

(11) سورة : هود ، آية : ٧٦ .

وكذلك غيرهم من الأنبياء ، كموسى وعيسى وهود وصالح وداود وسليمان وزكريا ويحيى عليهم الصلاة والسلام ، كل أولئك خوطبوا بأسمائهم .

يضاف إلى ذلك أن كل موضع ذكر محمداً باسمه أضاف إليه ذكر الرسالة ، فقال : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ) [٢] ،وقال جل وعلا : (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه) . [٣]

ثم جمع في الذكر بين اسم خليله ونبيه ، فسمى خليله باسمه وكنى حبيبه بالنبوة ، فقال : (إِنَّ أَوْلَى النَّاس بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ) [٤] ، فكناه إجلالاً ، ورفعه لفضل مرتبته ، ونباهته عنده .

ثم قدمه في الذكر على من تقدمه في البعث ، فقال : (إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا) . [٥] ، [٦]

المطلب الأول

تعريف الإيمان بالنبي

الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام هو اعتقاد ما أخبر الله به عنهم في كتابه أو أخبر عنه نبيه في سنته إجمالاً وتفصيلاً . [٧]

والإيمان بالرسول محمد واجب من واجبات هذا الدين وركن عظيم من أركان الإيمان .

يقول شيخ الإسلام رحمه الله ، معرفاً الإيمان بالنبي : " الإيمان بالرسول ρ : هو تصديقه وطاعته واتباع شريعته " . [٨]

ومن خلال هذا التعريف يمكن أن تتبين لنا الأصول التي يقوم عليها الإيمان بالنبي ، وهي على أصلين ، وهما :

الأصل الأول : التصديق ، و يتعلق به أمران عظيمان :

(1) سورة : البقرة ، آية : ١٢٧.
(2)سورة : الأعراف ، آية : ١٤٤ .
(3) سورة : الفتح ، آية : ٢٩ .
(4)سورة : آل عمران ،آية : ٦٨ .
(5) سورة : النساء ، آية : ١٦٣ .
(6) أنظر : دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، ج ١ ، ص ٥ ، وما بعدها ، بتصرف يسير . وفي الباب فضائل كثيرة جداً ، ليس هذا مجال حصرها ، وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من أربعين ، وليس المقصود حصرها حصرها إنما الإشارة إلى ذلك ،وللاستزادة أنظر : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضي عياض ، وبداية السول في تفضيل الرسول ، للعز بن عبد السلام ، وتحقيق ودراسة رسالة في تحقيق أفضلية محمد ، لشمس الدين أحمد بن سليمان باشا ، تحقيق عبد العزيز العمر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ومكانة النبي عند ربه كما يصورها القرآن الكريم ، لعبد الرحمن هوساوي .
(7) سبق الحديث عن الإيمان المجمل والمفصل بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أنظر : ص ٤٩ -٥٧ .
(8)اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص ٩٢ . وانظر : العقيدة الأصفهانية ، لابن تيمية ، ص ١٨١ . و فتح المجيد ، ص ٤١ .ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ رحمه الله : " يتضمن – أي الإيمان به - تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما عنه زجر " . أنظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ٦١ ، ٤٩٢ .والعقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية رواية محمد الصالح رمضان ، لابن باديس ، ص٢٥ . ورسالة التوحيد ، للدهلوي ، ص ٢٥ .

أحدهما : إثبات نبوته وصدقه فيما بلغه عن الله وهذا مختص به ، وهذا ما عناه شيخ الإسلام ، بقوله : " فإن أول الإيمان بالرسول الإيمان بما جاء به من الرسالة " . [١]

ويندرج تحت هذا عدة أمور ، منها :

١ـ الإيمان بنبوته ورسالته .

٢ـ الإيمان بعموم رسالته .

٣ـ الإيمان بأنه خاتم النبيين .

٤ـ الإيمان بأنه بلغ الرسالة .

وسيأتي بيانها وبسطها مع بعض حقوقه الأخرى ، التي تزيد عن مجرد التصديق ، حين الحديث عن حقوقه على أمته . [٢]

الثاني : تصديقه فيما جاء به وأن ما جاء به من عند الله حق يجب اتباعه وهذا يجب عليه ، وعلى كل أحد . [٣]

وهذا التصديق هو ما " يتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته فيما أمر به " [٤] ، ومنه " تصديقه في جميع ما أخبر عنه ، من الدنيا والآخرة ، وإنه لا يقبل إيمان عبد حتى يوقن بما أخبر عنه ، مثل ما يكون بعد الموت وأوله سؤال منكر ونكير " [٥] ، ومن أنباء ما قد سبق ، وأخبار ما سيأتي ، وفيما أحل من حلال وحرم من حرام ، والإيمان بأن ذلك كله من عند الله عز وجل ، قال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) . [٦] ، [٧]

قال شارح الطحاوية : " ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيماناً عاماً مجملاً ، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية ، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله " . [٨] وقال في موضع آخر : " وأما الإيمان بمحمد فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالاً وتفصيلاً " . [٩]

---

(1) مجموع الفتاوى ، ج ١٦ ، ص ٤٧٨ .

(2)في هذا الفصل ، بالمبحث الثالث ، بمشيئة الله تعالى .

(3)أنظر : مجموع الفتاوى ،ج ١٥ ، ص ٩١ ، ٩٢ . وقد أشار ابن القيم رحمه الله إلى هذا ، حيث يقول : " الإيمان يرجع إلى أصلين : الأولى : طاعة الرسول فيما أمر، والثانية : تصديقه بما أخبر " . أنظر : أحكام أهل الذمة ،ج ٢ ، ص ٨٣٦ .وللاستزادة أنظر : أصول الإيمان ، ص ١١٨ . وعقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، ص ٢٠ . وفتح المجيد ، ص ٤١ . وتيسير العزيز الحميد ، ص ٦١ .

(4)رسالة في التوبة ، لابن تيمية ، ضمن جامع الرسائل ، ص ٢٧٣ .

(5) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، لابن عساكر ، ص ٣٠٥ .

(6) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، ٤ .

(7) أنظر : حقوق النبي على أمته ، ج ١ ، ص ٣٥ .

(8) شرح العقيدة الطحاوية ، ص ٦٩ . وقد ضربوا لذلك أمثلة ،مثل : تدبر القرآن وعقله وفهمه والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونحو ذلك مما أوجبه الله على المؤمنين فهو واجب على الكفاية ، وأما ما يجب على أعيانهم : فهذا يتنوع بتنوع قدرهم وحاجتهم ومعرفتهم وما أمر به أعيانهم ، ولا يجب على العاجز عن سماع بعض العلم أو عن فهم دقيقه ما يجب على القادر على ذلك ، ويجب على من سمع النصوص وفهمها من علم التفصيل ما لا يجب على من لم يسمعها ، ويجب على المفتي والمحدث والحاكم ما لا يجب على من ليس كذلك .

(9)المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

وقال شيخ الإسلام : " ولهذا كان من المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أنه يجب على الخلق الإيمان بالرسول إيماناً مطلقاً جازماً عاماً ، بتصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته في كل ما أوجب وأمر ، وأن كل ما عارض ذلك فهو باطل " . [١]

الأصل الثاني : الطاعة والإتباع ، وهو الانقياد لرسول الله .

قال شيخ الإسلام : " وهذا هو الانقياد والطاعة ، والإيمان فيه معنى التصديق والطمأنينة " [٢] ، وهو ما يطلق على الإسلام ،إذ أن لفظه يتضمن الاستسلام والانقياد .

وقال أيضاً : " لأن الإسلام الطاعات الظاهرة ، وهو الاستسلام والانقياد ، لأن الإسلام في الأصل هو الاستسلام والانقياد " . [٣]

وأما ما أوجبه من طاعته و الانقياد لأمره و التأسي بفعله فهذا باب واسع ، وقد قيل بأنه من لوازم الرسالة . [٤] ، قال تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [٥] ،وقال تعالى (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) [٦] ، قال الإمام لشوكاني : " فيه أن طاعة الرسول طاعة لله ، وفي هذا من النداء بشرف رسول الله وعلو شانه وارتفاع مرتبته ما لا يقادر قدره ، ولا يبلغ مداه ، ووجهه أن الرسول لا يأمر إلا بما أمر الله به ، ولا ينهى إلا عما نهى الله عنه " . [٧]

وفي المقابل ، من المعصية وترك الطاعة والانقياد لرسول الله (وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) . [٨]

إذاً لا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان برسوله ، إذ هو الطريق إلى الله سبحانه ، ولهذا كان ركنا الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً عبده ورسوله . [٩] ، يقول الله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) . [١٠]

وقد جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله τ ، يقول : (جاءت ملائكة إلى النبي وهو نائم ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : إن لصاحبكم هذا مثلاً ، فاضربوا له مثلاً ، فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : مثله كمثل رجل بنى داراً ،وجعل فيها مأدبة ، وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي ، لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة

---

(1) درء التعارض ، ج ١ ، ص ١٠٨ .
(2) مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٤٢٥ .و انظر : اقتضاء الصراط مخالفة أصحاب الجحيم ، ص ٤٥٤ . والاستقامة ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ .
(3) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٤٢٤ . وقال رحمه الله : " وطاعته هو وسيلة الخلق إلى الله ، ليس لهم وسيلة يتوسلون بها البتة ،إلا الإيمان برسوله وطاعته ،وليس لأحد من الخلق وسيلة إلى الله تبارك وتعالى إلا توسله بالإيمان بهذا الرسول الكريم وطاعته " . دقائق التفسير ، ج ٢ ، ص ٤٧ .
(4) للاستزادة أنظر : الصارم المسلول ، ج ٣ ، ص ٨٠١ .
(5) سورة الحشر ، آية : ٧ .
(6) سورة النساء ، آية : ٨٠ .
(7) فتح القدير ، ج ١ ، ص ٧٣٩ .
(8) سورة النساء ، آية : ١٤ .
(9) للاستزادة أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٦٣٨ .
(10) سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ .

، فقالوا : أولوها له يفقهها ، فقال بعضهم : إنه نائم وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرق بين الناس) .[١]

قال الشيخ حافظ الحكمي : " ومن هنا يعلم أنه لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ، فإذا علم أنه لا تتم محبة الله عز وجل إلا بمحبة ما يحبة وكراهة ما يكرهه ، فلا طريق إلى معرفة ما يحبه تعالى ويرضاه وما يكرهه ويأباه إلا باتباع ما أمر به رسول الله واجتناب ما نهى عنه ، فصارت محبته مستلزمة لمحبة رسول الله وتصديقه ومتابعته " .[٢]

قال شيخ الإسلام : " يجب على الخلق الإقرار بما جاء به النبي ، فما جاء به القرآن العزيز أو السنة المعلومة ، وجب على الخلق الإقرار به جملة وتفصيلاً ، عند العلم بالتفصيل ، فلا يكون الرجل مؤمناً حتى يقر بما جاء به النبي ، وهو تحقيق شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فمن شهد أنه رسول الله ، شهد أنه صادق فيما يخبر به عن الله تعالى ، فان هذا حقيقة الشهادة بالرسالة ...،وبالجملة فهذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، لا يحتاج إلى تقريره هنا ، وهو الإقرار بما جاء به النبي ، وهو ما جاء به من القرآن والسنة " .[٣]

نخلص من هذا أن " تحقيق الشهادة بأن محمداً رسول الله ، يوجب أن تكون طاعته طاعة الله ، وإرضاؤه إرضاء الله ، ودين الله ما أمر به ، فالحلال ما حلله ، والحرام ما حرمه ، والدين ما شرعه " .[٤]

المطلب الثاني

معنى شهادة (أن محمداً رسول الله) .

أ ـ فضل كلمة الإخلاص :

من فضل كلمة الإخلاص أن من قالها معتقداً معناها وكان عاملاً بمقتضاها في القول والفعل ومات مؤمناً دخل الجنة .
فهي سبيل الفوز بدخول الجنة و النجاة من النار ، قال الله عز وجل(فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ) .[٥]

" وهي سبيل السعادة في الدارين ، أي طريقهما لا وصول إليهما إلا بهذه الكلمة ، فهي الكلمة التي أرسل الله بها رسله ، وأنزل بها كتبه ، ولأجلها خلقت الدنيا و الآخرة ،والجنة والنار ، وفي شأنها تكون الشقاوة والسعادة ،وبها تأخذ الكتب باليمين أو الشمال ، ويقل الميزان أو يخف ، وبها النجاة من النار بعد الورود ، وبعدم إلتزامها البقاء في النار ، و بها أخذ الله الميثاق ، وعليها الجزاء والمحاسبة ،وعنها السؤال يوم التلاق ، إذ يقول تعالى (فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ

---

(1)رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ، برقم ٦٧٣٨ .
(2) معارج القبول ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ .
(3) مجموع الفتاوى ، ج ٥ ، ص ١٥٤ .
(4) المرجع السابق ، ج ٨ ، ص ٣٣٨ .
(5) سورة آل عمران ، آية ١٨٥ .

أَجْمَعِيْنَ . عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [١] و قال تعالى (فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ) [٢] ، فأما سؤاله تعالى الذين أرسل إليهم يوم القيامة فمنه قوله تعالى (وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) . [٣]

وأما سؤاله المرسلين فمنه قوله تعالى (يَوْمَ يَجْمَعُ اللّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ) [٤]

وهي أعظم نعمة أنعم الله عز وجل بها على عباده أن هداهم إليها ، وهي كلمة الشهادة ،ومفتاح دار السعادة ، وهي أصل الدين وأساسه ، ورأس أمره وساق شجرته ، وعمود فسطاطه وبقية أركان الدين ، وفرائضه متفرعة عنها ، متشعبة منها ، مكملات لها ، مقيدة بالتزام معناها ، والعمل بمقتضاها ، فهي العروة الوثقى ، التي قال الله عز و جل (فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) " . [٥] ، [٦]

وفي المتفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) . [٧]

وعندما أُورد هذا ، فإنما هو على اعتبار التلازم بين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

يقول الشيخ حافظ الحكمي : " العبد لا يدخل في الدين إلا بهاتين الشهادتين ، وأنهما متلازمتان ، فشروط الشهادة الأولى هي شروط في الثانية ، كما أنها هي شروط في الأولى " . [٨]

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : " التوحيد مبنياً على الشهادتين إذ لا تنفك أحداهما عن الأخرى لتلازمهما " . [٩] ولعل هذا كاف في فضلها ومكانتها .

ب ـ معنى شهادة أن محمداً رسول الله :

---

(1) سورة الحجر ، آية : ٩٢ ، ٩٣ .
(2) سورة الأعراف ، آية : ٦ .
(3) سورة القصص ، آية : ٦٥ .
(4) سورة المائدة ، آية : ١٠٩ .
(5) سورة البقرة ، ٢٥٦ .
(6) معارج القبول ،ج ٢ ، ص ٤١٠ ، ٤١١ .
(7) رواه البخاري في الإيمان باب (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ) ، برقم ٢٤ . ومسلم في الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، برقم ٣٣ . وانظر : فتح الباري ، لابن حجر ، ج ٣ ، ص ٣٦١ . والمنهاج ، للنووي ، ج ١ ، ص ٢٠٦ .
(8) أعلام السنة المنشورة ، ص ١٤ .
ـ فائدة : يقول شارح الطحاوية : " وإذا ضمت شهادة " أن لا إله إلا الله " إلى شهادة " أن محمداً رسول الله " كان المراد من شهادة أن لا إله إلا الله إثبات التوحيد ، ومن شهادة أن محمداً رسول الله إثبات الرسالة " ص ٣٤٢ .
(9) تيسير العزيز الحميد ، ص ٤٩٢ .

ومعناها : " طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر ، واجتناب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا يُعبد الله إلا بما شرع " . [١]

وهو ما يعني الإقرار برسالته والإيمان بها والانقياد لها ، قولاً وفعلاً واعتقاداً ، واجتناب كل ما ينافيها من الأقوال والأعمال والمقاصد والتروك .

وأيضاً التصديق الجازم من صميم القلب المواطئ لقول اللسان بأن محمداً عبده ورسوله إلى كافة الناس إنسهم وجنهم [٢] ، يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان به .

وكذلك الإيمان بشرائع الله التي شرعها لعباده ، على يد رسوله ، والأخذ بها ، والعمل بها ، كالصلاة والزكاة ونحوهما .

ومما يستدل به على هذه الشهادة قوله تعالى (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [٣]

وقوله تعالى (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [٤] ،وقوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ) . [٥]

وهي تمثل الشطر الآخر من الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة .

كما أن الإيمان بالنبي داخل في الركن الرابع من أركان الإيمان الستة ، ويشهد لذلك حديث جبريل المشهور . [٦]

ويلحظ أن تعريف الشهادة والإيمان به تعريف واحد ، وهذا الأمر يصح في حال الإفراد ، أما في حال الاقتران فالإيمان به يختص بتصديق القلب وإقراره ، والشهادة يراد بها نطق اللسان واعترافه ، وتحقيق هذه الشهادة معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة . [٧]

ج ـ شروط الشهادتين :

سبق وأن أشير في هذا المبحث إلى التلازم بين الشهادتين ، وأن شروط الشهادة الأولى هي شروط في الثانية ، كما أنها هي شروط في الأولى .

فالشهادة لا تنفع قائلها لمجرد النطق بها ، إلا أن يستكملها ، وذلك " اجتماعها في العبد والتزامه إياها بدون مناقضة منه لشيء منها ، وليس المراد من ذلك عد ألفاظها وحفظها ، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها ، ولو قيل له أعددها ، لم يحسن ذلك ، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم ، وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها " . [٨]

---

(1)حاشية الأصول الثلاثة ، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ن ص ٥٧ . وانظر : عقيدة الفرقة الناجية ، ص ٢٠ .
(2) للاستزادة أنظر : أعلام السنة المنشورة ، ص ١٤ .
(3) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .
(4) سورة التوبة ، آية : ١٢٨ .
(5) سورة المنافقون ، آية : ١ .
(6) رواه البخاري في الإيمان ، باب سؤال جبريل υ ، برقم ٤٨ .ومسلم في الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، برقم ١٠ .
(7) وقد أشار ابن القيم إلى ذلك ، فقال : " فلا تزول قدما العبد بين يدى الله حتى يسأل عن مسألتين : ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ فجواب الأولى : بتحقيق لا إله إلا الله معرفة وإقراراً وعملاً . وجواب الثانية : بتحقيق أن محمداً رسول الله معرفة وإقراراً وانقياداً وطاعة .زاد المعاد ، ج ١ ، ص ٣٥ . وانظر : حقوق النبي على أمته ، ج ١ ، ص ٣٧ .
(8) معارج القبول ، ج ٢ ، ص ٤١٨ .

وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله : " لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط ، لا تنفع قائلها إلا باجتماعها .

أحدها : العلم المنافي للجهل .

الثاني : اليقين المنافي للشك .

الثالث : القبول المنافي للرد .

الرابع : الانقياد المنافي للترك .

الخامس : الإخلاص المنافي للشرك .

السادس : الصدق المنافي للكذب .

السابع : المحبة المنافية لضدها " . (١)

وهذه الشروط قد استنبطها العلماء من نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بخصوص هذه الكلمة العظيمة وبيان حقوقها وقيودها . (٢)

د ـ مراتب الشهادة :

إذ تبين من العرض السابق فضل الشهادة ومكانتها ، ومعناها ، وشروطها ، فيحسن أن نشير إلى مراتبها ، التي ينبغي للعبد أن يتدرج فيها ، حتى تتحقق له الشهادة كما يجب .

ولو تأملت عبارات السلف في لفظ (شهد) ، لوجدت أنها لا تخرج عن أربعة مسائل ، ـ وهي المراتب ـ ، فالكلمة تدور عليها ، كما أنه لا تنافي بينها البته .

وشهادة الله سبحانه لنفسه بالوحدانية ، والقيام بالقسط ، تضمنت هذه المراتب : علمه بذلك سبحانه ، وتكلمه به ، وإعلامه وإخباره لخلقه به ، وأمرهم وإلزامهم به .

وهي على النحو التالي :

المرتبة الأولى : العلم والمعرفة والاعتقاد لصحة المشهود به وثبوته :

فمرتبة العلم هذه قد تضمنتها الشهادة ضرورة ، وإلا كان الشاهد شاهداً بما لا علم له به ، قال تعالى (إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) . (٣)

المرتبة الثانية : تكلمه بالشهادة ، وإن لم يُعلِم به غيره ، بل يتكلم بها مع نفسه ويتذكرها وينطق بها أو يكتبها :

وهذه مرتبة التكلم والخبر ، التي قال الله تعالى في شأنها (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) (٤) ، فجعل ذلك منهم شهادة وإن لم يتلفظوا بلفظ الشهادة ولم يؤدوها عند غيرهم .

المرتبة الثالثة : أن يُعْلِمَ غيره بما يشهد به ، ويُخبره به ، ويُبينه له .

وهي مرتبة الإعلام والإخبار ، وهي على نوعين :

أ ـ إعلام بالقول .

ب ـ إعلام بالفعل .

---

(1) فتح المجيد ، ص ٧٨ .

(2) أنظر : محاضرات في العقيدة والدعوة ، للفوزان ، ج ١ ، ص ٦١ .

(3) سورة الزخرف ، آية : ٨٦ .

(4) سورة الزخرف ، آية : ١٩.

وهذا شأن كل مُعْلِمٍ لغيره بأمر : تارة يعلمه به بقوله ، وتارة بفعله ، أما إعلامه بفعله فهو ما تضمنه خبره تعالى عن الأدلة الدالة على وحدانيته ، التي تعلم دلالتها بالعقل والفطرة ،وهذا أيضاً يستعمل فيه لفظ الشهادة ، كما يستعمل فيه لفظ الدلالة والإرشاد والبيان . (١)

ولهذا كان من جعل داره مسجداً ، وفتح بابها وأفرزها بطريقها وأذن للناس بالدخول والصلاة فيها ، معلماً أنها وقف ، وإن لم يتلفظ به .

ومما يدل على أنها تسمى هذه شهادة قوله تعالى (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ الله شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ) (٢) ، فهذه شهادة منهم على أنفسهم بما يفعلون من أعمال الكفر وأقواله ، فهي شهادة بكفرهم وهم شاهدون على أنفسهم بما شهدت به .

وكذلك من وجد متقرباً إلى غيره بأنواع المسار ، يكون معلماً له ولغيره أنه يحبه ، وإن لم يتلفظ بقوله ، وكذلك العكس .

والمقصود أن الله سبحانه يشهد بما جعل آياته المخلوقة دالة عليه فإن دلالتها إنما هي بخلقه وجعله ويشهد بآياته القولية الكلامية المطابقة لما شهدت به آياته الخلقية فتتطابق شهادة القول وشهادة الفعل كما قال تعالى (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) (٣) ، أي أن القرآن حق فأخبر أنه يدل بآياته الأفقية والنفسية على صدق آياته القولية الكلامية وهذه الشهادة الفعلية قد ذكرها غير واحد من أئمة العربية والتفسير قال بعضهم : شهد الله بتدبيره العجيب وأموره المحكمة عند خلقه أنه : لا إله إلا هو . (٤)

المرتبة الرابعة : أن يلتزم بمضمونها ويأتمر به :

مجرد الشهادة لا يستلزمه لكن الشهادة في هذا الموضع تدل عليه وتتضمنه فإنه سبحانه شهد به شهادة من حكم به وقضى وأمر وألزم عباده به كما قال تعالى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ) (٥)،وقال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) (٦) ، والقرآن كله شاهد بذلك ، ووجه أنه إذا شهد أنه لا إله إلا هو فقد أخبر وبين وأعلم وحكم وقضى أن ما سواه ليس بإله ، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل ، وإثباتها أظلم الظلم ، فلا يستحق العبادة سواه كما لا تصلح الإلهية لغيره وذلك يستلزم الأمر باتخاذه وحده إلها ، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلها .

وأيضا فإن الأدلة قد دلت على أنه سبحانه وحده المستحق للعبادة ، فإذا أخبر أنه هو وحده المستحق للعبادة تضمن هذا الإخبار أمر العباد وإلزامهم بأداء ما يستحقه الرب تعالى عليهم ، وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم ، فإذا شهد سبحانه أنه لا إله إلا هو تضمنت شهادته الأمر والإلزام بتوحيده .

---

(1) قال ابن القيم : " فإن الدليل يبين المدلول عليه ويظهره كما يبينه الشاهد والمخبر ،بل قد يكون البيان بالفعل أظهر وأبلغ ، وقد يسمى شاهد الحال نطقاً وقولاً وكلاماً لقيامه مقامه وأدائه مؤداه ، كما قيل : امتلأ الحوض وقال قطني *** مهلاً رويداً قد ملأت بطني .
مدارج السالكين ، ج ٣ ، ص٤٥٣ .
- وقد بحثت عن قائل هذا البيت فلم أجده ، إنما يقولون قال الراجز ، ولم يذكروه ، أنظر :سمط اللآلي ، للميمني ، ص ١٣٧ .
(2) سورة التوبة ، آية : ١٧ .
(3) سورة فصلت ، آية : ٥٣ .
(4) أنظر : مدارج السالكين ، ج ٣ ، ص٤٥٠ - ٤٥٥ ، بتصرف .
(5) سورة الإسراء ، آية : ٢٣ .
(6) سورة البينة ، آية : ٥ .

وبهذا تكون المراتب الأربع : علمه بذلك ، وتكلمه به ، وإخباره لخلقه به ، وإلزامهم وأمرهم به ، متضمنة لوحدانيته سبحانه وتعالى ، كما شهد لنفسه بها فقال تعالى (شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) . [(١)] ، [(٢)]

المطلب الثالث

نواقض الإيمان بالنبي

بعد أن عرفنا الإيمان بالنبي ، ومعنى الشهادة ، فينبغي أن نعرف ما يناقض ذلك ويهدمه ، وكما قيل :

" عرفت الشر لا *** للشر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشر *** من الناس يقع فيه " [(٣)]

وأبلغ من ذلك فعل حذيفة بن اليمان τ ، حيث يقول : (كان الناس يسألون رسول الله عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر ، مخافة أن يدركني ...) . [(٤)]

ولهذا كان العارفون بالله ـ من الصحابة ψ وغيرهم ـ من أعظم الناس إيماناً وأكملهم يقيناً ، لمعرفتهم الشر من الخير ، ولما علموه من حسن حال الإيمان ، والعمل الصالح ، وقبح حال الكفر والمعاصي . [(٥)]

وقد ذكر أهل العلم أن الكفر قول وعمل ، وقد يكون الكفر قولاً ظاهراً باللسان .

يقول ابن حزم : " ولم يختلفوا أن فيه – أي القرآن ـ التسمية بالكفر ، والحكم بالكفر قطعاً ، على من نطق بأقوال معروفة " . [(٦)]

وذلك كقوله تعالى (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) [(٧)] ،وقوله تعالى (وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ) [(٨)]

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٨ .
(2) أنظر : مدارج السالكين ، ج ٣ ، ص٤٥١ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص ٨٩ ، وما بعدها .
(3) لأبي فراس الحمداني ، أنظر : الحماسة المغربية ، للجرّاوي ص ١٢٤.
(4) وباقي النص " : فقلت : يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : (نعم) ، قلت : وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال : (نعم ، وفيه دخن) ، قلت : وما دخنه ؟ قال : (قوم يهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتنكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : (نعم دعاة إلى أبواب جهنم ، من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت : يا رسول الله صفهم لنا ، فقال : (هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا) قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك ؟ قال : (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم) قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قال : (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) " .رواه البخاري في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، برقم ٣٣٣٨ . ومسلم في الإمارة ،باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ، برقم ٣٤٣٤ . وانظر : عمدة القاري ، ج ١٦ ، ص ١٤٠ و ج ٢٤ ، ص ١٩٤ .
(5) تيسير العزيز الحميد ، ص ٩٠ . وانظر : حقوق النبي على أمته ، ج ١ ، ص ٤٨ .
(6) المحلى ، ج ١١ ، ص ٤١١ .
(7) سورة المائدة ، آية : ٧٢ .
(8) سورة التوبة ، آية : ٧٤ .

وفـي هـذا " غـلا قـوم إزاء تلـك النـواقض القوليـة ، فلـم يعتـدّوا بعـوارض الأهليـة ، التـي اعتبرها الشارع ، كالخطأ والجهل ، ونحوهما " . [1] فكفّروا بـلازم القول ومـا يؤول إليـه ، ولـو أنكر المخالف ذلك اللازم .

يقول ابن الوزير : " ومن ذلك : ما جاء فيمن أقام الأركان الخمسة ...، ـ إلـى أن قـال ـ : ومن أقبح التكفير ما كان منه مستنداً إلى وجه ينكره المخالف من أهل المذهب ، مثل تكفير أبـي الحسين وأصحابه بنفي علم الغيب ، وهم ينكرونه .

وتكفير الأشعرية بالجبر الخالص ، الذي هو قول الجهمية الجبريـة ، وهـم ينكرونـه " [2] والله تعالى

يقول (وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا) . [3]

وفـي مقابـل هـذا " نجـد آخـرين قـد تـساهلوا وفرطـوا ، فعلّقـوا تلـك النـواقض بالاسـتحلال القلبي ، الذي لا يمكن الاطلاع عليه ، وجعلوا تلك النواقض مجرد علامات على الكفر .

فسب الرسول ، ـ مثلاً ـ ليس كفراً ، إلا إذا استُحِلَ ذلك ! " . [4]

ومنه عدم الحكم بـالكفر لمن نطـق بصريحه وهـو عـالم بـه ، حتـى يعتقده ! مثل تـرك " تكفيـر النصارى الذي قالوا : (إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاَثَةٍ) [5] ، ومن قال بقولهم ، مع نص القرآن على كفرهم ، إلا بشرط أن يعتقدوا ذلك مع القول " . [6]

ومما ينبغي التنبيه عليه أنه " عند ظهور لفظ الكفر ، فلا يحتـاج فيـه إلـى نيـة ، ولا نظـر لاعتقاد " . [7]

يقـول الله تعـالى (وَلَـئِن سَـأَلْتَهُمْ لَيَقُـولُنَّ إِنَّمَـا كُنَّـا نَخُـوضُ وَنَلْعَـبُ قُلْ أَبِاللّـهِ وَآيَاتِـهِ وَرَسُـولِهِ كُنـتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَـةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَـةً بِـأَنَّهُمْ كَـانُواْ مُجْرِمِينَ) . [8]

يقول شيخ الإسلام : " فقد أخبر أنهم كفروا بعد إيمـانهم ، مـع قـولهم : إنـا تكلمنـا بـالكفر مـن غيـر اعتقاد له بل كنـا نخـوض ونلعـب ، وبـين أن الاسـتهزاء بآيـات الله كفـر ، ولا يكـون هـذا إلا ممـن شرح صدره بهذا الكلام ، ولو كان الإيمان في قلبه منعه أن يتكلم بهذا الكلام .

---

(1) نواقص الإيمان ، ص ٩٤ .
(2) إيثار الحق على الخلق ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
(3) سورة النساء ، آية : ٩٤ .
(4) نواقص الإيمان ، ص ٩٤ .
(5) سورة المائدة ، آية : ٧٣ .
(6) إيثار الحق على الخلق ، ص ٣٧٩ ، ٣٨٠ . وانظر : المسيحية ، لساجد مِير ، ص ١١٩ .
(7) نواقص الإيمان ، ص ٩٥ . يقول شيخ الإسلام : " القول المطلق والعمل المطلق في كلام السلف يتناول قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، فقول اللسان بدون اعتقاد القلب ، هو قول المنافقين ، وهذا لا يسمى قولاً إلا بالتقييد ، كقوله تعـالى (يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ) سورة الفتح ، آية : ١١ ،وكذلك عمل الجـوارح بـدون أعمـال القلـوب هـي مـن أعمـال المنافقين التي لا يتقبلها الله " . أنظر : مجموع الفتـاوى ، ج ٧ ، ص ٥٠٥ ، ٥٠٦ . وقـال أيضاً : " فـإن القـول المطلـق لا يكون إلا باللسان ، وأما مـا فـي الـنفس فمقيـد ، كقولـه : عمـا حـدثت بـه أنفسها ، ثـم قـال : مـا لـم تـتكلم أو تعمـل بـه ، فـالكلام المطلق إنما هو الكلام المسموع " . أنظر : منهاج السنة النبوية ، ج ٥ ، ص ١٩٧.
(8) سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ .

والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الظاهر بحسبه ، كقوله تعالى (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ) (١) (٢)

إذا تقرر هذا ، فإنه يمكن تقسيم الإساءة إلى النبي ، في باب نواقض الإيمان به إلى قسمين :

الأول : الإساءة إلى شخص النبي .

الثاني : الإساءة إلى دين النبي .

وتوضيح ذلك كما يلي :

القسم الأول : الإساءة إلى شخص النبي (٣) :

وهذا باب واسع ، يدخل فيه كثير من الصور والأمثلة ، وضابط المسألة هو : قصد الإساءة إلى الرسول (٤)، سواء كان بالقول أو الفعل ، من السب والشتم والسخرية والعيب والهمز واللمز ، أو ما دون ذلك ، إذ الأمر لا يعدو أن يكون ظاهراً على الجوارح ، أو مما يستبطنه صاحبه في قلبه ، وهو ما نقصد به الإساءة الحسية و المعنوية ، وهذا كله مما يدخل تحت هذا الباب .

يقول القاضي عياض : " إن جميع من سب النبي أو عابه ، أو ألحق به نقصاً في نفسه ، أو نسبه ، أو دينه ، أو خصلة من خصاله ، أو عرض به ، أو شبهه بشيء على طريق السب له ، أو الازدراء عليه ، أو التصغير لشأنه ، أو الغض منه والعيب له ، فهو ساب له ، والحكم فيه حكم الساب يقتل ، ...وكذلك من لعنه أو دعا عليه ، أو تمنى مضرة له ، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم ، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام و هجر ومنكر من القول و زور ، أو عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه ، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة و المعهودة لديه " . (٥) ومن ذلك تكذيبه في خبره ، أو الامتناع من التزام أمره .

قال شيخ الإسلام : " والكذب بمنزلة التكذيب له ، ولهذا جمع الله بينهما بقوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءهُ) . (٦)

بل ربما كان الكاذب عليه أعظم إثماً من المكذب له ، و لهذا بدأ الله به ،كما أن الصادق عليه أعظم درجة من المصدق بخبره ، فإذا كان الكاذب مثل المكذب أو أعظم والكاذب على الله كالمكذب له ، فالكاذب على الرسول كالمكذب له ، يوضح ذلك أن تكذيبه نوع من الكذب ، فإن

---

(1) سورة النور ، الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ .

(2) مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(3) فيما يخص حكم الوقيعة به ، والإساءة إليه ، فهو أول ناقض للإيمان به ،وقد أفردت له الفصل الثالث ، كما سيأتي بمشيئة الله .

(4) فمن لم يقصد الإساءة كحال مسطح وحمنة فلا يجري عليهما كفر ولا قتل ، إذ الأمر متعلق بقصد الإساءة إلى الرسول ، وكذا بعض جُفاة الأعراب ، لم يؤاخذهم ، لكن ابن سلول قد قصد الإساءة فلم يقتله تغليباً لحقه وهو إما العفو أو القتل ، فكان يغلب جانب العفو والترك .

(5) الشفا ، ٢ ، ص ١٨٨ .

(6) سورة العنكبوت ، آية : ٦٨ .

مضمون تكذيبه الإخبار عن خبره أنه ليس بصدق ، وذلك إبطال لدين الله ، ولا فرق بين تكذيبه في خبر واحد ، أو في جميع الأخبار ، و إنما صار كافراً لما يتضمنه من إبطال رسالة الله و دينه " ، ـ إلى أن قال ـ " فإن تعمد الكذب عليه استهزاء به واستخفاف ، لأنه يزعم أنه أمر بأشياء ليست مما أُمر به ، بل وقد لا يجوز الأمر بها ، وهذه نسبة له إلى السفه ، أو أنه يخبر بأشياء باطلة ، وهذه نسبة له إلى الكذب ، وهو كفر صريح " . [١]

ومن الإساءة إلى شخصه الكريم ، الاعتداء عليه ، والنيل منه ، كما حدث من المشركين يوم أحد ، حيث كسرت رباعيته وشج ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : (كيف يفلح قوم خضَّبوا وجه نبيهم بالدم ، وهو يدعوهم إلى الله ، فأنزل الله عز وجل (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) [٢] [٣]

وفي هذا الباب يقول القاضي أبو عبد الله بن المرابط : " من قال : إن النبي هُزم ، يُستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، لأنه تنقص ، إذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته إذ هو على بصيرة من أمره ويقين من عصمته ،وإليه ذهب مالك وأصحابه ،وكله مما عده العلماء سباً أو تنقصاً ، يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم " [٤].

و كذلك حكم من غمصه [٥] ، أو عيره برعاية الغنم ، أو السهو ،أو النسيان ، أو السحر ، أو ما أصابه من جرح ، أو هزيمة لبعض جيوشه ، أو أذى من عدوه ، أو شدة من زمنه ، أو بالميل إلى نسائه ، فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل .

بل إن السلف الصالح رحمهم الله ذكروا ما هو أدق من ذلك ، ربما غابت على بعض الناس ، أو غفل عنها ، أو استهان بها ، فمن ذلك :

قال مالك : من قال : إن رداء النبي ، وفي رواية : زر النبي ، وسخ ، أراد عيبه ، قتل .

وأفتى بعضهم فيمن قال في النبي : الحمال يتيم أبي طالب ، بالقتل . [٦]

ولعل من المناسب أن أشير إلى بعض الأمور التي تسيء إلى الرسول ، وتؤذيه بوجه من الوجوه ، وربما نقضت الإيمان ، فمن ذلك :

أ ـ الإساءة إلى الرسول بالطعن في آل بيته [٧] :

---

(1) الصارم المسلول، ج ٢ ، ص ٣٢٨ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ١٢٨ .
(3) رواه ابن ماجة في الفتن ، باب الصبر على البلاء ، برقم ٤٠١٧ . وأحمد في المسند ، برقم ١٢٦٦٣ ، قال الألباني : صحيح ، أنظر : صحيح ابن ماجة ، ج ٢ ، ص ٣٧٢ ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري ، أنظر : المسند ، ج ٣ ، ص ١٧٨ ، ٢٠٦ . وللاستزادة أنظر : البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢٣ ، ٣٠ . وسيرة ابن هشام ، ج ٤ ، ص ٢٨ .
(4) الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .
(5) قال ابن منظور : أي حَقَّرَه واستَصْغَره ولم يره شيئاً . أنظر : لسان العرب ، ج ٧ ، ص ٦١ . والغمص هو بمعنى الغمط ، وهو الازدراء والاحتقار والاستهانة ، وفي الحديث : (إن الله يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس) الحديث رواه أحمد برقم ٦٢٩٥ . ورواه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر ، برقم ١٩٢٢ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : السلسلة الصحيحة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ . وحول هذا المعنى أنظر : فتح الباري ، لابن حجر ، ١٠ ، ص٢٦٠ .و المنهاج للنووي ، ج ٢ ، ص ٩٠. وسيأتي مزيد بيان إن شاء الله حين الحديث عن بواعث الإساءة ، في الفصل الثاني .
(6)للاستزادة أنظر : الشفا ، ٢ ، ص ١٨٨ .
(7) وقع خلاف في تحديد من هم آل بيت النبي ، وقد ساق ابن القيم رحمه الله هذه الأقوال بأدلتها ، ثم بيّن الراجح منها ، وباختصار : القول الأول : وهو أن الآل من تحرم عليهم الصدقة ، وفيهم ثلاثة أقوال .القول الثاني : أنهم ذريته وأزواجه

وفيه مسائل :

الأولى : مكانة أهل البيت :

عقيدة أهل السنة والجماعة وسط بين الإفراط والتفريط ، ومن ذلك عقيدتهم في آل بيت النبي فإنهم يتولون كل مؤمن منهم ، وكذا زوجاته [١] ، فيحبون الجميع ، ويثنون عليهم ، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف ، ويعرفون الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان والنسب ، ومن لم يوفق لشرف الإيمان ، فإن شرف النسب لا يفيده ، كما قال تعالى (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ) [٢] ، [٣]

قال شيخ الإسلام : " ودين الإسلام إنما يفضل الإنسان بإيمانه وتقواه لا بآبائه ولو كانوا من بني هاشم أهل بيت النبي ، فإنه خلق الجنة لمن أطاعه وإن كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان شريفاً قرشياً " . [٤]

وقد أوصى النبي في أهل بيته فقال : (أذكركم الله في أهل بيتي ،أذكركم الله في أهل بيتي) . [٥]

الثانية : الإساءة إلى الرسول ، بأذى من يتأذى بتأذيه [٦] :

وهذا فيه ما قد يخفى ، فقد صح إن علياً τ خطب بنت أبي جهل ، فسمعت بذلك فاطمة ، فأتت رسول الله فقالت : يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك ، وهذا علي ناكح بنت أبي جهل ، فقام رسول الله فسمعته حين تشهد ، يقول : (أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع ، فحدثني وصدقني ، وإن فاطمة بضعة مني ، وإني أكره أن يسوءها ، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد فترك علي الخطبة) [٧] ، وفي رواية : (إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها) . [٨]

خاصة ونصره ابن عبد البر . القول الثالث : وهو أن آل النبي أمته وأتباعه إلى يوم القيامة . القول الرابع : أن آله الأتقياء من أمته .ثم قال : والصحيح هو القول الأول ويليه القول الثاني وأما الثالث والرابع فضعيفان . أنظر : جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ، ص ٢١٠-٢٢٣ . واستجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف ، للسخاوي ، ج ١ ، ص ١٢٧ - ١٣١ . تحقيق خالد بابطين . وللاستزادة : أنظر : حقوق آل البيت لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٢٥ .

(1)قال شيخ الإسلام : " أزواجه داخلات في آله وأهل بيته ...، - إلى أن قال - : وقد تبين أن دخول أزواجه في آل بيته أصح "مجموع الفتاوى ٢٢ ، ص ٤٦١ . قال ابن القيم : " وإنما دخل الأزواج في الآل وخصوصاً أزواج النبي تشبيها لذلك بالسبب لأن اتصالهن بالنبي غير مرتفع وهن محرمات على غيره في حياته وبعد مماته وهن زوجاته في الدنيا والآخرة فالسبب الذي لهن بالنبي قائم مقام النسب . وقد نص على الصلاة عليهن ولهذا كان القول الصحيح وهو من نصوص الإمام أحمد رحمه الله أن الصدقة تحرم عليهم لأنها أوساخ الناس وقد صان الله سبحانه ذلك الجناب الرفيع وآله من كل أوساخ بني آدم " . جلاء الأفهام ، ص ٢١٧.

(2) سورة الحجرات ، آية : ١٣ .

(3) أنظر : استجلاب ارتقاء القرب بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف ، للسخاوي ، ج ١ ، ص ١٦٧ . وفضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة ، للبدر ، ص ١٣ ، ١٤ .

(4) الفتاوى الكبرى ، ج ٣ ، ص ٥٤٤ .

(5) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل على بن أبي طالبτ ، برقم ٤٤٢٥. وانظر : منهاج السنة النبوية ، ج ٧ ، ص ١٠٢ .وقال : " ولا ريب أن محبة أهل بيت النبي واجبة " . ورسالة إلى أهل الثغر ، للأشعري ، ص ٢٦٩ .

(6)من إفادات فضيلة المشرف ، وفقه الله .

(7)رواه البخاري في المناقب ، باب ذكر أصهار النبي ، برقم ٣٤٥٥ . ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ، برقم ٤٤٨٤ .

(8) خرجها البخاري في المناقب ، باب مناقب قرابة الرسول ، برقم ٣٤٣٧ . ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ، برقم ٤٤٨٣ .

قال ابن التين : " أصح ما تحمل عليه هذه القصة أن النبي حرم على علي τ أن يجمع بين ابنته وبين ابنة أبي جهل ، لأنه علل بأن ذلك يؤذيه ، وأذيته حرام بالاتفاق .

وقال النووي : وفي الحديث تحريم أذى من يتأذى النبي بتأذيه ، لأن أذى النبي حرام اتفاقاً قليله وكثيره .

وقد جزم بأنه يؤذيه ما يؤذي فاطمة ، فكل من وقع منه في حق فاطمة شيء ، فتأذت به فهو يؤذي النبي ، بشهادة هذا الخبر الصحيح .

ولا شيء أعظم في إدخال الأذى عليها ...،ولهذا عرف بالاستقراء معاجلة من تعاطى ذلك بالعقوبة في الدنيا (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) [1] ، وفيه حجة لمن يقول بسد الذريعة ..،فقد مَنع من ذلك في الحال لما يترتب عليه من الضرر في المآل ،وفيه بقاء عار الآباء في أعقابهم لقوله:(بنت عدو الله) فإن فيه أشعاراً بأن للوصف تأثيراً في المنع مع أنها هي كانت مسلمة حسنة الإسلام ". [2]

الثالثة : الإساءة إلى الرسول ، بما يؤذي أهل بيته :

ولما خيّر الله رسوله نساءه بين الله ورسوله والدار الآخرة ، وبين الفراق والمتاع ، فأكرمهن الله
تعالى عندما اخترن الله والدار الآخرة ، قال الله تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاء مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا) [3] ، مجازاة لهن ورضا عنهن في حسن صنيعهن في هذا الاختيار .

ولكن قوماً من أهل البدع والأهواء المضلة تجرّءُوا على هذه المكانة ، وحاولوا الحط من هذه المنزلة ، وهم يدّعون حب آل البيت ! فما قالوه في عائشة وحفصة ، إنما هو نابع من بغضهم لأبي بكر الصديق وعمر الفاروق ψ .

فمن التبرؤ منهما واللعن ، وادعاء أنهما أعداء رسول الله ،وأنهما تآمرتا مع أبويهما على رسول الله وسقتاه السُم ، وضرب امرأة نوح وامرأة لوط مثلاً لعائشة وحفصة رضي الله عنهما ، وهذا فيما أدعوا كذباً وزوراً فيهما جميعاً .

أما عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها، فقد فاضت كتبهم بالحقد والحسد ، فاتهموها بالكفر وعدم الإيمان ، وأنها من أهل النار ، وطعنوا في لقبها أم المؤمنين ، وأن رويتها فاسدة ، وأنه سيقام عليها الحد في الرجعة ، لأنهم يرمونها بالفاحشة [4] ، ـ عياذاً بالله ـ .

---

(1) سورة طه ، آية : ١٢٧ .

(2) فتح الباري ، ج ٩ ، ص ٣٢٨ ـ ٣٣٠ . وانظر : فيض القدير ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .

(3) سورة الأحزاب ، آية : ٥٢ .

(4) وفي هذا تكذيب واضح لصريح القرآن ، كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ . لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) ١١(١٢) سورة النور .للاستزادة أنظر : موقف الشيعة الأثنى عشرية من صحابة رسول الله وψ ، لعبد القادر صوفي ، ج ٣ ، ١٢٦٩ ، وما بعدها . وفيها أي الإفك يقول الرسول (من يعذرنا في رجل بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت من أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً) قال له سعد بن معاذ : أنا أعذرك إن كان من الأوس ضربت عنقه .قال شيخ الإسلام : " فلما لم ينكر ذلك عليه دل على أن من آذى النبي و تنقصه يجوز ضرب عنقه " . الصارم المسلول ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ . قال القاضي : " و من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها منه كفر بلا خلاف " المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٧٠ . وانظر : صب العذاب على من سب الأصحاب ، للألوسي ، ص ٣١٦ . والنهي عن سب الأصحاب ، للمقدسي ، ص ٨٤ .

وفي جُعبة القوم من الإفك العظيم الشيء الكثير ، وإنما قصدت أن أشير لبعض إساءاتهم لرسول الله ، في بيته الطاهر ، لأنه كفربالقرآن ، واستخفاف بحقه .

يقول ابن حجر الهيتمي : ومن سب عائشة رضي الله عنها ففيه قولان ، أحدهما : يقتل ، والآخر : كسائر الصحابة ، يجلد حد المفتري ، قال : وبالأول أقول .

قال الإمام مالك : من سب عائشة رضي الله عنها قتل ، لأن الله تعالى يقول فيها (يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [1] ، فمن رماها فقد خالف القرآن ، ومن خالف القرآن قتل . قال ابن حزم : وهذا قول صحيح . [2]

ب ـ الإساءة إلى الرسول ρ بالطعن في أصحابه ψ [3] :

وفيه مسائل :

الأولى : مكانة الصحابة ψ :

أصحاب النبي وψ لهم منزلة لا يدانيها منزلة ، وقد بلغوا من السمو ذراه ، ومن الفضل علاه ، فكلهم عدول ، وهذا مما تحقق فيهم جميعاً ، فكانوا من أكثر الناس ملازمة للتقوى ، واتباعاً للمصطفى .

وقد أجمع أهل السنة على عدالتهم [4]،وقبول روايتهم ، وقبول شهادتهم دون توقف . [5]

يقول الله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [6] ،في

---

(1) سورة النور ، آية : ١٧ .

(2) وقد نقل ذلك ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، ج ١ ، ص ١٤٤.

(3) الصحابي في **اللغة :** من صَحِبَه يَصْحَبُه صُحْبَة بالضم ،وصَحابة بالفتح وصاحبه عاشره ، والصَّحْب وأصحاب ، والأصْحابُ جمع صَحْبٍ ، والصَّحَابَةُ : بالفتح الأصْحَابُ ، وهي في الأصل مصدر وأصْحَبَهُ الشيء ، جعله له صاحباً ، واسْتَصْحَبَهُ الكتاب وغيره وكل شيء لاءم شيئاً فقد استصحبه ،فالصحابي مشتق من الصحبة ، وهي تطلق على عدة معان ،كالملازمة والانقياد والملائمة ، كما مر . أنظر : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٥١٩ . القاموس المحيط ، ص ١٣٤ . و مختار الصحاح ، ص ٣٧٥ .

وفي **الاصطلاح :** يقول قال علي بن المديني : هو " من صحب النبي أو رآه ولو ساعة من نهار فهو من أصحاب النبي " . فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٥ . وقال ابن حجر : هو " مسلم لقي النبي مؤمناً به ومات على ذلك " فهو صحابي . الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر ، ج ١ ، ص ٣٥٣ . ج ٢ ، ص ٦١٣ ، ٦١٤ . وقال ابن كثير : " والصحابي: من رأى رسول الله في حال إسلام الراوي، وإن لم تطل صحبته له، وإن لم يرو عنه شيئاً " .وهذا قول جمهور العلماء، خلفاً وسلفاً. وقد نص على أن مجرد الرؤية كاف في إطلاق الصحبة: البخاري وأبو زرعة، وابن عبد البر، وابن مندة وأبو موسى المديني، وابن الأثير . أنظر : الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ، ص ٢٤ . قلت: وقد اشترط قوم الرواية ، وبعضهم الغزو مع النبي ، وبعضهم توسع في ذلك ، فأرجعوا المسألة للعرف ،نخرج من ذلك وغيره أن الصحابي : هو من لقي النبي يقظة ، مؤمناً به ، بعد بعثته ، حال حياته ، ومات على ذلك . أنظر : فيض القدير ، ج ١ ، ص ١٧ .

(4) وممن نقل الإجماع من الأئمة على ذلك ، الذهبي في تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، ص ١١٤٧ . والغزالي في المستصفى في علم الأصول ، ص ٨ .و النووي كما نقل ذلك السخاوي في فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، ج ١ ، ١٢٧، ١٣٩. وغيرهم كثير . وانظر : الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ، ص ٢٤ . والصواعق المحرقة ، ٢ ، ص ٦٤٠ . وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، للقنوجي ، ص ٩٧ . و الكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، ص ٤٧ . والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ، لبرهان الدين الأبناسي ، ج ٢ ، ص ٤٨٤ .

(5) أنظر إلى بعض من نقل ذلك من العلماء في : فتح المغيث ، للسخاوي ، ج ٣ ، ص ١٠٨ .والكفاية في علم الرواية ، للخطيب البغدادي ، ص ٤٩ .والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ، لبرهان الدين الأبناسي ، ج ٢ ، ص ٤٩٩ . والنكت على مقدمة ابن الصلاح ، للزركشي ، ج ١ ، ص ٦٠٧ . وتدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، للسيوطي ، ج ٢ ، ص ٢١٤ .وتوضيح الأفكارلمعاني تنقيح الأنظار، للأمير الصنعاني ، ج ٢ ، ص ٤٤٢ .

(6) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

هذه الآية خطاب عام ، ولكن الصحابة ψ يدخلون فيه دخولاً أولياً ، لأنهم هم المخاطبون على الخصوص .

كما يدل على إثبات الأفضلية على سائر الأمم ، وذلك يقضي بإستقامتهم في كل حال وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة ، وأن سنتهم يعمل عليها ويرجع إليها .

وقوله الله تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) . (١) ،وفيها إثبات العدالة مطلقاً ، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى . (٢)

وفي السنة يقول النبي : (خيركم قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) قال عمران : لا أدري أذكر النبي بعد قرنين أو ثلاثة . (٣)

قال شيخ الإسلام : " ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول " . (٤)

وقال ابن عبد البر : " وإنما صار أول هذه الأمة خير القرون لأنهم آمنوا حين كفر الناس وصدقوه حين كذبه الناس وعزروه ونصروه وآووه وواسوه بأموالهم وأنفسهم وقاتلوا غيرهم على كفرهم حتى أدخلوهم في الإسلام " . (٥)

وكان عبد الله بن مسعود τ يقول : " من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ، أولئك أصحاب رسول الله أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم حقهم ، وتمسكوا بهديهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم " . (٦)

قال ابن القيم : " ولهذا اشتهر عند الأمة عدالة نقلّته وحملته ، اشتهاراً لا يقبل شكاً ولا امتراء ولا ريب ، أن من عدّله رسول الله لا يُسمع فيه جرح ، فالأئمة الذين اشتهروا عند الأمة بنقل العلم النبوي وميراثه كلهم عدول ، بتعديل رسول الله ، ولهذا لا يُقبل قدح بعضهم في بعض وهذا بخلاف من اشتهر عند الأمة جرحه والقدح فيه كأئمة البدع ومن جرى مجراهم من المتهمين في الدين فإنهم ليسوا عند الأمة من حملة العلم ، فما حَمَلَ علم رسول الله إلا عدل " . (٧)

وقال ابن الصلاح : " للصحابة بأسرهم خصيصة وهي : أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم ، بل ذلك أمر مفروغ منه ، لكونهم على الإطلاق معدلين ، بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به ، في الإجماع من الأمة ، ...ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة " . (٨)

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١٤٣ .
(2) أنظر : الموافقات ، للشاطبي ، ج ٤ ، ص ٧٤ .
(3)رواه البخاري في الشهادات ، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد ، برقم ٢٤٥٧ ، ومسلم في المساجد ، باب أوقات الصلوات الخمس ، برقم ٩٦٦ .
(4)مجموع الفتاوى ، ج ٤ ، ص ١٥٧ .
(5) التمهيد ، ج ٢٠ ، ص ٢٥١ .وللاستزادة: أنظر : عون المعبود ، ج ١٢ ، ص ٢٦٩ . وتحفة الأحوذي ، ج ١٠ ، ص ٢٤٥ .
(6)مجموع الفتاوى ، ج ٣ ، ص ١٢٦ . ج ٤ ، ص ١٥٨ . ج ١١ ، ص ٣٦٧ .
(7) مفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ١٦٣ .
(8) علوم الحديث ، لابن الصلاح ، ص ١٧١ .

الثانية : الإساءة إلى الرسول بالقدح في الصحابة ψ :

إن الإساءة إلى أصحاب رسول الله بأي لون كان ، كالسب والشتم أو التجريح والطعن فيهم ، أو الحط من قدرهم ، أمر في غاية العمى والضلال ، لأن ذلك يفضي إلى الإساءة إلى رسول الله ، ومن ثم إلى الله تبارك وتعالى ، فمن أساء إلى أصحاب رسول الله فقد أساء إلى رسول الله ، ومن أساء إلى رسول الله فقد أساء إلى الله تعالى .

وفي النهي عن الإساءة إليهم يقول النبي : (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) .(١)

قال السخاوي رحمه الله : " ووجه الاستدلال به أن الوصف لهم بغير العدالة سب ... " .(٢)

وقد خطب عمر بن الخطاب τ ، فقال : إن رسول الله قام فينا مثل مقامي فيكم ، فقال : (احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...) .(٣)

قال المناوي : " أي راعوا حرمتي وارقبوني فيهم واقدروهم حق قدرهم وكفوا ألسنتكم عن غمطهم ، أو الوقيعة فيهم بلوم ، أو تعنيف لبذلهم نفوسهم ، واطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب ، وقتالهم القريب والبعيد في ذات الله ، وبذلهم أموالهم ، وخروجهم من ديارهم ، وصبرهم على البلاء، والجهد الذي لا يطيقه غيرهم ، وليس ذلك إلا عن أمر عظيم ملك البواطن ، وصرفها على حكم محبة الله ومحبة رسوله ، فاستوجبوا بذلك الرعاية ، وكمال العناية " .(٤)

كما أن من أهداف المسيئين من إساءتهم إلى أصحاب رسول الله القدح والطعن في أصل الدين ، وإبطال الشريعة ، إذ هم نقلتها ψ ، حيث لم يستطيعوا النيل منها مباشرة ، وهذا مسلك خبيث .

يقول ابن عقيل الظاهر : " إن من وضع مذهب الرافضة قصد الطعن في أصل الدين والنبوة ، وذلك أن الذي جاء به رسول الله أمر غائب عنا ، وإنما نثق في ذلك بنقل السلف ، وجودة نظر الناظرين إلى ذلك منهم ، فكأننا نظرنا إذ نظر لنا من نثق بدينه وعقله " .(٥)

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : " إن فيما ذهبت إليه الرافضة ، إبطالاً للإسلام رأساً ،لأنه إذا أمكن اجتماعهم على الكتم للنصوص ، وأمكن فيهم نقل الكذب ،والتواطؤ عليه لغرض ، فيمكن أن سائر ما نقلوه من الأحاديث زور .

ويمكن أن القرآن عورض بما هو أفصح منه ،كما تدعيه اليهود والنصارى ، فكتمه الصحابة ،وكذا ما نقله سائر الأمم عن جميع الرسل ، يجوز الكذب فيه والزور والبهتان ، لأنهم

---

(1) رواه البخاري في المناقب ، باب قول النبي (لو كنت متخذاً خليلاً ...) برقم ٣٣٩٧ .ومسلم في فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ، برقم ٤٦١٠ .

(2) فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، ج ٣ ، ص ١١٠ .

(3) رواه ابن ماجة في الأحكام ، باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد ، برقم ٢٣٥٤ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : سنن ابن ماجه ، ج ٢ ، ص ٧٩١ . وهو عند أحمد بلفظ : (استوصوا بأصحابي خيراً ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ...) ، في المسند ، برقم ١٠٩ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ، أنظر : المسند ، ج ١ ، ص ١٨

(4) فيض القدير ، ج ١ ، ص ١٩٧.

(5) تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ص ١٢٠ .

إذا ادعوا ذلك في هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس فادعاؤهم إياه في باقي الأمم أحرى وأولى ، فتأمل هذه المفاسد التي ترتبت على ما أصله هؤلاء " . [١]

فكيف يجسر على الطعن عليهم من عرف الله ساعة في عمره ، أم كيف يجترىء على سبهم من يزعم أنه مسلم والله سبحانه وتعالى يقول (لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ . وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [٢]

قال ابن كثير : " فيا ويل من أبغضهم ، أو سبهم ، أو أبغض أو سب بعضهم ، ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول ، وخيرهم وأفضلهم ، أعني الصديق الأكبر ، والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة τ ، فإن الطائفة المخذولة من الرافضة ، يعادون أفضل الصحابة ، ويبغضونهم ، ويسبونهم عياذاً بالله من ذلك ، وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة ، وقلوبهم منكوسة ، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن ، إذ يسبون من رضي الله عنهم ؟ وأما أهل السنة فإنهم يترضون عمن رضي الله عنه ،ويسبون من سبه الله ورسوله ، ويوالون من يوالي الله ، ويعادون من يعادي الله ، وهم متبعون لا مبتدعون ، ويقتدون ولا يبتدون ، ولهذا هم حزب الله المفلحون ، وعباده المؤمنون " . [٣]

ولهذا أحسن الشافعي رحمه الله في قوله : " هم فوقنا في كل علم وفقة ودين وهدى ، وفي كل سبب ينال به علم وهدى ، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله " . [٤]

---

(1) لصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، ج ١ ، ١١٤ .

(2) سورة الحشر ، الآيات : ٨ ـ١٠ .

(3)تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٥٠٥ .

فائدة : في مسألة الحكم فيمن أساء إلى الصحابة ψ ، بالسب ، وهل يكفر ، ويحل قتله ؟ أو يفسق ويعزر ويؤدب ؟ وقع خلاف بين الأئمة ، وذلك على قولين : الأول : أنه يكفر ويحل قتله . وممن قال به الإمام مالك في رواية و محمد بن يوسف الفريابي والإمام أحمد في رواية وأبو زرعة والطحاوي وغيرهم . والآخر : أنه يفسق ، ويعزر . وممن قال به عمر بن عبد العزيز τ والإمام مالك في رواية و الإمام أحمد في رواية و وإسحاق بن راهويه ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وغيرهم . وللاستزادة حول هذه المسألة أنظر : الصارم المسلول ،ج ٣، ص ١٠٥٥ . ومجموع الفتاوى ، ج ٣ ، ص ٢٩٠. ج ٢٨ ، ص ٥٥٣ ، ج ٣٥ ، ص ١٩٨. والسيف المسلول على من سب الرسول ، للسبكي ، ص ٣٣٨ . والصواعق المحرقة ، ج ١ ، ص ١٢٨ ـ ١٥٤ .ومغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، ج ٤ ، ص ٤٢٦ .و المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، لأبن قدامة ، ١٢ ، ص ٢٨ . والإقناع ، للحجاوي ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ . والإنصاف ، ج ١٢ ، ص ٤٨ . وشرح منتهى الإرادات ، ٣ ، ص ٣٩٢ . النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، لأبن عبد الواحد المقدسي ، ص ٨٥ . وصب العذاب ، ص ٣٢٤ .وهذا بخلاف سب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال الهيتمي : " وأما من سب الشيخين أو الختنين ففيه وجهان : أحدهما : يكفر :لأن الأمة أجمعت على إمامتهم ،والثاني :يفسق ولا يكفر " . الصواعق المحرقة ، ١ ، ص ١٣٩ . وقال في موضع آخر : " عن القاضي حسين أن في كفر ساب الشيخين أو الختنين وجهين ولا ينافيه جزمه في موضع آخر بفسق ساب الصحابة وكذا ابن الصباغ وغيره وحكوه عن الشافعي رضي الله عنه لأنهما مسألتان فالثانية في مجرد السب وهو مفسق وإن كان المسبوب من آحاد الصحابة وأصاغرهم بخلاف الأول فإنها خاصة بسب الشيخين أو الختنين وهو أشد وأغلظ في الزجر بأن فيه وجها بالكفر وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي والذي أراه الكفر فيها قطعاً " ج ١ ، ص ١٤٦ .

(4) منهاج السنة النبوية ، ج ٦ ، ص ٨١ . للاستزادة أنظر : بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، لابن تيمية ، ج ٢ ، ص ٢٩ .و الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، لابن القيم ، ج ٣ ، ص ١١١٨ .وإعلام الموقعين عن رب

الثالثة : الإساءة إلى الرسول بالطعن في أحد والديه :

سبقت الإشارة إلى أن سب النبي أو عيبه ، أو إلحاق النقص به ، سواء في نفسه ، أو نسبه ، أو دينه ، أو خصلة من خصاله ، أو الازدراء ، أو التحقير أو غير ذلك مما يدخل تحت مسمى الإساءة ، وأن الحكم فيه حكم السَّاب لرسول ، لأنه قدح في نسبه .[١]

ومن ذلك الإساءة إلى رسول الله بأذية أمه أو أبيه ، والوقيعة فيهما بالسب ، أو القذف ، أو أي شيء مما يتأذى به رسول الله ، ويسيء إليه .

وقد سُئل القاضي أبو بكر بن العربي عن رجل قال : إن أبا النبي في النار ، فأجاب بأنه : ملعون ، لأن الله تعالى يقول (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) .[٢] ،ولا أذى أعظم من أن يقال عن أبيه إنه : في النار .

قال العلامة القاري : " وهو محمول على من قصد أذى النبي عليه الصلاة والسلام بإطلاق هذا الكلام ، فإنه ملعون ، بل كافر مطعون " .[٣]

قال شيخ الإسلام : " ولا يختلف أصحابنا أن قذف أم النبي من جملة سبه الموجب للقتل وأغلظ ، لأن ذلك يقضي إلى القدح في نسبه ، وفي عبارة بعضهم إطلاق القول بأن من سب أم النبي عليه الصلاة و السلام يقتل ، مسلماً كان ، أو كافراً .

وينبغي أن يكون مرادهم بالسب هنا القذف ، كما صرح به الجمهور لما فيه من سب النبي ".[٤]

قال السبكي : " من قذف أم النبي فهو ساب ، لإنه طاعن في نسبه ، نص الحنابلة على ذلك ، واتفقوا عليه[٥]، وغيرهم لا يخالفهم فيه ، ولو سبها بغير القذف فقد أطلق بعض الحنابلة : أن من سب أم النبي يُقتل مسلماً كان أو كافراً " .[٦] ولعله يشير إلى قول شيخ الإسلام السالف الذكر .

القسم الثاني : الإساءة إلى دين النبي .

وفيه مسألتان :

العالمين ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ . واجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، كلاهما لابن القيم ، ص ١٨٦ . والتبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين ، للإسفراييني ، ص ١٨٠ . والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، لابن حجر الهيتمي ، ج ٢ ، ص ٦٠٦ . وصب العذاب على من سب الأصحاب ، للألوسي ، ص ٣٢٤ ، وما بعده .

(1) أنظر : الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨ . وقد سبقت الإشارة إلى ذلك ، أنظر ص ٨٤ ، وما بعدها .

(2) سورة الأحزاب ، آية ٥٧ .

(3) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام ، لعلي القاري ، ص ١٤٠ . وقال : " من قذف أم النبي قتل ، مسلماً كان أو كافراً ، كما قاله الإمام موفق الدين بن قدامه الحنبلي في المقنع ونقله عنه السيوطي ، وإنما خصت الأم بالذكر لثبوت أحاديث دلت على أنه عن أمه نكاحاً غير سفاح ،فإنكار ما يثبت عنه كفر فلا يرد أن حكم القاذف الحد المعروف " . ص ١٤٣ ، ١٤٤ .

(4) الصارم المسلول ، ج ٣ ، ٥٥٣ ، ٩٧٧ . و قال: " من قذف أم النبي يقتل مسلماً كان أو كافراً ،لأنه قدح في نسبه " . مجموع الفتاوى ، ج ٣٢ ، ص ١١٩ .وانظر : الفتاوى الكبرى ، ٣ ، ص ٤٨٧ .

(5) أنظر : المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، للمقدسي ، ج ١٠ ، ص ٢٢٣ . والشرح الكبير ، لابن قدامة ، ج ١٠ ، ص ٢٢٩ .والكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ، للمقدسي ، ج ٤ ، ص ٥٩ . والانصاف في معرفة الراجح من الخلاف على مذهب الإمام احمد بن حنبل ، للمرداوي ، ج ١٠ ، ص ٢٢٢ .

(6) السيف المسلول على من سب الرسول ، للسبكي ، ص ٣٣٣ .

الأولى : تعظيم دين النبي :

لقد اصطفى الله تبارك وتعالى هذا الدين واختاره ليكون ديناً لجميع رُسله عليهم الصلاة والسلام ، كما قال تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) . (١)

قال ابن كثير عن هذه الآية : " إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين ، حتى ختموا بمحمد الذي سد جميع الطرق إليه ، إلا من جهة محمد ، فمن لقي الله بعد بعثة محمد بدين على غير شريعته فليس بمُتَقَبل " . (٢) ،وفي هذا يقول الله تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٣) ،فلا دين ولا عمل مقبول ، إلا ما كان موافقاً لشريعة محمد .

وقال تعالى (أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) . (٤) ،وفي هذه الإشارة بأداة البعد (ذَلِكَ) ، تنبيهاً على علو مقامه ، وعظيم شأنه ، ثم قال (الدِّينُ الْقَيِّمُ) أي الذي لا عوج فيه فيأتيه الخلل من جهة عوجه ، الظاهر أمره لمن كان له قلب . (٥)

ومن جملة ما وصف الله تبارك وتعالى الإسلام به أنه مستقيم ، فقال الله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . (٦)

فعن جابر بن عبد الله τ قال : كنا عند النبي فخط خطاً وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده في الخط الأوسط ، فقال : (هذا سبيل الله ، ثم تلا هذه الآية (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) . (٧)

إذا كان كذلك فإن من كمال العيب والسَّفَهِ أن يحيد المرء عن الصراط المستقيم ، والدين القويم ، أو أن يرغب عنه ، قال تعالى (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ) (٨)

وقال تعالى (قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) . (٩) ،قال شيخ الإسلام : " ففضل الله ورحمته القرآن والإيمان ، من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به ، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ووضع الفرح فى غير موضعه " . (١٠)

فمن أنعم الله عليه مع الأمر بالامتثال ، فقد تمت النعمة فى حقه . (١١)

---

(1) سورة آل عمران ، آية: ١٩ .
(2)تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٤٧١ .
(3) سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .
(4) سورة يوسف ، آية : ٤٠ .
(5) أنظر : التحرير والتنوير ، ج ٧ ، ص ١١ .
(6) سورة الأنعام ، آية : ١٥٣ .
(7)رواه ابن ماجة في المقدمة ، في اتباع سنة رسول الله ، برقم ١١ . وأحمد في المسند ، برقم ١٤٧٣٩ . والدارمي في المقدمة ، في كراهية أخذ الرأي ، برقم ٢٠٤ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : صحيح ابن ماجة ، ج ١ ، ص ٧ .
(8) سورة البقرة ، آية : ١٣٠ .
(9) سورة يونس ، آية : ٥٨ .
(10) مجموع الفتاوى ، ج ١٦ ، ص ٤٩
(11)أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١١ ، ص ٣٥٧ .

وقد دارت عبارات السلف على أن الفضل والرحمة هو العلم والإيمان والقرآن ، وهما اتباع الرسول ، وهذا من أعظم الرحمة التي يرحم الله بها من يشاء من عباده ، فإن الأمن والعافية والسرور ولذة القلب ونعيمه وبهجته وطمأنينته : مع الإيمان والهدى إلى طريق الفلاح والسعادة ، والخوف والهم والغم والبلاء والألم والقلق : مع الضلال والحيرة . (1)

فمما يجب على المسلم " في آيات الله الإيمان بها وتعظيمها وإجلالها وتفخيمها ، وهذا المقصود بإنزالها، وهو الذي خَلَق الله الخَلْق لأجله ، فضد الإيمان الكفر بها ، وضد تعظيمها الاستهزاء بها واحتقارها " . (2)

الثانية : الإساءة إلى النبي بالطعن في دينه :

ومن هذا الباب يدخل فيه كل ناقض للإيمان عموماً ، وذلك من وجه أنه هو المخبر عن الله تعالى والمبلغ عنه ،فإذا كان التصديق بخبر المرُسَل ، تصديق بخبر المُرسِل ، فإن التكذيب بالنبي المرُسَل تكذيب بربه سبحانه ، وهو المُرسِل .

يقول شيخ الإسلام : " الإيمان إيمان بالله ، وإيمان للرسول ، فإن الرسول أخبر عن الله بما أخبر به عن أسماء الله وصفاته ، ففي الإيمان خبر ومخبر به ، فالإيمان للرسول تصديق خبره ، والإيمان بما أخبر به ، والإقرار بذلك والتصديق به .

ولهذا كان من الناس من يجعل الكفر بإزاء المُخْبَر به ، كجحد الخالق وصفاته ، ومنهم من يجعله بإزاء الخبر ، وهو تكذيب الرسول .

وكلا الأمرين حق ، فإن الإيمان والكفر يتعلق بهذا وبهذا " . (3)

ومن لازم الإيمان بالنبي الطاعة والتصديق والتسليم ، كما في قوله تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) . (4)

فالإيمان به ، يقتضي تحكيمه ، ومن ثَمّ ألا يكون في النفس غضاضة ، أو حرج من حكمه ، فهذا مقتضى كمال الطاعة له ، والتسليم لأمره .

فلا فرق بين من يعتقد أن الله ربه و أن الله أمره ، ثم يقول : إنه لا يطيعه لأن أمره ليس بصواب و لا سداد ، وبين من يعتقد أن محمداً رسول الله وأنه صادق واجب الاتباع في خبره وأمره ، ثم يسبه أو يعيب آمره أو شيئاً من أحواله أو تنقصه انتقاصاً بأي وجه .

وذلك أن الإيمان قول و عمل فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه و تعالى و الرسالة لعبده و رسوله ثم لم يتبع هذا الاعتقاد وموجبه من الإجلال و الإكرام ـ الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل ـ كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه ،وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلاً لما فيه من المنفعة والصلاح .

(1) إغاثة اللهفان ، ج ٢ ، ص ١٧٢ . وانظر : الفوائد ، ص ١٣٣ . والروح ، ص ٢٤٨ . ومفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ٥١ . واجتماع الجيوش الإسلامية ، ص ٦ ، جميعها لابن القيم رحمه الله .

(2) أنظر :تيسير الكريم الرحمن ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

(3)درء التعارض ، ج ٣ ، ص ٢٤ .

(4) سورة النساء ، آية : ٦٥ .

هذا فيما بينه و بين الله ،وأما في الظاهر فتجري الأحكام على ما يظهره من القول و الفعل ،والغرض بهذا التنبيه على أن الاستهزاء بالقلب والانتقاص ينافي الإيمان الذي في القلب منافاة الضد ضده ، والاستهزاء باللسان ينافي الإيمان الظاهر باللسان كذلك ، وأيضاً فإن السب الصادر عن القلب يوجب الكفر ظاهراً و باطناً ،وهذا مذهب الفقهاء و غيرهم من أهل السنة و الجماعة . [١]

ومن نواقض هذا الأصل :

١- من كفر بنبي واحد ، أو رسول واحد ، أو آمن ببعض وكفر ببعض ، فهو كمن كفر بالله وجحده ، وهو كفر ينقض الإيمان برسوله ، وقد فرق بين الله ورسله ، ولا ينفعه إيمانه ببقية الرسل ؛ ذلك أن الرسل حملة رسالة واحدة ، ودعاة دين واحد ، وإن اختلفت شرائعهم ، ومرسلهم واحد ، فهم وحدة يبشر المتقدم منهم بالمتأخر ، ويصدق المتأخر المتقدم .

قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا . أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً) [٢]

" فمن لم يؤمن بمحمد نبياً ورسولاً ، وأنه خاتم الأنبياء والرسل ، وأن شريعته ناسخة لجميع ما قبلها ، وأنه لا يسع أحداً من أهل الأرض اتباع غير شرعه : فهو كافر مخلد في النار كمن كفر بالله وجحده رباً معبوداً " . [٣]

وقد كفر اليهود والنصارى ؛ لإيمانهم ببعض الرسل ، وكفرهم ببعض ، قال الله تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ).[٤]

٢- عدم الإيمان بعموم رسالة محمد إلى جميع أهل الأرض عربهم ،وعجمهم ، إنسهم ، وجنهم .

ومنه أن العيسوية [٥] من اليهود وفريقاً من النصارى آمنوا بنبوة محمد للعرب خاصة ، وأنكروا عموم رسالته . [٦]

وهذا كفر ، يناقض صريح القرآن (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) . [٧]

---

(1)الصارم المسلول ، ج ٣ ، ص ٧٠١ ، بتصرف يسير .
(2) سورة النساء ، الآيتان : ١٥٠ ، ١٥١ .
(3) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ، للشيخ بكر أبو زيد حفظه الله ،ص ٨٥ . وأنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١٤ ، ص ١٣٥ . ومنهاج السنة النبوية ، ج ٦ ، ص ١٨٨ . والجواب الصحيح ، ج ٢ ، ص ٣٧٠ . وإغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج ٢ ، ص ٣٤٨ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٩١ .
(5)العيسوية : وهم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني رجل من اليهود كان باصبهان ، و اسمه كان محمد بن عيسى ، وهم يقولون بنبوة عيسى بن مريم ومحمد ويقولون أن عيسى بعثه الله عز وجل إلى بني اسرائيل على ما جاء في الإنجيل وأنه أحد أنبياء بني اسرائيل ويقولون إن محمداً نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن الى بني اسماعيل عليهم السلام والى سائر العرب كما كان أيوب نبياً في بني عيص وكما كان بلعام نبياً في بني مواب باقرار من جميع فرق اليهود . الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ، ج ١ ، ص٨٢ . وانظر : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص ٨٩ . و تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، للباقلاني ، ص ٢١٨ . والغنية في أصول الدين ، للمتولي الشافعي ، ص ١٥٥ .والفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، لعبد القاهر البغدادي ، ص ٢٢٠ .
(6) الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ، للشيخ بكر أبو زيد ،ص ٨٩ .
(7) سورة سبأ ، آية : ٢٨ .

وفي السنة عن أبي هريرة أن رسول الله قال (وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) . [١]

٣ـ " من اعتقد أن هدي غير النبي أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه ، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه ، فهو كافر .

٤ـ من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول ولو عمل به فقد كفر ؛ لقوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) . [٢]

٥ـ من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عقابه كفر ، والدليل قوله تعالى (قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ . لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) . [٣]

٦ـ من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد فهو كافر ؛ لقوله تعالى (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [٤] " . [٥]

هذا مما ينتقض به الإيمان بالنبي على وجه الخصوص ، وقد أشرت في مقدمة الحديث عن (الإساءة إلى النبي بالطعن في دينه) إلى أن الإيمان بالنبي ينتقض بنواقض الإيمان عموماً ، وقد ذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب بعض هذه النواقض ، وهي :

أ ـ " الشرك في عبادة الله تعالى ، قال الله تعالى (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) [٦] ،وقال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ) [٧] ، ومن ذلك دعاء الأموات ، والاستغاثة بهم ، والنذر والذبح لهم .

ب ـ من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعاً .

ج ـ من لم يكفّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر .

د ـ السحر ، ومنه الصرف والعطف ، فمن فعله أو رضي به كفر ، والدليل قوله تعالى (وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ) . [٨]

هـ ـ مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين ، والدليل قوله تعالى (وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . [٩] ، [١٠]

و ـالإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به ، والدليل قوله تعالى (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ) [١١] .

---

(1) رواه مسلم ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ، برقم ٨١٢ .
(2) سورة محمد ، آية : ٩ .
(3) سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ .
(4) آل عمران ، آية : ٨٥ .
(5) وهذا طرف من نواقض الإسلام ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٧٣ ، والمطبوع ضمن جامع المتون .
(6) سورة النساء ، آية : ٤٨ .
(7) سورة المائدة ، آية : ٧٢ .
(8) سورة البقرة ، آية : ١٢٠ .
(9) سورة المائدة ، آية : ٥١ .
(10) نواقض الإسلام ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، والمطبوع ضمن جامع المتون .
(11) سورة السجدة ، آية : ٢٢ .

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد والخائف ، إلا المكره ، وكلها من أعظم ما يكون خطراً ، وأكثر ما يكون وقوعاً ، فينبغي للمسلم أن يحذرها ،ويخاف منها على نفسه ، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه" . [١]

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث الثالث

حقوق النبي على أمته

وفيه تمهيد وأربعة مطالب :

(1)نواقض الإسلام ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ٢٧٣ ، ٢٧٤.

المطلب الأول: الإيمان به .
المطلب الثاني : وجوب طاعته والاستجابة لأمره ونهيه .
المطلب الثالث : وجوب محبته .
المطلب الرابع : وجوب تعزيره وتوقيره .

التمهيد

إن الله تبارك وتعالى لما خلق الخلق وأمرهم بعبادته ونهاهم عما سواها ، كان من رحمته وحكمته أن أرسل إليهم رسلاً بين يدي الساعة ينذرون أقوامهم ويهدونهم بأمره سبحانه لما يحبه ويرضاه .

وإن من أعظم هؤلاء الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام رسولنا محمد ، الرحمة المهداة والنعمة المسداة ، الذي به هدانا الله تعالى ، فأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وأنار لنا طريق الحق ، وفتح لنا أبواب الكرامة والسعادة في الدنيا والآخرة ، فهو خاتم النبيين ، ورسول الله إلى العالمين ، أكمل الله به دينه ، وبعثه على حين فترة من الرسل وظهور الكفر ، فأحيا به ما درس من العلم الإيمان ، قمع الله به أهل الشرك والزيغ والعناد ، فأقام الله به منار التوحيد وعلم الهدى والنور المبين .

لقد تفضل الله تبارك وتعالى على هذه الأمة المرحومة بهذا الرسول الكريم ، فختم به أعظم رسالاته وأفضل شرائعه ، فما أعظمها من مِنّة ، وما أجزلها من عطية (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) [(١)] ، وقال تعالى (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ . فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ) [(٢)] وقال تعالى (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ) [(٣)]

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .
(2) سورة البقرة ، الآيتان : ١٥١، ١٥٢ .
(3)سورة البقرة ، آية : ١٥١ .

قال ابن كثير : " يذكر تعالى عباده المؤمنين ما أنعم به عليهم من بعثة الرسول محمد إليهم يتلو عليهم آيات الله مبينات ويزكيهم أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ودنس النفوس وأفعال الجاهلية ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويعلمهم الكتاب وهو القرآن والحكمة وهي السنة ويعلمهم مالم يكونوا يعلمون فكانوا في الجاهلية الجهلاء يسفهون بالعقول الغراء فانتقلوا ببركة رسالته ويمن سفارته إلى حال الأولياء وسجايا العلماء فصاروا أعمق الناس علماً وأبرهم قلوباً وأقلهم تكلفاً وأصدقهم لهجة " . (١)

فلله الحمد والفضل على هذا الإنعام الجزيل ، الذي تكرم به المنعم على عباده ، الذي فيه النجاة في الدنيا والفلاح في الأخرى .

ولما كانت للرسول المنزلة الكبيرة والمقام العالي عند ربه سبحانه ، إذ جعل الله تعالى طاعته طاعة له سبحانه فقال تعالى (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً) (٢) ، وأمر باتباعه وطاعته قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) (٣) ، ولما له من الفضل على الناس ، وقيام احتياجهم واضطرارهم له ، أشد من اضطرارهم إلى ما سواه ، فأوجب سبحانه له من الحقوق العظيمة والواجبات الكبيرة ، التي تبين وتنظم علاقة المسلم برسوله .

وعندما أوجب الله تعالى علينا القيام بحقوقه ، من الإيمان به ، وطاعته ، ومحبته ، وغير ذلك ، جعل سبحانه له من الحقوق التي لا يشاركه فيها أحد ، لا نبي مرسل ، ولا ملك مقرب ، وجعل لنبه حقوقاً لا يشاركه فيه أحد من الخلق.

ولذلك فقد خصه الله بجملة كبيرة من الواجبات فأوجب له على أمته حقوقاً كثيرة ، منها ما يتصل بجانب الرسالة التي بُعث بها ، ومنها ما يتعلق بشخص الرسول ، تفضيلاً وتكريماً من الله له . (٤)

إذا كان كذلك فينبغي على أمته القيام بها على أحسن حال وأكمل وجه والحفاظ عليها تعبداً لله تعالى وامتثالاً لأمره سبحانه .

فمن هذه الحقوق ما يلي :

المطلب الأول : الإيمان به .
المطلب الثاني : وجوب طاعته والاستجابة لأمره ونهيه .
المطلب الثالث : وجوب محبته .
المطلب الرابع : وجوب تعزيره وتوقيره .

وتفصيلها على النحو التالي :

المطلب الأول : الإيمان به .

تقدم الحديث عن الإيمان بالنبي في المبحث الثاني من هذا الفصل ، وأفردته هناك لأهميته وتناسب أن يكون رديف الإيمان بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث الترتيب المنهجي لمباحث الدراسة ، كما أنه لا يُتصور أصلاً القيام بشيء من حقوقه قبل الإيمان به . لكن يحس أن أُشير إلى ما يتضمنه الإيمان به ، فمن ذلك :

(1) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
(2) سورة النساء ، آية : ٨٠ .
(3) سورة محمد ، آية : ٣٣ .
(4) أنظر : حقوق النبي على أمته ، ج ١ ، ص ١٤ ، مرجع سابق .

أ - الإيمان بنبوته ورسالته . [١]

لقد أكرم الله سبحانه وتعالى رسوله بأن جمع له بين النبوة والرسالة ، كما قال الله تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [٢] ، ومقتضى ذلك : تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع ، وهذا مقتضى شهادة (أن محمداً رسول الله) ، [٣] وقد دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة .

فدل الكتاب العزيز على وجوب الإيمان بالرسول ، في غير ما آية ، فمن ذلك :

١- قوله الله تعالى (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا) [٤] .

٢- وقوله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [٥]

٣- وقال تعالى (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [٦] .

٤- وقال عز وجل (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) [٧]

٥- وقال تعالى (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [٨]

أما السنة فكما جاء في الكتاب العزيز الأمر بالإيمان به ، كذلك زخرت السنة بهذا الأمر ، وتضافرت النصوص الآمرة بذلك ، فمنها :

١- عن ابن عمررضي الله عنهما أن رسول الله قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله) [٩] .

٢- عن أبي هريرة τ عن رسول الله أنه قال (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) [١٠]

---

(1) سبق و أن أفردت للتعريف بالنبي والرسول والفرق بينهما بحثاً ، وذلك في المبحث الأول ضمن الإطار المنهجي للدراسة ، أنظر :ص ٢٥ - ٢٩ .

(2)سورة الأحزاب ، آية : ٤٠ .

(3) وللاستزادة في هذه المسألة أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٣ ، ص ١٠٥ و ج ٧ ، ص ٥١٨ و التدمرية لشيخ الإسلام ، ص ١٠٨ و فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، ص٤١ و تيسير العزيز الحميد ، ص ٦١ .

(4)سورة التغابن ، آية : ٨ .

(5) سورة الحجرات ، آية : ١٥ .

(6)سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ .

(7) سورة الحشر ، آية : ٧ .

(8) سورة الفتح ، آية : ٩ .

(9) رواه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب (فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ) سورة التوبة ، آية : ٥ ، برقم ٢٤ ، وكتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة بأطراف رجليه ، برقم ٣٧٩ ، وأنظر : فتح الباري ج ٣ ، ص ٣٦١ . و مسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، برقم ٢٩ ، وفي كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب τ ، برقم ٤٤٢٢ .

(10) رواه مسلم ، في كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان بنبينا محمد ، برقم ٢١٨ .

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي بعث معاذاً رضي τ إلى اليمن فقال (ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) [1]

إن ورود مثل هذه النصوص النبوية يؤكد وجوب وأهمية الإيمان بالرسول ، والذي يثمر لدى المرء الطاعة له والتسليم لأمره ، والبعد عن معصيته ومخالفته .

ب ـ الإيمان بعموم رسالته .

مما يجب الإيمان به من نبوته ، الإيمان بعموم نبوته ، و أنها شاملة كل أحد ، الإنس والجن ، والعرب والعجم ، وأنه لا يسع أحد الخروج عن شريعته أو أن يدين الله بغيرها ، (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [2]

يقول شيخ الإسلام : " وأنه مبعوث إلى جميع الناس أهل الكتاب وغير أهل الكتاب بل إلى الثقلين الإنس والجن وأنه كان يُكفِّر اليهود والنصارى الذين لم يتبعوا ما أنزل الله عليه كما كان يُكفِّر غيرهم ممن لم يؤمن بذلك وأنه جاهدهم وأمر بجهادهم " . [3]

وقد جاءت الآيات الكثيرة الدالة على وجوب الإيمان بعموم رسالته ، فمن ذلك ، ما يلي :

١- قال الله تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [4]

٢- قال تعالى (مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا) [5] .

٣- قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [6] .

٤- قال تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [7] .

٥- قال تعالى (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ) [8] .

٦- قال تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [1] .

---

(1) رواه البخاري ، في كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، برقم ١٣٠٨ ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، برقم ٢٧ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .
(3) الجواب الصحيح ، ج ٣ ، ص ١٠ .
(4) سورة سبأ ، آية : ٢٨ .
(5) سورة النساء ، آية : ٧٩ .
(6) سورة الأنبياء ، ١٠٧ .
(7) سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ . يقول ابن كثير : وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي (إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) ، أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس . تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص٣٣٩ .
(8) سورة الأحقاف ، آية : ٢٩ .

تدل هذه الآيات وغيرها على تأكيد عالمية هذه الرسالة العظيمة ، وأنها تطول الجميع وليست قاصرة على أحد دون غيره ، وأنه يجب على من بلغته الإيمان بها والإذعان والتسليم لها ، وهذا على خلاف من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، حيث كان النبي يرسل إلى قومه خاصة ـ كما سيتبين بمشيئة الله ـ ، أما الرسول محمد فقد أرسل إلى العالمين ، حتى أهل الكتاب يلزمهم الإذعان له والإيمان به وبدعوته ، وإلا كانوا من أهل النار ، والعياذ بالله (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢)

أما السنة النبوية ، ففيها من النصوص الدالة على عموم رسالته الكم الكثير ، ولكن أقتصر على شيء منها ، فمن ذلك ما يلي :

١ـ عن جابر بن عبد الله τ أن النبي قال (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ،فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة) (٣)

٢ـ عن أبي هريرة τ أن رسول الله قال (فُضِّلتُ على الأنبياء بست أُعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) (٤) .

٣ـ عن أبي هريرة τ عن رسول الله أنه قال (والذي نفس محمد بيده ،لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ،ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار) (٥) .

نخلص من هذا أن الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة قد جلت المسألة بوضوح لا غبش فيه و لا قتر ، فلا يسع أحد الخروج عن دين محمد ، وهذا ما يجب أن يتعبد الله به كل مسلم .

ج ـ الإيمان بأنه خاتم النبيين . (٦)

خص الله تبارك وتعالى نبيه محمداً بخصائص عظيمة ، ومنح جليلة ، منها ما اختصه بها دون غيره على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك في الحياة الدنيا ، ومنها

---

(1)سورة المائدة ، آية : ١٩ .
(2)سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .
(3) رواه البخاري في كتاب التيمم ، باب قول النبي (جعلت لي الأرض مسجداً) ، برقم ٣٢٣ ، واللفظ له ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، برقم ٨١٠ .
(4) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، برقم ٨١٢ .
(5)تقدم تخريجه ، أنظر :ص ١٠٥.
(6) تباينت كلمة أهل اللغة في معنى الختم ، إلا أنهم متفقون في مؤداها وما تؤول إليه من معنى ، فقد ذكروا جملة من المعاني منها :
١ ـ الطبع ، يقول ابن منظور : والختم على القلب أن لا يفهم شيئاً ولا يخرج منه شيء كأنه طبع وفي التنـزيل العزيز (خَتَمَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهمْ) سورة البقرة ، آية : ٧ . هو كقوله (أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ) سورة النحل ، آية : ١٠٨ . فلا تعقل ولا تعي شيئاً قال أبو إسحاق : معنى ختم وطبع في اللغة واحد .
٢ ـ التغطية على الشيء والاستيثاق من أن لا يدخله شيء ، كما قال جل وعلا (أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) سورة محمد ، آية : ٢٤ . وفيه (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم) سورة المطففين ، آية : ١٤ . لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ١٦٣ .
وذكر صاحب مختار الصحاح معنى آخر ، وهو : ٣ ـ خاتمة الشيء آخره، ومحمد خاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والختام الطين الذي يختم به ، وقوله تعالى (خِتَامُهُ مِسْكٌ) أي آخره لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك ، ص ٨٣ .

خصائص له   على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الحياة الآخرة ، ومنها خصائص له   دون أمته ، وقد يشاركه فيها غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . (١)

وإن مما خص الله به محمداً   أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده ، لأن الله أكمل به الرسالات ، وختم به الشرائع ، وأتم به البناء (٢)، فعن أبي هريرة τ أن رسول الله   قال (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) (٣) .

فجعل سبحانه الكتاب الذي جاء به محمد   مهيمناً على الكتب السابقة ، وناسخاً لها ، كما جعل شريعته ناسخة لكل الشرائع المتقدمة ، وتكفل الله بحفظ رسالته ، فقد نقلت بالتواتر ، حيث نقل القرآن الكريم والسنه القولية والفعلية نقلاً متواتراً . (٤) .

- ومعنى ختم النبوة :

أنه لا تبتدأ نبوة ولا تشرع شريعة بعد نبوته وشرعته ، " إذاً هي إنتهاء إنباء الله للناس وانقطاع وحي السماء " . (٥)

ودلالة القرآن لهذه العقيدة واضح اللفظ والدلالة ، إذ يقول الله تعالى (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) (٦)

يقول الإمام الطبري رحمه الله : " وخاتم النبيين الذي ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء ، قال :

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل " . (٧) وقال السيوطي رحمه الله : عن قتادة τ في قوله (ولكن رسول الله خاتم النبيين) قال : آخر نبي ، وعن الحسن قال : ختم الله النبيين بمحمد وكان آخر من بعث . (٨)

وأما السنة فقد زخرت بالنصوص التي تناولت هذه العقيدة من عدة جوانب ، أكتفي بذكر بعضها ، فمن ذلك :

---

(1) أنظر : خصائص المصطفى ، ص ٣٥ ، وما بعدها .

(2) أنظر شيئاً من إنكار النصارى لذلك ، وقولهم : بأن عيسى υ هو خاتم الأنبياء ، في مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، للدكتور عبد العظيم المطعني ، ص ٢١٥ .

(3) رواه البخاري ، في كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين   ، برقم ٣٢٧١ . و مسلم في كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه خاتم النبيين ، برقم ٤٢٣٨

(4) أنظر : الإسلام أصوله ومبادئه ، لمحمد السحيم ، ص ١٤٢.

(5) أنظر : حقوق النبي على أمته ، ج ١ ، ص ١٠٤. و الإسلام أصوله ومبادئه ، ص ٢٤٩. وعقيدة ختم النبوة ، للغامدي ، ص ١٣ .

(6)سورة الأحزاب ، آية : ٤٠ .

(7) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١٠ ، ٣٠٥ .

(8) أنظر : الدر المنثور ، للسيوطي ، ج ٦ ، ٦١٧ .

١- عن أبي هريرة τ أن رسول الله قال (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين) [١]

٢- عن أبي هريرة τ (أن رسول الله أُتي بلحم فُرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهش منها نهشة ثم قال أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مِمَّ ذلك ،يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم بآدم فيأتون آدم عليه السلام - ثم ذكر الحديث بتمامه إلى أن بلغ - اذهبوا إلى محمد فيأتون محمداً فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه ....) الحديث [٢] .

٣- عن سعد بن وقاص τ أن رسول الله خرج إلى تبوك واستخلف علياً فقال :أتُخلِّفني في الصبيان والنساء ، قال : (ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي) . [٣] [٤]

نخلص مما تقدم : أن الأدلة الشرعية تدل على الإيمان بختم النبوة بمحمد ، والتي لها آثار في الدين ، وهي من أبرز خصائص هذه الأمة التي أكسبتها قوة الإيمان بدينها وصدق اليقين به ورسوخ القدم في الثبات عليه إلى أن يأتي أمر الله . [٥]

د - الإيمان بأنه بلَّغ الرسالة :

من كريم فضله سبحانه أن أكمل لهذه الأمة دينها الذي ارتضى لها ، فلا نقص يحل به ، ولا زيادة تطرأ عليه ، فقد كملت الملة ، وتمت النعمة ، وعمت الشريعة .

---

(1) سق تخريجه ، أنظر : ص ١٠٩ .

(2) رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب (ذُرِّيَّة مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) سورة الإسراء ، آية ٣ ، برقم ٤٣٤٣ . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ، برقم ٢٨٧ .

(3) رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة ، برقم ٤٠٦٤ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، برقم ٤٤١٨ .

(4) قال الإمام النووي : " قال القاضي هذا الحديث مما تعلقت به الروافض والإمامية وسائر فرق الشيعة في أن الخلافة كانت حقاً لعلي ، وانه وصى له بها قال ثم اختلف هؤلاء ، فكفرت الروافض سائر الصحابة في تقديمهم غيره ، وزاد بعضهم فكفر علياً ، لأنه لم يقم في طلب حقه بزعمهم ، وهؤلاء اسخف مذهباً وافسد عقلاً من أن يرد قولهم أو يناظر ، وقال القاضي : ولا شك في كفر من قال هذا لان من كفر الأمة كلها والصدر الأول فقد ابطل نقل الشريعة وهدم الإسلام ، وأما من عدا هؤلاء الغلاة فإنهم لا يسلكون هذا المسلك ، فأما الإمامية وبعض المعتزلة فيقولون هم مخطئون في تقديم غيره لا كفار ، وبعض المعتزلة لا يقول بالتخطئة ، لجواز تقديم المفضول عندهم " . المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، ج ١٥ ، ص ١٧٤ .

(5) من أبرز ثمرات الإيمان بعقيدة ختم النبوة ، القطع بتكذيب كل مدع للنبوة بعده دون نظر أو تأمل ، والتي تحصل بها العصمة للأمة من اتباع من ادعى النبوة من الدجالين الكذابين ، ولهذا كان التنبيه على هذا الأمر العظيم هو من أعظم مقاصد النبي في تقريره اعتقاد ختم النبوة به وذلك بإخباره عن خروج كذابين ثلاثين في هذه الأمة كلهم يدعي النبوة ثم تقريره أنه لا نبي بعده تحذيراً للأمة من تصديقهم واتباعهم ، وذلك مصداقاً لحديث ثوبان τ قال : قال : رسول الله (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي) رواه الترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون ، برقم ٢١٤٥ ، و هذا حديث حسن صحيح . وأبو داود في كتاب الفتن والملاحم ، برقم ٣٧١٠ . وأحمد في كتاب باقي مسند الأنصار ، برقم ٢١٣٦١ . للاستزادة أنظر : أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٢٥٠ .

وإنه من الواجب على العبد الإيمان بأن الرسول بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح للأمة ، فما من خير إلا ودلها عليه ورغبها فيه ، وما من شر إلا ونهاها عنه وحذرها منه ، قال تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) (١)

قال الإمام الطبري : قال : ابن عباس τ : " فأوثقَ إيمان أهل الأرض وأهل السماوات وأصدقه وأكمله شهادة أن لا إله إلا الله " . (٢) ،وقد نزلت هذه الآية وهو على صعيد عرفات في حجة الوداع ، قال الإمام البغوي رحمه الله : " يوم نزول هذه الآية أكملتُ لكم دينكم ، يعني الفرائض والسنن والحدود والجهاد والأحكام والحلال والحرام ، فلم ينـزل بعد هذه الآية حلال ولا حرام ولا شيء من الفرائض ". (٣) ، والتي لم يدم بعدها إلا ثمانين يوماً ، وقال بعضهم إحدى وثمانين ليلة . (٤)

وقد وصل الدين إلى مرتبة من الكمال لا يقبل التكميل وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل (٥)ولكن أين من يعقل ؟ (٦)

فبالنبي الخاتم كمل هذا الدين ، فلم يعد بحاجة لنبي غير هذا النبي الكريم ، ولا إلى دين غير هذا الدين القويم .

فعن أبي الدرداء τ قال خرج علينا رسول الله ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال (الفقر تخافون والذي نفسي بيده لتصبن عليكم الدنيا صباً حتى لا يزيغ قلب أحدكم إزاغة إلا هيه ، وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء) قال أبو الدرداء τ : صدق والله رسول الله ρ تركنا والله على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء . (٧)

قال ابن القيم رحمه الله : " إن الله سبحانه قد تمم الدين بنبيه وأكمله به ولم يحوجه ولا أمته بعده إلى عقل ولا نقل سواه ولا رأي ولا منام ولا كشوف " . (٨)

وبعد نزول هذه الآية الكريمة (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ...) الآية استشهد رسول الله من كان حاضراً يومئذٍ من الناس ، وقد شهد للنبي بالبلاغ أصحابه في أكبر مجمع لهم يوم أن خطبهم في حجة الوداع خطبته البليغة العظيمة ، فبين لهم ما أوجب الله عليهم وما حرم عليهم وأوصاهم بكتاب الله ، فعن جابر بن عبد الله τ قال : قال رسول الله - في الحديث الطويل في حجة الوداع - (...وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تُسألون

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٣ .
(2) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١١ ، ص ٣٣٤ . وانظر : الدر المنثور ، ج ٧ ٥١٤ . وفتح القدير ، ج ٥ ، ص ٦٦ .
(3) معالم التنزيل ، ج ٣ ، ص ١٣ .
(4) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢٠ ، ص ٢١٣ . و انظر : معالم التنـزيل ، ج ٣ ، ص ١٣.
(5) وهو من الأمثال العامة والخاصة: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل وإذا جاء نهر الله بطل نهر عيسى، ونهر معقل بالبصرة، ونهر عيسى ببغداد، وعليهما أكثر الضياع الفاخرة، والبساتين النزهة، وإنما يريدون بنهر الله: البحر والمطر والسيل، فإنها تغلب سائر المياه والأنهار وتطم عليها. . أنظر : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، للثعالبي ، ص ٨ . وذكره الميداني في مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص ٣٩ .
(6) روح المعاني ج ٢٨ ، ص ٢٠ .
(7) رواه ابن ماجة في سننه ، في المقدمة ، برقم ٥ . قال الشيخ الألباني رحمه الله : حسن ، أنظر : حديث رقم : ٩ ، في صحيح الجامع ، الجامع الصغير وزيادته ، ص ١ . وقال في السلسلة الصحيحة بذلك ، أي حسن ، أنظر صحيح ابن ماجة ، ج١ ، ص ٦ .
(8)الصواعق المرسلة ، ج ٣ ، ص ٨٢٦ . وانظر : مجموع الفتاوى ، ج١١ ، ص ٤٩٠ .

عني فما أنتم قائلون ؟ ، قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال : بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس (اللهم اشهد ،اللهم اشهد) ثلاث مرات .... الحديث . [١]

فشهد لـه خير القرون ، وهم أصحابه ψ أجمعين ، الذين ارتضاهم الله تبارك وتعالى واصطفاهم لأفضل رسله ، وأفضل خلقة ، وأعظِم بها من شهادة ، لمشهود عظيم .

ولقد جاء بالبلاغ من الله تعالى ، إذ يقول سبحانه (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) ، [٢] وقال تعالى (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ، [٣] وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [٤] فكان من أعظم الناس بلاغاً وأفصحهم بياناً.

قال شيخ الإسلام : " ومعلوم أنه قد بلغ الرسالة كما أمر ولم يكتم منها شيئاً ،فإن كتمان ما أنزله الله إليه يناقض موجب الرسالة ،كما أن الكذب يناقض موجب الرسالة ، ومن المعلوم من دين المسلمين أنه معصوم من الكتمان لشيء من الرسالة كما أنه معصوم من الكذب فيها ، والأمة تشهد له بأنه بلغ الرسالة كما أمره الله وبين ما أنزل إليه من ربه ، وقد أخبر الله بأنه قد أكمل الدين ، وإنما كمل بما بلغه إذ الدين لم يعرف إلا بتبليغه فعلم أنه بلغ جميع الدين الذي شرعه الله لعباده " . [٥]

فعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية τ يقول وعظنا رسول الله موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقلنا : يا رسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا قال : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وعليكم بالطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنما المؤمن كالجمل الأنف حيثما قيد انقاد) وعن عبد الرحمن بن عمرو عن العرباض بن سارية قال : (صلى بنا رسول الله صلاة الصبح ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة فذكر نحوه) [٦]

قال أبو ذرτ (لقد تركنا محمد ρ وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا أذكرنا منه علماً) [٧] ،فلا طريق يوصل إلى الله ، إلا ما شرع الله أو جاء عن رسول الله ، فالشرع ما قال به وعمل ، والدين ما جاء عنه ، لأنه هو المبلغ عن الله تعالى ، فلا طريق إلا طريقه ، ولا سبيل إلا سبيله ، ولا هدي إلا هديه .

قال ابن القيم رحمه الله : " وإذا كانت سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما

---

(1) رواه مسلم ، في كتاب الحج ، باب حجة النبي ، برقم ٢١٣٧ .
(2)سورة العنكبوت ، آية : ١٨ .
(3) سورة النحل ، آية ٤٤ .
(4) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(5) مجموع الفتاوى ، ج ٥ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .
(6) رواه ابن ماجة في سننه (المقدمة) ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، برقم ٤٣ . وأحمد في مسنده ، باب حديث العرباض بن سارية عن النبي ، برقم ١٦٥١٩ . قال الألباني رحمه الله : صحيح . أنظر السلسة الصحيحة ، ج ٢ ، ص ٦١٠ ، برقم ٩٣٧ و صحيح ابن ماجة ، ج ١ ، ١٣ ، و ظلال الجنة ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
(7) رواه أحمد في مسنده ، مسند الأنصار ψ ، حديث أبي ذر الغفاري τ ، برقم ٢٠٣٩٩ . وهو مما انفرد به أحمد . وانظر : تعليق شعيب الأرنؤوط ، على المسند ، ج ٥ ، ص ١٥٣ ، وقال : حديث حسن ، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أشياخ منذر .

يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم " . [١]

وقد بلَّغ النبي هذا الدين أعظم بلاغ ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فما كتم ، ولا غير ، ولا بدل ، إنما هو الأمين على دين الله ، الحفيظ لما استرعاه ، (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) [٢] ، فما ترك ساعة من ليل أو نهار إلا وأنفقها في سبيل دعوته ، يعيش قضيته ، ولها يحيى ، قال الله تعالى (لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [٣]

وقد حفظ الله دينه وحفظ نبيه ، وأيده ، ونصره ، وأعانه ، بكل ما احتاج لدعوته ، ليبلغ دين ربه سبحانه (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) [٤]

وقد عصمه الله في التبليغ ، فقال تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى . إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) [٥] ، فما نطق به فهو وحي من الله ، قال شيخ الإسلام : " فنفى الهوى وأثبت العلم الكامل وهو الوحي فهذا كمال العلم وذاك كمال القصد " [٦]

وعن عبد الله بن عمرو τ قال : كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله أريد حفظه ، فنهتني قريش ، فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ورسول الله ρ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك لرسول الله ρ فقال : (أكتب فولذي نفسي بيده ما خرج مني إلا حق) [٧]

وهذا مما يدل على عصمته في كل أمر بلغه عن ربه تعالى ، كما أنها شهادة وتزكية من الله لرسوله على سلامة دينه ، ونقاء شرعة ، وصفاء ملته .

وهذه العصمة وذاك الحفظ إنما يدخل فيه القرآن دخولاً أوليّاً ، قال الله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [٨] ، وهو الذي نزل به الروح الأمين υ على رسوله الكريم ، (نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ) [٩] .

وإن من الحفظ حفظ الدين وقيامه وظهور شرائعه وتطبيق حدوده وامتثال أوامره ، فعن ثوبان τ قال : قال رسول الله (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك) [١]

---

(1) زاد المعاد ، ج ١ ، ص ٦٨ .
(2) سورة النحل. ، آية : ٨٢ .
(3)سورة التوبة ، آية : ١٢٨ .
(4)سورة المائدة ، آية ٦٧ .
(5) سورة النجم ، الآيتان : ٣ ، ٤ .
(6)مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ٥٤٥ . قال ابن القيم : " ولم يقل وما ينطق بالهوى لأن نطقه عن الهوى أبلغ فإنه يتضمن أن نطقه لا يصدر عن هوى وإذا لم يصدر عن هوى فكيف ينطق به فتضمن نفي الأمرين نفي الهوى عن مصدر النطق ونفيه عن نفسه : فنطقه بالحق ومصدره الهدى والرشاد لا الغي والضلال " . التبيان في أقسام القرآن ، ص ١٥٣ .
(7) رواه أبو داود في العلم ، باب في كتاب العلم ، برقم ٣١٦١ ، وقد صححه الحاكم ، أنظر : تخريج أحاديث الإحياء ، ج ٢ ص ٢٨٤ ، وكذلك الألباني في سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٣٤٢ . ورواه أحمد في مسنده ، برقم ٦٢٢١ . وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين ، غير الوليد بن عبدالله ، ج ٢ ، ص ١٦٢ ، ١٩٢ .
(8) سورة الحجر ، آية : ٩ .
(9) سورة الشعراء ، الآيتان : ١٩٣ ، ١٩٤ .

فلا يزال الناس في جمع من أهل الحق والسنة يهديهم الله ويهدي بهم غيرهم ويحيي بهم السنن ، وهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الاختلاف فقال (وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللّهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (٢) (٣)

قال ابن قدامة رحمه الله :" فإن نبينا أخبرنا أن في آخر الزمان تكثر البدع وتموت السنن ويغرب الدين وأن الدنيا لا تزداد إلا إدباراً وأنه يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً وأنه يقل أهل الحق إلا أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم " . (٤)

إذا تبين هذا فقد وجب على كل مسلم تصديقه فيما أخبر به عن الله تعالى من أسماء الله وصفاته مما جاء فى القرآن وفى السنة الثابتة عنه ،كما كان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان الذين ψ ورضوا عنه فان هؤلاء هم الذين تلقوا عنه القرآن والسنة وكانوا يتلقون عنه ما في ذلك من العلم والعمل . (٥)

وتزداد أهمية هذا الأمر أن الإقرار به إيمان ، وإنكاره أو إنكار شيء ، أو الشك في صدقه كفر وردة ، لأنه تكذيب لصريح القرآن ، ومناف لأصل الإيمان به ، نسأل الله العافية والسلامة .

المطلب الثاني : وجوب طاعته والاستجابة لأمره ونهيه .

وهذا الحق هو من أجل الحقوق وأعظمها ، إذ هو دليل الإيمان بالرسول والتصديق به ، وهو ثمرة الرسالة ، ولب الدعوة ، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا) (٦)

فهو المشهود له من رب العالمين بأنه الداعي إليه بإذنه ، كما قال تعالى (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) (٧)وأنه على الصراط المستقيم ، قال الله تعالى (فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (٨) وأنه يهدي إلى الصراط المستقيم قال تعالى (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (٩) ، كما بين سبحانه أن طاعته طاعة له ، فقال تعالى (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) (١٠)

---

(1) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب قوله (لا تزال طائفة ...) ، برقم ٣٥٤٤ ، ٣٥٤٧ ، ٣٥٤٨ ، وانظر : كتاب الإيمان ، باب نزول عيسى υ حاكماً بشريعة نبينا ، برقم ٢٢٥ ، من حديث معاوية ، بلفظ : (سمعت رسول الله يقول لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) . قال ابن الجوزي : انفرد به مسلم ، أنظر : تلبيس إبليس ، ص ٢٧ . وانظر : عون المعبود ، ج ١١ ، ص ٢١٩ . وتحفة الأحوذي ، ج ٦ ، ص ٤٠١ .

(2) سورة البقرة ، آية : ٢١٣ .

(3) أنظر : شرح السنة ، للبربهاري ، ص ٤٤ .

(4) حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة ، لابن قدامة المقدسي ، ص ٣٥ .

(5) للاستزادة ، أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٥ ، ص ٥٨٢ .

(6) سورة النساء ، آية : ٦٤ .

(7)سورة الأحزاب ، آية : ٤٦ .

(8) سورة الزخرف ، آية : ٤٣ .

(9)سورة الشورى ، آية : ٥٢ .

(10) سورة النساء ، آية : ٨٠ .

قال شيخ الإسلام : " والرسول   له حق لا يشاركه فيه احد من الأمة مثل وجوب طاعته فى كل ما يوجب ويأمر ..،ولهذا كانت مبايعته مبايعة لله كما قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ) (1) ، فإنهم عاقدوه على أن يطيعوه فى الجهاد ولا يفروا وإن ماتوا وهذه الطاعة له هى طاعة لله " . (2)

كما بين سبحانه في مواضع أخرى اقتران طاعته   بطاعته سبحانه قال تعالى (قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (3) وقال(وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (4) وقال تعالى (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (5)

ولذا لا يمكن أن تكون للمرء سعادة في الدنيا ولا نجاة له في الآخرة إلا أن يسلك طريقه ، ويتبع هديه ، ويستقيم على أمره ، فهذا كله معلق بطاعته . وهو من أكثر الحقوق التي دعاء إليها القرآن الكريم ، قال تعالى (.. فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) (6)

قال شيخ الإسلام : " فإنما طاعته بإتباع ما في القرآن مما أوجبه الله و حرمه و كذلك ما أوجبه الرسول و حرمه بسنته فإن القرآن قد بين وجوب طاعته و بين أن الله أنزل عليه الكتاب و الحكمة وقال لأزواج نبيه (وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ) " (7) ، (8) ،فطاعته ورسالته هدى ، كما قال تعالى (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (9) ، وهي العروة الوثقى ، وأصحابها هم أولياء الله ، الذين فازوا بالمرغوب ، ونجوا من المرهوب ، وهذا هو الفلاح .

أما المخالفون ، والمعاندون ، والمتكبرون ، أصحاب الخسارة ، والندامة ، فهم أعداء الرسل ، رأسهم أبليس ، وذيلهم خسيس (10) .

قال تعالى في بيان حال أعداء الرسول (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا . لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي

---

(1) سورة الفتح ، آية : ١٠ .
(2) مجموع الفتاوى ، ج ٢٧ ، ص ٤٢٥ . وقال رحمه الله : " فبحمد تبين الكفر من الإيمان والربح من الخسران والهدي من الضلال والنجاة من الوبال والغي من الرشاد والزيغ من السداد وأهل الجنة من أهل النار والمتقون من الفجار وإيثار سبيل من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من سبيل المغضوب عليهم والضالين ". مجموع الفتاوى ، ج ١ ، ص ٥ .
(3) سورة آل عمران ، آية : ٣٣ .
(4) سورة آل عمران ، آية ١٣٢ .
(5) سورة النور ، آية : ٥٤ .
(6)سورة الأنفال ، آية : ١ .
(7) سورة الأحزاب ، آية : ٣٤.
(8) مجموع الفتاوى ، ج ١٦ ، ص ١٤٩.
(9)سورة التوبة ، آية : ٣٣ .
(10) قال ابن منظور : " الخَساسَةُ مصدرُ الرجل الخَسِيس البَيِّن الخَساسَة والخَسِيسُ الدنيء ... وشيء خَسِيسٌ وخُساسٌ ومَخْسُوسٌ تافه ورجل مَخْسُوسٌ مَرْذُول ... والخَسِيسُ الكافر " أنظر : لسان العرب ، ج ٦ ، ٦٤ . وقال صاحب القاموس في الدَّنِيءُ : الخَسِيسُ الخَبِيثُ البَطْنِ والفَرْجِ الماجِنُ كَالدَّانِيءِ " وقال " خَسيساً دَنيئاً حَقيراً " . أنظر القاموس المحيط ، ص ٥٠ ، ٦٩٧ .

وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا) [١] وقال تعالى (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا . رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا) [٢]

والمتمعن في دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام يجد أن التشابه واضحاً ، ونقاط الالتقاء والتوافق كبيرة جداً ، فمن ذلك :

١ـ أن جميع الأنبياء قد بُعثوا من أجل إعلاء كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، والتي من أجلها كابدوا أقوامهم وجاهدوا أهل الباطل ، وهي أصل دعوة الرسل ، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) [٣] وقال تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) . [٤] ، [٥]

٢ـ الأمر بطاعة الرسل الذي أُرسل إليهم ، والتحذير من مخالفة أمره ، لأنه مرسل من رب العالمين قال تعالى (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَاحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاَغُ الْمُبِينُ) [٦] وقال تعالى (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [٧] وقال تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [٨] وقال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ) [٩] .

٣ـ تذكير أقوامهم بنعم الله وآلائه ، وهي من أهم العوامل المؤثرة ، والتي تؤدي إلى الإيمان ، قال الله تعالى (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [١٠] وقال تعالى (وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) [١١] وقال تعالى (وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللّهِ فَأَذَاقَهَا اللّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ) [١٢]وقال تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا

(1) سورة الفرقان ، الآيات : ٢٧ـ ٢٩ .
(2) سورة الأحزاب ، الآيات : ٢٦ ـ ٦٨ .
(3) سورة الأنبياء ، آية : ٢٥ .
(4) سورة النحل ، آية : ٣٦ .
(5) للاستزادة أنظر : كشف الشبهات ، ص ٣٦ . والصراع بين الحق والباطل ، كما جاء في سورة الأعراف ، لعادل أبو العلا ، ص ٦١٨ .
(6) سورة المائدة ، آية : ٩٢ .
(7) سورة النور ، آية : ٥٤ .
(8) سورة النور ، آية : ٥٦ .
(9) سورة محمد ، آية : ٣٣ .
(10)سورة الأعراف ، آية : ٦٩ .
(11) سورة الأعراف ، آية : ٧٤ .
(12) سورة النحل ، آية : ١١٢ .

قَوْمِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاء وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّن الْعَالَمِينَ) [(١)] .

٤ـ التحذير من الضلال وعاقبته الوخيمة (قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدِّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) [(٢)] وقال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [(٣)] وقال سبحانه (فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لاَّ تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ)[(٤)]، وغيره مما اشتملت عليه دعوة الرسل .

ويمكن أن نُجمل هذا التشابه في دعوة الرسل من خلال استعراض الآيات الكريمات من سورة الشعراء ، والتي تظهر هذا الأمر جلياً وواضحاً ، من خلال سردها لبعض دعوات الرسل ، وهم : موسى ، وإبراهيم ، نوح ، هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، عليهم الصلاة والسلام .

ففي شأن نوح عليه السلام وما حدث مع قومه بيان لدعوته لهم ، وذكر لحال المعاندين له ولدينه ، قال الله تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ. قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ . قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ .إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ. وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ . إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [(٥)]

وقال الله تعالى حكاية عن قوم عاد ، وما جرى بين نبي الله هود وبين قومه (كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) [(٦)]

وفيها ما جرى بين صالح عليه السلام وقومه إذ يقول الله تعالى (كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ) [(٧)]

ثم قصة لوط عليه السلام مع قومه ، حينما قال الله تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ . وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) [(٨)]

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٢٠ .
(2) سورة الأنعام ، آية : ١٣٥ .
(3) سورة الأعراف ، آية : ٥٩ .
(4) سورة الأعراف ، آية : ٧٩ .
(5) سورة الشعراء ، الآيات : ١٠٥ ـ ١١٥ .
(6) سورة الشعراء ، الآيات : ١٢٣ ـ ١٣١ .
(7) سورة الشعراء ، الآيات : ١٤١ـ ١٥٢ .
(8) سورة الشعراء ، الآيات : ١٦٠ ـ ١٦٦ .

ولعل من اللافت للناظر في الآيات أنه يلحظ ما بينها من التشابه والتكرار ، كما في قوله تعالى (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ) وقوله تعالى (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ) ، عند ذكر قصة كل نبي مما ذكر آنفاً ، مما يعني أن له دلالة معينة ، ومغزى مراد ، ربما أوحى بوجه ما إلى التشابه والتوافق في أصل الدعوة وأصل الرسالة ، وهو توحيد الله تعالى ، والله أعلم .

إذا كان كذلك فإن الخير كل الخير في سلوك الطريق المستقيم ، والطريق القويم ، كما قال تعالى (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ) [1]، والمنُعَم عليهم هم المذكورون في قوله تعالى (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا . ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيمًا)[2]

ولذا فإن الله تعالى يحذر عباده من تنكب الصراط السوي ، وركوب السبل المضلة ، قال تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [3] .

ولعل من المناسب أن أذكر طرفاً من نصوص الكتاب والسنة ، التي تأمر بطاعة الرسول والاستجابة لأمره ونهيه ، ولزوم سنته ، والحذر مما خالفها ، أو عارضها ، أو لم يُسْلِمَ لها وعاقبة ذلك .

إن المتأمل في كتاب الله تعالى يرى أن الآيات التي جاء الأمر بها بطاعة الرسول كثيرة جداً ، إذ هي البرهان على الإيمان بالرسول ، وبدعوته .

قال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد : " نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاثة و ثلاثين موضعاً ثم جعل يتلو : (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) " [4] ، [5]

وقال شيخ الإسلام ـ في أكثر من موضع ـ : " وقد ذكر الله طاعة الرسول واتباعه في نحو من أربعين موضعاً من القرآن " [6] ، فمن ذلك :

١ـ قال تعالى (قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) [7]

٢ـ قال تعالى (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [8]

٣ـ قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) [9]

٤ـ قال تعالى (وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) [10]

---

(1) سورة الفاتحة ، آية : ٧ .
(2) سورة النساء ، الآيتان : ٦٩ ، ٧٠ .
(3) سورة الأنعام ، آية : ١٥٣ .
(4) سورة النور ، آية : ٦٣ .
(5) الصارم المسلول ،ج ٢ ص ١١٦ . وانظر : تيسير العزيز الحميد ، ص ، ٤٨٣ .
(6) مجموع الفتاوى ، ج ١ ، ص ٤ ، و ج ١٩ ، ص ٨٣ ، ٢٦١ .
(7) سورة آل عمران ، آية : ٣٢ .
(8) سورة آل عمران ، آية : ١٣٢ .
(9) سورة النساء ، آية : ٦٩ .
(10) سورة النور ، آية ٥٢ .

من الواضح أن هذه الآيات قد قرنت بين طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ، فرتب الله سبحانه طاعة الرسول بعد طاعته ، فهي ملازمة لها ولا تنفك عنها ، بل هما شيء واحد .

٥- قال تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (١)

٦- قال تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (٢)

٧- قال تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (٣)

يقول ابن كثير : " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل " (٤) ، لذا فإن الأصل في أفعال الرسول وأقواله أنها للتأسي والاتباع ،وكذلك ما قبلها من الآيات قد اشتملت على الأمر بطاعة الرسول ، واتباعه ، والأخذ بشرعه ، إذ هو القدوة الأعلى والأسوة المثلى .

٨- قال تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) (٥)

٩- قال تعالى (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (٦)

١٠- قال تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) (٧) قال ابن كثير : " فهذه الآية

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٥٨ .

(2) سورة الحشر ، آية : ٧ . قال ابن قتيبة رحمه الله - في معنى الآية - : "مما ليس في القرآن أو مما ينسخ القرآن فاقبلوه ، قال أبو محمد والسنن عندنا ثلاث : الأولى : سنة أتاه بها جبريل υ عن الله تعالى كقوله لا تنكح المرأة على عمتها وخالتها ويحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وأشباه هذه من الأصول ، والسنة الثانية : سنة أباح الله له أن يسنها وأمره باستعمال رأيه فيها فله أن يترخص فيها لمن شاء على حسب العلة والعذر ، كتحريمه الحرير على الرجال وإذنه لعبد الرحمن بن عوف فيه لعلة كانت به ، والسنة الثالثة : ما سنه لنا تأديباً فإن نحن فعلناه كانت الفضيلة في ذلك وإن نحن تركناه فلا جناح علينا إن شاء الله كنهيه عن لحوم الجلالة وكسب الحجام" . أنظر : تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ، ص ١٩٦ ، ١٩٨ .

(3) سورة الأحزاب ، آية : ٢١.

(4) تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٦٢٦ .

(5) سورة النساء ، آية : ٦٥ .

(6) سورة النور ، آية : ٥١ .

(7) سورة الأحزاب ، آية : ٣٦ .قال القرطبي : " لفظ (ما كان) و (ما ينبغي) ونحوهما معناها الحظر والمنع فتجيء لحظر الشيء والحكم بأنه لا يكون كما في هذه الآية وربما كان امتناع ذلك الشيء عقلاً كقوله تعالى : (ما كان لكم أن تنبتوا شجرها) سورة النمل ، آية : ٦٠ ، وربما كان العلم بامتناعه شرعاً كقوله تعالى : (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) آل عمران، آية : ٧٩ ، وربما كان في المندوبات كما تقول : ما كان لك يا فلان أن تترك النوافل ونحو هذا " . أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٤ ،ص ١٦٥ .

عامة في جميع الأمور وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول " . [١]

وهذه الآيات بجملتها تفيد التسليم التام والرضا الكامل لأمر الله تعالى و أمر رسوله ، فلا خيار ولا تردد ، إنما هو الانقياد والطاعة ، وأن نقول : سمعنا وأطعنا ، وهي حال المؤمن .

أما السنة النبوية فقد تواترت نصوصها في الحث على طاعته واتباعه ، والأخذ بهديه ، والاستنان بسنته ، وتعظيم أمره ونهيه ، فمن ذلك :

١- عن أبي هريرة τ عن النبي قال (من أطاعني فقد أطاع الله ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني) [٢]

٢- عن أبي هريرة τ أن رسول الله قال (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى) ،قالوا يا رسول الله : ومن يأبى ؟ ،قال : (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى) [٣]

٤- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، يقول (جاءت ملائكة إلى النبي وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثلا فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس) [٤]

كل هذه النصوص وغيرها تأمر بطاعة الرسول ، وامتثال أمره ونهيه ، والأخذ بهديه ، والبعد عن معصيته ، كما أن طاعته هي علامة صدق محبته ، قال تعالى (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [٥]

قال ابن القيم : " فجعل سبحانه متابعة رسوله سبباً لمحبتهم له وكون العبد محبوباً لله أعلى من كونه محباً لله فليس الشأن أن تحب الله ولكن الشأن أن يحبك الله فالطاعة للمحبوب عنوان محبته ، كما قيل :

تعصي الإله وأنت تزعم حبه *** هذا محال في القياس بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته *** إن المحب لمن يحب مطيع فصل " [٦]

وفي هذه الطاعة والتسليم من الخير والنعيم الشيء العظيم ، فحياة القلب ، وانشراح الصدر ، وطمأنينة النفس ، وراحة البال ، وعلى قدر هذه الطاعة والاستجابة تكون هذه الأمور أعظم في نفس المؤمن وفي بدنه وأهله وماله .

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٦٤٥ .
(2) رواه مسلم ، في كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمير في غير معصية وتحريمها ، برقم ٣٤١٧ .
(3)رواه البخاري ، في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بسنن رسول الله ρ ، برقم ٦٧٣٧
(4) سبق تخريجه ، أنظر ص ٧٠ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ٣١ .
(6) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن القيم ، ص ٢٦٦ . والأبيات لابن المبارك رحمه الله ، أنظر : إحياء علوم الدين ، للغزالي ، ج ٤ ص ، ٣٣١ .

وفي المقابل ما ينتج عن مخالفة أمر الرسول ، وعصيانه ، والبعد عن سنته ، من أن يحول الله بينه وبين قلبه ، فلا يهتدي للخير والطاعة كما كان ، قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) [1] ، ولذا فإن الرسول قد استعاذ من الضلال بعد الهدى ومن الحور بعد الكور ،كما في حديث عبد الله بن سرجس τ قال (كان إذا سافر يتعوذ من وعثاء السفر وكآبة المنقلب والحور بعد الكون ودعوة المظلوم وسوء المنظر في الأهل والمال) [2] أو أن يضل فلا يسعد بعدها أبداً قال تعالى (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [3]

نسأل الله تعالى حسن الاتباع ، ونعوذ به من كآبة المنقلب ،ومن الحور بعد الكور .

المطلب الثالث : وجوب محبته [4] .

(1) سورة الأنفال ، آية : ٢٤ .

(2)رواه مسلم في كتاب الحج ، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج أو غيره ، برقم ٢٣٩٣ . ورواه الترمذي ، في كتاب الدعوات ، باب ما يقول إذا خرج مسافراً ، برقم ٣٣٦١ ، قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح ويروى (الحور بعد الكور) ومعنى قوله : الحور بعد الكون ، أو الكور وكلاهما ، له وجه يقال إنما هو الرجوع من الإيمان إلى الكفر ، أو من الطاعة إلى المعصية إنما يعني من الرجوع من شيء إلى شيء من الشر ،وافق ابن ماجة في روايته الترمذي في لفظ (الكور) خلافاً لمسلم ، أنظر : سنن ابن ماجة ، كتاب الدعاء ، باب باب ما يدعو به الرجل إذا سافر ، برقم ٣٨٧٨ وكلها من رواية عبد الله بن سرجس ، قال الألباني : صحيح ، أنظر :مشكاة المصابيح ، للتبريزي ، ج ٢ ، ٥١٤ . وتمام المنة في التعليق على فقه السنة ، ص ١٣١ .

(3)سورة القصص ، آية : ٥٠ .

(4) قال ابن منظور : الحُبُّ نَقِيضُ البُغْضِ . لسان العرب ، ج ١ ، ص ٢٨٩ . وقال الفيروز أبادي : الحُبُّ : الوِدادُ ، والحَبِيبُ : المُحِبُّ . القاموس المحيط ، ص ٩٠ . وأنظر : مختار الصحاح ، ص ١٩٧ .
يقول ابن القيم : وهذه المادة - حب - تدور في اللغة على خمسة أشياء :
أحدها : الصفاء والبياض ومنه قولهم لصفاء بياض الأسنان ونضارتها : حبب الأسنان .
الثاني: العلو والظهور ، ومنه حبب الماء وحبابه ، وهو ما يعلوه عند المطر الشديد وحبب الكأس منه .
الثالث: اللزوم والثبات ، ومنه حب البعير وأحب إذا برك ولم يقم قال الشاعر : حلت عليه بالفلاة ضربا *** ضرب بعير السوء إذ أحبا
الرابع : اللب ، ومنه حبة القلب للبه وداخله ومنه الحبة لواحدة الحبوب إذي أصل الشيء ومادته وقوامه .
الخامس : الحفظ والإمساك ، ومنه حب الماء للوعاء الذي يحفظ فيه ويمسكه وفيه معنى الثبوت أيضاً .
ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة فإنها صفاء المودة وهيجان إرادات القلب للمحبوب وعلوها وظهورها منه لتعلقها بالمحبوب المراد وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها لزوماً لا تفارقه ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه ولاجتماع عزماته وإرداته وهمومه على محبوبه . وعند التتبع رأيت بأنه قد أوصل اشتقاق ومعاني أصل كلمة (حب) إلى قريباً من ثمانية معان . فاجتمعت فيها المعاني الخمسة ،ووضعوا لمعناها حرفين مناسبين للمسمى غاية المناسبة :
أ - (الحاء) : التي هي من أقصى الحلق .
ب -(الباء) : الشفوية التي هي نهايته .
فللحاء الابتداء وللباء الانتهاء ، وهذا شأن المحبة وتعلقها بالمحبوب فإن ابتداءها منه وانتهاءها إليه وقالوا في فعلها : (حبه) و (أحبة) .
ثم اقتصروا على اسم الفاعل من (أحب) فقالوا : محب ولم يقولوا : حاب ، واقتصروا على اسم المفعول من (حب) فقالوا : محبوب ، ولم يقولوا : محب ، إلا قليلاً كما قال الشاعر : ولقد نزلت فلا تظني غيره *** مني بمنزلة المحب المكرم
وللاستزادة أنظر : روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٧، ١٨ . ومدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ج ٣ ، ص ٩ ، ١٠ . وكلاهما لابن القيم .

إن محبة الرسول ﷺ أصل عظيم من أصول الدين ، فلا إيمان لمن لا يحب رسول ﷺ من شغاف قلبه ، فهو ﷺ السبب في الخير العميم ، والسعادة الوفيرة ، والراحة الكبيرة ، الذي يرفل وينعم به المؤمن .

وهو ﷺ السبب في الهداية للإيمان ، والإنقاذ من العمى والضلال ، وهو النور الذي أخرج بواسطته الناس من الظلمات إلى النور ، عرّف الناس بربهم وخالقهم ، وأمرهم بعبادته ونهاهم عن الشرك وكل ما يشين ، بصرنا بطريق الخير ، وحذرنا من الشر ، نهانا أن نسلك سبل الشيطان ، أو أن نزل عن الصراط المستقيم ، أحلَّ الطيبات ، وحرم الخبائث ، ورفع الآصار والأغلال التي أثقلت من سوانا ، عرّف الناس بربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة ، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف ، لا إلى من قبله ، ولا إلى من بعده ، بل كفاهم ، وشفاهم ، وأغناهم (أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [1] ، خيره عميم ، ونفعه مستديم ، لين الجانب ، صاحب الخلق العظيم ، سعادة الدنيا وفلاح الآخرة في اتباع طريقه وشرعه .

والمؤمن وهو يرى هذه الخصال والصفات الجزيلة ، والخصائص العظيمة ، والمنح الكريمة ، والفضائل الكبيرة ، التي وهبها الله سبحانه لرسوله كرماً وفضلاً ، يتلذذ بحبه ﷺ ، ويجد طعم الإيمان ، ويتعبد الله بها بعد حبه لربه سبحانه .

يقول ابن رجب رحمه الله : " لا تتم شهادة أن لا إله إلا الله إلا بشهادة أن محمداً رسول الله ، فإنه إذا علم أنه لا تتم محبة الله إلا بمحبة ما يحبه وكراهة ما يكرهه فلا طريق إلى معرفة ما يحبه وما يكرهه إلا من جهة محمد المبلغ عن الله ما يحبه وما يكرهه باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه فصارت محبة الله مستلزمة لمحبة رسوله ﷺ وتصديقه ومتابعته ولهذا قرن الله بين محبته ومحبة رسوله في قوله تعالى (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [2] " [3] .

قال القاضي عياض : " فكفى بهذا حضاً و تنبيهاً و دلالة و حجة على إلزام محبته و وجوب فرضها و عظم خطرها و استحقاقه لها ﷺ إذ قرّع تعالى من كان ماله و أهله و ولده أحب إليه من الله و رسوله و أوعدهم بقوله تعالى : (فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ) [4] ، ثم فسقهم بتمام الآية و أعلمهم أنهم ممن ضل و لم يهده الله " . [5]

وإذ كانت المحبة أصل من أصول الدين [6] ـ كما ذكرنا آنفاً ـ فكذلك كمال الدين يكون كاملاً بقدر كمالها ، وقيامها في قلب العبد ، وكذا نقصها يكون نقصه بقدر نقصها في قلبه ، وكمال المحبة هو بالعبودية والذل والخضوع والطاعة للمحبوب سبحانه ، فغاية خلق الناس

---

(1) سورة العنكبوت ، آية : ٥١ .
(2) سورة التوبة ، آية : ٢٤ .
(3) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، لابن رجب ، ص ٣٣ .
(4) سورة التوبة ، آية : ٢٤ .
(5) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، ج ٢ ، ص ١٧ .
(6) ولذا فإن بعض الأئمة رحمهم الله قد عقدوا في كتبهم باباً ، وقالوا : (باب حب النبي ﷺ من الإيمان) . أنظر مثلاً : فتح الباري ج ١ ، ص ٥٧ . و عمدة القارئ ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، ١٤٢ ، ٢٨٣ ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ . وغيرهما .

عبادة لله وحده لا شريك له ، والتي هي أعظم وأشرف مقامات المحبة والخضوع والذل له سبحانه وتعالى ، كما قال سبحانه (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (١)

قال ابن القيم : " والحق الذي خلق به ولأجله الخلق هو عبادة الله وحده التي هي كمال محبته والخضوع والذل له ولوازم عبوديته من الأمر والنهي والثواب والعقاب ولأجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار والسماوات والأرض إنما قامت بالعدل الذي هو صراط الله الذي هو عليه وهو أحب الأشياء إلى الله تعالى ...، فهو على صراط مستقيم في شرعه وقدره وهو العدل الذي به ظهر الخلق والأمر والثواب والعقاب وهو الحق الذي به وله خلقت السماوات والأرض وما بينهما...، فالغايات المحمودة في أفعاله هي الحكمة التي يحبها ويرضاها وخلق ما يكره لاستلزامه ما يحبه وترتب المحبوب له عليه... ،ولذلك يترك سبحانه فعل بعض ما يحبه لما يترتب عليه من فوات محبوب له أعظم منه أو حصول مكروه أكره إليه من ذلك المحبوب ...ولأجل هذا خلق الموت والحياة وجعل ما على الأرض زينة لها قال تعالى (الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (٢) وقال (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) (٣) ، (٤)

ومن الامتحان لمن يزعم حب الله تعالى ، قوله سبحانه (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (٥) ، فجعل الاتباع هو العنوان للمحبة الحقة .

قال ابن كثير : " هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله وأحواله كما ثبت في الصحيح عن رسول الله أنه قال (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) (٦) ولهذا قال : (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ) أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول كما قال بعض العلماء الحكماء : ليس الشأن أن تُحِب إنما الشأن أن تُحَب وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية " . (٧)

وإذ أردت أن تعرف المحبة الحقيقية لرسول الله ، فانظر إلى أصحابه الكرام ψ فهم النموذج الصحيح في محبته ، وتوقيره ، وتعظيمه ، وهنا أذكر طرفاً ماتعاً من مواقفهم مع حبيبهم ، لترى كيف هم يحبونه ، ويعظمونه :

النموذج الأول : قصة عروة الثقفي τ ، عندما كان مشركاً ، وفاوض النبي في صلح الحديبية ، وقد رأي شيئاً ما رآه من أصحابه ψ ، وإليك نصه :

---

(1)سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .
(2) سورة الملك ، آية : ٢ .
(3)سورة الكهف ، آية : ٧ .
(4)روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ص ٥٩ ، ٦٠ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ٣١ . قال ابن رجب : "فجعل الله علامة الصدق في محبته اتباع رسوله فدل على أن المحبة لا تتم بدون الطاعة والموافقة ". كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، ص ٣٣ . أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٤٧٧ . وجامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٣ ، ص ٢٣١. وجامع العلوم والحكم ، ص ٧٥ .
(6) رواه البخاري في كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، برقم ٢٤٩٩ . ومسلم في كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور ، برقم ٣٢٤٢ و٣٢٤٣ .
(7)تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٤٧٧ .

عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا (... خرج رسول الله زمن الحديبية حتى إذا ثمَّ إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول الله نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدَلَكَ بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً له وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ...) [١]

النموذج الثاني : قصة أنس بن النضر τ ، في غزوة أحد ، عندما انشغل بعض المسلمين بجمع الغنائم ، واستغل خالد بن الوليد τ ذلك قبل إسلامه ، فاستدار حولهم ، وعاد المشركون إلى ساحة القتال بعدما هربوا وانهزموا بنسائهم ، فأحاطوا بالمسلمين ، وارتبك المسلمون إلى الحد الذي لم يقدر أن يميز بعضهم المسلم من الكافر ، حتى قتل فيها اليمان والد حذيفة، وغاب النبي عن أعينهم وشاع أنه قتل .

وعند ساعة الصفر تقدم البطل أنس بن النضر τ ، وثبت مع من ثبت من الصحابة ψ ، فقال أنس (الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد) ، وعندما انجلت الغمة وجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة ورمية وطعنة ، ولم يعره أحد إلا أخته الرُّبيّع ، عرفته ببنانه ، وقد أرسل الرسول زيد بن ثابت بعد المعركة ليتفقده ، فوجده وبه رمق ، فرد سلام الرسول ، ثم قال : (أجدني أجد ريح الجنة ، وقل لقومي من الأنصار : لا عذر لكم عند الله أن يخلص إلى رسول الله وفيكم شفر يطرف) ودمعت عيناه . ونزلت فيه وفي أمثاله من المجاهدين الصادقين قوله تعالى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّـهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا) [٢] ، [٣]

النموذج الثالث : قصة عمرو بن العاص τ ، فعن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فبكى طويلاً وحول وجهه إلى الجدار فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله بكذا أما بشرك رسول الله بكذا قال فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، إني كنت على أطباق ثلاث لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله مني ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي فقلت : ابسط يمينك فلأبايعك فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدي قال : (ما لك يا عمرو) قال : قلت أردت أن أشترط قال : (تشترط بماذا) قلت أن يغفر لي (أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله) وما كان أحد أحب إلي من

(1) وهو من الأحاديث الطوال ،وهذا جزء منه ، وهو الشاهد مما أريد ، وقد رواه البخاري ، في كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب ، برقم ٢٥٢٩ ، وفي كتاب الوضوء ، باب استعمال فضل وضوء الناس ، برقم ١٨٢ .

(2) سورة الأحزاب ، آية : ٢٣ .

(3) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة تحليلية ، للدكتور مهدي رزق الله ، ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ .وأصل القصة في الصحيحين ، فقد رواها البخاري في الجهاد والسير ، باب قوله تعالى (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا ...) برقم ٢٥٩٥ ، ومسلم في في الإمارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد ، برقم ٣٥٢٣ .

رسول الله ولا أجل في عيني منه وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي ...) (١)

وحب النبي ليس مجرداً عن الحقيقة ، كلمة نتشدق بها دون إدراك لمعناها ، وعملاً بمقتضاها ، كلا بل هي ذات مدلول ومعنى (٢)، فهي إيمان وعمل يقود إلى اعتقاد محبته وتوقيره على ما سواه ، وبغض ما أبغضه مما سواه ، والشهادة له ، كما يدفع إلى العمل الصحيح الموافق لكتاب الله تعالى وسنته .

ومع قيام هذه العبادة في قلب المؤمن ، واستشعاره بطعم الإيمان وتلذذه به ، إلا أن نوره قد يخبو أحياناً ، ويغيب أحياناً أخرى ، كما هو حال النفوس بين الإقبال والإدبار ، عند ذلك قد تغشى المرء معصية ، حينما يستجيب لداعي الشهوة ، فيغفل ساعة ، فتغيب عنه تلك المعاني وينسى ، ولكن المؤمن دائم التيقظة ، سريع الإنابة ، يرجع ، ويستكين ، ثم يلين ، ويعود مستغفراً ربه ، وهذا لا ينفي عنه الإيمان والحب لله ورسوله ، ولكن بقدر النقص ينقص كماله في قلبه . (٣)

وقد رأيت أن بعضهم قد توسع في تقسيمات المحبة ، ومسبباتها ، ونواتجها ، إلا أنني أحببت أن أقتصر على ما ذكر شيخ الإسلام ، حيث يقول : ومحبة الله ورسوله علي درجتين واجبة ، وهي درجة المقتصدين ، ومستحبة ، وهي درجة السابقين .

- **المحبة الواجبة وهي محبة المقتصدين :** تقتضي أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ،بحيث لا يحب شيئاً يبغضه كما قال تعالي (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) (٤)وذلك يقتضي محبة جميع ما أوجبه الله تعالي وبغض ما حرمه الله تعالى وذلك واجب فإن إرادة الواجبات إرادة تامة تقتضي وجود ما أوجبه كما تقتضي عدم الأشياء التي نهي الله عنها وذلك مستلزم لبغضها التام .

فيجب علي كل مؤمن أن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله قال تعالى (ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ) (٥)

- **المحبة المستحبة ، وهي محبة السابقين :** بأن يحب ما أحبه الله من النوافل والفضائل محبة تامة وهذه حال المقربين الذين قربهم الله إليه فإذا كانت محبة الله ورسوله الواجبة تقتضي بغض ما أبغضه الله ورسوله كما في سائر أنواع المحبة فإنها توجب بغض الضد . (٦)

وقد انقسم الناس في فهمهم لهذه المحبة إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أهل الإفراط ، وهم الغالين .

الثاني : أهل التفريط ، وهم الجافين .

---

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة ، برقم ١٧٣ .

(2) قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله : ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع " . عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، ص ٢٠ . وانظر : فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، ص ٤١ ، ١٨٢ . تيسير العزيز الحميد ، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، ص ٦١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

(3)للاستزادة أنظر : رسالة خاتم النبيين ، ص ٤٥٦ .

(4) سورة المجادلة ، آية : ٢٢ .

(5) سورة محمد ، آية : ٢٨ .

(6)قاعدة في المحبة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، بتصرف . وانظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ٦١ .

الثالث : الذين توسطوا بين أهل الإفراط والتفريط .

أما أصحاب القسم الأول : وهم الذين بالغوا في محبته بابتداعهم أموراً لم يشرعها الله ورسوله ، ظناً منهم أن فعل هذه الأمور هو علامة المحبة وبرهانها .

ومن العجب أن تصبح محبة الرسول حيدة عن دينه وبعداً عن هدية ، ذلك حينما يحيون ما يسمى بالمولد النبوي [1]، فيذكرونه ، ويذكرون مآثره ، ويمدحون ، في يوم ما ، ثم هم بقية العام لا يعرفونه ، فأعطوه ما ليس له من حقوق الله تعالى ، فوقعوا في الشرك ، فمن ذلك قول بعضهم :

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من *** لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ويقول :

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به *** سواك عند حلول الحادث العمم

ويقول :

فإن من جودك الدنيا وضرتها *** ومن علومك علم اللوح والقلم [2]

نسأل الله العافية من هذا الشرك المقيت ، و الغلو الشنيع برسول الله ، فقد نفي أن يكون له ملاذ لغيره ، ثم جعل الدنيا والآخرة من عطاءه وإفضاله ، والمعنى أن الدنيا والآخرة له .

ومن المفارقات العجيبة والتي تدعو للتأمل ، أن البعض من أولئك قد يقع في معصية الرسول على الدوام ، ويتهاون في تعظيم أوامره ، ويتساهل في كثير من الواجبات ، ويفرط في بعض السنن ، ومع ذلك فهو يحتفي بيوم المولد ، فيوالي فيه ويعادي ، فجعله غاية الحب ، فأحياه بالمدائح والأوراد ، ومن بعده يفعل ما شاء .

وقد نهى الرسول عن الغلو فيه وإطراءه ، حماية لجناب التوحيد ، وصيانة لشأن العقيدة ، فمن ذلك :

١ـ عن عمر بن الخطاب τ يقول على المنبر سمعت النبي يقول (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله) [3]

---

(1)عندما وقت الإساءة الى الرسول من قبل أولئك الغربيين ، قمت بالتتبع الطويل لمواقع الإنترنت ، وقرأت كثيراً ، فلم أجد لأولئك القوم من المتصوفة وأهل المولد وقفة تذكر ،فضلاً أن يشاد بها !، فانظرهم في (ربيع الأول) من كل عام وهم يحتفلون ويرقصون ويطربون ، خلف أولئك الدراويش من مشيخة الطرق ، و يميلون برؤوسهم ، ويعلون أصواتهم بالأناشيد والأوراد والمدائح الشركية ، والتي أصبحت لهم مصدراً مادياً مربحاً ! .

(2) هذه أبيات من قصيدة البُردة ، لمحمد بن سعيد البوصيري ، وقد نظم عدة قصائد في المدائح النبوية ، وأشعرها قصيدتان : الأولى الميمية ، الثانية الهمزية ، وهذه الأبيات من الأولى . أنظر : مظاهر الغلو في قصائد المديح النبوي ، للفريجي ، ص ١٦٥ . وقوادح عقدية في بردة البوصيري ، لعبد العزيز آل عبد اللطيف ، ص ١٨٠ ، وما بعدها ، والمطبوع ضمن حقوق النبي بين الإجلال والإخلال .والشيء بالشيء يذكر ـ كما يقال ـ أذكر أنني حضرت الملتقى السنوي للجمعيات الإسلامية في أوروبا ، وهو يقام في منطقة(البورجيه)، الذي يتحفظ عليه كثير من الإخوة هناك لأسباب ليس هذا مكان ذكرها ،وفي أحد أقسامه الثلاثة ـ وهو السوق ـ صمّت أذنيَّ هذه القصيدة وآذتني كثيراً ، وهي تذاع بالصوت العالي في حوالي أربعة أو خمسة محلات ، فقلت في نفسي لو قلت شيأ ، فذهبت إلى أحدهم ، وزاد الطين بلة عندما رأيته يبيع كتب ابن عربي والحلاج ! فقلت له بعد السلام وبأسلوب طيب وتأتيت معه أحسن ما يكون : إن هذه الملتقيات الدعوي فرصة لنا نحن المسلمين لأن نلتقي ونتعارف على بعضنا ونستفيد من بعضنا البعض ، ثم لما رأيت أن الرجل قد انساق معي ، ثم نظرت إلى الطاولة فأشرت إلى الكتب أن فيها بعض الملحوظات . فثار الرجل ، وغضب غضباً شديداً ، وقال : أنت وهابي ، الوهابية صنيعة الاستعمار ، فقلت له :حسناً ، لنجلس ونتحاور ، وأي منا يظهر على يديه الحق نصير إليه ، قال : لا يمكن أن أحاورك ، ثم ذهب وتركني .

(3)رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ) سورة مريم ، آية ١٦ ، برقم ٣١٨٩، وكتاب الحدود ، باب رجم الحبلى ، برقم ٦٣٢٨ .

٢- عن عائشة وعبد الله بن عباس ψ قالا (لما نزل برسول الله طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك(لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا) [١]

ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً ، وخلاصتها : أن محبة الرسول وتعظيمه لا تكون إلا كما شرع لنا وارتضاه ، ولذا قال (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) [٢] ، والموفق من أخذ بغيته منها ولم يتجاوزها لغيرها .

فكل مدعٍ للمحبة وشأنه المخالفة لهدي النبي فهو كاذب ، لأن المحبة الحقيقة تقتضي كمال التسليم والاتباع ، وذلك بفعل ما أمر الله تعالى به ورسول ،وترك ما نهى الله تعالى عنه ورسوله .

ومنشأ هذا الانحراف والغلو والحب الزائف هو البعد عن نور النبوة ، والجهل بها ، والفهم المعوج على خلاف فهم الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح ، الذين توسطوا في حبه بين الغالين والجافين [٣].

والقسم الثاني : أهل التفريط ، الذين قصّروا في تحقيق هذا المقام ، فلم يراعوا حقه في وجوب تقديم محبته على النفس والأهل والمال .

ومنشأ ذلك الجهل بحقوق الرسول ، والإعراض عن سنته واتباع شرعه ، بسبب ما هم عليه من الذنوب والمعاصي ، وكذلك اعتقاد بعضهم أن مجرد التصديق يكفي في تحقيق الإيمان .

أما القسم الأخير : فهم الذين توسطوا بين أهل الإفراط والتفريط ، مما سبق من القسمين السابقين ، وهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى الدين ، الذين آمنوا بوجوب هذه المحبة حكماً ، وقاموا بمقتضاها اعتقاداً وقولاً وعملاً ، [٤] وقد سبق وأن أشرت إلى شيء من ذلك في هذا الحق ، فلا أُعيد ، لكن أذكر هنا شيئاً من نصوص السنة والتي

---

(1) رواه البخاري ، في كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة ، برقم ٤١٧ ، وفي أحاديث الأنبياء برقم ٣١٩٥ ، وفي المغازي ، برقم ٤٠٨٩ ،وفي اللباس ، برقم ٥٣٦٨ . ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، برقم ٨٢٦ .

(2) سبق تخريجه ، أنظر : ص ١٦ .

(3) وأذكر أنني عندما كنت ساكناً في إحدى ضواحي باريس في فرنسا بقرية (إيكيفي) في منطقة ٧٨ ، وكنت أصلي في مسجد الجمعية الإسلامية آنذاك ، فقام أحدهم يوماً ما وتكلم ، وكان مما قال : غداً هو موعد الاحتفال بالمولد النبوي ، ثم دعى الناس للاجتماع وذِكر مآثر الرسول ، وبأنها فرصة لتناسي ما بيننا من المشاكل والخلافات ، بعدها أتيت إلى الرجل فسلمت عليه ، ثم كنت معه على أحسن حال من اللطف ، بعدها بادأته بسؤال : من أكثر حباً للرسول نحن أم أصحابه الذين أختارهم الله لصحبته ؟ أجاب : هم أكثر حباً له . قلت له : هم لم يقيموا له حفلاً ولا عيداً ولا شيء من ذلك ، وهم الأسوة بعده ، بل أمر باتباع هديهم بعد هديه ، فقال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء ...) رواه الترمذي ، في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، برقم ٢٦٠٠ . ورواه ابن ماجة ، في المقدمة في اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ، برقم ٤٢ ، ٤٣ . كما رواه أحمد برقم ١٦٥١٩ . والدارمي ، برقم ٩٥ . قال الألباني : صحيح ، أنظر صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ، للإمام أحمد بن حمدان ، فرد عليّ ، وقال : ولكن البوصيري ذكر ذلك ! ، وهنا يتذكر المرء قول شيخ الإسلام : " من أراد التحقيق فليترك العقل و الشرع " مجموع الفتاوى ، ج ١١ ، ص ٢٤٣ ،. قلت له : هذه القصيدة فيها ما فيها من المخالفات ، فانتفض الرجل وكان جالساً فقام مغضباً ، وقال : بلهجته أنت شارك - أي مشرك - ، وخرج من المسجد وهو يولول ويتمتم ، فالحمد لله على نعمة التوحيد .

(4) حقوق النبي على أمته ، ص ٢٩٠ - ٢٩٤ .

تبين الأمر وتجلّيه ، وهو ما فهمه أصحاب هذا القسم ، وعملوا بمقتضاه ، وهم السلف الصالح ψ ، فمن ذلك ما يلي :

١ـ عن عبد الله بن هشام τ قال (كنا مع النبي وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب τ فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال النبي : (لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك) فقال له عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي فقال النبي : (الآن يا عمر) [1]

٢ـ عن أبي هريرة τ أن رسول الله قال (فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده) [2]

٣ـ عن أنس بن مالك τ عن النبي قال (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) [3]

إن حب النبي عقيدة راسخة في قلوب المؤمنين ثمرتها الاقتداء ، والبذل والعطاء والتضحية في سبيل نصرة دينه وإعلاء لوائه وحماية سنته ، وهذا هو الفيصل في علامة حبه ، وهي " إرادة فعل طاعته وترك مخالفته وهي من واجبات الإسلام " . [4]

وإن من حب النبي محبة أصحابه وأهل بيته وأزواجه وموالاتهم جميعًا والحذر من تنقصهم أو سبهم أو الطعن فيهم بشيء ،فإن الله قد أوجب على هذه الأمة موالاة أصحاب نبيه وندب من جاء بعدهم إلى الاستغفار لهم وسؤال الله أن يغفر لهم وألا يجعل في قلوبهم غلاً لمن سبقهم بالإيمان ، فقال بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار : (وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) [5] ،وقال تعالى في حق قرابة رسوله وأهل بيته : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) [6]

---

(1) رواه البخاري ، في كتاب الأيمان ، باب كيف كانت يمين النبي ، برقم ٦١٤٢ . ورواه مسلم ، في كتاب الجهاد والسير ، باب غزوة ذي قرد وغيرها ، برقم ٣٣٧٢ . قال شيخ الإسلام : "فإذا كان هذا حب الرسول التابع لحب الله فكيف في حب الله الذي إنما وجب حب الرسول لحبه والذي لا يجوز أن نحب شيئاً من المخلوقات مثل حبه ؟ بل ذلك من الشرك " . درء تعرض العقل والنقل ج ٣ ، ص ١٣٢ . قال الإمام العيني : لأن محبته هي عين الإيمان ولولا هو ما عرف الإيمان . وقال أيضاً : ولا شك أن حظ الصحابة ψ من هذا المعنى أتم لأن المحبة ثمرة المعرفة وهم بقدره ومنزلته أعلم . والله أعلم ويقال المحبة إما اعتقاد النفع أو ميل يتبع ذلك أو صفة مخصصة لأحد الطرفين بالوقوع ثم الميل قد يكون بما يستلذه بحواسه كحسن الصورة ولما يستلذه بعقله كمحبة الفضل والجمال وقد يكون لإحسانه إليه ودفع المضار عنه ولا يخفى أن المعاني الثلاثة كلها موجودة في رسول الله لما جمع من جمال الظاهر والباطن وكمال أنواع الفضائل وإحسانه إلى جميع المسلمين بهدايتهم إلى الصراط المستقيم ودوام النعم ولا شك أن الثلاثة فيه أكمل مما في الوالدين لو كانت فيهما فيجب كونه أحب منهما لأن المحبة ثابتة لذلك حاصلة بحسبها كاملة بكمالها . عمدة القاري ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، ١٤٤.

(2) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب حب الرسول من الإيمان ، برقم ١٣.

(3) رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، برقم ١٥ ، ٢٠ ، وانظر : كتاب تفسير القرآن ، رقم ٤٤٧٧ و كتاب الإكراه ، رقم ٦٤٢٨ . ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، برقم ٦٠ ، ٦١ ، ٢٥٩ .

(4) عمدة القاري ، ج ١ ، ص ١٤٤. قال بعضهم : " علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن حب النبي وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب الله وحب القرآن وحب النبي وحب السنة حب الآخرة " .أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ،ص ٦٤.

(5) سورة الحشر ، آية : ١٠ .

(6) الشورى ، آية : ٢٣ .

والمعنى : قل لمن اتبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجراً إلا أن توادوا قرابتي وتحفظوها وتصلوا رحمي ، وذلك أنه لم يكن حي من قريش إلا وللنبي فيهم قرابة ، أي أن لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة وتتركوا بيني وبين الناس . [١]

وفي الصحيح من حديث زيد بن أرقم τ أن رسول الله قام خطيبًا في الناس فقال : (أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال : (وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي) [٢] ، فأمر النبي بالإحسان إلى أهل بيته وأن يعرف لهم قدرهم وحقهم ، لقربهم منه وشرفهم .

كما أوصى النبي بأصحابه خيراً ونهى عن سبّهم وتنقصهم فعن أبي سعيد الخدري τ عن النبي قال : (لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه) [٣] وقد كان من أعظم أصول أهل السنة التي اجتمعت عليه كلمتهم محبة أصحاب رسول الله وقرابته وأزواجه وما كانوا يعدون الطعن فيهم إلا علامة الزيغ والضلال .

قال إمام عصره أبو زرعة الرازي ، وهو من أجل شيوخ مسلم : " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله فاعلم أنه زنديق [٤]وذلك أن الرسول حق والقرآن حق وما جاء به حق وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة فمن جرحهم إنما أراد إبطال الكتاب والسنة فيكون الجرح به ألصق والحكم عليه بالزندقة والضلالة والكذب والفساد هو الأقوم الأحق " . [٥]

قال الميموني : سمعت أحمد يقول : " مالهم و لمعاوية ؟ نسأل الله العافية و قال لي : يا أبا الحسن إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله بسوء فاتهمه على الإسلام " . [٦]

والطعن في الصحابة إنما هو طعن في الرسول ، كما قال الإمام مالك وغيره : " إنما أراد هؤلاء الرافضة الطعن في الرسول ليقول القائل رجل سوء كان له أصحاب سوء و لو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين " [٧]

---

(1) أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٩٩ .

(2)رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل علي بن أبي طالب τ ، برقم ٤٤٢٥ .

(3)رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب قول النبي (لو كنت ..) ، برقم ٣٣٩٧ . ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب تحريم سب الصحابة ψ .

(4)الزنديق بالكسر من الثنوية ،القائل ببقاء الدهر ،وهو فارسي معرب من (زند كراي) يقول بدوام بقاء الدهر ، أوالقائل بالنور والظلمة، أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية، أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان، وقال بعضهم هو معرب من (زن دين)، أي دين المرأة، وجمعه زنادقة أو زناديق، وقد تزندق، والاسم الزندقة ،وليس في كلام العرب زنديق وإنما تقول العرب رجل زندق وزندقي إذا كان شديد البخل .أنظر : لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ١٤٧ . والقاموس المحيط ، ص ١١٥١ .قال الذهبي :" إنما سمي الزنديق زنديقاً، لانه وزَنَ دقيق الكلام بمخبول عقله وقياس هوى طبعه، وترك الأثر والاقتداء بالسنة، وتأول القرآن بالهوى، فسبحان من لا تكيفه الاوهام، في كلام نحو هذا " . سير أعلام النبلاء ، ج ١٣ ، ص ٣٣٢ .قال شيخ الإسلام : " والمقصود هنا أن الزنديق فى عرف هؤلاء الفقهاء هو: المنافق الذي كان على عهد النبى وهو أن يظهر الإسلام ويبطن غيره سواء أبطن ديناً من الأديان كدين اليهود والنصارى أو غيرهم أو كان معطلاً جاحداً للصانع والمعاد والأعمال الصالحة " . مجموع الفتاوى ، ٧ ، ص ٤٧١ .

(5) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، لابن حجر الهيتمي ، جزء ٢ ، ٦٠٨ .

(6) الصارم المسلول ، ج ٣ ، ص ١٠٥٥ . وانظر : أصول الإيمان ، ص ٢٤١ .

(7) منهاج السنة النبوية ، ج ٧ ، ص ٤٥٩ .

وقال شيخ الإسلام : " وأما الرافضة فيطعنون في الصحابة ونقلهم وباطن أمرهم الطعن في الرسالة " . [١]

المطلب الرابع : وجوب تعزيره وتوقيره :

إن تعظيم النبي وإجلاله وتعزيره وتوقيره أصل عظيم ، وأساس متين ، ولذا ترى أهل السنة قد اعتنوا بذلك أجل عناية ، فأبرزوا فضائله ، وجمعوا خصائصه ، وأشادوا بمحاسنه .

قال تبارك وتعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّـهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [٢]

وقال تعالى (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [٣]

هاتان الآيتان أصل في تعزير الرسول وتوقيره ، فما التعزير والتوقير ؟

التعزير : اسم جامع لنصره و تأييده و منعه من كل ما يؤذيه .

والتوقير : اسم جامع لكل ما فيه سكينة و طمأنينة من الإجلال و الإكرام و أن يعامل من التشريف و التكريم و التعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار . [٤]

ومما يستدل به على وجوب تعزيره وتوقيره ما يلي :

١- قال تعالى (لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّـهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [٥]

،ومعنى الآية : أن الله أمرهم أن يدعوه : يا رسول الله في لين و تواضع ، قال ابن جرير الطبري : " نهاهم الله أن ينادوه كما ينادي بعضهم بعضاً ،وأمرهم أن يشرفوه ويعظموه ويدعوه إذا دعوه باسم النبوة " . [٦] " وكيف لا يخاطبونه بذلك والله سبحانه وتعالى أكرمه في مخاطبته إياه بما لم يكرم به أحداً من الأنبياء فلم يدعه باسمه في القرآن قط " [٧]

---

(1) منهاج السنة النبوية ، ج ٣ ، ص ٤٦٣ . وقد سبقت الإشارة إلى شيء من ذلك ، أنظر : ص ٩٠ - ٩٢ .

(2) سورة الفتح ، آية : ٨ ، ٩ .

(3) سورة الأعراف ، آية : ١٥٧ .

(4) الصارم المسلول ، ج ٣ ، ص ٨٠٣ ، ٨٠٤ .

(5) سورة النور ، آية : ٧٣ .

(6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٩ ، ص ٣٦٠ ، ج ١١ ، ص ٣٧٨ . ونظر معالم التنـزيل ، ج ٦ ، ص ٦٧ . قال الثعالبي : " أمرهم الله أن يدعو رسول الله بأشرف أسمائه وذلك هو مقتضى التوقير فالأدب في الدعاء أن يقول يا رسول الله ويكون ذلك بتوقير وبر وخفض صوت " . الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، للثعالبي ، ج ٣ ، ص ١٢٩ .

(7) أنظر الصارم ، ج ٣ ، ٨٠٤ .

ولعل من الملاحظ أن القرآن الكريم قد عظّم شأن الرسول ، فلم ينادي أي نبي أو رسول غيره بهذا النداء (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ) (١) و (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ) (٢) ، (٣)

وفي معنى دعاء الرسول - في الآية السابقة - ثلاثة أقوال ، حكاها ابن الجوزي رحمه الله ، وهي :

أحدها : أنه نهي عن التعرض لإسخاط رسول الله فإنه إذا دعا على شخص فدعوته موجبة .

والثاني : أنهم أمروا أن يقولوا يا رسول الله ونهوا أن يقولوا يا محمد .

والثالث : أنه نهي لهم عن الإبطاء إذا أمرهم والتأخر إذا دعاهم . (٤)

والمقصود هو استعمال أحسن الألفاظ ، وأجمل العبارات حين محادثة الرسول ، وخاطبته ، وألا يكون الحديث معه كا الحديث مع غيره .

٢- قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) (٥)

قال ابن كثير : " هذه آيات أدب الله تعالى بها عباده المؤمنين فيما يعاملون به الرسول من التوقير والاحترام والتبجيل والإعظام " . (٦)

وقد أخرج البخاري في سبب نزول هذه الآيات عن أنس بن مالك τ أن النبي افتقد ثابت بن قيس τ فقال رجل : يا رسول الله أنا أعلم لك علمه فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه فقال له : ما شأنك ؟ فقال : شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي فقد حبط عمله فهو من أهل النار فأتى الرجل النبي فأخبره أنه قال كذا وكذا قال موسى : فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة فقال : (اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة) (٧)

وقد قال العلماء : يكره رفع الصوت عند قبره كما كان يكره في حياته عليه الصلاة والسلام لأنه محترم حياً وفي قبره دائماً (٨)، ومن احترامه ميتاً اتباع سنته ، وتعظيم أمره ، وقبول حكمه ، والتأدب مع كلامه ، وعدم مخالفته .

---

(1) سورة المائدة ، الآيتان : ٤١ ، ٦٧ .

(2) سورة الأنفال ، الآيتان : ٦٤ ، ٦٥.

(3)أنظر : رسالة خاتم النبيين ، ص ٤٥٩ .

(4)زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، ج ٦ ، ص ٦٨ . وانظر من حكى عنه من السلف ، ممن قال بهذه المعاني ، كابن عباس و سعيد بن جبير وعلقمة والأسود وعكرمة ومجاهد ψ .

(5) سورة الحجرات ، الآيات : ١ - ٤ .

(6) تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٢٦٢. وقد نقل معان جديرة بالتأمل فارجع لها إن شئت ، وهي من أقوال السلف ، رحمهم الله .

(7) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، برقم ٣٣٤٤ . وانظر حديث رقم ٤٤٦٨ . قال ابن كثير : تفرد به البخاري من هذا الوجه . وقد روي أكثر من سبب في نزولها ، ورأيت أن أكتفي بهذا ، والله أعلم .

(8) وفيه حديث عمر في الصحيح ، كما سيأتي في المطلب الرابع من المبحث الثاني في الفصل الثاني .

قال القاضي عياض : " و اعلم أن حرمة النبي بعد موته و توقيره و تعظيمه لازم كما كان حال حياته و ذلك عند ذكره و ذكر حديثه و سنته و سماع اسمه و سيرته و معاملة آله و عترته و تعظيم أهل بيته و صحابته " . [1]

٣- قال الله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [2]

سبق وأن ذكرنا تعريف ابن تيمية للتعزير [3] ، وهو : اسم جامع لنصرته و تأييده و منعه من كل ما يؤذيه .

يقول الله تعالى (لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [4]

وهذا من آكد حقوقه ، وهو آية من آيات محبته وتعظيمه وتعزيره حياً وميتاً ، فأما في حياته فقد قام أصحابه الكرام ψ بهذه المهمة خير قيام ، فسطروا أروع الأمثلة ، وأصدق الأعمال في الذب عن رسول الله ρ ، وفدائه بالأموال والأولاد والأنفس ، في المنشط والمكره ، والعسر واليسر ، وما كتَبَه أهل السير من أخبارهم وقصصهم التي تدل على قيامهم بالنصرة لرسول الله ولدينه خير شاهد على ذلك ، ومنه :

١- ما صح به الخبر عن أبي قتادة τ قال : فبينما رسول الله يسير حتى إبهار الليل وأنا إلى جنبه قال فنعس رسول الله فمال عن راحلته فأتيته فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته قال ثم سار حتى تهور الليل مال عن راحلته قال فدعمته من غير أن أوقظه حتى اعتدل على راحلته قال ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الميلتين الأوليين حتى كاد ينجفل فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال : (من هذا) قلت : أبو قتادة قال : (متى كان هذا مسيرك مني) قلت : ما زال هذا مسيري منذ الليلة قال : (حفظك الله بما حفظت به نبيه) [5]

٢- وقال الحبيب لحسان بن ثابت τ ، حين انتدب للدفاع عن عرضه : (اهجهم وجبريل معك) [6] ،وكان مما قال :

فإن أبي ووالدتي وعرضي *** لعرض محمد منكم وقاء [1]

---

(1) الشفا ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

(2) سورة الفتح ، آية : ٨ ، ٩ . قوله تعالى : (وتعزروه) : قال أبو جعفر – بعد أن ساق الخلاف في معناها - : " وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : نصرتموهم " . وقال في موضع آخر ومعنى التعزير : " التقوية بالنصرة والمعونة ولا يكون ذلك إلا بالطاعة والتعظيم والإجلال " . جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٤ ، ص ٤٨٨ . قال البغوي : أي تعينوه وتنصروه . معالم التنزيل ، ج ٧ ، ص ٢٩٩ . قال ابن جرير : (وتوقروه) والتوقير هو : التعظيم ، وقال أيضاً : فأما التوقير : فهو التعظيم والإجلال والتفخيم . وقال البغوي : تعظموه وتفخموه . معالم التنزيل ، ج ٧ ، ص ٢٩٩ . وانظر : الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، ج ١١ ، ص ٣٣٧ ، ج ١٦ ، ص ٢١٢ ، ٢٢٧. وذكر ابن كثير معان أخرى ، وهي : الاحترام والإجلال والإعظام ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٢٣٦ .وللاستزادة أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ،ج ١٦ ، ص ٢١٢.وفتح القدير ، للشوكاني ، ج ٥ ، ص ٦٨، ٧٠ .

(3) أنظر ص ٧٩ .

(4) سورة الحشر ، آية : ٨ .

(5) رواه مسلم ، في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب قضاء الصلاة الفائتة ، برقم ١٠٩٩ .

(6) رواه البخاري ، في كتاب بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، برقم ٢٩٧٤ . ومسلم ، في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل حسان بن ثابت τ ، برقم ٤٥٤١ .

أمـا بعـدَ وفاتـه فالـذب يكـون عـن سـنته إذا تعرضـت لتحريـف الغـالين ، وتحريـف الجاهلين ، وانتحـال المبطلين ، ورد شبهات الزنـادقـة والطـاعنين ، وبيـان أكـاذيبهم ودسائسهم ، وكذلك يكون بالدفاع عن شخصه الكريم من أن ينال بأي شكل من الأذى أو السوء والإساءة .

ونصرة الرسول من لوازم الإيمان ، ثم إن التهاون في الذب عن رسول أو الدفاع عن سنته وشريعته ، من الخذلان ، الدال على ضعف الإيمان ، الذي ينافي كمال الحب والتعزير والتوقير ، أو زواله بالكلية ، نسأل الله السلامة والعافية .

وقد أخذ الله تعالى الميثاق على من تقدمنا من الأمم بنصرة الرسول محمد ، فما أتعس قوماً أُخذ عليهم الميثاق بنصرته ، فإذاهم يسخرون ويستهزئون ! ، قال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ) [٢]

قال علي بن أبي طالب وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما : " ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمداً وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه " . [٣]

وأخيراً فإن الحديث عن حقوق النبي مما يطول به المقام ، ويعز على الباحث أن يحيط بكل جوانبه ، لكن يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق [٤] ـ كما يقال ـ ، ثم إن الذين كتبوا في هذا الباب قد اجتهدوا في تناولهم له ، منهم من جعل هناك حقوقاً كبيرة يمكن أن يدرج تحتها حقوقاً أخرى كما هو الحال في الحديث عن نصرة الرسول ، فإنها تدخل ضمن وجوب توقيره وتعزيره ، بينما البعض الآخر سرد هذه الحقوق وأفرد كل واحد على حدة ، والذي يظهر لي أن المسلك الأول أجود من الآخر ، كما أنني حاولت أن أختار ما رأيت أن له تعلقاً بموضوعنا ، والتوفيق من الله .

---

(1) أنظر : المنتظم ، لابن الجوزي ، ج ٢ ، ص ١٥٤ . مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، لليافعي ، ج ١ ، ص ٥٨ . ومختصر سيرة الرسول ، للإمام محمد بن عبد الوهاب ، ص ١٢٩ .

(2) سورة آل عمران ، آية : ٨١ .

(3) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٥٠٢ .

(4) هذا مثل ، وأصله: أنه قيل لعَقِيل بن عُلَّفَة : لِمَ لا تُطيل الهجاء ؟ قال: يكفيك مِن القلادة ما أحاطَ بالعُنق . وبعضهم يرويه (حسبك مِن القلادة ما أحاطَ بالعُنق) ، والمعنى : اكتف بالقليل من الكثير . أنظر : البيان والتبيين ، للجاحظ ، ص ٦٤. ومجمع الأمثال ، للميداني ، ج ١ ، ص ٨٥ .و العقد الفريد ، لابن عبد ربه الأندلسي ، ج ١ ، ص ١٧٦ .

الفصل الثاني

الإساءة إلى النبي ρ وحرية التعبير

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : الإساءة إلى الرسول في مرحلة بداية الدعوة من صدر الإسلام .

المبحث الثاني : الإساءة إلى الرسول في العصر الحاضر .

المبحث الثالث : بواعث الإساءة إلى النبي .

المبحث الرابع : حرية التعبير والتحيز الغربي .

المبحث الأول

الإساءة إلى الرسول   في مرحلة بداية الدعوة من صدر الإسلام

وفيه تمهيد ومطلبان :

التمهيد :الإساءة إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام سنة ماضية .

المطلب الأول : صور من الإساءة إلى الرسول   .

المطلب الثاني : حفظ الله تعالى وحمايته لنبيه   .

التمهيد

الإساءة إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام سنة ماضية

عندما خلق الله تعالى الخلق لم يتركهم هملاً ، بل أرسل إليهم رسلاً ، وأنزل عليهم كتباً ،وهذا من قدره الكوني الشرعي ، وجعل لهؤلاء الكرام من الرسل واجبات وحقوق، فمما يجب لهم : المحبة والتعظيم والتقدير والإجلال والنصرة ، وغير ذلك مما هو متقرر .

ولكن أعداء الله ورسله لا يقيمون لهذا الأمر وزناً ، إذ هم على النقيض من ذلك تماماً ، فيسيئون إلى أنبياء الله تعالى ، بالسخرية والاستهزاء ، بل ربما وصل الحال بهم إلى الاعتداء عليهم ، بالإيذاء والضرب والقتل . (١)

فهذا نوح υ قد استهزأ به قومه ، كما قال الله تعالى (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ) . (٢)

واستهزأت عاد بهود υ، كما قال تعالى(فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ السَّمَاء إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) (٣)

واستهزأت ثمود بصالح υ ، كما قال الله تعالى (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) . (٤)

واستهزأوا بشعيب υ ، كما قال الله تعالى (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) . (٥)

واستهزأ فرعون بموسى υ ، كما قال تعالى (أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) . (٦) فكل الأمم ما إن يأتيهم (رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) . (٧)

يقول ابن جرير : " وما يأتي شيع الأولين من رسول من الله يرسله إليهم بالدعاء إلى توحيده والإذعان بطاعته إلا كانوا به يستهزئون يقول : إلا كانوا يسخرون بالرسول الذي يرسله الله إليهم عتواً منهم وتمرداً على ربهم " (٨) ،وقال ابن الجوزي: "هذا تعزية للنبي ، والمعنى أن كل نبي قبلك كان مبتلى بقومه كما ابتليت". (٩)

---

(1)وهذا من قدر الله الكوني ، وهي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات ، وتحقيق أهل السنة أن الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة قدرية كونية خلقية ، وإرادة دينية أمرية شرعية ، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضى ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات . وللتوسع في هذه المسألة : أنظر : مجموع الفتاوى ، ٢ ، ص ١٠٨ ، ٤١٢ . إعلام الموقعين ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ . وشرح العقيدة الطحاوية ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(2) سورة هود ، آية : ٣٨ .

(3) سورة الشعراء ، آية : ١٨٧ .

(4) سورة الأعراف ، آية : ٦٦ .

(5) سورة هود ، آية : ٨٧ .

(6) سورة الزخرف ، آية : ٥٢ .

(7) سورة الحجر، آية : ١٢ .

(8)جامع البيان ، ج ٧ ، ص ٤٩٤ .

(9)زاد المسير ، ج ٤ ، ص ٣٨٥ .

وبعد ذلك يقول الله تعالى لنبيه (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) . [١] ، ويقول الله سبحانه وتعالى (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُون) . [٢]

وبقدر ما في هذه الآيات من إخبار للنبي ، عن أحوال إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وما كانوا يلاقونه من أقوامهم ، إلا أنها تحمل معانٍ عظيمة ، منها تسليته ، وتطمين خاطره ، ووعده بالنتيجة الحاسمة ، وهي النصر .

يقول القرطبي : " هذا تسلية للنبي وتعزية له يقول : إن استهزأ بك هؤلاء فقد استهزىء برسل من قبلك ، فاصبر كما صبروا ثم وعده النصر " . [٣] ، وقد أشار ابن كثير إلى هذا المعنى حيث يقول : " هذه تسلية للنبي في تكذيب من كذبه من قومه ، ووعد له وللمؤمنين به بالنصرة والعاقبة الحسنة في الدنيا والآخرة " . [٤]

وبعد هذا فإن الإساءة التي واجهها الرسول من قومه ،كفار قريش وغيرهم ، بالإساءة إلى مقامه الشريف ، بصور كثيرة [٥] ، حين آذوه أشد الأذى ، قولاً وفعلاً ، حساً ومعنىً ، كانت نتيجتها أن حاق الله بهم ما كانوا به يستهزئون ، (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) [٦]

المطلب الأول

صور من الإساءة إلى الرسول في مرحلة بداية الدعوة من صدر الإسلام

يقول جل جلاله (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُواْ السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) . [٧]

قال الطبري : " وهذا إعلام من الله أصحاب رسول الله أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه ، وإظهاره عليهم دونهم ،أعانوه أو لم يعينوه ، وتذكير منه لهم فعل ذلك به ، وهو من العدد في قلة ، والعدو في كثرة ، فكيف به وهو من العدد في كثرة والعدو في قلة ؟

يقول لهم جل ثناؤه : إلا تنفروا أيها المؤمنون مع رسولي إذا استنفركم فتنصروه فالله ناصره ومعينه على عدوه ومغنيه عنكم ، وعن معونتكم ونصرتكم ، كما نصره (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ) " [٨]

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٠ .
(2) سورة الأنبياء ، آية : ٤١ .
(3)الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١ ، ص ٢٥٥ . وانظر : فتح القدير ، ج ٢ ، ص ١٦٢ .
(4)تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .
(5) سأذكر طرفاً من ذلك – بمشيئة الله – في المطلب الثاني من هذا المبحث .
(6) سورة الأنبياء ، آية : ٤١ .
(7) سورة التوبة ، آية : ٤٠ .
(8) جامع البيان ، ج ٦ ، ص ٢٧٤ .

والمقصود من هذه أن الله تعالى ناصر رسوله ، ومعز دينه ، ولو تخلى عنه كل أهل الأرض (إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ) ، وما أعظمها من نصرة وتأييد ، ومعونة وتوفيق ، فإن الله " منتقم لرسوله ممن طعن عليه ، و سبه و مظهر لدينه ولكذب الكاذب إذ لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد " . [١]

يقول شيخ الإسلام : " إن نصر رسول الله فرض علينا لأنه من التعزير المفروض ، ولأنه من أعظم الجهاد في سبيل الله ، ولذلك قال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ)[٢] " [٣] ، فيا شرف من لحق بركب المنتصرين لرسول رب العالمين .

وإن ضرب الأمثلة وما فيها من عاقبة المسيئين معروفة مشهودة ، فهو باب واسع لا يحاط به ،فقد واجه النبي صنوفاً عديدة من الإساءة ، كالأذى والسخرية والاستهزاء في مرحلة بداية الدعوة ، والعصور الأولى من صدر الإسلام ، وذلك من قومه ، كفار قريش ، وجربوا معه الإساءة بالقول والفعل ، فالقول مثل قولهم : (كذاب ، و ساحر ، ومجنون) [٤] ، وغير ذلك ، أما الفعل ، فكثير ، وسأحاول أن أذكر تلك الإساءات متتبعاً ما صح من السيرة النبوية ، وما جرى فيها من إساءة لمقامه الشريف ، على اختلافها ، وهي كما يلي :

الصورة الأولى : الإساءة الأولى لرسول الله :

وإن شئت فقل الشرارة الأولى ، حيث تتابعت بعدها كل الأحداث على رسول الله ، ومن معه من النفر القليل ،الذين آمنوا وصدقوا دعوته ψ ، وذلك عند نزول قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [٥] ، والتي بها تجاوزت مرحلة الدعوة السرية إلى مرحلة الجهر بها .

ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) [٦] صعد النبي على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو ، فجاء أبو لهب وقريش فقال : (أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي) ؟ قالوا : نعم ما جربنا عليك إلا صدقاً ، قال : (فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد) ، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا ، فنزلت (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ) [٧] [٨] ،

وكانت زوجته العوراء أم جميل تعين زوجها على أذى رسول الله ،والإساءة إليه ، والتي قال الله تعالى عنها (وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) [٩] ، " وكانت عوناً لزوجها على كفره وجحوده وعناده ،فلهذا تكون يوم القيامة عوناً عليه في عذابه في نار

(1) الصارم المسلول ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
(2) سورة التوبة ، آية : ٣٨ .
(3) المرجع السابق ، ٢ ، ص ٣٩٥
(4) أنظر المقدمة ، ص ٦ .
(5) سورة الشعراء ، آية : ٢١٤ .
(6) سورة الشعراء ، آية ٢١٤ .
(7) سورة المسد ، الآيتان : ١ ، ٢ .
(8) رواه البخاري ، في تفسير القرآن ، باب (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، برقم ٤٣٩٧ ، واللفظ له . ومسلم في الإيمان ، باب في قوله تعالى (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) ، برقم ٣٠٧ .
(9) سورة المسد ، الآيتان : ٤ ، ٥ .

جهنم ولهذا قال تعالى (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) ،يعني تحمل الحطب ،فتُلقي على زوجها ليزداد على ما هو فيه ، وهي مهيأة لذلك مستعدة له (فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) " [1]

ولم يتوقف هذا الحقير عن الإساءة إلى رسول ، وحرب دعوته ،فاستمر في أذاه ، ومخالفته وعداوته ، وصد الناس عن الحق ، فعن ربيعة بن عباد من بني الديل ـ وكان جاهلياً ـ، قال رأيت النبي في الجاهلية في سوق ذي المجاز ، وهو يقول (يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ، والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضيء الوجه ، أحول ذو غديرتين [٢] ، يقول : إنه صابئ كاذب ، يتبعه حيث ذهب ، فسألت عنه فذكروا لي نسب رسول الله ، وقالوا لي هذا عمه أبو لهب . [٣]

قال العلماء : وفي هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة ، فإنه منذ نزل قوله تعالى : (سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ) ، فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان ، لم يقيض لهما أن يؤمنا ، ولا واحد منهما ، لا باطناً ولا ظاهراً ، لا مسراً ولا معلناً ، فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة . [٤]

لم تزل أصداء تلك الصيحة ، صيحة الإنذار (وَأَنذِرْ ....) مدوية في جنبات أم القرى ، حتى نزل قوله تعالى (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) [٥] ، " فقام الرسول مشمراً عن ساعد الجد ، صادعاً بالحق ، داعياً إلى هجر الأوثان ، مسفهاً عقول المؤمنين بها ، مبيناً حقائق الإسلام ، داحضاً الأباطيل العقدية ،التي تعشعش [٦] في عقول أهل الجاهلية " [٧]

الصورة الثانية : الإساءة إلى الرسول بالسخرية والاستهزاء :

وقد مارس صناديد قريش هذا الأسلوب السيىء ، لثني الرسول عن دعوته ، أو التأثير عليه وصده عن سبيله ، وهيهات ، يقول الله تعالى (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا. إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [٨] ، " أي على سبيل التنقيص والازدراء فقبحهم الله كما قال (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) " [٩] ، [١]

(1) تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص٧٣١ . قال ابن جرير : " واختلف أهل التأويل في معنى قوله (حَمَّالَةَ الْحَطَبِ) فقال بعضهم : كانت تجيء بالشوك فتطرحه في طريق رسول الله ρ ، ليدخل في قدمه إذا خرج إلى الصلاة . وقال آخرون : لأنها كانت تحطب الكلام وتمشي بالنميمة ، وتعير رسول الله ρ بالفقر ، وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي قول من قال : كانت تحمل الشوك فتطرحه في طريق رسول الله ρ لأن ذلك هو أظهر معنى " وبهذا قال ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٧٣١ . وانظر : جامع البيان ، ج ٢٠ ، ص ٢٢٠. والجامع لأحكام القرآن ، ج ١٢ ، ص ٧٣٥ .

(2) قوله (غديرتين) قال ابن منظور : " الغَديرةُ من ذوائب الرأس ، واحدتها غَديرة ، والغَديرتان الذُّؤابتان اللتان تسقطان على الصدر ، وقيل الغَدائِرُ للنساء وهي المضفورة ، والضفائر للرجال " . لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٤٩١ ، ج ٥ ، ص ٨ . وكذا قال الرازي ، انظر : مختار الصحاح ، ص ٤٨٨ . وابن الأثير في النهاية في غريب الأثر ، ج ٣ ، ص ٦٤٦ .

(3) رواه أحمد في المسند ، برقم ١٨٢٣٤ ، قال الألباني : إسناد جيد ، يعني أنه من طريق عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه . أنظر صحيح السيرة النبوية للألباني ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ . قال شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره ، وهذا إسناد حسن . أنظر : المسند ، ج ٤ ، ص ٣٤١ .

(4) أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٧٣١ ، ٧٢٢ . و جامع البيان ، ج ، ١٢ ، ص ٦٤٧ .

(5) سورة الحجر ، آية : ٩٤ .

(6) والعَشْعَش العُشُّ إذا تراكب بعضُه على بعض ، قاله ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، ٣١٦ .

(7) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ١٦٥ .

(8) سورة الفرقان ، آية : ٤١ ،٤٢.

(9) سورة الأنعام ، آية : ١٠ .

وصيغة الحصرفي (إِلَّا هُزُوًا) للتشنيع عليهم بأنهم انحصر اتخاذهم إياه في الاستهزاء به ،يلازمونه ويدأبون عليه ،ولا يخلطون معه شيئاً من تذكر أقواله ودعوته ،فالاستثناء من عموم الأحوال المنفية ،أي لا يتخذونك في حالة إلا في حالة الاستهزاء .[٢]

الصورة الثالثة : الإساءات المتتابعة على الرسول من قومه الكافرين :

حين بعث الله نبيه بعثه على أشد حال بُعث عليها نبي من الأنبياء ، في فترة وجاهلية ما يرون أن ديناً أفضل من عبادة الأوثان ، فجاء بفرقان ، فرَّق به بين الحق والباطل ، وفرق بين الوالد وولده .

ومضى رسول الله في دعوته ، ولكن صناديد قريش آلمهم شأن الرسول ، فشكوه إلى عمه أبي طالب " فقالوا : إن ابن أخيك هذا قد آذانا في نادينا ومسجدنا فانهه عنا ،فقال : يا عقيل انطلق فأتني بمحمد ، فانطلقت فاستخرجته من كنس أو خنس ـ يقول : بيت صغير ـ فجاء به في الظهيرة في شدة الحر فلما أتاهم قال : إن بني عمك هؤلاء زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم ومسجدهم فانته عن أذاهم ، فحلق رسول الله ببصره إلى السماء فقال (ترون هذه الشمس ؟) . قالوا : نعم . قال (فما أنا بأقدر أن أدع ذلك منكم على أن تشتعلوا منها بشعلة) ، فقال أبو طالب : والله ما كذب ابن أخي قط فارجعوا " [٣]

وبعد ذلك تتابعت الإساءات على الرسول ، وتنوعت ، وتسلط عليه أعداءه ، فآذوه أشد الأذى ، الذي نال نَفْسَه وبدنه ρ ، حتى أضحى إيذاؤهم له مستفحلاً ، فمن ذلك :

١ـ الإساءة إلى الرسول بمحاولة منعه من أن يعبد ربه سبحانه وتعالى :

فعن أبي هريرة τ قال: قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قال : فقيل : نعم ، فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، أو لأعفرن وجهه في التراب ، قال فأتى رسول الله وهو يصلي زعم ليطأ على رقبته ، قال فما فجئهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، قال : فقيل له : مالك ؟ فقال : إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة فقال : رسول الله (لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً) ، قال فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه – (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى. أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى. إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى. أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى. عَبْدًا إِذَا صَلَّى. أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى. أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى. أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى . أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى. كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ . نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ . فَلْيَدْعُ نَادِيَه . سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ . كَلَّا لَا تُطِعْهُ) [٤] [٥]

٢ـ الإساءة إلى الرسول بالضرب :

وسأكتفي بإيراد ثلاثة صور في هذا المقام ، وهي كما يلي :

---

(1)تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٢٦ .
(2) أنظر : التحرير والتنوير ، ج ١٠ ، ٨٦ .
(3) رواه البخاري في (التاريخ) والبيهقي عن الحاكم ، وإسناده حسن ، أنظر : صحيح السيرة النبوية ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ . وقال في السلسلة الصحيحة : حسن ، أنظر ج ١ ، ص ١٩٤ . أ. هـ وقد وقفت عليه عند الحاكم ، وهو برقم ٦٤٦٧ ، أنظر : المستدرك ، ج ٣ ، ص ٦٦٨ .
(4) رواه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار ، باب قوله تعالى (كلا إن الإنسان ليطغى) ، برقم ٥٠٠٥ . وانظر : المنهاج ، ج ١٧ ، ص ١٤٠ .
(5) سورة العلق ، الآيات : ٦ ـ ١٩ .

أ ـ عن أنس بن مالك τ قال : جاء جبريل إلى النبي ذات يوم وهو جالس حزيناً ، قد خضب بالدماء ، ضربه بعض أهل مكة ، قال : فقال له مالك ؟ قال : فقال له : (فعل بي هؤلاء وفعلوا) قال : فقال له جبريل عليه السلام : أتحب أن أريك آية ؟ قال : (نعم) قال : فنظر إلى شجرة من وراء الوادي ، فقال : ادع بتلك الشجرة ، فدعاها ، فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه ، فقال : مرها فلترجع ، فأمرها فرجعت إلى مكانها ، فقال : رسول الله (حسبي) . (1)

ب ـ عن أنس τ قال : لقد ضربوا رسول الله حتى غشي عليه ، فقام أبو بكر τ ينادي و يقول : ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ قالوا : من هذا ؟ قالوا : هذا ابن أبي قحافة المجنون) (2)

ج ـ عن عروة بن الزبير قال عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون برسول الله قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقاً شديداً فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ) (3) (4)

٣ـ الإساءة إلى الرسول باعتداء قبيح :

ذكر ابن اسحاق أن أُبي بن خلف حين قال لعقبة بن أبي معيط : ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه ؟ وجهي من وجهك حرام إلا أن تتفل في وجهه، ففعل ذلك عدو الله عقبة لعنه الله فأنزل الله : ؟ (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا . يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) (5) قال : ومشى أبي بن خلف بعظم بال قد أرم فقال : يا محمد أنت تزعم أن الله يبعث هذا بعد ما أرم ؟ ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله فقال : (نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله وإياك بعد ما تكونان هكذا ثم يدخلك النار) ، وأنزل الله تعالى : ؟ (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) (6) (7)

٤ـ الإساءة إلى الرسول بوضع القاذورات عليه :

عن ابن مسعود τ قال : بينما رسول الله يصلي عند البيت ، وأبو جهل وأصحاب له جلوس ، وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل : أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد ؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي وضعه بين كتفيه ! ، قال : فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت

---

(1) رواه أحمد في المسند ، برقم ١١٦٦٩ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي على شرط مسلم ، أنظر : المسند ج ٣ ، ص ١١٣ . وابن ماجة في الفتن ، باب الصبر على البلاء ، برقم ٤٠١٨ . قال الألباني : صحيح . أنظر : سنن ابن ماجه ، ج ٢ ، ص ١٣٣٦ .

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك ، برقم ٤٤٢٤ ، قال الذهبي في التلخيص : على شرط مسلم، أنظر : المستدرك ج ٣ ، ص ٧٠ . وأبي يعلى في مسنده،برقم ٣٦٩١ .وهو صحيح على شرط مسلم ، أنظر المستدرك ، ج ٦ ، ص ٣٦٢. قال ابن حجر : إسناده صحيح ، أنظر : فتح الباري ، ج ٧ ، ص ١٦٩ .

(3) سورة غافر ، آية : ٢٨ .

(4) رواه البخاري في المناقب ، باب قول النبي ρ (لوكنت كنت متخذاً خليلاً ...) برقم ٣٤٠٢ . أنظر : فتح الباري ، ج ٧ ، ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

(5) سورة الفرقان ، الأيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

(6) سورة يـس ، آية : ٧٨ ، ٧٩ .

(7) قال الألباني : أخرجه ابن مردويه وأبو نعيم في (الدلائل) بسند صحيح ،من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس كما في (الدر المنثور) . أنظر : صحيح السيرة النبوية ، ص٢٠٠ ـ ٢٠٥ . وقد وقفت عليه في دلائل النبوة برقم ١٣٤ ،أنظر : ، ص ١٦١ . وهو في الدر المنثور ، ج ٦ ، ص ٢٥١ .

لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ، والنبي ساجد ما يرفع رأسه ،حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها ، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ثم قال (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط) (وذكر السابع ولم أحفظه) فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ، ثم سحبوا إلى القليب قليب بدر) [١]

٥ـ الإساءة إلى الرسول بتهديده بالقتل :

عن بن عباس رضي الله عنهما قال : ان الملأ من قريش اجتمعوا في الحجر ، فتعاهدوا باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، لو قد رأينا محمداً قمنا إليه قيام رجل واحد ، فلم نفارقه حتى نقتله ، قال فأقبلت فاطمة تبكي حتى دخلت على أبيها ، فقالت : هؤلاء الملأ من قومك في الحجر قد تعاهدوا أن لو قد رأوك قاموا إليك فقتلوك ، فليس منهم رجل إلا قد عرف نصيبه من دمك ، قال : (يا بنية أدني وضوءاً فتوضأ) ثم دخل عليهم المسجد فلما رأوه قالوا : هو هذا ، فخفضوا أبصارهم ، وعقروا في مجالسهم ، فلم يرفعوا إليه أبصارهم ، ولم يقم منهم رجل ، فأقبل رسول الله حتى قام على رؤوسهم ، فأخذ قبضة من تراب ، فحصبهم بها ، وقال : (شاهت الوجوه) [٢]قال : فما أصابت رجلاً منهم حصاة الا قد قتل يوم بدر كافراً . [٣]

الصورة الرابعة : الإساءة إلى الرسول بردِّ دعوته :

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : (لقد لقيت من قومك ما لقيت ،وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ،إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال [٤]،فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ،فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب [٥]،فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ،فنظرت فإذا فيها جبريل ،فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ،وما ردوا عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ،فناداني ملك الجبال فسلم عليَّ ،ثم قال : يا محمد فقال ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين [٦]، فقال النبي : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً) . [٧]

---

(1) رواه البخاري في الوضوء ، باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أوجيفة ، برقم ٢٣٣ . ومسلم في الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ρ من قومه ، برقم ٣٣٤٩ . وانظر : فتح الباري ، ج ٦ ، ص ١٠٦ .

(2) (شاهت الوجوه) أي قبحت ،يقال شاه يشوه شوها والشوهاء المرأة القبيحة والمرأة الحسنة الرائقة فهو من الأضداد أنظر : المنهاج ، ج ١٢ ، ص ١٢٢ . وفيض القدير ، ج ٤ ، ص ١٥٣ .

(3) رواه أحمد في المسند ، برقم ٢٦٢٦ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي على شرط مسلم رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن خثيم فمن رجال مسلم . قال الهيثمي : رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح . أنظر : مجمع الزوائد ، ج ٨ ، ص ٤١٧ . وهو عند ابن حبان برقم ٦٥٠٢ ، أنظر : صحيح ابن حبان ، ١٤ ، ص ٤٣٠ . قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح .

(4) ابن عبد يا ليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من بني مالك ، من ثقيف. أنظر : فتح الباري ، ج ٧ ٣٧٠ .

(5)قرن الثعالب : هو ميقات أهل نجد ،ويقال له قرن المنازل أيضاً ،وهو على مرحلتين من مكة ،(يوم وليلة من مكة)،وقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير . أنظر : فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٣١٥ . والمنهاج ، ج ١٢ ، ص ١٥٥ .

(6) قوله (الأخشبين) : هما جبلا مكة قعيقعان وأبو قبيس ،سميا بذلك لعظمهما وخشونتهما . أنظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ٧٦ . والمنهاج ، ج ١٢ ، ص ١٥٥ .

(7) رواه البخاري في بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، برقم ٢٩٩٢ . ومسلم في الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ، برقم ٣٣٥٢ . وأنظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ٢٩٥ .

وبهذا فقد صفح وصبر ورجى من الله إيمان من يخرج من أصلابهم ،وفي هذا الجواب الذي أدلى به الرسول تتجلى شخصيته الفذة، وهذا أقصى درجات الصبر والصفح وأعظم درجات الخلق العظيم ،الذي أمده الله به .

الصورة الخامسة : الإساءة إلى الرسول بالتخطيط والتآمر لمحاولة قتله .

ما إن علمت قريش بما تم بين الرسول والأنصار في العقبة الثانية ، وهجرة بعض أصحابه ψ إلى يثرب، عندها خافوا من أن تقوم للمسلمين هناك قائمة ، ومن ثم يكرون عليهم مرة أخرى ، بعد أن يجتمعوا بالرسول ، ويقودهم إليهم ، لهذا تآمروا وأجمعوا أمرهم على قرار في غاية الخطورة ، وهو قتل الرسول ! .

يقول تبارك وتعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [١]

وقد ساق الإمام الطبري بسنده ، قال : " اجتمعت مشيخة قريش يتشاورون في النبي بعد ما أسلمت الأنصار ،وفرقوا أن يتعالى أمره إذا وجد ملجأ لجأ إليه ،فجاء إبليس في صورة رجل من أهل نجد ،فدخل معهم في دار الندوة ،فلما أنكروه قالوا : من أنت ؟ فوالله ما كل قومنا أعلمناهم مجلسنا هذا ! قال : أنا رجل من أهل نجد أسمع من حديثكم ،وأشير عليكم ! فاستحيوا فخلوا عنه ،فقال بعضهم : خذوا محمداً إذا اضطجع على فراشه فاجعلوه في بيت نتربص به ريب المنون [٢]،قال إبليس : بئسما قلت ! تجعلونه في بيت فيأتي أصحابه فيخرجونه فيكون بينكم قتال ! قالوا : صدق الشيخ ! قال : أخرجوه من قريتكم ! قال إبليس : بئسما قلت ! تخرجونه من قريتكم ،وقد أفسد سفهاءكم ،فيأتي قرية أخرى فيفسد سفهاءهم ،فيأتي بالخيل والرجال ! قالوا : صدق الشيخ ! قال أبو جهل: بل نعمد إلى كل بطن من بطون قريش ،فنخرج منهم رجلاً فنعطيهم السلاح فيشدون على محمد جميعاً فيضربونه ضربة رجل واحد ،فلا يستطيع بنو عبد المطلب أن يقتلوا قريشاً فليس لهم إلا الدية ! قال إبليس : صدق ،وهذا الفتى هو أجودكم رأياً ! فقاموا على ذلك وأخبر اللهُ رسوله فنام على الفراش وجعلوا عليه العيون ،فلما كان في بعض الليل انطلق هو وأبو بكر τ إلى الغار ،ونام علي بن أبي طالب τ على الفراش ،فذلك حين يقول الله : (لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ) وهو قوله : (وَإِن كَادُواْ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً) . [٣] ، [٤]

كانت هذه أول محاولة فعلية لقتل الرسول ، ولكن الله الحافظ قد أفشلها ، وكتب لمدبريها الخسرن ، (وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [5]

الصورة السادسة : الإساءة إلى الرسول بطلبه حياً أو ميتاً

---

(1) سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

(2) الرَّيْبُ الشك والاسم الرِّيبَةُ ،وهي التهمة والشك و رَابَنِي فلان من باب باع ،إذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه ،و اسْتَرَبْتُ به مثله ، والريب هو الموت ، و رَيْبُ المنون حوادث الدهر ، ... و المَنُونُ الدهر أو حَوادِثُ الدَّهْر ، وله إطلاقات أُخرى . أنظر : لسان العرب ج ١ ، ص ٤٤١ . و مختار الصحاح ، ص ٢٦٧ ، ٦٤٢ .

(3) سورة الإسراء ، آية : ٧٦ .

(4) الحديث ذكره ابن جرير الطبري في الجامع ، أنظر : ج ٦ ، ص ٢٢٥ . ونقله ابن كثير في تفسيره ، أنظر : ج ٢ ، ص ٤٠٠ . وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه ، أنظر : ٥ ، ص ٣٨٤ . برقم ٩٧٤٣ .قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني ،وفيه عثمان بن عمرو الجزري ،وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقية رجاله رجال الصحيح ، أنظر : مجمع الزوائد ، ج ٧ ، ص ١٠٠ . قال ابن كثير : و هذا إسناد حسن ، أنظر : سيرة ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٢٣٩. إلا أنني رأيت شعيب الأرنؤوط قد ضعفه ، فقال : إسناده ضعيف . أنظر : مسند أحمد بن حنبل ، ج ١ ، ص ٣٤٨ . أ . هـ ، والسبب يعود لاختلافهم في الجزري .

(5) سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .

بعدما خرج النبي مهاجراً من بين أظهرهم ، دون أن يروه ، أو يعلموا به ، وهم قد أحاطوا بيته ليقتلوه ، عند ذلك فُجعوا بخبر خروجه ،بل لم يصدقوا ، فأخذوا في طلب الرسول وصاحبه أبو بكر τ ، ورصدوا المكافآت والجوائز لمن يعثر عليهما حيين أو ميتين .

فعن عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سراقة بن مالك بن جعشم ،أن أباه أخبره أنه سمع سراقة بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية ، كل واحد منهما من قتله أو أسره ،فبينما أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج ،أقبل رجل منهم ،حتى قام علينا ،ونحن جلوس فقال : يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه ،قال : سراقة فعرفت أنهم هم ،فقلت له : إنهم ليسوا بهم ،ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً ،انطلقوا بأعيننا ،ثم لبثت في المجلس ساعة ،ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي ،أن تخرج بفرسي ،وهي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت، فحططت بزجه الأرض وخفضت عاليه ،حتى أتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم ،فعثرت بي فرسي ،فخررت عنها فقمت فأهويت يدي إلى كنانتي ،فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ،فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي ،حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ،وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ،ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ،فخررت عنها، ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها ،فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عُثَانُ سَاطِعُ في السماء مثل الدخان ،فاستقسمت بالأزلام ،فخرج الذي أكره فناديتهم بالأمان فوقفوا ،فركبت فرسي حتى جئتهم ،ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ،فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ،وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال : (أخف عنا) فسألته أن يكتب لي كتاب أمن ،فأمر عامر بن فهيرة ،فكتب في رقعة من أديم ، ثم مضى رسول الله ... الحديث . (١)

وكما كتب الله سبحانه للمآمرة في الأولى الفشل ، فكذلك الثانية حلَّ بها ما حل بأختها ،والحديث عما جرى لرسول الله من قومه كفار قريش من الإساءات يطول الحديث عنها ،إلا أنني آثرت أن أُنبّه على شيء منها ،مبيناً مقدار الإساءة التي تعرض لها حبيبنا .

الصورة السابعة : الإساءة إلى الرسول بمحاولة قتله غدراً :

في أول سنة ثلاث من الهجرة ، كانت غزوة نجد ويقال لها غزوة ذي أمر ،لما رجع رسول الله من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذي الحجة أو قريباً منها، وكان معه أربعمائة وخمسون رجلاً وهربت منه الأعراب في رءوس الجبال حتى بلغ ماء يقال له ذو أمر فعسكر به وأصابهم مطر كثير، فابتلت ثياب رسول الله ρ فنزل تحت شجرة هناك ونشر ثيابه لتجف ،وذلك بمرأى من المشركين ،واشتغل المشركون في شئونهم ،فبعث المشركون رجلاً شجاعاً منهم ،يقال له : غورث بن الحارث أو دعثور بن الحارث . (٢)

---

(1) رواه البخاري في المناقب ،باب هجرة النبي ρ ، وأصحابه ، برقم ٣٦١٦ . ومسلم في الأشربة ، باب جواز شرب اللبن ، برقم ٣٧٥٠ . وانظر : فتح الباري ،ج ٧ ، ص ٢٤٢ . وعمدة القاري ج ١٧ ، ص ٤٢ . والمنهاج ، ج ١٣ ، ص ١٨٠ .

(2) البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ٢ . وجاء في إحدى روايات البخاري أن اسم الرجل هو : غورث بن الحارث ، أنظر صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة ذات الرقاع ، برقم ٣٨٢٢ .

وفي هذا يقول جابر بن عبد الله τ ـ كما في الصحيح ـ قال : غزونا مع رسول الله غزوة قبل نجد ،فأدركنا رسول الله في واد كثير العضاه ،فنزل رسول الله تحت شجرة فعلق سيفه بغصن من أغصانها ،قال : وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر ،قال : فقال رسول الله : (إن رجلاً أتاني وأنا نائم ،فأخذ السيف فاستيقظت ،وهو قائم على رأسي ،فلم أشعر إلا والسيف صلتاً في يده ،فقال : لي من يمنعك مني ، قال : قلت : (الله) ثم قال : في الثانية من يمنعك مني ، قال : قلت : (الله) قال : فشام السيف فها هو ذا جالس ،ثم لم يعرض له رسول الله . [1]

ثم كانت وقعة أحد ... وفيها :

الصورة الثامنة : الإساءة إلى الرسول بالاعتداء عليه :

عن أبي هريرة τ قال : قال رسول الله (اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله ، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته ، وقال رسول الله اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله عز وجل) . [2]

وجاء عن أنس τ أن رسول الله كسرت رباعيته يوم أحد ، وشج في رأسه ، فجعل يسلت الدم عنه ،ويقول : (كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ،وكسروا رباعيته ،وهو يدعوهم إلى الله ، فأنزل الله عز وجل (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) . [3] [4]

الصورة التاسعة : الإساءة إلى الرسول بمحاولة قتله من يهود :

عن أبي هريرة τ قال : لما فُتحت خيبر أُهديت للنبي شاة فيها سم ، فقال النبي اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود ، فجمعوا له، فقال : (إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقي عنه) ؟ فقالوا : نعم ،قال لهم النبي : (من أبوكم) ؟ قالوا : فلان ، فقال : (كذبتم بل أبوكم فلان) قالوا : صدقت ، قال : (فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه) فقالوا : نعم يا أبا القاسم ،وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا ، فقال لهم : (من أهل النار) ؟ قالوا : نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها ،فقال النبي : (اخسئوا فيها ،والله لا نخلفكم فيها أبداً) ثم قال : (هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه) فقالوا : نعم يا أبا القاسم ،قال : (هل جعلتم في هذه الشاة سماً) ؟ قالوا : نعم ،قال : (ما حملكم على ذلك) ،قالوا : أردنا إن كنت كاذباً نستريح ،وإن كنت نبياً لم يضرك . [5]

الصورة العاشرة : الإساءة إلى الرسول بسحره من يهود :

ففي الصحيح عن عائشة قالت سُحِرَ النبي ،حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله ،حتى كان ذات يوم دعا ودعا ،ثم قال : (أشعرت أن الله أفتاني فيما فيه شفائي ،أتاني

---

(1) رواه البخاري في الجهاد والسير ، باب من علق سيفه بالشجرة في السفرعند القائلة ، برقم ٢٦٩٤ . ومسلم في الفضائل ، باب توكله على الله وعصمة الله تعالى ، برقم ٤٢٣١ ، واللفظ له . وانظر : فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٩٨ .

(2)رواه البخاري في المغازي ، باب ما أصاب النبي ρ ، برقم ٣٧٦٥ ، ومسلم في الجهاد والسير ، باب اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله ، برقم ٣٣٤٨ ، واللفظ له .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١٢٨ .

(4)رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قوله تعالى (لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ) ، برقم ٦٨٠٠ . ومسلم في الجهاد والسير ، باب غزوة أحد ، برقم ٣٣٦٤ . واللفظ له . وانظر فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٣٦٥ .

(5) رواه البخاري في الجزية ، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين ، هل يعفى عنهم ؟ برقم ٢٩٣٣ .وانظر : عمدة القاري ، ج ١٥ ،ص ٩١

رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي ، فقال أحدهما للآخر : ما وجع الرجل، قال مطبوب، قال : ومن طبه ؟ قال لبيد بن الأعصم ،قال : فيما ذا قال : في مشط ومشاقة وجف طلعة ذكر ، قال فأين هو ؟ قال في بئر ذروان) ، فخرج إليها النبي ثم رجع ،فقال لعائشة حين رجع نخلها كأنه رءوس الشياطين ،فقلت : استخرجته ، فقال : (لا ،أما أنا فقد شفاني الله ،وخشيت أن يُثير ذلك على الناس شراً ،ثم دفنت البئر) (1)

وأنَّ لهم برسول الله ، وقد حفظه مولاه (فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (2)،وكيف ينالون منه وهو يتلو آنا الليل وأطراف النهار (وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللّهِ) (3)

الصورة الحادية عشر : الإساءة إلى الرسول من يهود بمخاطبته بما لايليق:

وذلك كما قال ربنا جل وعلا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (4)

فكان الواحد منهم إذا أراد مخاطبة الرسول يقول له : راعنا ، ليوهم أنه يقول : أرعني سمعك ! وهم ـ لعنهم الله ـ " يريدون الرعونة بسبهم للنبي " (5)،وأصلها كما قال بعضهم : " هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبة ، فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين أن يقولوا ذلك النبي " . (6) إذ أن الراعن من القول السخري .

الصورة الثانية عشر : الإساءة إلى الرسول بألفاظ قبيحة :

عن زيد بن أرقم τ قال : كنت مع عمي (7)فسمعت عبد الله بن أبي ابن سلول يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال أيضاً : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ،فذكرت ذلك لعمي ، فذكر عمي لرسول الله فأرسل رسول الله إلى عبد الله بن أبي وأصحابه ،فحلفوا ما قالوا ،فصدقهم رسول الله وكذبني ،فأصابني هم لم يصبني مثله قط ، فجلست في بيتي ،فأنزل الله عز وجل (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ) إلى قوله (هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ) إلى قوله (لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) فأرسل إلي رسول الله ،فقرأها علي ،ثم قال : (إن الله قد صدقك) . (8)

يقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) (9)

---

(1) رواه البخاري في بدء الخلق ، باب صفة إبليس وجنده ، برقم ٣٠٢٨ . ومسلم في السلام ، باب السحر ، برقم ٤٠٥٩ . وانظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ٣٢٩ ، ج ١٠ ، ص ٢٢٦ .
(2) سورة يوسف ، آية : ٦٤ .
(3) سورة البقرة ، آية : ١٠٢ .
(4) سورة البقرة ، آية : ١٠٤ .
(5) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص٢٠٦ ، ٦٧٤ .
(6)جامع البيان ، ج ١ ، ص ٥١٤ . وانظر : الجامع لأحكام الفرآن ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
(7) وكان ذلك في غزوة المريسيع ، وبه قال ابن جرير الطبري ، أنظر : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٢ ، ص ١٠٩ . ،وقيل في غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة ، وبه قال ابن هشام في سيرته ، ج ٣ ، ص ٥٩ . و ابن حجر في الفتح ، ج ٨ ، ص ٦٤٩ .
(8) رواه البخاري في تفسير القرآن ، باب (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً) ، برقم ٤٥٢١ . ومسلم في البروالصلة والآداب ، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، برقم ٤٦٨٢ .
(9) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ .

قال السعدي : " وهذا يشمل كل أذية، قولية أو فعلية، من سب وشتم، أو تنقص له، أو لدينه، أو ما يعود إليه بالأذى " [١] ،والأذى يحتمل أحد أمرين :

الأول : ارتكاب ما لا يرضاه الله ولا رسوله ،من الكفر وكبائر المعاصي .

الثاني : إذاء الله تعالى ورسوله ، فإذاء الله كاليهود عندما قالوا : عزير ابن الله، ويد الله مغلولة، وقالوا: إن الله فقير، وأما النصارى فقالوا : المسيح ابن الله، وثالث ثلاثة، وأما المشركون فقالوا: الملائكة بنات الله، والأصنام شركاؤه ، ـ وبه قال ابن عباس τ ـ وإيذاء الرسول هو قولهم : شاعر ساحر، كاهن ،مجنون ،وحاشاه عليه الصلاة والسلام ، وقيل هو كسر رباعيته وشج وجهه الشريف ، وقيل غير ذلك . [٢]

وبهذا يُعلم أنه يترتب على أذية الرسول أمران :

الأول : اللعن في الدنيا والآخرة ، (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) .

والآخر : العذاب المهين ، (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) .

المطلب الثاني

حفظ الله تعالى وحمايته لنبيه

كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل النبي يقفون أمام أقوامهم يدافعون عن أنفسهم مما رماهم به المكذبون من أقوامهم ، ويحامون من أجل دعوتهم .

فهذا نوح υ يقول له قومه (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ) [٣] ، فيدافع عن نفسه قائلاً (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلاَلَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) . [٤]

وقال قوم هود لهود υ (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وِإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [٥] ، فقال هود υ دفاعاً عن نفسه (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ) . [٦]

ولما قال فرعون لموسى υ (إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا) [٧] ،ردَّ عليه موسى υ (وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَونُ مَثْبُورًا) . [٨]

وهذا لا يعني بأي حال أن الله تبارك وتعالى قد تخلى عن رسله عليهم الصلاة والسلام ، وهو الذي اصطفاهم ، واختارهم لأنبل وظيفة ، وأشرف مقصود ، بل على العكس من ذلك ،

---

(1)تيسير الكريم الرحمن ، ٢٢ ، ص ٦٧١.
(2) للاستزادة أنظر : معالم التنزيل ، ج ٦ ، ص ٣٧٥ . وروح المعاني ،للألوسي ، ج ١٦ ، ص ٢٢١ .
(3) سورة الأعراف ، آية : ٦٠ .
(4) سورة الأعراف ، آية : ٦١ .
(5) سورة الأعراف ، آية : ٦٦ .
(6) سورة الأعراف ، آية : ٦٧ .
(7) سورة الإسراء ، آية : ١٠١ .
(8) سورة الإسراء ، آية : ١٠٢ .

كما قال تعالى (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) . [١] وقال سبحانه (ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ) . [٢] وقال سبحانه (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) . [٣] ، وهذا كثير في القرآن الكريم ، مما ذكر الله تعالى عن أنبياءه عليهم الصلاة والسلام .

لكن الله تبارك وتعالى قد تولى حفظ حبيبه وصفيه بنفسه ، فتولاه بحفظه ، وكلأه برعايته ، وهذا مما اختصه به على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام [٤] ، فقال (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) . [٥] ،فالله تعالى قد كفى نبيه المستهزئين الذين كانوا يستهزئون به .

يقول ابن عاشور : " والتّعبير عنهم بوصف (المستهزئين) إيماء إلى أنّه كفاه استهزاءهم ، وهو أقلّ أنواع الأذى ، فكفايته ما هو أشدّ من الاستهزاء من الأذى مفهوم بطريق الأحْرى ،وتأكيد الخبر ب (إنّ) لتحقيقه اهتماماً بشأنه لا للشكّ في تحققه ،والتّعريف في (المستهزئين) للجنس فيفيد العموم ، أي كفيناك كل مستهزئ ، وفي التّعبير عنهم بهذا الوصف إيماء إلى أن قصارى ما يؤذونه به الاستهزاء ، كقوله تعالى (لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى) [٦] ،فقد صرفهم الله عن أن يؤذوا النبي بغير الاستهزاء، وذلك لطف من الله برسوله .

ومعنى الكفاية تولّي الكافي مهمَ المكفي ، فالكافي هو متولي عمل عن غيره ، لأنه أقدر عليه ، أو لأنه يبتغي راحة المكفي ، يقال : كفيتُ مهمك، فيتعدّى الفعل إلى مفعولين ثانيهما هو المهم المكفي منه ، فالأصل أن يكون مصدراً فإذا كان اسم ذات فالمراد أحواله التي يدلّ عليها المقام، فإذا قلت: كفيتك عدوّك، فالمراد: كفيتك بأسه، وإذا قلت: كفيتك غريمك، فالمراد: كفيتك مطالبتَه ،فلما قال هنا (كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) فُهم أن المراد كفيناك الانتقام منهم ، وإراحتك من استهزائهم" . [٧]

ويقول الله تعالى (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [٨]، وذلك بأن يمنعك من أن ينالوك بسوء ، [٩]وقال سبحانه (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) . [١٠]

قال الشنقيطي رحمه الله : " فخص الكفاية التي هي الحسب به وحده ، وتمدح تعالى بذلك في قوله (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى الله فَهُوَ حَسْبُهُ) [١١] ، وقال تعالى (وَإِن يريدوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ الله هُوَ الذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وبالمؤمنين) [١٢] ، فَفَرّقَ بين الحسب والتأييد ، فجعل الحسب

(1) سورة غافر ، **آية :** ٥١ .
(2) سورة يونس ، آية : ١٠٣ .
(3) سورة الصافات ، الآيات : ١٧١-١٧٣.
(4) أنظر : خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء ، للصادق بن محمد ، ص ٤٦ .
(5) سورة الحجر ، آية ٩٥ .
(6) سورة آل عمران ، آية : ١١١ .
(7) التحرير والتنوير ، ج ٨ ، ص ٦ .
(8) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(9) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ٦٤٦ . والدر المنثور ، ج ٣ ، ص ١١٨ . وما ذكراه من الآثار عن السلف في تفسير الآية .
(10) سورة الزمر ، آية : ٣٦ .
(11) سورة الطلاق ، آية : ٣ .
(12) سورة الأنفال ، آية ٦٢ .

له وحده ، وجعل التأييد له بنصره وبعباده " [١] ، وذكر سبحانه وتعالى في مواضع أخر أنه كفاه غيرهم ،كقوله في أهل الكتاب (فَسَيَكْفِيكَهُمُ الله) . [٢]

ويقول ابن جرير الطبري عند قوله سبحانه (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) . [٣] ، " (إِنَّ شَانِئَكَ) إن مبغضك يا محمد ، وعدوك (هُوَ الْأَبْتَرُ) يعني بالأبتر : الأقل الأذل المنقطع دابره الذي لا عقب له " ، وبعد أن ساق الأقوال في معنى الآية قال : " وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال : إن الله تعالى أخبره أن مبغض رسول الله هو الأقل الأذل المنقطع عقبه ، فذلك صفة كل من أبغضه من الناس وإن كانت الآية نزلت في شخص بعينه " . [٤]

ومن حفظ الله تعالى لخليله أنه لما له قال أبو لهب تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ،.نزل قوله تعالى (تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ) . [٥] ، [٦]

وعندما قال قومه عنه بأنه :كاهن ، رد الله عليهم بقوله (وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) . [٧] ،وعندما قالوا عنه بأنه : شاعر ، رد الله عليهم بقوله (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ) . [٨] ،وعندما قالوا بأنه : ضال ، رد الله عليهم بقوله (مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى) . [٩]،وعندما قالوا بأنه : مجنون ، رد الله عليهم بقوله (مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ) . [١٠]،ولما قالوا (إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ) [١١] رد الله عليهم بقوله (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) . [١٢]

وقال تعالى (لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ) [١٣] ، والمعنى : أن الملائكة تحفظ محمداً من أعدائه . [١٤]

ثم إن الله تعالى أيضاً قد حفظ نبيه في عموم من حفظه من رسله وأنبياءه وأوليائه ، وهو يدخل في ذلك دخولاً أولياً ، كما في قوله تعالى (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ

(1) أضواء البيان ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .
(2) أنظر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
(3) سورة الكوثر ، آية : ٣ .
(4) جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٧٢٤ .
(5) سورة المسد ، آية : ١ .
(6) جامع البيان ، ١٢ ، ص ٧٣٥ .
(7) سورة الحاقة ، آية : ٤٢ .
(8) سورة يس ، آية : ٦٩ .
(9) سورة النجم ، آية : ٢ .
(10) سورة القلم ، آية : ٢ .
(11) سورة النحل ، آية : ١٠١ .
(12) سورة النحل ، آية : ١٠٥ .
(13) سورة الرعد ، آية : ١١ .
(14) ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ، ج ٩ ، ص ٢٤٧ . وابن كثير في تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٦٦٤ . وانظر : جامع البيان لشيخ المفسرين ابن جرير الطبري ، ج ٧ ، ص ٣٥٠ ، وما ذكره من الخلاف في معنى الآية ، ونقله عن السلف في ذلك

الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) . [١] ، وقوله تعالى (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) . [٢] ، وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ) . [٣]

وفي السنة عن أبي هريرة τ قال : قال : رسول الله (ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم ، يشتمون مذمماً ، ويلعنون مذمماً ، وأنا محمد) [٤]

وما سأذكره ـ بمشية الله ـ في المطلب التالي من هذا المبحث من الصور والنماذج التي تبين كيف حفظ الله نبيه من محاولات الإساءة المتكررة ، ولكن من حفظ الله حفظه .

(1) سورة غافر ، آية : ٥١ .
(2) سورة المجادلة ، **آية : ٢١ .**
(3) سورة الحج ، آية : ٣٨ .
(4) رواه البخاري في المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله ρ ، برقم ٣٢٦٩ .

المبحث الثاني

الإساءة إلى الرسول في العصر الحاضر .

وفيه أربعة مطالب .

المطلب الأول : خطورة الوقيعة في شخص النبي أو المساس به ، وأنه مزلة خطيرة .

المطلب الثاني : صور من الإساءة إلى النبي .

المطلب الثالث : الإساءة إلى شخص النبي بالرسوم الكاريكاتورية في الدانمارك - نموذجاً - .

المطلب الرابع : الإساءة إلى الرسول في شرعه أو حكمه أو شيء مما يتعلق به .

المطلب الأول

خطورة الوقيعة في شخص النبي أو المساس به وأنه مزلة خطيرة

سبق الحديث عن (وجوب تعزيره وتوقيره) ، وذلك ضمن حقوقه على أمته [١] ،وأنه يستلزم منه ومن غيره القيام بما أعطاه ربه جل وعلا وأولاه من الحقوق العظيمة ، والعطايا الجليلة، حيث أنه سبحانه وتعالى قد " افترض على العباد طاعته وتعزيره وتوقيره ومحبته ،والقيام بحقوقه ،وسد دون جنته الطرق ،فلن تفتح لأحد ،إلا من طريقه ،فشرح له صدره ورفع له ذكره ووضع عنه وزره وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره " . [٢]

(1) أنظر : ص ١٤٠ .
(2) زاد المعاد ، ج ١ ، ص ٣٥ .

يقول الحق تبارك وتعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [١] ، يقول ابن القيم : وأصح القولين ـ أي في معنى الآية ـ أنه على عمومه ،وفيه على هذا التقدير وجهان :

أحدهما : أن عموم العالمين حصل لهم النفع برسالته .

فأتباعه : نالوا به كرامة الدنيا والآخرة .

وأما أعداؤه : فالمحاربون له ،عجل قتلهم وموتهم خير لهم من حياتهم ،لأن حياتهم زيادة لهم في تغليظ العذاب عليهم في الدار الآخرة ،وهم قد كتب عليهم الشقاء ،فتعجيل موتهم خير لهم من طول أعمارهم في الكفر .

وأما المعاهدون له : فعاشوا في الدنيا تحت ظله وعهده وذمته ،وهم أقل شراً بذلك العهد من المحاربين له .

وأما المنافقون : فحصل لهم بإظهار الإيمان به حقن دمائهم وأموالهم وأهلهم واحترامها وجريان أحكام المسلمين عليهم في التوارث وغيره .

وأما الأمم النائية عنه : فإن الله سبحانه رفع برسالته العذاب العام عن أهل الأرض ،فأصاب كل العالمين النفع برسالته .

الوجه الثاني : أنه رحمة لكل أحد ، لكن المؤمنون قبلوا هذه الرحمة ،فانتفعوا بها دنياً وأخرى ، والكفار ردوها ،فلم يخرج بذلك عن أن يكون رحمة لهم ،لكن لم يقبلوها " . [٢]

ويقول الله تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [٣]،وهذا أصل عظيم ،وبناء متين ، ونحن عندما نلتزم بذلك ،إنما هو لأمرين :

الأول : الامتثال لأمر الله تعالى ، حيث أوجبه علينا ، وأمرنا به ، وهذا يختص به الذين آمنوا بالله ورسوله .

الثاني : أنه لا يجد أي منصف نظر إلى صفاته ، وأخلاقه وشمائله ، إلا أن يُكِنَّ الحب والتقدير لهذا الرسول الكرم ، وهذه تكون من المسلمين ، كما تكون من المنصفين من الكفار .

ولهذا يستغرب العاقل كيف يجرؤ أحد على الوقيعة برسول ، أو المساس بشخصه الكريم ، لأن ذلك فساد في ذات المسيء ، ثم هو إفساد للأرض التي هو عليها ، يقول سبحانه (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا ...) الآية [٤] ، فحققهم إنزال العقوبة بهم ، لأن الساب محارب لله و رسوله ، معارض لسبب صلاح الأرض وعمارتها ، ولهذا تجد أن كل ما في القرآن من ذكر للفساد ، كقوله تعالى (وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا) [٥]،أن السب داخل فيه ، فهو أصل كل فساد في الأرض ، لأنه إفساد للنبوة ، التي هي عماد صلاح الدين و الدنيا و الآخرة . [٦]

(1) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٧ .
(2) جلاء الأفهام ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
(3) سورة الفتح ، الآيتان : ٨ ، ٩ .
(4)سورة المائدة ، آية : ٣٣ .
(5) سورة الأعراف ، آية : ٥٦ .
(6) الصارم المسلول ج ٣ ، ص ٦٣٥ . بتصرف .

ولهذا فإن الله تبارك وتعالى قد رتب اللعن على من آذى الرسول ، بأي صفة كان إذاؤه له ، يقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [(١)] بل إن " مجرد الطعن على رسول الله والوقيعة فيه يوجب القتل " [(٢)]، واستحقاق اللعن ،لأن الاستهزاء أو السخرية برسول الله لا تقتصر على ذاته الشريفة، بل هي طعن وإساءة إلى الله تعالى ، الذي اصطفاه واختاره على العالمين ،ثم هي تعم كل رسول قبله، لأنهم جميعاً دينهم واحد ، وهو الإسلام، كما قال تعالى: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) [(٣)]، وأنهم إخوة ، كما صح عن النبي أنه قال (أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الأولى والآخرة ، قالوا : كيف يا رسول الله ؟ قال الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد فليس بيننا نبي) [(٤)]

وفي قوله سبحانه تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا . وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) [(٥)]

دلالات من عدة أوجه :

أحدها : أنه قرَنَ أذاه بأذاه ،كما قرن طاعته بطاعته فمن آذاه فقد آذى الله تعالى ،وقد جاء ذلك منصوصاً عليه ،ومن آذى الله فهو كافر حلال الدم ،يبين ذلك أن الله تعالى جعل محبة الله ورسوله وإرضاء الله ورسوله وطاعة الله ورسوله شيئاً واحداً فقال تعالى : (وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) [(٦)]،في مواضع متعددة وقال تعالى : (وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ) [(٧)]،فوحد الضمير وقال أيضا : (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ) [(٨)]،وقال سبحانه : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ) [(٩)]،وقال (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ) [(١٠)]،وقال (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [(١١)]

وقال : (وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ) [(١٢)] .

وفي هذا وغيره بيان لتلازم الحقين ،وأن جهة حرمة الله تعالى ورسوله جهة واحدة ،فمن آذى الرسول فقد آذى الله ،ومن أطاعه فقد أطاع الله ،لأن الأمة لا يصلون ما بينهم وبين ربهم إلا بواسطة الرسول ،ليس لأحد منهم طريق غيره ،ولا سبب سواه ،وقد أقامه الله مقام نفسه ،في أمره و نهيه وإخباره وبيانه ،فلا يجوز أن يفرق بين الله ورسوله في شيء من هذه الأمور .

---

(1)سورة الأحزاب ، آية ٥٧ . وهذه الآية دليل على أن المسلم يقتل من غير استتابة و إن أظهر التوبة بعد أخذه كما هو مذهب الجمهور . وقال شيخ الإسلام : " فسنة رسول الله دلت من غير وجه على قتل الساب من غير استتابة " . أنظر : الصارم المسلول ج ٣ ، ص ٦٣٥ .

(2)الصارم المسلول ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(3) سورة آل عمران، آية : ١٩ .

(4) سبق تخريجه ، أنظر : ص ٥٠ .

(5)سورة الأحزاب ، الآيتان : ٥٧ ، ٥٨ .

(6) سورة آل عمران ، آية : ١٣٢ .

(7)سورة التوبة ، آية : ٦٢ .

(8)سورة الفتح ، آية : ١٠ .

(9) سورة الأنفال ، آية : ١ .

(10)سورة الأنفال ، آية : ١٣ .

(11) سورة المجادلة ، آية : ٢٠ .

(12) سورة النساء ، آية : ١٤ .

وثانيها : أنه فرَّق بين أذى الله ورسوله ،وبين أذى المؤمنين والمؤمنات ،فجعل على هذا أنه احتمل (بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) [1]،وجعل على ذلك اللعنة في الدنيا والآخرة ،وأعد له العذاب المهين .

والثالث : أنه ذكر لعنهم في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً ،واللعن : الإبعاد عن الرحمة ،ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافراً . [2]

وسب النبي ، والإساءة إليه تعلق به عدة حقوق :

١ـ حق الله سبحانه :

حيث أنه كفر برسوله ،وعادى أوليائه ،وبارزه بالمحاربة ،ومن حيث طعن في كتابه ،ودينه ،فإن صحتهما موقوفة على صحة الرسالة ،ومن حيث طعن في ألوهيته ،فإن الطعن في الرسول طعن في المرسل ،وتكذيبه لله تبارك وتعالى وإنكار لكلامه وأمره وخبره ،وكثير من صفاته .

٢ـ وتعلق حق جميع المؤمنين :

من هذه الأمة ،ومن غيرها من الأمم ،فإن جميع المؤمنين مؤمنون به ،خصوصاً أمته ،فإن قيام أمر دنيانهم ودينهم وآخرتهم به ،بل عامة الخير الذي يصيبهم في الدنيا والآخرة بوساطته وسفارته ،فالسب له أعظم عندهم من سب أنفسهم وآبائهم وأبنائهم وسب جميعهم ،كما أنه أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم وآبائهم والناس أجمعين .

٣ـ وتعلق به حق رسول الله :

من حيث خصوص نفسه ،فإن الإنسان تؤذيه الوقيعة في عرضه أكثر مما يؤذيه أخذ ماله ،وأكثر مما يؤذيه الضرب ،بل ربما كانت عنده أعظم من الجرح ونحوه ،خصوصاً من يجب عليه أن يظهر للناس كمال عرضه وعلو قدره لينتفعوا بذلك في الدنيا والآخرة ،فإن هتك عرضه قد يكون أعظم عنده من قتله ،فإن قتله لا يقدح عند الناس في نبوته ورسالته وعلو قدره ،كما أن موته لا يقدح في ذلك ،بخلاف الوقيعة في عرضه ،فإنها قد تؤثر في نفوس بعض الناس من النفرة عنه وسوء الظن به ما يفسد عليهم إيمانهم ويوجب لهم خسارة الدنيا والآخرة .

وبهذا يعلم أن السب فيه من الأذى لله و لرسوله و لعباده المؤمنين ما ليس في غيره كالكفر و المحاربة . [3]

فأين يفر المسيء إلى رسول الله من إيقاع العقوبة عليه في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة ، يقول شيخ الإسلام : " و أن الله منتقم لرسوله ممن طعن عليه و سبه و مظهر لدينه و لكذب الكاذب إذ لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد " . [4]

ونهاية المسيئين معلومة الحال ، فإن من سنة الله تعالى فيمن أساء إلى رسوله أن ينتقم منه لرسوله ويكفيه إياه ، فمن ذلك :

ـ مارواه البخاري في صحيحه عن أنس τ قال : كان رجل نصرانياً فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ،فكان يكتب للنبي فعاد نصرانياً ،فكان يقول : ما يدري محمد ،إلا ما كتبت له ،فأماته الله فدفنوه ،فأصبح وقد لفظته الأرض ،فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه لما هرب منهم

---

(1) سورة الأحزاب ، آية : ٥٨ .
(2) أنظر : الصارم المسلول ج ٢ ، ص ٨٥ ـ ٨٨ .
(3) أنظر : الصارم المسلول ج ٢ ، ص ٥٣٣ ، ٥٣٤ .
(4)الصارم المسلول ج ٢ ، ص ٢٣٣

نبشوا عن صاحبنا ،فألقوه فحفروا له فأعمقوا ،فأصبح وقد لفظته الأرض ،فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم ،فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا ،فأصبح وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه . (١)

قال شيخ الإسلام : " فهذا الملعون الذي افترى على النبي أنه ما كان يدري إلا ما كتب له ،قصمه الله وفضحه بأن أخرجه من القبر بعد أن دفن مراراً ،وهذا أمر خارج عن العادة ،يدل كل أحد على أن هذا كان عقوبة لما قاله ،وأنه كان كاذباً ،إذ كان عامة الموتى لا يصيبهم مثل هذا ،وأن هذا الجرم أعظم من مجرد الارتداد ،إذ كان عامة المرتدين يموتون ولا يصيبهم مثل هذا " . (٢)

ـ ومثل هذا أيضاً ما حدث من تجارب المسلمين في بعض العصور ،فيمن أساء إلى الرسول ، فقد حدَّث شيخ الإسلام ، فقال : " و نظير هذا ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه و الخبرة ،عما جربوه مرات متعددة ،في حصر الحصون و المدائن التي بالسواحل الشامية لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر ،في زماننا قالوا : كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر ،وهو ممتنع علينا حتى نكاد نيأس ،إذ تعرض أهله لسب رسول الله والوقيعة في عرضه ،فعجلنا فتحه وتيسر ،ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك ،ثم يفتح المكان عنوة ،ويكون فيهم ملحمة عظيمة ،قالوا :حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ،مع امتلاء القلوب غيظاً بما قالوه فيه.
و هكذا حدثني بعض أصحابنا الثقات ،أن المسلمين من أهل الغرب (٣)حالهم مع النصارى كذلك ،ومن سنة الله أن يعذب أعداءه تارة بعذاب من عنده ،وتارة بأيدي عباده المؤمنين " . (٤)

وتكمن خطورة المسألة في أمرين :

الأول : أن المسيء للرسول مسيء إلى الله ، وهذا هو حق الله ،الذي يدخل فيه حق الرسول ،كما تقدم في ثنايا هذا المطلب .

الثاني : تحقق كفر المسيء للرسول ، ووجوب قتله ،ولهذا فقد نقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سب النبي صريحاً وجب قتله ،ونقل أبو بكر الفارسي أحد أئمة الشافعية في كتاب الإجماع أن من سب النبي مما هو قذف صريح كفر باتفاق العلماء ،فلو تاب لم يسقط عنه القتل ،لأن حد قذفه القتل ،وحد القذف لا يسقط بالتوبة . (٥)

ويقول أحمد بن إبراهيم : " أن جميع من سب النبي ،أو عابه ،أو الحق به نقصاً في نفسه ،أو نسبه ،أودينه ،أوخصلة من خصائله ،أوعرض به ،أوشبهه بشيء على طريق السب له والازراء عليه ،أوالتصغير لشأنه ،أوالغض منه والعيب له ،فهو ساب له ،والحكم فيه حكم الساب يقتل " . (٦)

---

(1) في المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، برقم ٣٣٤٨ .وانظر : فتح الباري ، ج ٦ ، ص ٦٢٥ . وعمدة القاري ، ج ١٦ ، ص ١٥٠ . وهو عند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم ، برقم ٤٩٨٧ ، وفي آخره : (فتركوه منبوذاً) .

(2) الصارم المسلول ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(3) أي أهل المغرب .

(4) الصارم المسلول ج ٢ ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤. وانظر : البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٣٣٥ ، ٣٣٦ .وفيه ذكر ابن كثير ذكر قصة عساف ، الذي سب النبي ،ثم رحل إلى بلاد الحجاز ،فاتفق قتله قريباً من مدينة رسول الله ، حيث قتله ابن أخيه هناك ، والتي على إثرها ألف شيخه ابن تيمية (الصارم المسلول) .

(5) أنظر : فتح الباري ، ج ١٢ ، ص ٢٨١ .

(6) توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى ، ج ١ ، ص ١٦٢، ١٦٣ .

فبذلك يتحقق الهلاك والخسران لمن شان النبي أو أساء إليه ، أو مسَّ جنابه الكريم بشيء ، حيث يقع وصف الكفر والضلال عليه ، ومنه كانت الخطورة والمزلة الخطيرة .

المطلب الثاني

صور من الإساءة إلى النبي في العصر الحاضر

سبق الحديث في ثنايا هذا الفصل [١] عن الإساءة وصورها ،وإن المتأمل فيها يجد أنها تتحد وتتضامن ، وذلك من عدة أوجه ، أهمها : وحدة الهدف والمضمون ، وإن اختلفت الطريقة والأسلوب ، وإذا كانت تلك الإساءات متحدة ومترابطة فيما ذُكر ، فكذلك هذه الإساءات العصرية ، وذلك أن أعداء الرسل والرسالات يبدأون عداوتهم للرسل بالتكذيب وجحد رسالاتهم والتشكيك فيهم ، فلو نظرت في جدَل الكفار الذين سعوا فيه إلى رفض الرسل وإنكار الرسالة لوجدت أن التشابه الكبير بين الأسلوب الأول من المتقدمين والثاني من المتأخرين المعاصرين قال تعالى (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [٢] .

ويمكن تلخيص موقف المسيئين من المتقدمين إلى الرسول فيما يلي :

١ـ تكذيبه فيما جاء به ، كما قال تعالى (وَالَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [٣]

٢ـ جهلهم وعدم تفكرهم في حاله ـ رغم معرفتهم التامة به ـ ، مما أدى إلى اتهامه بالباطل ، كالسحر والجنون ، ونحوهما ، كما قال تعالى (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [٤] ، وقوله سبحانه (وَقَالُواْ يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) [٥]

٣ـ تكذيبهم وإنكارهم للبعث ، كما قال تعالى (وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) [٦] ،وقوله تعالى (أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) [٧]

٤ـ تعنتهم بطلب الآيات الدالة على صدق رسالته ، بعد أن تبين لهم إعجاز القرآن ، وأنهم عاجزون على أن يأتوا بمثله ، كما قال تعالى (وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا) [٨] ، وقوله جل وعلا (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ

---

(1) أنظر : المطلب الثاني من المبحث الأول .
(2) سورة الذاريات ، آية : ٥٣.
(3) سورة الأعراف ، آية : ٣٦ .
(4)سورة الأعراف ، آية : ١٨٤ .
(5) سورة الحجر ، آية : ٦ .
(6)سورة هود ، آية : ٧ .
(7)سورة الصافات ، آية : ١٦ .
(8) سورة الإسراء ، آية : ٩٠ .

خِلالَهَا تَفْجِيرًا) [١] ، وقوله سبحانه (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) [٢]

٥ـ إتهامه بما يشين ،وإنكار بشريته ، قال تعالى (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُواْ إِذْ جَاءهُمُ الْهُدَى إِلاَّ أَن قَالُواْ أَبَعَثَ اللّهُ بَشَرًا رَّسُولاً) [٣]

٦ـ استعجالهم العذاب ، قال الله تعالى (وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) [٤]

٧ـ الاستهزاء والسخرية به ، يقول الله تعالى (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا. إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [5]

والغرض من هذه السياق لهذه المواقف من لدن أهل الضلال والانحراف قديماً ، هو البرهنة على أن كل ما سيأتي من صور الإساءة الحديثة لا تخرج عن مضمون تلك الإساءات والسعي لتحقيق هدفها ـ في الغالب ـ ، سيما إذا أخذ في الاعتبار ما مرَّ من صور الإساءة في مرحلة بداية الدعوة من صدر الإسلام [٦] ، ومذهب هؤلاء متسق مع أولئك ، قال الله تعالى(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) . [٧]

كما يمكن تصنيف المسيئين المعاصرين إلى الرسول إلى ما يلي :

الصنف الأول : الملاحدة الصرحاء ، الذين يعلنون كفرهم بالله تعالى وبالنبوات وبالدين كله ، جملة وتفصيلاً .

الصنف الثاني : عموم الكفار من أهل الكتاب وغيرهم .

الصنف الثالث : الذين يظهرون انتسابهم إلى الإسلام نفاقاً .

وهنا أسوق طرفاً من تلك الصور السيئة والأمثال المسيئة والتي تبين حجم وعظم الإساءة إلى رسول الله في هذه الأيام من الذين لا خلاق لهم إلا أن يتوبوا وينيبوا إلى الله تعالى وإلا حلَّ بهم العذاب (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) [٨]

الصورة الأولى : الإساءة إلى الرسول بجحد الرسالة ، والكفر بها :

أ ـ يقول أحدهم : " كفرت بأمة الصحراء

---

(1) سورة الإسراء ، آية : ٩١ .
(2) سورة الإسراء ، آية : ٨٨ .
(3) سورة الإسراء ، آية : ٩٤ .
(4) سورة الأنفال ، آية : ٣٢ .
(5) سورة الفرقان ، آية : ٤١ ،٤٢.
(6) أنظر : المطلب الثاني من المبحث الأول ، ص ١٥٤ ـ١٧٠ .
(7)سورة الذاريات ، الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .
(8) سورة الأنعام ، آية : ١٠ . قال الزجاج : الحيق في اللغة ما اشتمل على الإنسان من مكروه فعله ،ومنه ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ،أي لا ترجع عاقبة مكروهه إلا عليهم ،قال السدي : وقع بهم العذاب الذي استهزؤا به . أنظر : زاد المسير ، ج ٣ ، ص ٩ .

ووحي الأنبياء على ثراها في مغاور مكة أو عند واديها " .[١]

ب ـ يدعي أحد المستشرقين ، وهو يلغي عقله السخيف بجحد الرسالة،فيقول : " محمد لم يكن رسولاً ، بل كان مصلحاً عظيماً ،أو سياسياً بليغاً أو عبقرياً " .[٢]

الصورة الثانية : الإساءة إلى الرسول بالتشكيك [٣]، والاتهامات الباطلة :

فمن ذلك :

أ ـ الإساءة إلى الرسول بوصفه بالضلال :

يقول الضال [٤]: " ... وهم بعيدون عن الخلاص ، لإنهم ينكرون المسيح هو مخلص الإنسانية ، وأنه الرب وابن الرب في الوقت نفسه ،ويقدسون المضلل محمداً " .

ب ـ الإساءة إلى الرسول بالتشكيك في وجود الرسالة :

١ـ يقول أحد المفكرين الغربيين في كتاب له [٥]: " إن محمداً لم يرد ذكره في التوراة [٦]والأناجيل ، ولا يمكنه أن يدعي أن الرسل الأسبقين قد تنبؤوا بظهوره وبعثته من بعدهم " ثم اتهم الرسول بأنه قد حرف التوراة والإنجيل [٧] من خلال الأساطير والخرافات التي يتلوها على أصحابه " ، ثم قال " ولم يؤمن برسالة محمد إلا المتوحشون من البشر " .

٢ـ يقول أحدهم : " حراء هل هجرت حمامتك الوديعة ؟
هل جفت العنكبوت ؟
عادت (منى) وأبولهب
عادا فما تبت وتب !
والكعبة استخدمت منابرها للغو خوارج
لا الله يكبح من جماح ضلالهم ، لا الأنبياء
ولا الكتب !
واستشهد الأنصار وانهارت مدينتهم
وشرّعت المساجد للصوص المارقين !
والله أكبر لكنه جوفاء
تطلقها نفايات المسوخ التافهين
فاركب بعيرك يا محمد

(1) والقائل هو الحداثي المستغرب بدر شاكر السياب . أنظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ، ج ٢ ، ص ١٢٣٧ .
(2) أنظر : محمد والخناجر المسمومة ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .
(3) وهذا أسلوب دأب عليه أعداء الرسل منذ أمد بعيد ، وقد ذكر بعضهم هذا الأسلوب الحداثي ، وضرب أمثلة له ، وقال عنه : " السخرية أداة فعّالة في التشكيك بالمسلمات " . أنظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ، ج ٢ ، ص ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ .
(4) وهو أوتو الفرايسنجي ، أنظر : صورة الإسلام في التراث الغربي ، ص ٢٦ .
(5) وهو توماس الأكويني ، في كتابه : " الشامل في الرد على الكفرة " ،أنظر صورة الإسلام في التراث الغربي ، ص ٣٢ .
(6) للاستزادة أنظر : الصفحة السوداء للكتاب المقدس ، لمحمد حسني يوسف ، ص ١٢٥ .
(7) أنظر : محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل ، لمحمد الطهطاوي ، ص ٤٥ . ومحمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ، لعبد الأحد داود ، القس أورميا سابقاً ، ص ٢٢ .

وتعال لي في الشمس معبد " [١]

ج ـ الإساءة إلى الرسول بالاتهامات الباطلة :

١ـ جاء في الموسوعة العبرية قوله أنه : " بعد زواجه ـ عليه السلام ـ من خديجة وعلى مدار ١٥ سنة ، تصارع محمد مع رؤساء قبيلته على مكانته بينهم ، وكان إختلاؤه بالغار بهدف التفكير بالمشاكل الاجتماعية في مكة " ،وقال " في البداية ومحمد ضعيف نظر بتسامح للأصنام في الجاهلية ، كما اعتبرهذه الأصنام وسطاء ، وبمثابة ملائكة " ، وقال عن سبب إجلاء اليهود من المدينة أنه بسبب شجار ، ثم قال " ولأن وجودهم ـ أي اليهود ـ يذكر محمداً بفشله في إقناعهم بدعوته " [٢]

٢ـ تحدث أحدهم [٣] عن رسولنا محمد في محاضرة مسجلة بصوته : " ده شخص راق لكن ما تقولوا : معصوم ما يعمل حاجة غلط " . بل وقال عنه أيضاً : " ويقول أخبار تطلع غلط " .

٣ـ وفي موضع آخر زعم بأن الله سبحانه وتعالى لم يعصم رسولنا إلا من الناس مستدلاً بقوله تعالى: (وَاللّـهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّـاسِ) [٤] ،ويقول أيضاً: "هسع كلمة العصمة دي، الصحابة كانوا بيعرفوها، هسع لو جابوا الصحابة كلهم قعدوهم بيعرفوا عصمة النبي؟ وما عصمة النبي؟ يقولوا لهم النبي كذاب . يقولوا: كلا حاشا ما نبي كذاب، لكن ما بيعرفوا كلمة العصمة، دي كلمة عملوها المتكلمين". [٥]

الصورة الثالثة : الإساءة إلى الرسول ببغضه والسخرية والاستهانة به :

فمن ذلك :

أ ـ يقول أحدهم في مقطوعة مليئة بأنواع الضلال ، من تهكم وسخرية بالنبي :

" كمئذنة تردد فوقها اسم الله
وخط اسم له فيها
وكان محمد نقشاً على آجرة خضراء
يزهو في أعاليها
فأمسى تأكل الغبراء
والنيران من معناه
ويركله الغزاة بلا حذاء
بلا قدم
وتنزف منه ، دون دم

(1) وهي للحداثي النصراني : سميح القاسم ، أنظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ، ج ٢ ، ص ١٢٤٠ ، ١٢٤١ .
(2) أنظر رد الطعون في الموسوعة العبرية عن الإسلام ورسوله ، للدكتور موسى البسيط ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢ .
(3) وهو الدكتور حسن عبد الله الترابي ، وهو من مواليد قرية ود الترابي بمقاطعة الجزيرة بالسودان ١٩٣٢م ، تلقى من والده علوم العربية والفقه وأصول الأحكام وفقه المذاهب وعلوم القرآن والتفسير ، وقد حفظ القرآن ببضع قراءات ،وهو مؤسس الجبهة الإسلامية القومية بالسودان ، والتي هي في الأصل حركة إسلامية تجديدية انبثقت عن حركة الإخوان في مصر ، إلا أنها بدأت تنحو منحى بعيداً عم منهج الإخوان المسلمين . أنظر : الموسوعة الميسرة ، ج ١ ص ٢٣١ .
(4) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(5) وهذه الأقوال للدكتور : حسن الترابي ، من موقع شبكة المشكاة الإسلامية ، أنظر الرابط التالي :
http://www.meshkat.net/new/contents.php?catid=5&artid=5125

جراح دونما ألم
فقد مات
ومتنا فيه ، من موتى ومن أحياء
فنحن جميع أموات
أنا ومحمد والله .
وهذا قبرنا : أنقاض مئذنة معفرة
عليها يكتب اسم محمد والله " .[١]

وجنس هذه السخرية ما يطرح في كثير من الصحافة السيارة اليوم ، وفي الملتقيات الأدبية والثقافية المغلقة .

ب - نشرت إحدى الصحف الغربية [٢] بأن البعض رفض في الكنيسة [٣] وضع اسم النبي محمد مع أسماء أنبياء آخرين ، كإبراهيم وإسحاق ويوسف ويوحنا .... ، الذيم قادوا شعب الله إلى النور ، ثم في موضع آخر يعلل ذلك بأن وضع اسم محمد مع الآخرين انتصار للنيات الحسنة على الدين الصائب .[٤]

ج - إحدى المجلات العربية [٥]تنشربزعمها مواقفاً لله تعالى ورسوله وأحد الملائكة ، وهم يلاعبون صحابياً من كبار الصحابة، ويروِّعونه بدخول النار ! ،ثم يقولون له : أنظر إلى الكاميرا الخفية !!

د - قام بعض المتطرفين اليهود بإلقاء رأس خنزير في ساحة مسجد حسن بك في مدينة يافا، ملفوف بكوفية ومكتوب عليها اسم رسول الله باللغة العبرية [٦].

الصورة الرابعة : الإساءة إلى الرسول بوصف رسالته بأنها مناقضة للعقل وسبباً للتخلف :

فمن ذلك :

أ - الإساءة إلى الرسول بزعم أنه جاء بالمتناقضات والتخلف :

حيث يقول أحدهم : " إن الرسول أتى بما كان منافراً للعقول ، وما الطواف وغسل الجنابة ورمي الحجارة والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر والعدو بين حجرين لا ينفعان ولا يضران ، وهذا كله مما لا يقتضيه عقل ، فما الفرق بين الصفا والمروة إلا كالفرق بين أبي قبيس وحراء ، وما الطواف على البيت إلا كالطواف على غيره من البيوت "، و إذا صح أن " الرسول شهد للعقل برفعته وجلالته ، فلماذا أتى بما ينافره إن كان صادقاً " . [٧]

---

(1) وهي أيضاً للسياب ، أنظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ، ج ٢ ، ص ١٢٨٥ ، ١٢٥٩ .
(2) وهي الديلي تلغراف ، في ٢٥ / ١١ / ٢٠٠١م .
(3) وهي كنيسة الإنغيليكان .
(4) صراخ الحضارات ، ص ٣٣ .
(5) وهي جريدة نيشان المغربية . أنظر موقع : إلا رسول الله ، على الرابط التالي :
http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=2490 - 38k
(6)أنظر : صحيفة عكاظ في عددها (١٤٢٣٩) الصادرة يوم الأحد، ١٦ رجب ١٤٢٦، الموافق ٢١ أغسطس ٢٠٠٥ .
(7) وهذا الكلام الوقح لأدونيس النصيري الباطني الملحد ، أنظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ، ج ٢ ، ص ١٣٠١ ، ١٣٠٢ . والحداثة في ميزان الإسلام ، ص ٩٨ ، لعوض القرني . والتيارات الوافدة وموقف الإسلام منها ، للدكتور محمود مزروعة ، ص ١٧١ ، وما بعدها ، وأنا هنا لست بصدد حصر الإساءات من فلول الحداثة وأرباب العلمنة والإلحاد ، لإن ذلك مما يطول به المقام ، إنما أردت التمثيل ليس إلا ، ثم إن ذكر بعض النماذج السيئة لا يعني أنها الأشنع

ب ـ الإساءة إلى الرسول بتنقصه والطعن في رسالته ، وأن العقل لا يقبل ما جاء به :

حيث جاء في عنوان إحدى الصحف العربية ما نصه : " القرآن متناقض ، حوى خرافات ، مثل قصة أهل الكهف ، وعصا موسى ؟! "

ويقول المتحدث : " الرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان إنساناً بسيطاً ، يسافر كثيراً عبر الصحراء العربية ، ويستمع إلى الخرافات البسيطة السائدة في ذلك الوقت ، وقد نقل تلك الخرافات إلى القرآن ، مثال ذلك : عصا موسى ، وهذا شيء لا يقبله العقل بعد اكتشاف باسترو ، وقصة أصحاب الكهف " .

ويمضي قائلاً : " إن المسلمين وصلوا إلى تأليه الرسول محمد ، فهم دائماً يكررون : محمد ، الله يصلي على محمد ، وهذا تأليه لمحمد ... " . [1]

وهذا كفر صراح ، لما يتضمنه من الطعن برسالة الرسول ، ونسبة الخرافات لمقام الرسالة المحمدية العظيم .

الصورة الخامسة : الإساءة إلى الرسول بمحاولة التلاعب بشخصية وانتقاصها :

ومثال ذلك عندما تم التوقيع على تأسيس شركة مع مخرج سينمائي لإنتاج : (فلم محمد رسول الله) [2]، وذلك بالاستناد إلى قصة أقرها الأزهر والمجلس الشيعي الأعلى . !

وهذا عين الاستهزاء والسخرية بخير البرية ، لما يتضمنه من التنقص والتلاعب بشخصه الكريم ، ولهذا فلا غرابة أن يقره المجلس الشيعي الأعلى ، ولكن المستغرب إقرارغيره ! .

الصورة السادسة : الإساءة إلى الرسول بإتهامه بالكذب وبما يشين :

أ ـ كتاب (على هامش السيرة) [3]، فبعد أن ألف صاحبه كتاب (الشعر الجاهلي) ، والذي نشبت على إثره معركة ، قام بتأليف (على هامش السيرة) ، والذي يزعم فيه أنه أدى الأمانة العلمية ، وقد دس السم الزعاف فيه ، ففاضت روحه حقداً وحسداً ، وأنتجت التشوية على

إساءة ، فللصغار ممن ذكرتُ شيوخاً وأكابر هم أكثر إغالاً في الضلال والعمى ، ومنهم الثمار النتنة والخراج الخبيث ، أمثال طه حسين ، ولطفي السيد ، من أول طلائع شداة العلمانية ، وغيرهم .

(1) وهوجزء من محاضرة ،نشرت طرفاً منها صحيفة الشهاب اللبنانية في عددها الصادر في ٢٣ ربيع الأول ١٣٩٤ هـ ، وهي لمسؤول كبير ، ألقاها في إحدى المناسبات حول الثقافية الذاتية والوعي القومي ، أنظر : أركان الإسلام ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، ص ٦٦ ـ ٦٨ . ومجموع فتاوى ومقالات متنوعة له رحمه الله ، ج ١ ، ص ٨٢ ، وما بعدها .

(2) عرض هذا الموضوع على المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة حرسها الله في دورته الثالثة عشر المادة السادسة من قراره المتخذ خلال المدة من ١ شعبان ١٣٩١ هـ إلى ١٣ شعبان ١٣٩١ هـ ، فقرر تحريم إخراج (فلم محمد رسول الله) ، وإليك نص ما يهمنا في هذه المسألة :" يقرر المجلس التأسيسي بالإجماع تحريم إخراج فلم محمد رسول الله ، لما فيه من تمثيله بآلة التصوير الكاميرا ، مشيرة إليه وإلى مواضعه وحركاته وسائر شئونه بالتحديد ... " . أنظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، ج ١ ، ص ٤١٣ ، وما بعدها .

(3) وهي للروائي والمفكر العلماني المشهور : طه حسين ، المولود في ١٤ نوفمبر ١٨٨٩ م ، في مغاغة في محافظة المنيا وسط صعيد مصر ،وكان والده ذو نزعة صوفية ، وقد فقد بصره وهو في سن مبكرة ، وكان بسبب مرض الرمد . أنظر : طه حسين بين الشك والاعتقاد ، للشيخ كامل محمد محمد عويضة ، ص ٥ ـ ٧ ، ١٤٥ ـ ١٥٣ . وطه حسين ... الجريمة والإدانة ، لجابر رزق ، ص ١٨٣ ـ ١٨٦ .

السيرة وصاحبها ،فهو لم يصدق فيما نقل ، بل كذب وافترى فيما قال وادعى ، فقد منح نفسه كامل الحرية في رواية الأخبار واختراع الحديث ، واتخذ من سيرة الرسول تسلية ، لأن أخبارها غير ثابتة ـ كما يزعم ـ .

ب ـ الرواية الإلحادية : (أولاد حارتنا) [١]، التي تعرض فيها إلى الرسول بالإساءة إليه من السخرية والاستهزاء والكذب بأن (ورقة بن نوفل) هو الذي يعلم النبي ،وقد استخدم فيها أسلوب الرمزية بشكل لم يكن معهوداً من قبل ، فقد رمز إلى الله ـ تعالى الله ـ بالجبلاوي ،وأدهم ويعني به آدم υ ،و جبل ويعني به موسى υ،وعيسى υ برفاعة ،وقاسم ويعني به الرسول ، وزكريا ويعني أبا طالب ،ويحيى ويعني به ورقة بن نوفل ،ويسمي قريشاً بحي الجرابيع وهكذا ، وكان مما قال : " وقاسم غلام يتيم يكفله عمه زكريا بائع البطاطا الفقير ،ويشب قاسم على حكايات الجبلاوي وأدهم وجبل ورفاعة ويعمل بالتجارة مع عمه ثم يتفرغ لرعي الغنم ويكثر من زيارة العجوز يحيى ... " . [٢]

ج ـ رواية : (آيات شيطانية) [٣] :

وهي أوضح دليل وأقرب مثال على ذلك ،والتي يبدأ فيها فصل الإساءة إلى الرسول بعنوان : (ماهوند) [٤]، حيث سخر من الرسول ، وأنه كان يملي القرآن على الكاتب الفارسي حين كان الشيطان يوحي إليه .

وكان مما ذكر : معبود قريش ، وهي الأصنام ، وهذا يعني أنه تم ذكر الأصنام بخير، وذلك في القرآن . [٥]

إضافة إلى أن (مهاوند) لم تكن لديه القابلية ليفرق بين ما كان يوحي إليه الشيطان وبين ما كان يملي هو ، ثم إنه ذكر بأن الكاتب الفارسي كان يحرف ما كان يمليه عليه (مهاوند) ،

---

(1) صدرت رواية (أولاد حارتنا) عام ١٩٥٩م ، وكانت تنشر كمسلسل في جريدة الأهرام ، في الفترة مابين ٢١ / سبتمبر إلى ٢٥ / ديسمبر من العام ١٩٥٩م ،ثم بعد ذلك صودرت وأوقف نشرها بواسطة المخابرات المصرية ،وهي للروائي : نجيب محفوظ ، وهي الرواية التي حصل بها كاتبها على جائزة نوبل في الأدب عام ١٩٨٨م !

(2) أنظر : الاستهزاء بالدين ، ص ٣٣٦، ٣٣٧ . ودراسة المضمون الروائي في أولاد حارتنا لنجيب محفوظ ، لعبد الله المهنا ، ص ٣٩ ، وما بعدها .

(3) للروائي البريطاني من اصل هندي : سلمان رشدي ، لا رحم الله فيه مغرز إبره ،والذي صدر في لندن في ٢٦ سبتمبر١٩٨٨ م ،وقد دفع أصحاب دار (فايكنج) و (بنجوين) البريطانيتين مكافأة مالية قدرها ثمان مئة ألف دولار نقداً في مقابل هذه الرواية ، وهي أعلى مكافأة تعطى لكاتب رواية ، كما فرضت على الكاتب حماية أمنية ، وفي الآونة الأخيرة أستقبل الرئيس الأمريكي (كلنتون) هذا الزنديق ، وفي البيت الأبيض !!

(4) ماهوند : هو اسم استعمل في القرون الوسطى من قبل النصارى المتطرفين لوصف الرسول محمد بأنه : كلب ، ويذكر بعضهم أنها تعني : الدجال والكلب ، لعنهم الله . أنظر : الاستهزاء بالدين ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

(5) وأصل اعتماده بعد فساد قلبه مايقول إنه جاء في سيرة ابن سحاق أنه : (قرأ رسول الله بمكة النجم فلما بلغ هذا الموضع (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى) سورة النجم ، آية : ١٩ ، ٢٠ . قال : فألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وأن شفاعتهن ترتجى قالوا : ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا فأنزل الله عز وجل هذه الآية (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) سورة الحج ، آية : ٥٢ . قال ابن كثير : " ولكنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح والله أعلم " . تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٣٠٨ .وقد جمع الألباني طرق وروايات هذا المتن العشر، ثم بين عللها وما في مسانيدها من خلل ، ثم ذكر بعض البحوث والنقول عن بعض الأئمة الفحول ذوي التحقيق في الفروع والأصول ، وقال : " تؤيد ما ذهبنا إليه من من نكارة القصة وبطلانها ووجوب رفضها وعدم قبولها تصديقاً لقوله تعالى : (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) سورة الفتح ، آية : ٩ . نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، للألباني ، ص ٤ .وللاستزادة انظر : جامع البيان ، ج ٩ ، ص ١٧٤ .والجامع لأحكام القرآن ، ج ١٥ ، ص ٢٣١ .والفتاوى الكبرى ، ٥ ، ص ٢٤٩ .وفتح الباري ، ج ٨ ، ص ٤٣٩ . وعمدة القاري ، ج ٧ ، ص ٩٩ . وتحفة الأحوذي ، ج ٣ ، ص ١٣٦ .

فإذا أملى عليه (إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) [١] كتب (إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) [٢]، وأن (مهاوند) لم يلاحظ هذا التحريف أو الاختصار ، وأن الكاتب كان ينتقل إلى التحريف الأكبر والأهم ، فإذا أملى (مهاوند) : النصارى ، يقول الكاتب الفارسي : كنت أكتب اليهود .

وكذلك أخزاه الله يقول بإنه يوجود دار للدعارة في مدينة الجاهلية ،والتي يقصد بها مدينة مكة ،وكان في دار الدعارة هذه ١٢ امرأة ،وكانت أسماءهن مطابقة لأسماء زوجات الرسول ،وفيه أيضاً وصف تفصيلي للعمليات الجنسية الذي قام بها (ماهوند).

وإذا ما أنكر المسلمون هذه الزندقة البشعة ،وهذا الكفرالشنيع اتهمونا (بالبربرية ،والجمود ، والتخلف و (عدم السماح لحرية التعبير) ،أو (عدم القدرة على فهم وإدراك القيمة العليا لحرية التعبير ، وأننا لا نقبل الرأي الآخر) ، وهذا الحكم كم سيتغير بل سينقلب لو كانت الرواية قد أشارت ولو من طرف خفي إلى عقائد المسيحية ، أو شكك في محرقة اليهود (الهولوكوست) [٣]، ومعاناتهم في الحرب العالمية الثانية [٤].

د ـ كتاب (نبي الخراب) ، الذي وصف الرسول بأنه قاطع طريق وبكلام وقح :

فبعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ شهد العالم تصاعداً في الكتابات التي تطعن في الإسلام عموماً و شخصية الرسول خصوصاً ، وقد صدر العديد من الكتب التي اشتهرت وانتشرت لأسباب لا تتعلق بخبرة مؤلفي هذه الكتب بتاريخ الديانات ، وإنما لأن سوق الغرب يشجع ويدعم هذا التوجه في التأليف الحاقد .

---

(1) سورة البقرة ، آية : ١٨١ .

(2) سورة التوبة ، آية : ٢٨ .

(3) حول هذا أنظر : صناعة الهولوكوست تأملات في استغلال المعاناة اليهودية ، ص ٢١ .

(4) عُرض موضوع (سلمان رشدي) على المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة ، وكن مما قرره : في بيان من الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي بشأن الرواية التي كتبها وما تضمنته من إساءات واعتداءات على عقائد وشخصيات إسلامية معظمة :

١ – يرى المجلس : أن ما ورد في هذا الكتاب ، المسمى- (بالآيات الشيطانية)- من المفتريات المشار إليها ، لا يستحق أن يواجه بردود علمية ، لأنه من قبيل الشتائم والأوصاف البذيئة ، وليس آراء علمية أو تاريخية تستوجب الرد العلمي .

٢- يقرر المجلس : استنكار هذا العمل الصادر عن هذا المجرم ، ويعلن المجلس : أن هذا الرجل بعمله هذا يعتبر مرتداً عن الإسلام الذي نشأ في ظله ، وأنه يستحق أن يطبق عليه ما تنص عليه الشريعة الإسلامية.

٣- يعلن المجلس : أنه يجب ملاحقة هذا الشخص بدعوى قضائية جزائية تقام عليه ، وعلى دار النشر التي نشرت له هذه الرواية في المحاكم المختصة في بريطانيا ، وأن تتولى رفع هذه الدعوى عليه منظمة المؤتمر الإسلامي التي تمثل الدول الإسلامية وأن توكل في هذه الدعوى أقوى المحامين المتمرسين في القضايا الجنائية أمام محاكم الجزاء البريطانية ، ممن يوثق بأمانتهم المسلكية.

٤- يعلن المجلس : أنه يجب أن تقام أيضاً على هذا الكاتب السافل دعوى جزائية في بلد إسلامي من قبل النيابة العامة فيه ، يحاكم فيها غيابياً ويحكم عليه بما توجبه الشريعة الإسلامية في أمثاله - حتى ولو لم يكن هذا الحكم مجال تنفيذ فوري- ويعلن ذلك إعلامياً . وذلك للتعبير عن سخط المسلمين في العالم على هذا الأسلوب من العدوان السافل .

أنظر : مقدمة الصارم المسلول ، ج ١ ، ص ٢١٦ ، ٢١٧ . وحرية التعبير في الغرب من سلمان رشدي إلى روجيه جارودي للدكتورشريف عبد العظيم ، ص ٣٥ ، وما بعدها . ورسومات شيطانية ، ص ١٤٩، ١٥٤ .وموقع رابطة العالم الإسلامي :

http://www.themwl.org/Bodies/Decisions/default.aspx?d=1&did=138&l=AR

- وكذلك قرر مؤتمر وزراء الخارجية المسلمين المنعقد في الرياض في ٦/ ٩ / ١٤٠٩ هـ ردة هذا الخبيث ، وحظر كتابه ، ومنع مؤلفه من دخول البلدان الإسلامية كافة ، وأن يسحب فوراً من التداول ، وفرض حظر بيعه ، وغير ذلك مما قرر المؤتمر . أنظر : حكم الإسلام في جرائم سلمان رشدي ، للدكتور علاء الدين خروفة ، ص ١١٨ ، ١١٩ .

ومن أشهر الكتب التي صدرت في هذه الفترة كتاب باسم : (نبي الخراب) ،الذي وصف الرسول بقاطع طريق ، وأنه استعمل البطش والاغتيالات والخداع للوصول إلى السلطة المطلقة ،وكان أيضاً ـ عليه لعنة الله ـ قد وصف الرسول بأنه شاذ جنسياً . (١)

هـ ـ وفي برنامج تلفزيوني يتكلم أحدهم ـ قطع الله لسانه ـ إذ يقول : أنا أعتقد أن محمداً كان إرهابياً ، وأنه كان رجل عنف ورجل حروب . (٢)

و ـ وفي برنامج آخر يقول أحدهم : ما عليك هو فقط أن تقرأ ما كتبه محمد في القرآن ، إنه كان يدعو قومه إلى قتل المشركين ...، إنه رجل متعصب إلى أقصى درجة ...، إنه كان لصاً وقاطع طريق . (٣)

ز ـ يقول أحدهم (٤) واصفاً الرسول : " خادم العاهرات ، وصائد المومسات " .

ح ـ الإساءة إلى الرسول بأنه في جهنم و بالقذف الصريح واتهام أمه بالزنا :

١ـ إذا كان من مخلفات الفكر الغربي في القرون الوسطى : " أن محمداً (المرتد) الأكبر عن المسيحية ، الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية " ، فلا غرو أن يتهمه فاجر سخيف بقوله في مقطوعة ، يصفها بأنها " الكوميديا الإلهية " :

" برميل فقد سدادته وضلعه
ليس مشقوقاً مثل شخص هناك
كان مشقوقاً من ذقنه حتى قضيبه
عندما أردت أن أتأمله بدقة
نظرت إليَّ ، ثم مزق صدره بيديه ، قائلاً :
انظر كيف أمزق جسمي
تعال وتأمل كيف يتألم محمد في جهنم
وترى أمامي علي بن أبي طالب يخر باكياً
وقد شقت رأسه من الذقن حتى شعر الرأس
وجميع من تشاهدهم هنا في هذا الجزء من جهنم
كانوا في الحياة الدنيا أهل شجار وشقاق

---

(1) وهو للمؤلف : كريك ونن (Craig Winn) ومما يُذكر عنه أنه رجل أعمال وملياردير جمع ثروته من خلال تسويق وبيع المنتجات عن طريق الإنترنت، أنظر : الموسوعة الحرة ويكيبيديا الإلكترونية على شبكة المعلومات العالمية : http://ar.wikipedia.org/wiki

(2) والمتحدث هو : جيري فالويل ، وذلك في يوم الأحد ٦ أكتوبر ٢٠٠٢ م ، وفي برنامج (٦٠ دقيقة) ، أنظر : أسرار الهجوم على الإسلام ونبي الإسلام ، ص ٨ . وانظر : محمد والخناجر المسمومة ، لبباوي ، ٥٣ . ولماذا يكرهونه ؟ للدكتور باسم خفاجي ، ص ٣٦ . وفي مقال في صحيفة فرنسية تعرضت بالسب والذم لشخص الرسول ، واتهم كاتبه التعاليم الإسلامية أنها تحمل العنف ،وهي صحيفة (لوفيغارو) الفرنسية التي وزعت في تونس ،وقد صادرت السلطات التونسية الصحيفة ومنعت توزيعها بسبب نيلها من الرسول ، أنظر الخبر في صفحة نبي الإسلام على الرابط التالي : http://islamprophet.ws/naby/index.php?pg=des&id=38

(3) والمتحدث هو : بات روبرتسون ، وذلك في برنامج (هانتي وكولمز) ، الذي تبثه قناة (فوكس نيوز) ، أنظر محمد رسول الله ، للدكتور منير البياتي ، ص ٣٠ ، وأسرار الهجوم على الإسلام ، ص ٨ .

(4) وهو مارتن لوثر ، مؤسس الكنيسة البروتستانتية الإصلاحية ، أنظر : صورة الإسلام في التراث الغربي دراسات ألمانية ، ترجمة ثابت عيد ، ص ٢١ .

ولذلك فقد قطعت أجسامهم وشوهت أجسادهم هنا في دار السعير " (١).

٢- من ذلك ما جاء في المقال الصحفي التالي وهو: " إن القارئ المدقق للأحداث التي رويت عن هذه الفترة سيجد حقائق اغفل عنها كل من تناول سيرة محمد ..وكلها تثبت أن محمداً ليس ابن عبد الله!! فيجد أن عبد الله وأبوه عبد المطلب تزوجا في يوم واحد، تزوج عبد الله آمنة وتزوج عبد المطلب هالة، حملت آمنة بمحمد بعد الزواج مباشرة ومات أبوه وأمه حامل به، أنجب عبد المطلب حمزة وكان حمزة أكبر من محمد بأربع سنوات مما يدل على أن الحمل بمحمد وولادته جاءت بعد الحمل بحمزة وولادته بأربع سنوات، عبد الله مات بعد الزواج بآمنة ولم يمكث معها إلا شهوراً قلائل، إذا المولود بعد سنوات من موت عبد الله لا يمكن أن يكون ابن عبد الله، إلا إذا كان محمد مكث في بطن أمه أربع سنوات، آمنة تعترف أن الحمل بمحمد سبقه حمل أخر مرة أو مرات،هل لمحمد إخوة ؟ من هم وأين ذهبوا أو طمست سيرتهم ؟ ". (٢)

٣- وأيضاً ما أعلنت عنه دار عرض أمريكية ،بأنها سوف تعرض فلماً إباحياً بعنوان : (الحياة الجنسية للنبي محمد) (٣)

٤- يقول أحد القساوسة - أخزاه الله - مفسراً سر زواج الرسول عدة مرات بأنه : "شاذ يميل للأطفال ويتملكه الشيطان، تزوج من ١٢ زوجة أخراهم طفلة عمرها تسع سنوات" !.(٤)

الصورة السابعة : الإساءة إلى الرسول برسم صورته بالكاريكاتور (٥):

وبقدر ما في ذلك من الجرأة والوقاحة على جنابه الكريم والسماجة والامتعاض ، فإن فيها كفر بواح واستهتار صراح بمقام سيد العالمين ، ومن ذلك :

أ - رسام أمريكي ، حاول أن يصور الرسول ، فرسمه وهو يجر عربة محملة بالقنابل . (٦)

---

(1) أنظر : صورة الإسلام في التراث الغربي ، ص ٢٤ .
(2) وهذه المقالة هي التي نشرت بجريدة الوفاق السودانية ، تحت عنوان : (مولد المصطفى) بتاريخ ١٢/ربيع الأول/١٤٢٦هـ الموافق ٢٠٠٥/٤/٢١م ،والتي يرأس تحريرها محمد طه محمد أحمد . أنظر : موقع شبكة المشكاة الإسلامية على الرابط التالي : http://www.meshkat.net/new/contents.php?catid=5&artid=5125
(3) وهو ما نشرته صحيفة هيوستن برس الأمريكية الأسبوعية في ولاية تكساس .
أنظر : الإسلام اليوم على الرابط التالي :.http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content
وصيد الفوائد على الرابط التالي : http://saaid.net/mohamed/48.htm
(4) وهو القس جيري فاينز ، الرئيس السابق للمؤتمر السنوي للكنيسة المعمدانية الجنوبية ، ،انظر التحقيق المنشور في الموقع عن فضيحته ووقوعه في الشذوذ الجنسي ، فكل إناء بما فيه ينضح : http://www.islammemo.cc/article1.aspx?id=5198
ومثله المستشرق : لورا هلين سوبريدج ،الإنجليزي الجنسية في كتابه : أحلام المرأة ورسالتها ، انظر : محمد والخناجر المسمومة ، ص ٧٣ . ولماذا يكرهونه ؟ ، ص ٣٩ .
(5) فيما يلي (المطلب الثالث من هذا المبحث) قد خصص للإساءة إلى شخص الرسول بالرسوم الكاريكاتورية في الدانمارك كنموذج عصري وحاضرعلى عظم الإساءة لمقام الرسول الرفيع .
(6) أنظر : مقدمة كتاب محمد والخناجر المسمومة الموجهة إليه ، لبباوي ، والتي كتبها : إبراهيم نافع .

ب - نشرت صحيفة عربية رسماً كاريكاتورياً لشخص له جسم الديك ، وحوله تسع دجاجات ، ويقول معلقاً تحت هذه الصورة : " أهوه ده ياسيدي محمد أفندي اللي متجوز تسع " ، بمثل هذا الخبث السافر تنشر على الملأ مثل هذه الضلالات المسيئة إلى الرسول وإلى شريعته الغراء .[١]

ج - نشرت مجلة كندية رسماً كاريكاتورياً للنبي ، وهو يقبِّل المسيح ، ويظهر في الرسم النبي والمسيح في مركب على شكل بجعة أمام نفق للتسامح .[٢]

د - كتيب (محمد صدق و إلا)[٣]، الذي وصف الرسول بأنه غبي ، وبما يسيىء إليه أعظم إساءة ،وهو محاولة للحد من تغلل منظمة أمة الإسلام[٤] بين المجتمع ، الأسود في الولايات المتحدة، حيث قامت دار بنشر كتيب كاريكاتوري أسمه : (محمد صدق و إلا) لحساب رسام إستعمل إسماً مستعاراً .

ويطرح الكتيب : الحديث و السنة النبوية بصورة مهينة ويستخدم الرسومات التي دعم بها كتيبه التي تظهر النبي بصورة غبية ،- عليهم لعائن الله - بهدف إقناع السود الأمريكين بعدم التحول إلى منظمة أمة الإسلام .

هـ - في كتاب **(تاريخ العالم)** وهو باللغة الإنجليزية وكان مقررًا على طلاب الصف الأول الثانوي ببعض مدارس اللغات الخاصة بمصر التي تمنح الشهادة الثانوية الأميركية ،وفيه صورة للرسول ، ولا يظهر فيها وجهه بينمايبدو متأهباً لدخول مكة أو المدينة وأمامه رجل راكع يقبل قدميه ،ويقال بأنها رُسمت في بلاد فارس ، كما أن الكتاب فيه صور لأبي بكر الصديق ، وغيره من الصحابة ψ .[٥]

---

(1)وقد نشر ذلك في صحيفة (المساء) المصرية ، في ٢٩ يناير إذ ذاك ، وهي للرسام مصطفى حسين ، لا أحسن الله إليه ، والتي أحسنت صحيفة (صوت الإسلام) في ردها على صحيفة (المساء)، من رئيس تحريرها الشيخ : محمد عطية خميس ، وسماحة الشيخ ابن باز ، رد الله عن عرضهما كما ردا عن رسول الله ، يقول سماحته : " لايشك مسلم أن هذا التمثيل كفر بواح وإلحاد سافر واستهزاء صريح ، بمقام سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين وقائد الغر المحجلين ، إنها لجرأة تحزن كل مسلم وتدمي قلب كل مؤمن وتوجب اللعنة والعار والخلود في النار وغضب العزيز الجبار والخروج من دائرة الإسلام والإيمان إلى حيز الشرك والنفاق والكفران ، لمن قالها أو رضي بها " . أنظر : مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ، ج ١ ، ص ٣٢٦ - ٣٤٠ . والرسوم الساخرة في الصحافة ، ص ١٥٢ .

(2) وهذه المجلة يصدرها طلاب جامعة ، تدعى تورنتو ، أنظر رسومات شيطانية ، ص ١٤٥ .

(3) وقد قامت شركة دار نشر القمر الهلال CRESCENT MOON PUBLISHING، بنشره ، وهو كتيب من ٢٦ صفحة من الغلاف الى الغلاف (١٣ ورقة) ،وقد اتخذ مؤلفه اسماً إسلامياً مستعاراً ،وهو: عبدالله عزيز، أسأل الله تعالى أن يذله .

(4) هي حركة ظهرت بين السود في أمريكا ، وقد تبنت الإسلام بمفاهيم خاصة ، غلبت عليها الروح العنصرية ، وعرفت فيما بعد باسم (البلاليين) ، بعد أن صححت كثيراً من معتقداتها وأفكارها . أنظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب و الأحزاب المعاصرة ، ج ١ ، ص ٣٥٧ .

(5)وقد قامت لجان تعليمية وأمنية بعد رفع الدعوى على الكتاب وصادرت النسخ بعد أن قضت محكمة بمنع تدريسه للطلاب لأنه يحمل سباً مباشراً للإسلام ويحرف عقيدة الطلاب . أنظر : موقع دليل سندباد ، على الرابط التالي :
http://news1.sendbad.net/alja.php?getnews=/NR/exeres/434C5B46-D959-4153-9E1C-8C50A520E3C6.htm

و ـ فلم **(محمد خاتم الأنبياء والمرسلين)** وهو رسم كرتوني، لمدة تسعين دقيقة ،والذي بدأ عرضه ضمن قائمة دورة العرض الخامسة والثلاثين في السينما الأمريكية ، وسيعرض في مدن أمريكية وكندية ،وهوما يوافق عرضه عيد الفطر المبارك . (١)

ز ـ ضمن كتاب **(محمد آمن به وإلّا)** والذي يعرض رسوماً مصورة ، ويتناول آية أوحديث في كل صفحة ، وهي رسوم هزلية وساخرة ، ويظهر فيها شخص الرسول بأشكال معينة ، ففي غلاف الكتاب صورة الرسول وهو يركب جملاً ويحمل سيفاً ، كما يترجم الآية والحديث ، وغالباً ما يكون من الضعيف .(٢)

الصورة التاسعة : الإساءة إلى الرسول بأنه عنصري واتهام الصحابة ونسائهم ψ بالسوء :

كتب أحدهم في بعض الصحف (٣) كلاماً سافلاً ، فكان مما قال : " إن الجانب العسكري من الجوانب التي لا غنى لمحمد عنها ، وذلك لضمان الأمان للدولة القرشية التي أقامها في يثرب ... ، التي وضع أساسها جده الأعلى قصي بن كلاب "

وقد أظهر مجتمع الصحابة الكرام ψ في المدينة النبوية ، بلا حياء ، ولا قيم ، حيث يقول : " إن نسوان هذا المجتمع كن يحتلمن ويصرحن بذلك ،وكانت الواحدة منهن تملأ الدنيا صراخاً لأنها إكتشفت أن زوجها عنين لا طاقة له على ركوبها ... "

وأقبح من ذلك وكله قبيح ،قوله عن المغيبة (٤) : " وسلك محمد في علاج مشكلة المغيبات طريقاً آخر وهو نهي الأزواج عن مفاجأة زوجاتهم ليلاً حيث قال لا تطرقوا النساء ليلاً حتى تستحد المغيبة ،وتمتط (٥) الشعثة " ، ويضيف قائلاً : " وقيل أن بعض الصحابة خالف هذه الأوامر الصريحة ، وطرق أهله ليلاً ، ففوجىء بزوجته في أحضان رجل آخر، وكان من الحتم واللازم أن يتوقع ذلك ، أليس هو ابن مجتمع يثرب وربيبه " ويضيف قائلاً : " من الواضح أن محمداً بنهيه صحبه عن دخول بيوتهم ليلاً هو أن يجنبهم المرور بتجربة قاسية تحطم معنوياتهم ، وتمنعهم من الانخراط مرة أخرى في غزواته ، ومشاهدة الزوجة تحت رجل

---

(1) وهو من إنتاج مجموعة بدر الدولية ، وقال مديرها التنفيذي ، ومستشارها بإن إنتاجه قد كلف ١٢ مليون دولار ، وبأن النص الكامل قد عرض على الأزهر فوافقوا وختموا عليه أنه مقبول ، لكن الشيخ سيد وفا أبو عجوز الأمين السابق لمجمع البحوث الإسلامية يقول : إن الفلم لم يحصل على موافقة مطلقة ، قبل أن يحذف المشاهد التي يظهر فيها حمزة بن عبد المطلب τ ويصحح الأخطاء الأخرى ،وقد طالب الأزهرُ هيئة الرقابة على المصنفات الفنية منع تداول الفلم لحين إخطاره بموافقة نهائية وصريحة على العرض ، وإلى شوال من عام ١٤٢٦ هـ لم تعرض النسخة النهائية على الأزهر . أنظر : مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٤٩٤ ،شوال ، لعام ١٤٢٧هـ . وموقع العربية (العربي . نت) على الربط التالي : ، http://www.alarabiya.net/Articles/2004/10/13/7107.htm

(2) أنظر : موقع بيت الكرتون ، على الرابط التالي : http://www.arabcartoon.net/a/study/2006/study07.html

(3) صحيفة الأحرار المصرية في ٤ / ٣ / ١٩٩٨م ، وأصل النقولات من كتاب (مجتمع يثرب) لخليل عبد الكريم ، نقلاً عن حرية الرأي والعقيدة والتعبير، إعداد مركز محروس للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات ، ج ١ ،ص ١٩٠ ـ ٢٠٢ . وانظر : المقابلة الصحفية مع المذكور في صحيفة الأحرار بتاريخ ٥ / ٣ / ١٩٩٨ م . ومثله نصر أبو زيد وحسن حنفي ، لا كثر الله سوادهم المعتم .

(4) وهوبذلك يعني حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي قال : (إذا دخلت ليلاً ،فلا تدخل على أهلك حتى تستحد المغيبة ،وتمتشط الشعثة) رواه البخاري في النكاح ، باب طلب الولد ، برقم ٤٨٤٥ . ومسلم في الإمارة ، باب كراهية الطروق ،وهو الدخول ليلاً لمن ورد ، برقم ٣٥٥٧ . والمغيبة : بالضم ، وهي التي غاب عنها زوجها ، قال النووي : " وفي هذا الحديث استعمال مكارم الأخلاق والشفقة على المسلمين والاحتراز من تتبع العورات واجتلاب ما يقتضي دوام الصحبة " . أنظر المنهاج ، ج ١٠ ، ص ٥٤ . و فتح الباري ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(5) كذا في الأصل : والصواب وتمتشط .

آخر ... ،إن محمد الحصيف كان يعرف أن الليل هو الوقت المفضل لتلاقي الأخدان ، خاصة في ذلك الزمان ، إذ لم تكن إنارة الشوارع والطرقات قد عُرفت ، الأمر الذي يمكن الدخول والخروج في أمان ..." .

وإن المرء لترتعد فرائصه خوفاً من الله جل وعلا وهو يركّب هذه الحروف ، ويكتب هذه الكلمات ، من رجل يطيب لبعضهم أن يناديه باسم الشيخ ! حسبنا الله ونعم الوكيل .

الصورة العاشرة : الإساءة إلى الرسول بالقدح في سنته :

وله أمثلة منها :

أ ـ رد بعضهم حديثاً ، فقيل له : إنه في صحيح مسلم .

فقال : ضعه تحت قدمك !

ب ـ ويقول أحدهم وبكل وقاحة ، ـ تعليقاً على حديث الذباب [١]، " أنا آخذ بقول الطبيب الكافر ، ولا آخذ بقول الرسول " ، نعوذ بالله من الضلال .

ج ـ قال أحدهم : إذا عارض الحديث العقل فرده .

فقيل له : وإن كان في صحيح البخاري ؟

قال : وإن كان في صحيح البخاري ولا كرامة !! . [٢]

د ـ أحدهم يتعجب متسائلاً عن دور أحاديث الرسول في مناهج التعليم ، والتي تلقن طلاب المدارس ، حيث يقول " عندما يعطس المسلم يضع يده أمام أنفه ، ويدير وجهه ، ويقول : الحمد لله ، فيقول من بجانبه : يرحمك الله ، فيرد عليه : يهديكم الله ويصلح بالكم ، وعند التثاؤب يضع المسلم يده على فمه ويقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم " [٣] ثم يتعجب من ذلك بإنه نعمة من الله .

ثم يتحدث عن آداب قضاء الحاجة ودخول الخلاء ، وقول : أعوذ بالله من الخبث والخبائث .

ويزعم هذا المريض أن هذه التعاليم حينما تلقن لأطفالنا في المدارس تسبب لهم التعقيد ، وتنفي طفولتهم ! ،ويقول : " لست أدري أية حكمة في أن يحشوا ذهن الطفل بأقوال مثل : أن العطاس نعمة ، مع أنه قد يكون دليل إصابته بانفلونزا ، وأن التثاؤب من الشيطان ، مع أنه قد يكون نتيجة لاجتهاد في السهر " ، ثم يتسائل " ماهي الحكمة من أن نعقد عملية دخول الحمام وتحويلها إلى خبث وخبائث " . ثم إنه يخاف عى عقلية الأطفال من أن تجهز بسبب هذا التعاليم لتلقي تعاليم التطرف المتأسلمة ، ويجعله فريسة مبكرة لدعوى التطرف التي تقتاده نحو الإرهاب والإرهابيين . [٤]

---

(1)وهو يشير إلى حديث أبي هريرة τ أن رسول الله قال (إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه ،فإن في أحد جناحيه شفاء وفي الآخر داء) وهو عند البخاري قي الطب ، باب إذا وقع الذباب في الإناء ، برقم ٥٣٣٦ .

(2) أنظر : تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها أو استهزأ بشي منها ، لبعد القيوم السحيباني ، ص ٣٢ .

(3) عن أبي هريرة τ عن النبي قال : (إن الله يحب العطاس ،ويكره التثاؤب ،فإذا عطس فحمد الله ،فحق على كل مسلم سمعه أن يشمته ،وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان ،فليرده ما استطاع ،فإذا قال : ها ضحك منه الشيطان)رواه البخاري في الأدب ، باب ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب ، برقم ٥٧٥٥ . وأما ما ذكره هذا المغفل من أن المسلم يقول بعد التثاؤب : أعوذ بالله من السيطان الرجيم ، فليس فيه ما يدل على ذلك ، وهذا من جهله .

(4) والكاتب هو الماركسي الدكتور رفعت السعيد ، جريدة الشعب المصرية ، في ١٣ / أبريل / ١٩٩٢ / ، نقلاً عن حرية الرأي والعقيدة والتعبير، ج ١ ، إعداد مركز محروس للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات ، ص ١٦ ، ١٧. وانظر : ثقافتنا ... أين نتجه بها ؟ ، ضمن ظلام من الغرب لمحمد الغزالي ، ص ٢٢٠ ـ٢٢٩ .

هـ ـ وانظر إلى قمة السخرية والاستهزاء بحديث رسول الله ، إذ تقول إحدى الصحف [1] : " الجنة لمن أكل ، الشيخ يأكل بعضه إن لم يجد ما يأكله ، طوبى لمن عرف قدر بطنه ، أبغض الحلال إلى الله أكل المرء في بيته ، من دُعي ولم يلبِ ، فليتبؤ مقعده من النار " .

و ـ وملعونة تلعن رسول الله ، فتقول : "ملعون يا سيدتي من قال عنك: من ضلع أعوج [2]خرجت". [3]

ز ـ في رسم كاريكاتوري جريء ووقح ، وهو عبارة عن : شاب وشابة (بالمايوه) ، وقد كُتب تحتها على لسان الشاب وهو يخاطب الفتاة : " ما تجي ننزِّل الميِّه على سنة الله ورسوله " . [4]

والله المستعان ، فمن نظر لحال السلف عرف البون الشاسع ، وأدرك قيمة الإيمان بما جاء به الرسول ،يقول ابن القيم : " وقد كان السلف الطيب يشتد نكيرهم وغضبهم على من عارض حديث رسول الله برأي أوقياس أواستحسان أوقول أحد من الناس كائناً من كان ويهجرون فعل ذلك وينكرون على من يضرب له الأمثال ولا يسوغون غير الانقياد له والتسليم وبالتلقي بالسمع والطاعة ولا يخطر بقلوبهم التوقف في قبوله " . [5]

وبعد هذا العرض الذي لا أوريد منه الإحاطة والشمول أو حتى الرد ، بقدر ما أريد التمثيل لبعض هذه الإساءات المتكررة .

ونخلص من هذا أن هذه الإساءات تعطينا عدداً من الدلالات ، أهمها : هذا الترابط بين الكافرين والمنافقين في سالف الزمان وحديثه عبر مسلسل الإساءات المتكررة ، فهؤلاء من أولئك ، ومصداقاً لذلك يقول الله تعالى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) [6]، ويقول سبحانه (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [7]

ولكن نتيجة هذا الصراع الحتمي أن الدائرة لأهل الحق، كما قال ربنا جل وعلا (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ)[8]

المطلب الثالث

(1) وهي مجلة خيال الظل ، في عام ١٣٢٥هـ ، أنظر الرسوم الساخرة في الصحافة ، ص ١٤٩ .

(2) وهي تقصد حديث أبي هريرة τ أن النبي قال : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ،واستوصوا بالنساء خيراً ،فإنهن خلقن من ضلع ،وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ،فإن ذهبت تقيمه كسرته ،وإن تركته لم يزل أعوج ،فاستوصوا بالنساء خيراً)رواه البخاري في النكاح ، باب الوصية بالنساء ، برقم ٤٧٨٧ . ومسلم في الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، برقم ٣٦٧٠ .

(3) وهي من أقوال الشاعرة المغربية: حكيمة الشاوي ، أنظر موقع : إلا رسول الله ، على الرابط التالي :
http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=2785 - 70k

(4) وهو في جريدة : صباح الخير ، أنظر الرسوم الساخرة ، ص ١٤٩ .

(5) إعلام الموقعين ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .

(6) سورة المؤمنون ، آية ٤٤ .

(7) سورة الذاريات ، الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .

(8) سورة الروم ، آية ٤٧ .

- **بداية القصة :**

في ١٧ سبتمبر ٢٠٠٥ نشرت صحيفة Politiken الدانماركية مقالاً بعنوان :(الرهبة الشديدة من انتقاد الإسلام) ،وتحدث المقال عن الصعوبة التي لاقاها صحفي دانماركي [١]، كتب كتاباً عن سيرة الرسول موجهاً للأطفال باسم : (القرآن وحياة الرسول محمد) Koranen og profeten Muhammeds ،ولكنه وجد صعوبة في إقناع الرسامين بإضافة صور عن الرسول إلى كتابه ـ كما يقولون ـ ،ووصل هذا الخبر صحيفة يولاندس بوستن Jyllands-Posten ،التي بادرت وانبرأت ،فقامت بإجراء مسابقة بين أربعين رساماً كاريكاتورياً لرسم صور تعبر عن معاناة الصحفي في إيجاد رسامين لكتابه ،و إبراز الإدعاء القائل أنه لا يوجد فنان مستعد لرسم كتاب للأطفال عن الرسول بدون إبقاء اسمه سرياً.

وفي ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م ، قامت الصحيفة بنشر إثناعشر صورة كاريكاتورية للرسول ،سيئة في الشكل والمضمون ،وأصل ذلك مقال في الصفحة الثالثة بعنوان (وجه محمد)، ونشر معه تلك الرسوم المسيئة للرسول ، حيث أنها حوت الاستهزاء والسخرية منه .

وأثناء المسابقة انسحب ثلاثة من الرسامين ،وعلل أحدهم انسحابه بخوفه أن يحدث له ما حدث لمخرج (فلم الخضوع) Submission [٢]،والذي قتل في ٢ نوفمبر ٢٠٠٤م لإخراجه الفلم ، والذي يمكن ترجمته بالاستسلام أو الخضوع ،وكان الفيلم يحاول أن يصور سوء معاملة المرأة في الإسلام وربطه بنصوص من القرآن .

- **وصف الصور الدانماركية المسيئة للرسول [٣]:**

---

(1) وهو كاري بلوتكن Kare Bluitgen وهوكاتب وصحفي من الدانمارك من مواليد ١٠ مايو ١٩٥٩ انتشر اسمه عالمياً بعد جريمة الإساءة التي أحدثتها نشر رسوم كاركاتورية مسيئة للنبي في صحيفة يولاندس بوستن الدانماركية . أنظر :الموسوعة الحرة ويكيبيديا ، على الرابط التالي : http://ar.wikipedia.org/wiki

(2) وهو : ثيو فان كوخ ، من مواليد ١٩٥٧ ،وفي عام ٢٠٠٣م اصدر كتاباً بعنوان (الله يعلم أكثر) وكان فيه انتقاد حاد و لاذع بطريقة ساخرة للإسلام ،وقد إغتاله : محمد بويري الهولندي من أصل مغربي ، على إثر فلم الخضوع ، والذي ولد في ٨ مارس ١٩٧٨ في هولندا لابوين مهاجرين من المغرب وكان يحمل الجنسيتين . و(فلم الخضوع) هومن الأفلام القصيرة (١٢ دقيقة) وكان الفيلم يحاول ـ زعماً ـ أن يصور معاناة وسوء معاملة المرأة في الإسلام وربطه بنصوص من القرآن ، وكانت فكرة سيناريو الفيلم مكتوباً من قبل : آيان حرصي علي ، و اسمها الأصلي آيان حرصي ماجان، مواليد ١٣ نوفمبر ١٩٦٩ في مقاديشو، الصومال. وعضو البرلمان الهولندي عن الحزب الليبرالي الديمقراطي الهولندي ،وفي ١١ سبتمبر ٢٠٠١، و إثر هجمات نيويورك، أعلنت ردتها عن الإسلام، وعلى خلفية ذلك تم تركيز الأضواء إعلامياً عليها و بدأ نجمها يسطع في القنوات الإخبارية، حيث أصبحت ضيفة دائمة في أي برنامج يتعلق بالإسلام و المهاجرين المسلمين ! ،التي حاولت أن تنقل فكرة مفادها أن المرأة في العالم الإسلامي معرضة للضرب و الإهانة من قبل أفراد العائلة وتم ربط المشاهد بآيات من القرآن. تم عرض الفلم في ٢٩ اغسطس ٢٠٠٤ على شبكة تلفزيونية ليبرالية في هولندا وظهر في الفيلم مجموعة من النساء كن يتحدثن عن عمليات اغتصاب بالقوة وضرب تعرضن له من قبل اقاربهن واستعمل المخرج طريقة فريدة و مثيرة في محاولته ربط ظاهرة العنف العائلي بالإسلام حسب اعتقاده حيث استعمل طريقة اظهار أربعة نساء شبه عاريات وقد كتب على أجسادهن التي تظهر عليها آثار تعذيب آيات من القرآن . أنظر : المرجع السابق .

(3) وهي محجوبة المشاهدة عن رواد شبكة المعلومات العالمية (الإنتر نت)، وهذا أمر واجب ، إذ لا يسوغ إقرار هذا الانحراف والضلال ، بإبقائها مسرحاً مشاعاً لكل أحد ، فجزى الله الإخوة في جامعة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية على ذلك والقائمين على ذلك كل خير . للاستزادة أنظر :الموسوعة الحرة ويكيبيديا ، على الرابط التالي : http://ar.wikipedia.org/wiki

وفيما يلي وصف للصور- بعد الاطلاع عليها - التي نشرت والتي رسمت على يد اثنى عشر رساماً مختلفاً :

١- رجل ملتحي بعمّة حمراء ، ويتكئ على عصا ،وبيده الأخرى حبل مربوط بدابة تحمل كيسين أحمرين .

٢- رجل ملتحي يحمل خنجراً وخلفه امرأتان منقبتان .

٣- رجل (قد يكون الكاتب كاري بلوتكن مؤلف كتاب الأطفال ، القرآن وحياة الرسول محمد) ،يحمل ورقة عليها رسم بسيط لرجل ملتحي ويلبس عمّة، والرجل الأول تسقط في قبعته برتقالة في إشارة إلى الحظ السعيد في إشارة إلى مثل دنماركي يقول : (كمن سقطت في قبعته برتقالة) إشارة إلى من يحالفه الحظ دون بذل جهد ،لكون البرتقال كانت سلعة ثمينة ،وعلى البرتقالة مكتوب بالانجليزية ما معناه : خدعة ترويجية .

٤- رجل ملتحي بعمّة كتب عليها : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ،والعمّة تمثّل أيضاً قنبلة كروية لها فتيل .

٥- رجل ملتحي بيده رسم ينظر إليه ، يرفع يده لرجلين ملتحيين يعدوان أحدهما يحمل سيفاً والآخر قنبلة وبندقية والرجل الأول يقول : اهدأوا إنه فقط رسم صنعه دنماركي من جنوب غرب الدانمارك .

٦- رجل في مركز الشرطة وينظر إلى صف فيه سبعة رجال من المشتبه بهم ويقول: هممم... لا أستطيع تمييزه! ،والأشخاص الواقفون في الصف هم : ١ - شخص هيبي متحرر من السبعينيات ،و ٢ - السياسية الدانماركية و ٣ - المسيح ، و ٤ - من المحتمل بوذا ،و ٥ - من المحتمل محمد ،و ٦ - شخصية دينية هندية ،و ٧ - الكاتب كاري بلوتكن مؤلف كتاب الأطفال (القرآن وحياة الرسول محمد) .

٧- رجل رسّام يرسم وجها لرجل ملتحي يرتدي كوفية وعقال، كتب فوقها محمد ، والرسام يبدو خائفاً يتصبب عرقاً ويضع يده كمن يمنع الناس من الرؤية .

٨- رجل ملتحي بعمّة يقف (ربما على الغيم والسحب) وأمامه طابور من الرجال ،يقول لهم : توقفوا توقفوا... لقد نفذت لدينا العذراوات .

٩- رأس رجل ملتحي ويلبس عمامة ويحيط برأسه هلال أخضر وتغطي النجمة الخضراء إحدى عينيه .

١٠- رجل ملتحي يرتدي لباساً أبيض وبنفسجي ،وحول رأسه طوق ملاك على شكل هلال أو قرنين على شكل هلال ، ولعله ما يشبه قرون الحيوان .

١١- شاب يلبس قميصاً كتب عليه : المستقبل ،يشير بعود إلى لوح مكتوب عليه : صحفيوا جيليان بوستن ثلة من الرجعيين الاستفزازيين ،وهناك سهم يشير إلي نص يقول ما معناه : محمد ...، فالبيسكول (إسم مدرسة؟) السابع ألف .

١٢- رسم يشير تعليقه إلى أن الرسول كان يضطهد النساء [1] .

---

(1) وقد برأت محكمة دانماركية مسئولي الصحيفة التي نشرت الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول ρ ، واعتبر قاضي المحكمة أن هذه الرسوم ليست مسيئة وأن القصد منها لم يكن الإساءة للمسلمين، حتى وإن كان النص الذي رافق هذه الرسوم يمكن أن يفهم على أنه دعوة إلى الاحتقار والسخرية فإن الرسوم الكاريكاتورية ليست مهينة !

وهذا لا يعني أنها الأسوأ ، لكن هذه هي الصور التي نشرت ، وإلا فإن مالم يشتهر قد يكون أعظم إساءة ، مثل : صورة لرجل يصلي في وضع مهين، وثانية تتهم الرسول بانحراف جنسي وثالثة لوجه على هيئة خنزير ، لعنهم الله .

- **محاولات تصوير ورسم الرسول عبر التاريخ [1]:**

هناك صور أخرى رسمت للرسول في العديد من الكتب التاريخية القديمة وفيما يلي معلومات عن تلك الكتب ، التي وجدت به الصور :

ـ الصفحة الأولى من كتاب (حياة محمد) [2] الذي طبع عام ١٧١٩م في لندن ،للمؤلف الفرنسي سيور دي ريار .

ــ صفحة في كتاب (حياة محمد) الذي طبع في هولندا عام ١٦٩٩م ، للمؤلف prideaux.m ،وفيه يظهر شخص يحمل سيفاً بيده اليمنى ورجله اليسرى مستندة على الكرة الأرضية وفي يده اليسرى هلال وعلى ساعده الوصايا العشر.

ـ صورة يرجع تاريخها الى القرون الوسطى في إسبانيا ،وفيها يظهر شخص على كتفه الأيسر حمامة بيضاء ومنقار الحمامة قريب من أذن الشخص ،وهذا الشخص يتحدث إلى ثلاثة رجال وامرأتين ،وهذه الصورة مقتبسة من تصوير بعض النصارى المتطرفين في الكنيسة الإسبانية لشخصية الرسول ،حيث ذكر (أولجيوس) الذي كان من الذين أبدوا مخاوفهم من تأثير المد الإسلامي على إسبانيا ، يقول : الرسول محمد كشخص كان يخدع الناس بوضع حبوب القمح خلف أذنه لكي يحط الطير على كتفه ويوجه منقاره إلى أذنه كي يتخيل الناس أن الطير ينقل رسالة سماوية إليه .

ـ في كتاب (سيرة النبي) الذي هو ترجمة تركية لكتاب سيرة الرسول حسب رواية ابن إسحاق ـ كما يقولون ـ ، صدر هذا الكتاب عام ١٣٨٨هـ ، وطبع مرة أخرى في عهد مراد الرابع ،ولكن في هذه الصورة هناك حجاب على وجه الرسول ،وفي الصورة تظهر صورة تمثل محمد بن مسلمة وهو يقطع رأس كعب بن الأشرف الشاعر اليهودي الذي استهزأ بالرسول .

ـ في كتاب جامع التواريخ لمؤلف اسمه رشيد الدين كتب عام ١٣٢٤ هـ ،ويوجد حالياً في مكتبة جامعة أدنبرة ولا تظهر فيه ملامح الوجه .

ـ صورة موجودة في مكتبة جامعة كاليفورنيا لصورة مرسومة لرسام تركي لايمكن معرفة تاريخ رسمها ،وفيها تظهر امرأة وفي حضنها طفل يمثلان آمنة بنت وهب و الرسول ،ولايوجد ملامح لوجهيهما .

ـ صورة تصور الإسراء و المعراج ترجع إلى عام ١٥٧٠هـ ،موجودة في متحف سان فرانسيسكو ولا تظهر ملامح الوجه .

ـ صورة من إيران القديمة ترجع إلى القرن ١٤ ،وفيها يتحدث شخص له أجنحة إلى شخص جالس وملامح الوجه غير واضحة .

---

(1) وهذ مما يصعب تتبعه ، لكنني استفدتها من : الموسوعة الحرة ويكيبيديا ، على الرابط التالي :
http://ar.wikipedia.org/wiki

(2) ويلاحظ أنهم كثيراً ما يكتبون عن حياة الرسول ، وقد ردَّ عليهم بعض المسلمين ، أنظر مثلاً : مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه " الرسول ، حياة محمد " للدكتور مهدي بن رزق الله .

- صورة رسمت في تبريز في إيران عام ١٣١٥هـ ،وموجودة في مكتبة جامعة أدنبرة في كتاب اسمه جمائل التواريخ .

- في عام ١٩١١م في الفيلم الإيطالي الصامت liferno ،ظهر ممثل لثوانٍ وكان بمثابة ممثل قام بتمثيل دور الرسول .

- ومن الصور الحديثة :

- صور كاريكاتورية مختلفة في التسعينيات في صحف في هولندا و فرنسا و صورة رسمت من قبل يهودية ، واسمها: تاتيانا سوسكن في ١٩٩٧ م ،والتي لم تقبل الصحف نشرها ،ولكنها قامت بتوزيعها بنفسها في مدينة الخليل ،وكانت عبارة عن : خنزير على رأسه عقال ،ومكتوب على ظهره كلمة : محمد ،وكان الخنزير ماسكاً بقلم ويكتب كلمة القرآن على كتاب .

- صورة في كتيب صدر عام ١٩٨٨م ،بعنوان (النبي) ،للمؤلف jack chin في الصفحة ١٣ .

- صور في المسلسل الكارتوني الأمريكي sonth.park في ٤ يوليو ٢٠٠١م .

- صور في لعبة من ألعاب الفيديو التي تسمى لعبة : الحرب المقدسة ،وفيه يتصارع جميع الرموز الدينية للأديان المختلفة .

وهذه الصور المسيئة للرسول ربما لم يعلم بها إلا آحاد الناس ، وهذا على خلاف الرسوم الدانماركية ، علماً أن بعضها أشد إساءة من الأخرى ، لكن لإنها جاءت في توقيت ناسب ظهورها، ثم إنها قد غطيت إعلامياً بإبرازها من مسلمي الدانمارك .

- **تداعيات الحدث :**

الأول : الإساءة إلى الرسول بإعادة نشر الرسوم المسيئة إليه ودعم الصحيفة :

- ففي ٣ نوفمبر ٢٠٠٥م قامت صحيفة Frankfurter Allgemeine Zeitung في ألمانيا ،بنشر إحدى الصور الكاريكاتورية .

- وفي ١٠ يناير ٢٠٠٦م قامت الصحيفة النصرانية النروجية Magazinet بنشر الرسوم الكاريكاتورية .

- وفي ٣٠ يناير ٢٠٠٦م قام الإتحاد الأوروبي بمساندة الدانمارك ،معتبراً المقاطعة للمنتوجات الدانماركية مخالف لقوانين التجارة العالمية .

- وفي ٣١ يناير ٢٠٠٦م قامت جريدة die tageszeitung الألمانية بنشر صورتين من الصور الكاريكاتورية .

- وفي ١ فبراير ٢٠٠٦ م :

- قامت جريدة France Soir الفرنسية بنشر الصور الكاريكاتورية وأضافوا صورة جديدة من عندهم وفي نفس اليوم تم فصل كبير المحررين في الجريدة جاك ليفرانس Lefranc Jacques من قبل مالك الصحيفة رامي لكح ذو الأصول المصرية الكاثوليكية .

- وقامت صحيفة Die Welt و صحيفة Berliner Zeitung الألمانية وصحيفة La Stampa الإيطالية و صحيفة El Periodico الإسبانية و Volkskrant الهولندية بنشر الصور.

- وفي ١ فبراير ٢٠٠٦ م :

- قام كيرت ويلدر زعيم أحد الأحزاب السياسية الهولندية بوضع الصور في الموقع الرسمي للحزب على الإنترنت .
- انتشرت رسائل على الهواتف النقالة في كوبنهاغن تدعو إلى إحراق القرآن الكريم .
- نشرت صحيفة France Soir الفرنسية الصور وأضافت في صفحتها الأولى صورة كاريكاتورية جديدة يصور فيها بوذا و موسى و محمد و عيسى عليهم الصلاة والسلام جالسين على سحابة مع تعليق يقول : نعم، من حقنا رسم صورة كاريكاتورية .

- وفي ٢ فبراير ٢٠٠٦م :

- قامت جريدة Die Zeit الألمانية بنشر إحدى الصور .
- قامت صحيفة شيحان الأردنية بنشر الصور وتم على إثر ذلك فصل مدير الجريدة .
- قامت صحيفة New York Sun الأمريكية و Le Soir البلجيكية بنشر صورتين.
- قامت جريدة Le Monde الفرنسية بنشر الصور.
- قامت قناة هيئة الإذاعة البريطانية بعرض الصور.

- وفي ٣ فبراير ٢٠٠٦م :

- قامت صحيفة De Standaard و Het Nieuwsblad البلجيكية بنشر الصور الكاريكاتورية.
- قامت صحيفة National Business Review الأسبوعية في أستراليا بنشر إحدى الصور
- شبكتي التلفاز الأستراليتين SBS و ABC تعرض الصور في نشرتها الإخبارية.

- وفي ٤ فبراير ٢٠٠٦م :

- قامت صحيفة The Dominion Post في نيوزيلندا بنشر الصور الكاريكاتورية .
- قامت صحيفة Rzeczpospolita في بولندا و Information Dagbladet في الدانمارك بنشر الصور .

- وفي ٥ فبراير ٢٠٠٦م :

- تم منح صحيفة يولاندس بوستن جائزة : فكتور ،التي تمنح سنوياً من قبل صحيفة Ekstra Bladet الدانماركية للصحف التي تدافع عن : حرية الرأي .

- وفي ٨ فبراير ٢٠٠٦م :

- صحيفة (شمس) السعودية اليومية، تعيد نشر الرسوم .
- قامت الصحيفة الأسبوعية Charlie Hebdo في فرنسا بنشر الصور الكاريكاتورية وأضافت صورة من عندها ،مع تعليق يقول : من الصعب أن يحبك الأغبياء .

ومازال النزيف ينهمر من أولئك الحاقدين ، والمتابع لهذا الحدث وما تبعه من أحداث سيلحظ عدة أمور منها : تواطؤ عباد الصليب وشدة تعاونهم وتشابه العقيدة الدينية ووحدة التفكيرالتي ينطلقون منها ، كما هو الحال في الصحفيين والرسامين .

الثاني : الإساءة إلى الرسول بالهجوم الظالم من (بابا روما) [١]:

يقول الأول :

رماني الدهرُ بالأرزاءِ حتى*** فؤادي في غشاءٍ من نبالِ
فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ *** تكسَّرَتِ النصالُ على النصالِ [٢]

ففي محاضرته التي ألقاها في يوم الثلاثاء ٢٠٠٦/٩/١٢م ، في الذكرى الخامسة للحادي عشر من سبتمبر تحت عنوان (العقل والإيمان في التقاليد المسيحية والحاضر المسيحي) ،وذلك في جامعة ريجينسبرج بولاية بافاريا الألمانية ، والتي أساء فيها إلى الرسول ، فخلط فيها السم بالعسل ، بل السم بالسم ، عندما يذكر المحاورة أو الجدال الذي تم بين الإمبراطور البيزنطي ، وهو مانويل الثاني باليولوغوس ومثقف فارسي (مسلم) في موضوع المسيحية والإسلام، والتي نشرها البروفسور خوري .

ويفيد بأن " الإمبراطور يعالج موضوع الجهاد (الحرب المقدسة)،ومن المؤكد أن الإمبراطور كان يعرف الآية القرآنية (٢:٢٥٦) والتي تقرر أنه (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ) ،وسورة البقرة هذه إحدى السور القرآنية المبكرة، عندما كان (النبي) محمد ما يزال بدون قوة ونفوذ وواقعاً تحت التهديد، لكن من الطبيعي أن يكون الإمبراطور عارفاً بالتعاليم الإسلامية التي تطورت فيما بعد وسجلها القرآن بشأن الحرب...،وبدون مقدمات تفصيلية حول الفروق في التعامل مع (أهل الكتاب) والآخرين (المشركين)، يلتفت الإمبراطور إلى محاوره بشكل مفاجئ وقاس طارحاً السؤال الأساسي في العلاقة بين الدين والعنف بشكل عام؛ يقول الإمبراطور: " أرني ما هو الجديد الذي أتى به محمد، وسوف تجد أشياء كلها شريرة وغير إنسانية، من مثل أمره بنشر الدين بالسيف " [٣].

والبابا يحاول أن يدلل على الفكرة الموجودة في ذهنه لا على حقيقة الإسلام، فقد تبنى في محاضرته مقولات الملك البيزنطي الذي يعتبر أن الإسلام انتشر بحد السيف ،وإلا كيف يوردها دون أن يرد عليها ، ثم لماذا لم يذكر ما ردَّ به المثقف الفارسي ؟ بل لماذا لم يكلف نفسه أو أحد مستشاريه أن ينظر في القرآن ويتأنى و يتحقق من المعلومة ؟

ولكن فيما يبدو أن في هذا قيادة دينية مسيحية على المواجهة بين الإسلام والغرب ، عندما يوفر لتلك الحملات العسكرية الغطاء الديني .

ولا غرو فإنه على رأس الهرم في الفاتيكان الذي أعلن وبكل وقاحة عن حملتهم والتي كان شعارها: (مليون ضد محمد) [٤] ، والتي ترعاها رابطة الرهبان .

---

(1)هو : بنديكت ، ورأيت بعضهم يدعوه ب " بنديكتوس " ، واسمه الأصلي : راتسينجر ، ولد يوم ١٦-٤-١٩٢٧م في عائلة كاثوليكية متديّنة، في منطقة بافاريا، الأشهر من سواها في ألمانيا من حيث انتشار الكاثوليكية والتمسّك بها قديماً وحديثاً ، ولا يزال يفخر بأنّ تعميده جرى سريعاً في يوم ميلاده ليكون من "ماء عيد الفصح". يقولون : إن اختياره هذا الاسم (بنديكت) ، يرجع إلى أنه اسم مُعبّر عن السلام والتآلف ومرادف لغصن الزيتون !، وقال الموقع الكاثوليكي : catholic pages.com إنه : " صانع سلام في الكنيسة والعالم يحمل غصن الزيتون ، وذهب موقع آخر : www.biblerobe.com إلى وصفه بأنه : بابا السلام (الزيتون) ، وقد تولى كرسي البابوية في ١٩/ ٤ / ٢٠٠٥ م ، أنظر : مجلة المجتمع ، في عددها : ١٧٢٠.

(2) وهي لأبي الطيب المتنبي قالها في مرثية والدة سيف الدولة ، أنظر : وخزانة الأدب وغاية الأرب ، لابن حجة الحموي ، ج ١ ، ص ١٩٤ . والصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، ص ٧٥ .

(3) ومن التوافق بين ملل الكفر أن تلتقي على عقيدة واحدة ، ففي الموسوعة العبرية طعون وإساءات متكررة للرسول ، فمن ذلك قولها : " وكان سبب الحرب ضد خيبر تعطش المسلمين للقتل وسفك الدماء " أنظر : رد الطعون الواردة في الموسوعة العبرية عن الإسلام ورسوله ، للدكتور موسى البسيط ، ص ٥٥ .

(4) ونشرتها صحيفة (فليت إم زونتاج) الألمانية في ٣٠ يونيو٢٠٠٦م . أنظر الرابط التالي ، على موقع الإسلام اليوم : http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm

فقامت اللجنة العالمية لنصرة خاتم الأنبياء فأصدرت بياناً عقب إطلاق حملة (مليون ضد محمد) نددت فيه بهذه الحملة ،وأطلقت حملة مضادة شعارها : (المليار مع الرسول محمد) .

الثالث : الإساءة إلى الرسول بنشر شريط بعنوان (هُدد حتى صمت) [١]:

وتبعاً لهذا المسلسل فقد عُرض في ٧ /١٠ / ٢٠٠٦ م ، في شريط وثائقي على القناة الثانية في النرويج ، بعنوان (هُدد حتى صمت) في إشارة لرئيس تحرير الصحيفة النرويجية التي كانت أول من أعاد نشر الرسوم الدانمركية والذي استأذنت فيه الخارجية النرويجية في نشرها (للرسومات المسيئة للرسول ρ) وما كان من الأخيرة إلا أن أرسلت إشارات تحذير إلى سفاراتها في العالم الإسلامي كي يأخذوا حذرهم ، بل إن الخارجية شكرت القناة على إخبارها ، فلم تمانع ولم تعترض ! .

الرابع : الإساءة إلى الرسول بتجرأ حفنة من يهود على رسم صور مسيئة إليه :

وذلك عندما أقدم مستوطنون يهود على كتابة عبارات ورسوم مسيئة للنبي على حائط أحد المساجد بقرية (النبي إلياس) شرق مدينة قلقيلية بالضفة الغربية ، في يوم الأحد ٢٠٠٦/٢/١٢م ،باستخدم أداة رش في تلك الكتابات والرسوم على الحائط ، وقد كتبت بخط أحمر باللغة العبرية ،كما تم رسم نجمة داود على حائط المسجد . [٢]

الخامس : الإساءة إلى الرسول بتصويره وإهانته بأقبح الصور :

كما قام أعضاء من فرع الشبيبة لدى حزب الشعب الدانماركي خلال فعاليات مخيمهم الصيفي لهذا العام ٢٠٠٦ م بإجراء منافسة بينهم على تقديم أقبح وأفظع إهانة للرسول ،هذا ما كتبته جريدة الأخبار الدانماركية في عددها الأول الصادر صباح يوم ٢٠٠٦/١٠/٠٦ م ، وأضافت الجريدة أن المنافسة جرت بعدة طرق ومنها : تصوير النبي وهو يبول ، ومرة على شكل جمل يعاقر الخمر ، ومرة على شكل إرهابي مخمور ، وهذا الحفل الذي أُقيم لرسم ما وصفته بـ (أبشع صورة) للرسول ، قد عرضته القناة الوطنية الثانية وصحيفة (أفيسن) من خلال شريط الحفل ، وأظهرت فيه الصور المسيئة ،وتنص المسابقة على أن من يخسر فيها يرتدي (برقعاً) كنوع من المزيد من السخرية والاستهزاء بالإسلام ،حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله . [٣]

وعلى الربط التالي ، لموقع صيد الفوائد :

http://saaid.net/mohamed/3.htm

(1) أنظر : موقع : اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية ، http://www.islamudeni.net/?c=127&a=1362 =1365

(2) أنظر مثلاً : موقع إسلام أون لاين ، على الرابط التالي :

http://www.islamonline.net/Arabic/news/2006-02/12/article06.shtml

(3)أنظر : موقع : اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية ، http://www.islamudeni.net/?c=127&a=1362 =1365

فما عسى هؤلاء الأقزام المعتدين أن ينالوا من رسول الله ، وقد كفاه خير كافٍ سبحانه ، فقال له (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) [1]، وقال تعالى (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [2]

ولكن فليبشر كل من أساء إليه بالعذاب الأليم (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [3] ،واللعنة في الدنيا والآخرة ، كما قال الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [4]

- **وقفات مع الحدَث :**

الوقفة الأولى : موقف الغرب من الرسول :

موقف الغرب من الرسول تحوطه عدة عوامل ، تمثله الصراعات الطويلة والقديمة بين الإسلام والنصرانية ، التي جاءت من أوربا على وجه التحديد ، فبعد أن " نجح الغرب الإغريقي في فرض سيطرته على الشرق منذ الغزوة التي انتصر فيها الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ - ق . م) على الفرس في موقعة (إيسوس) سنة ٣٣٣ ق . م ." [5]، والتي امتدت فيها سيطرة الإغريق وغيرهم على أقطار الشرق .

حتى شع نور الإسلام ، في القرن السابع الميلادي ، فقاد المسلمون عبر قرن من الزمن فتوحات أناروا بها ظلمة الدنيا التي غطاها الصليب ، ففتحوا القسطنطينية عاصمة البيزنطيين ،وبهذا إنزاحت الهيمنة الصليبية عن كاهل هذه الأمم وأراضيها ، وهذا ما أقلق الغرب الصليبي ،فقادت البابوية الحملات الصليبية الحاقدة من فرنسا نحو العالم الإسلامي [6]، وذلك على امتداد قرنين من الزمان .

حتى جاءت عين جالوت عام ٦٥٨ هـ ، والتي انتصر فيها المسلمون بقيادة المماليك ، فزاد سُعار الغرب ضد الإسلام ، وخاصة عندما فتح القسطنطينية ودخول الإسلام أرض البلقان في أوربا .

فأخذوا " يضمرون للإسلام وصاحب رسالته العداء والبغضاء ، وللحضارة الإسلامية السخرية والاستهزاء " [7]،والحديث عن تأريخ الصراع مما يطول ،لكن في العقدين الأخيرين أخذ الغرب يسلك مسالك متعددة للنيل من الإسلام ورسوله ، حتى جاءت قارعة ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، والتي جلّت وبوضوح الموقف الغربي من الإسلام [8] ، لأن الغرب ليس

---

(1) سورة الزمر، آية : ٣٦ .
(2) سورة الحجر ، آية : ٩٥ .
(3)سورة التوبة ، آية : ٦١ .
(4) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ .
(5) وذلك قبل ظهور الإسلام بعشرة قرون ، وتحديداً في القرن الرابع قبل الميلاد ، أنظر: الغرب والإسلام ، لمحمد عمارة ، ص ٣ .
(6) حول هذا أنظر : الصليبية الحديثة ماذا تريد ؟ للمستشار مصطفى الشقيري .
(7) أنظر : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ ، للندوي ص ٣٨٧ .
(8) وهذا ما ظهر في كثير من كتاباتهم ، فجاءت عناوين كتبهم على نحو : الإسلام والغرب ، صراع الحضارات ، المسلمون خلف الحصار الغربي ، إنتهزوا الفرصة ، ما بعد الحرب الباردة ، ما بعد السلام ، الإصولية الإسلامية ، نهاية التاريخ ، الصحوة الإسلامية ، المد الإسلامي ،محمد ونهاية العالم ، حياة محمد المحتال . وقد تزعم ذلك حفنة رخيصة من الكتاب

مجرد مقولات نظرية ، ولا تعبيرات عن صور ذهنية مجردة ، إنما هو كيان وبناء فكري ، نما عبر تاريخ الاحتكاك بين الإسلام والنصرانية (1)، فهو لا يقف عند كتابات المفكرين ونظرياتهم ، وإنما ليكون التبرير المسوغ لكل ظليمة يسوقها الغرب نحو الإسلام .

ولكن ما يهمنا هو أن هذه الإساءات لرسول الله من هذا العداء الغربي القديم أنه " استخدم فيها الغرب كل ما يمكن وما لايمكن تصوره من وسائل لتحقيق أغراضه " (2) وما نراه اليوم هو صورة من ذلك العداء ،وهي في النهاية تشكل النظرة الغربية المجحفة للرسول ، وهذا ما يفسر اشتداد حدة الخطاب الغربي الموجه لرسول الله في الآونة الأخيرة ، كما هو ملاحظ من الكتابات الغربية التي لا تعرف الإنصاف إلا ما ندر (3) .

" فالغرب عبر تاريخه الطويل من المواجهة الفكرية والدينية مع العالم الإسلامي كان دائماً يميل إلى الطعن في شخص النبي ، وهو ما لم يتغير عبر قرون طويلة من العلاقات مع الغرب " . (4)

وبرغم الاختلاف في التوجهات والمدارس الفلسفية والفكرية في الغرب عامة ، إلا أن هناك قدراً مشتركاً وواضحاً من المفاهيم الأساسية عندما يتعلق الأمر بحضارة الإسلام ورسوله .

فلقد ظلت الثقافة الغربية السائدة تنتهج الكذب والافتراء على الرسول (5) من رجال الدين والمستشرقين (6) والمؤرخين ،حتى كوّن ذلك الكيان المعقد الذي مليء حقداً وحسداً ،

اليهود مثل : برنارد لويس و صموئيل همنتجتون ، وموظفي الاستخبارات الإمريكية مثل : جراهام فوللر ، ووإيان ليسر ، وغيرهم من الساسة أمثال : نيكسون ، و بوش ، وغيرهم ، " والتي لا تعكس تطوراً نوعياً في الجهد العلمي حول الإسلام والمجتمعات الإسلامية وإنما تعبر عن شعور سائد في الدوائر السياسية والاستراتيجية الغربية (والأمريكية على الأخص) ذلك أن المسألة الإسلامية تمثل التحدي الأساس في الرهان العالمي الحالي " أنظر : عالم ما بعد ١١ سبتمبر الإشكاليات الفكرية والاستراتيجية ، للدكتور السيد ولد أباه ، ص ١٣٧ .

(1) وأول احتكاك بين الإسلام والنصرانية ، والذي انطوى على الكذب والخداع من قبل النصارى ، هو ما جاء في حديث أنس بن مالك τ مرفوعاً ،قال (من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر وله الجنة ؟) فقال رجل من القوم : وإن لم أقتل ؟ قال : (وإن لم تقتل) فانطلق الرجل به فوافق قيصر ،وهو يأتي بيت المقدس قد جعل له بساط لا يمشي عليه غيره فرمى بالكتاب على البساط وتنحى ،فلما انتهى قيصر إلى الكتاب أخذه ثم دعا رأس الجاثليق فأقرأه فقال : ما علمي في هذا الكتاب إلا كعلمك فنادى قيصر : من صاحب الكتاب فهو آمن فجاء الرجل فقال : إذا أنا قدمت فأتني فلما قدم أتاه فأمر قيصر بأبواب قصره فغلقت ثم أمر منادياً ينادي : ألا إن قيصر قد اتبع محمداً وترك النصرانية ،فأقبل جنده وقد تسلحوا حتى أطافوا بقصره فقال لرسول رسول الله : قد ترى أني خائف على مملكتي ثم أمر منادياً فنادى : ألا إن قيصر قد رضي عنكم وإنما خبركم لينظر كيف صبركم على دينكم فارجعوا فانصرفوا وكتب قيصر إلى رسول الله : إني مسلم وبعث إليه بدنانير فقال رسول الله حين قرأ الكتاب : (كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية) وقسم الدنانير . رواه ابن حبان في صحيحه ،برقم ٤٥٠٤ ، وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح ، أنظر صحيح ابن حبان ، ج ١٠ ، ص ٣٥٧ .

(2) موقف الغرب من الإسلام ، للدكتورة زينب عبد العزيز ، ص ٢٣ .

(3) في الغرب أُناس عقلاء ، نظروا إلى الرسول نظرة إنصاف وإن لم يؤمنوا به وبدعوته ، وللإطلاع على شيء من أقوالهم أنظر مثلاً : قالوا عن الإسلام للدكتور عماد الدين خليل ، ص ٩١ ، وما بعدها . و الإسلام في عيون غربية ، للدكتور محمد عمارة ، ص ٧٣ ، وما بعدها . والرسول في عيون غربية منصفة ، للحسيني معدي ، ص ٩٥ ، وما بعدها .

(4) لماذا يكرهونه ، ص ٢١ .

(5) أنظر في ذلك حديثهم عن الرسول في المجال الأدبي ، وكيف هم يطعنون عليه ويسبونه ويكذبونه ، ففي كتاب (التاريخ العام للأتراك ١٦٣٢م) للفرنسي دومنيك بودييه ، يقول : " إن محمداً الغارق في الملذات المنحرفة ، نظراً لميوله الطبيعية لم يخجل من أن يقول في قرآنه إن الله قد حباه من القوة أربعين شخصاً من أضخم ماجني الدنيا " موقف الغرب من الإسلام ، ص ٤٠ ، وما بعدها .

(6) والحديث عن موقف المستشرقين مما يطول ، لكن للاستزادة أنظر : الرسول في كتابات المستشرقين ، لنذير حمدان . والمستشرقون والسيرة النبوية ، للدكتور عماد الدين خليل . وافتراءت المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية ، للدكتور غيثان جريس . و الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، لمحمد شريف الشيباني .

فكان نتاجه نفي الرسالة ونبوة الرسول ومعاداته وتكذيب القرآن الكريم الذي جاء به إلى غير ذلك .

ولذا فإن الرسول قد أضحى مشكلة تاريخية مزمنة حتى الآن في أدبيات الفكر الغربي فأصبحت النظرة " أمام هذه الافتراءات التي رسَّخت في الثقافة الغربية لقرون طويلة موقفاً عدوانياً ضد النبي وضد القرآن ...، فتاوى مسلمة يتلقاها لاحق عن سابق ، ويتواصوا بها كما تواصى منكروا النبوات من الأمم السابقة أمة بعد أمة وجيلاً بعد جيل بتكذيب الرسل و الأنبياء " [(١)]، قال تعالى (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [(٢)]

وبناءً على ما تقدم فقدت شهدت الفترة الماضية ارتفاع نبرة المواجهة من قبل الغرب ، لأن الفكر والكيان الغربي يتحرك وفق مجموعة من الاعتقادات والمسلمات الأساسية التي تخالف الفكر والكيان الإسلامي الصحيح ، وبالتالي فإن الأصل في العلاقات على تنوع أصعدتها ـ سيما الفكرية (الاعقادية) ـ بين الغرب والإسلام لم تكن يوماً ما متفقة ، بل تميل إلى المواجهة وعدم الاتفاق . [(٣)]

- **مشكلات الفكر الغربي مع الرسول [(٤)]:**

ينطلق الفكر الغربي في نظرته إلى الرسول من عدة منطلقات ، تحدد مسار تعامله وموقفه منه ، وعليه يمكن أن أُجمل هذه المنطلقات الغربية على النحو التالي :

الأول : التصور الذي قدمه الإسلام عن الإله يهدم الفكر الغربي :

فالفكرة الغربية تعتمد على مركزية الإنسان في الكون، وأن الفرد هو مركز الاهتمام الرئيس، وأن تطلعات الفرد وحقوقه وحرياته تقدم على أي أمر آخر، وحتى أمور العبادة وعلاقة الفرد بالإله.

والغرب يرى أن الرسول قدم مفهوماً يمكن أن يهدم الفكر الغربي من أساسه .. وهو مركزية الله تعالى في حياة البشرية مقابل نظرياته ،لذلك اختار الغرب أن يجعل عداء الإسلام ضمن منظومة قِيَمه الرئيسة ،لأنه بذلك يتمكن من إبقاء الفرد مركزاً للكون في مواجهة دعوة الرسول التي حافظت على مكانة الخالق جل وعلا ومركزيتها في حياة البشر.

الثاني : صفة الرسول (بَشَرًا رَّسُولاً) [(٥)] تخالف نمط الفكر الغربي عن المسيح υ [(٦)]:

(1) محمد رسول الله ، ص ٣١ ، ٣٢ .
(2) سورة الذاريات ، الآيتان : ٥٢ ، ٥٣ .
(3) قد تشهد العلاقة بين الغرب والإسلام (علاقة الشعوب) السلام والوئام ، ولكن قد تتبدل وفق السياسات والمصالح ،سيما من قبل الغرب الذي ينظر لمصالحه ومصالح من يرعى في المنطقة العربية وغيرها .
(4) للاستزادة ، أنظر : لماذا يكرهونه ؟! ، ص ٥٦ ـ ٨٥ . و محمد رسول الله ، ص ٢٤ ـ ٤٦ .
(5)سورة الإسراء ، آية : ٩٤ .
(6) أنظر : المسيحية ، لساجد مِير ، ص ٩٥ .

تحولت شخصية المسيح بعد تحريف الدين النصراني إلى تجسيد للفكر الغربي حول مركزية الفرد في الكون ،فقد تحول الإله في نظر المتدينين إلى شخص إله في صورة فرد دفع دمه ثمناً مقدماً لجميع خطاياهم القادمة،فهو قد قام بدفع فاتورة خطاياهم حتى قبل أن يقعوا فيها، وأبقى لهم الحياة لكي يمارسوا فيها ما شاءوا من أفعال طالما أن محبة المسيح ـ كشخص وكإله ـ تسيطر على مشاعرهم ، حتى من لايؤمن به فإنه مركزياً في مواقفهم الفكرية .

أما العلاقة مع محمد فهي علاقة تصادمية مع كل من التيار الديني والعلماني في الغرب على المستوى الفكري. فهو فرد وإنسان ، إنساناً بكل معاني الإنسانية، وليس إله في صورة إنسان (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [(1)]وهذا يناقض فهم المتدينين من الغرب للإله الذي عرفوه،فأي عقل لمن يعتقد أنّ الإله يمكنه أن يولد كما يولد سائر البشر ! ،وبالتالي تكونت الكراهية والضيق من كل ما يمثله الرسول

الثالث : جحد النبوة وتكذيب الرسالة [(٢)] :

سبقت الإشارة إلى العداوة القديمة للرسول ، ومن ذلك تشكيكهم في صدق نبوته وطعمهم في رسالته ،وهذا ما أدى إلى الرؤية التي تكونت في أذاهان الغربيين عن الرسول والتي قادت إلى تكذيبه في نبوته ، وهي الفكرة المستقرة في أذهان الكثير من المفكرين الدينيين في الغرب.

هذه الرؤية الغربية تتصور أن هذه النبوة الكاذبة ـ نبوة محمد ـ بزعمهم قد أوقفت تطور الإنسانية باتجاه المسيحية ، وهذا بحد ذاته كاف في الوقوف ضد هذا الدين الزائف [(٣)] ـ بنظرهم ـ .

الرابع : شخصية الرسول تفضح زيف الشخصية الغربية :

يرى البعض من المفكرين الغربيين في شخصية النبي نموذجاً متكاملاً لنوع من الكمال الإنساني الذي لا يمكن للغرب بأفكاره ونظرياته وممارساته أن يصل لها أو يقاربها ،وعند فريق من الغربيين يصبح القضاء على هذا النموذج هماً حقيقياً بذاته.

---

(1) سورة الأنعام ، الآيتان ١٦٢، ١٦٣ .

(2) وهنا ينبغي التنبه لما شاع أثناء الإساءة إلى النبي من قول بعضهم (لو عرفوه لأحبوه) والله تعالى يقول (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) سورة البقرة ،آية : ١٤٦.فكثير منهم يعرفون الكتاب ويكتمونه حسداً وبغياً، وكثير منهم يعلمون أن محمداً هو رسول الله حقاً، ومع ذلك أبوا إلاّ أن يناصبوه العداء في الحاضر، كما ناصبه أسلافهم العداء في الماضي وهم يعلمون، ولهذا أثنى الله على من خالف هواه منهم وانصاع للحق الذي عرف ، فقال (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) سورة الأعراف ، آية : ١٥ . أنظر : ظاهرة الإساءة للنبي وشريعته في الغرب، ورقة عمل قدمها فضيلة الشيخ ناصر العمر حفظه الله ، في المؤتمر العالمي لنصرة ، على الرابط التالي : http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=2068

(3) هناك هيمنة في النظرة الاستشراقية والتي تشكك في أصل الإسلام كدين إلهي ، فهناك من يقول بإنه يهودية محرفة ،ومن يقول مسيحية محرفة ، وثالث يقول بأنه دين عاجز وجامد عن التجديد ، أنظر : عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، ص ١٣٨ .

فكأن حياة النبي تفضح التردي الذي وصل إليه حال الشخصية الغربية نتيجة لابتعادها عن منهج الله تعالى ، ولا أدل على هذا من الفراغ الروحي الضخم في الغرب بالعموم، ويظهر ذلك من ارتفاع معدلات الجريمة والإدمان والانتحار وانتشار الرذائل.

وفي المقابل تظهر الشخصية المسلمة التي يمثلها النبي كمقابل حاد في مواجهته لتلك الشخصية الغربية ،ومن ها هنا جاء الهجوم الشديد والمتكرر على شخص النبي .

الخامس : المشروع الإسلامي الذي قدمه الرسول يمثل تحدياً لحضارة الغرب :

إن أحد مشكلات عداء الغرب التاريخي للنبي هو أنه جاء بنظام سياسي وفكري متكامل ينازع الغرب في المسلمات الأساسية، كما في طرق التنظيم والإدارة وسياسة المجتمعات، وفي نمط العلاقات الاجتماعية ،إنه ببساطة نظام متكامل مواز للنظام الغربي ولا يلتقي معه وإنما يقدم بديلاً قوياً وخطيراً له.

لذلك هاجم المفكرون الغربيون وبشدة المشروع الحضاري الإسلامي واعتبروه خطراً كبيراً يهدد سيادة الفكر الغربي وانتصار الحضارة الغربية، ولم يبدأ هذا الأمر مع أحداث سبتمبر ،أو مع نشوء فكرة صدام الحضارات ،أو نظرية نهاية التاريخ، وإنما سبق ذلك بقرون عديدة، واستمر يغذي الشخصية الغربية بمبررات العداء للعالم الإسلامي ولشخصية النبي .

السادس : فكرة المواجهة تُفشل المخطط الغربي :

يرى الكثير من المفكرين الغربيين أن الرسول هو من تسبب في إحياء روح المقاومة والمواجهة التي تمتد لتمنع الكثير من محاولات الهيمنة الفكرية والثقافية والعسكرية على الأمة الإسلامية من قبل الغرب ، وأن الدين الإسلامي هو المحرك الرئيس لجميع هذه الأفكار الموجودة في نفوسهم .

كما أن رسالة محمد وأفكار محمد ودعوة محمد تقدم الرصيد الفكري والنفسي والعقدي لجهد المسلم في الانتصار على نفسه وعدم التسليم لشهوات الحياة ومتع الدنيا التي يتفنن الغرب في محاولة تقديمها للأمة.

وهي تشكل إشكالاً فكرياً عميقاً يصادم الفكر الغربي بقوة ويقدح في مسلماته الأساسية ويلقي مفكرو الغرب باللائمة على الرسول في ذلك ، وبالتالي لا يملكون إلا أن يهاجمونه ويعادونه .

إن عداء الغرب للنبي هو عداء ينحدر من منطلقات فكرية متأصلة في الفكر الغربي ، وما هذه إلا نزر يسير من تلك .

يتلخص من هذا ومما تقدم النتائج التالية :

١ـ أن موقف الغرب من الإسلام ورسوله هو الحقد والكراهية ، وإن أظهر الديمقراطية والحرية التي يتمسح بها وأنه يخفي حقيقته ،وما العلمانية التي يتجمَّل بها إلا وجه من تلك الوجوه العفنة .

٢- أن الغرب يقف صفاً واحداً أمام الإسلام ورسوله وأنه في خندق مشترك إذا تعلق الأمر بالإسلام [١]، سواء كانت إنطلاقته من تلك الخلفيات التي أشرنا إليها في تاريخ العداء بين الحضارات أو من التحالفات والاتحادات والاتفاقيات المبرمة بينهم أو المصالح المشتركة .

٣- أن مزاعم الغرب بأن هذه الإساءة مما يدخل تحت بند حرية التعبير وأنهم أرادوا اختبار حرية التعبير في بلادهم !، هذا مما لايمكن أن يقبله عقل أو أن تنطوي دعواه على أي مسلم فطن ، لإنه - أي الغرب - يزن بمكيالين إذا تعلق الأمر بالإسلام والمسلمين ، فقوانينهم تجرم الإساءة إلى الدين النصراني وتمنع ما يهدد أو يهين أي إنسان بصورة علنية بسبب الدين . [٢]

الثانية : المتخاذلون في زمن النصرة :

في الوقت الذي رأينا بعض المنصفين من الغربيين[٣] يعتذرون لنا عن غضبتنا لرسولنا ، فقد خرج علينا أُناس قد وقفوا موقف الريبة والاستغراب من موقف المسلمين ، فتارة يسكتون ، وتارة يبررون[٤] ، وتارة يهونون ، وتارة يستهزؤن من مواقفنا ، هم لم يفجأونا ، ولم

---

(1) وهذا لا يعني التعميم لجميع الغربيين ، فإن منهم المنصف العادل في نظره إلى الإسلام ورسوله .ومنهم المغرض الحاقد ، ومنهم التابع لهؤلاء والمقلد لهم ، ومنهم الجاهل الذي لا يعرف شيئاً . وممن له تحفظ على التعميم محمد عمارة ، حيث ينتقد عبارة (الكفر ملة واحدة) ، أنظر : الغرب والإسلام ،ص ٥٥ . لكن يقول الله تعالى (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ.لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ.وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ.وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ. وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ.لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) سورة الكافرون الآيات : ١-٦ . قال ابن القيم: " والله تعالى قسم خلقه إلى كفار ومؤمنين ، فهؤلاء سعداء وهؤلاء أشقياء والكفر وإن اختلفت شعبه فيجمعه خصلتان : الأولى تكذيب الرسول في خبره . والثانية عدم الانقياد لأمره " . أحكام أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٨٣٥ ، ٨٣٦ . وقد تمسك بهذه الآية (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) (١٢٠) سورة البقرة ،جماعة من العلماء منهم أبو حنيفة و الشافعي وداود وأحمد ، وغيرهم ، أنظر : في هذه المسألة (هل الكفر ملة واحدة أم لا ؟) ، الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ٢ ، ص ٩١ .

(2) ولو نظر ت إلى كتاب (آيات شيطانية) للشيطان رشدي ، والذي نشر في الغرب ، وفي بريطانيا بالتحديد ، حاول المسلمون هناك أن يحظروه بناءً على قانون حظر سب المقدسات ، ولكنهم فشلوا ، لإن القانون يقتصر فقط على منع سب الدين المسيحي ، وبالتالي فرشدي ليس خارجاً عن القانون عندما أساء إلى الرسول ، وفي المقابل منعت بريطانيا دخول فلم باكستاني يسخر من سلمان رشدي وكتابه ! أنظر : حرية التعبير في الغرب من سلمان رشدي إلى روجيه جارودي ، للدكتور شريف عبد العظيم ، ص ٩ .

(3) حتى أن بعضهم قد طعن في مواقف المنصفين من الغربيين ، وأشاروا إلى أن الواجب عليهم (التأكيد على مبادىء حرية التعبير ، واحترام القانون) ! ، أنظر : مقال (زلزال الكاريكاتير ... جراحة دقيقة في جسد الحدث) جريدة الشرق الأوسط ، ١٢ / ١ / ١٤٢٧هـ .

(4) أنظر : مقال تهدئة الخواطر ، جريدة عكاظ ، ١٢ / ١ / ١٤٢٧هـ ، ومقال : تأملات في الحدث ، جريدة عكاظ ، ٩ / ١ / ١٤٢٧ هـ ، ومقال : الإساءة للأديان .. رؤية في كيفية الخروج من نفق الدمار ، جرية الشرق الأوسط ، ٧ / ١ / ١٤٢٧هـ ، وفيه يشير هؤلاء وغيرهم إلى أن ما وقع من سخرية واستهزاء عائد إلى طبيعة الدانماركيين المتفلتة، وهوسهم بالتحرر والانطلاق، وعشقهم لحرية التعبير، مع عدم التدين، وعدم الإيمان، وأنه ليس ثمة حقد مزعوم، ولا عداوة متوهمة، ولا قضية بينهم وبين رسولنا فلا ينبغي أن تُضخَّم المسألة، وأن تُخرَج عن هذا السياق؛ فالأمر لا يعدو أن يكون سوء تفاهم، وعدم تقدير للعواقب ليس إلا، بل إن إخراج القضية خارج هذه الرؤية إتهام لنا لما فيه من التصعيد الذي لا مصلحة فيه، بل هو تصعيد مقصود لأهداف تحتية، ومصالح شخصية، ومكاسب فئوية .

يباغتونا ، فهم ـ كما قيل ـ شنشنة نعرفها من أخزم [١] إنهم مسوخ بشرية القالب ناطقة بالعربية والضاد لكن القلب غربي الهوى .

إن هذا الموقف الذي وحد المسلمين في خطوة غير مسبوقة تجاه هذه الإساءة العظيمة بالنيل من حرمته بالسخرية والاستهزاء ،وما رأينا من مظاهر الغضب والنصرة لدليل على الخير المتأصل في كيان هذه الأمة والمستقر في وجدانها، وهل كان يُنتظر من أمة الإسلام إلا هذا؟ وهل كان يُظن بها إلا ما وقع؟

هذا الخير وهذه المواقف المشرفة قد بينت خبيئة المندسين من المنافقين والليبراليين [٢]، وما تنطوي عليه نفوسهم من الخبث والسوء ، فقد أغاظتهم مقاطعة (الجبن) ،فما الجرم الذي ارتكبته الشركات المسكينة حتى نظلمها ! ، بل مالخطأ الذي عمله موظفوها حتى يسرحوا من أعمالهم بسبب هذه المقاطعة !، يحنون عليهم ، ويأسفون لحالهم .

وقائل يقول : بأن المسلمين قد قصروا في تعريف الغرب بالإسلام [٣]، وأنهم هم السبب فيما وقع [٤]،ومن عرف الغرب عن قرب يدرك كذب هذه الدعوى وعوارها ، وأنها لا تستند على برهان بيِّن ،ولكنهم يسعون من خلال ذلك لتبرير وقيعتهم برسول الله ،أو تبرئتهم من هذه الجناية ،وبالتالي تحميل المسلمين إثم إساءتهم.

أما الوجه القبيح والكالح ،فهو (حرية التعبير)، التي يتلاعب بها الغرب كيفما أراد ،فهي لا تعرف الحدود ولا القيود؛ ولا محرم فيها ولا محظور، وهي عندهم حرية لا عيب فيها، و لا يعدلها في القداسة قيمة أخرى حتى أضحت الحرية اليوم أقدس من الرب في الضمير الغربي؛ فلهم أن يتكلموا عن الرب بما شاؤوا، وكيف شاؤوا، ممارسة لحرية التعبير.

فمن العجيب أن فقاعة (حرية التعبير) هذه لا تلبث أن تتوارى خجلاً إن مُسّ جناب اليهود، أو طُعن في السامية، أو شُكك في محرقة (الهولكست)، ليعلم الجميع أن الحضارة الغربية حضارة ازدواجية، حضارة الكيل بمكيالين، لا أخلاق ولا قيم تقوم عليها، ولا مبادئ تستمر عليها، إنما القيمة المقدسة الوحيدة عندهم ـ على الحقيقة ـ المصلحة ليس إلا؛ فأينما كانت المصلحة فثمّ دينهم وشرعهم، وإن داسوا في سبيل تحصيلها الأديانَ والمبادئ والقيم .

هذه هي حرية التعبير التي يعيبون علينا أننا لا نفقهها ،ثم يأتي أذنابهم ليقنعونا بأنهم قد إعتذروا ، ومن يملك قبول الاعتذار في عرض الرسول المختار [٥]، وبأننا لا نقبل الرأي

---

(1) أنظر : صبح الأعشى ، ج ٧ ، ص ٤٢٩ .

(2) الليبرالية : هو مذهب رأسمالي ينادي بالحرية المطلقة ، في الميدانين الاقتصادي والسياسي ،فمثلاً على مستوى الفرد (في الميدان السياسي) يؤكد على قبول أفكار الآخرين وأفعالهم ، ولو كانت متعارضة مع المذهب بشرط المعاملة بالمثل ، وعلى النطاق الجماعي : هي النظام السياسي المبني على أساس فصل الدين عن الدولة ، وعلى أساس التعددية الأيديولوجية .. ، أنظر : الموسوعة الميسرة ، ج ٢ ص ١١٣٥، ١٢٣٦ .

(3) في استطلاع للرأي أجراه أحد المواقع ، فيقول : ما هو المحرك لعمليات الإساءة للنبي في بعض البلدان الغربية ؟ ، فجاء على النحو التالي : ٧٣% يقولون : إنه حقد صليبي ، و٢٧% يقولون : بأه جهل بالرسول والإسلام ، أنظر الاستطلاع على موقع النصرة على الرابط التالي : http://nosra.islammemo.cc/allpoll.aspx

(4) أنظر : مقال : ربيع المتطرفين ، جريدة الوطن ، في ١٠ / ١ / ١٤٢٧هـ .

(5) أنظر : مقال (صانعوا الكوابيس : بعدما اختطفوا عقولنا يريدون خطف قرارنا) ، جريدة الوطن ، ٨ / ١ / ١٤٢٧هـ . وانظر : خريف الليبراليين لعبد الله العجيري. ووقفات شرعية مع جريمة الإساءة إلى مقام النبي ، لمحمد المنجد ، كلاهما في مجلة البيان ، عدد ٢٢٢ ، صفر ١٤٢٧هـ

الآخر ، وأنه مما يعود إلى جهلنا وعدم ممارستنا لهذه الحرية ، فما أخسأهم وأقبح إنسلاخهم من ثوابت الأمة ووقوفهم هذا الموقف السيء .

خَسِرْتَ وَلَمْ تَكْسَبْ سِوَى الضَّيْمِ وَالرَّدَى *** خَسِئْتَ فَأَنْتَ الشَّيْنُ وَالمَيْنُ لَوْ تَـــدْرِيْ

وَأَنْتَ سَقِيْمُ الفِكْرِ وَالقَلْبُ مَيِّتٌ *** وَأَنْتَ لَئِيْمُ الطَّبْعِ تَرْتَاحُ لِلْوِزْرِ

(١)

فمشروعنا الإسلامي قد صادم مشروعهم لأن " لهم برنامجهم الخاص الذي يريدون تمريره، ولهم خطتهم التي يريدون تنفيذها، قد وجدوا في الأحداث تعطيلاً للمخطط، وعائقاً لتمرير المشروع، فأخذوا في الالتفاف حول الحدث محاولين تجاوز العوائق، ولملمة المشروع، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، فخرجوا من بعد صمت ليدعوا الأمة إلى التسامح والعفو والتهدئة، في وقت يأبى العدو أن يتقدم باعتذار، بل يزيد من سخريته واستهتاره، وكتبوا ليجرُّوا الأمة لمعركة داخلية، بدل توحيد الصف لصدِّ الهجمة الخارجية، ونطقوا بالسوء لتصفية الحسابات وتوزيع التهم وكيْل الشتائم، وكان الظن أن مقام النبي محل وفاق وكلمة إجماع، وأن هذا المقام متى مُسّ فالكل سيقول كلمته الواضحة البينة في نصرته لا التواء فيها ولا غموض، فخيّب القوم الظن وأظهروا قبيح ما تكنّه الأفئدة والقلوب، فطعنوا الأمة في الظهر، وحاولوا الاصطياد في الماء العكر، وأقدموا على تفريق الصف في ظرف كانت الأمة كلها مستنفرة في وجه عدو واحد، فأضحى كشف هذا التوجه المشؤوم واجبنا نصرةً للنبي الكريم ونصحاً للأمة، وفضحاً لهذا التيار، وتسجيلاً لمواقف السوء هذه ليحفظها

التاريخ [٢]: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) [٣]، (وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) [٤]

الثالث : الموقف الإسلامي وخيار المقاطعة :

إن هذه الإساءة الموجعة مع تداعياتها المختلفة، والتي حرَّكت القلوب، فأظهرت محبة رسول الله وعمدت إلى الذبّ عنه، وعبّرت عن ذلك من خلال مقاطعات اقتصادية، ومظاهرات واحتجاجات، فنشأ عن ذلك تأليف كتب ورسائل في دعوة الكفار إلى الإسلام، والتعريف بسيّد الأنام ،ومؤتمرات [٥]،وإصدار بيانات [٦]،ومظاهر من عموم المسلمين

(1) وهي جزء من قصيدة : أَتَسْخَرُ مِنْ شَخْصِ النَّبِيِّ ، للدكتور عبد الرحمن الأهدل ، وقد نشرت على موقع : صيد الفوائد ، على الرابط التالي : http://www.saaid.net/Doat/alahdal/25.htm

(2) أنظر : خريف الليبراليين ،مجلة البيان ، عدد ٢٢٢ ، صفر ١٤٢٧هـ .

(3) سورة الفجر ، آية : ١٤

(4)سورة الشعراء ، آية : ٢٢٧.

(5) وأول مؤتمر هو: المؤتمر العالمي لنصرة النبي في البحرين ، والنعقد في الفترة ما بين ٢٢-٢٣ /١٤٢٧/٢هـ ، والذي كانت له المبادرة ، ثم مؤتمر مكة المكرمة الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بعنوان : (نصرة نبي الأمة) في الفترة ما بين ٥-٧ /١٤٢٧/١٢هـ .

(6) وهي كثيرة ومشرفة ، فمن ذلك بيان للمؤتمر العالمي لنصرة النبي في البحرين ،وبيان رابطة العالم الإسلامي الصادر عن مجلس المجمع الفقهي، في دورته الثامنة عشرة،المنعقدة في مكة المكرمة، في الفترة مابين ١٠-١٤ ربيع الأول ١٤٢٧هـ الموافق ٨-١٢ أبريل ٢٠٠٦م ، حيث استنكر هذا التجاوز الممقوت . وقد نشر على موقع الرابطة في الإنترنت ، على الرابط التالي : http://www.themwl.org/Fatwa/default.aspx?d=1&cidi=157&l=AR&cid=15

يعبرون بها عن حبهم لرسولهم ،هذه الواقعة تقرر أن الخير فيما اختاره الله تعالى، وأنه جل وعلا لا يخلق شراً محضاً، (فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) .[١]

وكما قال الأول :

قد يُنعِمُ اللهُ بالبلوَى وإن عظمَتْ *** ويبتَلى اللهُ بعضَ القومِ بالنِّعمِ[٢]

فما وقع من الاستهزاء أثار حميّة المسلمين للهِ تعالى ولرسوله وأيقظهم من سباتهم وبصّرهم بأعدائهم فهي طعنة آلمتهم ولكنها أيقظتهم ، يقول الله سبحانه في حادثة الإفك التي هي صورة من صور أذيَّته (لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)[٣] ،فهذه الإساءة صارت سبباً في حصول مكاسب كثيرة للمسلمين، وحصول الخزي والصغار لأعدائهم .

يقول شيخ الإسلام : " لم يزل الله سبحانه وتعالى يقيم لتجديد الدين من الأسباب ما يكون مقتضياً لظهوره ،كما وعد به في الكتاب ،فيظهر به محاسن الإيمان ومحامده ،ويعرف به مساوئ الكفر ومفاسده ،ومن أعظم أسباب ظهور الإيمان والدين وبيان حقيقة إنباء المرسلين ظهور المعارضين لهم من أهل الإفك المبين ،وذلك أن الحق إذا جُحد وعورض بالشبهات ،أقام الله تعالى له مما يحق به الحق ،ويبطل به الباطل من الآيات البينات " .[٤]

أثبتتْ هذه الإساءة الدنيئة، أنَّ أمّتنا أمّة عظيمة، وأنها إذا مرضت فإنها لا تموت، وفيها رجال يذودون بكل ما أوتوا دونَ نبيّهم الكريم وأن فيها خيراً كثيراً، فهذه الأزمة أعادت الاعتبار للمسلمين وجعلت لهم وزناً، وأصبح كل متربص بالإسلام وأهله يعيد حساباته قبل أن ينال منه وأهله .

فمن البشائر اجتماع كلمة المسلمين وتوحد صفوفهم، نصرة لنبيهم يقول الله تعالى (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٥] ، وهذا كان أشبه بالحلم لدى الغيورين ، فلله الحمد والمنة .

فمن الخير في خضم الإساءة ما يلي :

١. إن هذا الوحدة لم تكن وحدة على مستوى الأفراد فحسب، بل على مستوى الجماعات والمؤسسات بل على مستوى الدول والحكومات[٦] ، وهذا ما شكل التعاون الإيجابي

وأيضاً بيان من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين حول نشر صور للرسول .وبيان الأزهر حول الإساءة للرسول بالدانمرك .وبيان مجمع فقهاء أمريكا في الرد على سب الرسول . وبيان مكة في الذب عن سيد البشرية .وبيان من المغرب: حركة التوحيد والإصلاح تستنكر إساءة صحيفتين إلى النبي محمد . و بيان علماء اليمن بشأن التطاول على سيد البشر . ،بيان اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية . وبيان المكتب السياسي للاتحاد الإسلامي الكوردستاني ، أنظر : هذه البيانات وغيرها على الرابط التالي : http://nosra.islammemo.cc/index.aspx?catid=13&subcatid=20

(1) سورة النساء ، آية : ١٩ .

(2)وهو لأبي تمام ، أنظر : خزانة الأدب ، ج ٢ ، ص ٣٧٧ .

(3) سورة النور، آية : ١١.

(4) الجواب الصحيح ، ج ١ ، ص ٨٤ .

(5)سورة الأنفال ، آية : ٦٣ .

(6) ولها مواقف تذكر فتشكر ، فمن ذلك : أن المملكة العربيةالسعودية استدعت سفيرها لدى الدانمارك. وفي البحرين : طالب برلمانها باعتذار رسمي من ملكة الدانمارك. و السلطة الفلسطينية تندد بما نشرته الصحيفة الدنماركية من رسوم تسيء للرسول . و الجماهيرية العربية الليبية أغلقت سفارتها في الدانمارك . والأردن: استدعت سفيرها في الدانمارك للتشاور .وفي اليمن البرلمان يشجب صحيفة يولاندس بوستن. وفي باكستان : يصدر بيان من البرلمان بشجب قرار صحيفة يولاندس بوستن بنشرها للصور ، كما توقف استيراد أدوية الدول المسيئة للإسلام . وفي ماليزيا : صرح رئيس الوزراء أن نشر الصور هي محاولة متعمدة للإساءة، كما تُجرِّم توزيع أو امتلاك الرسومات المسيئة للنبي

بين المسلمين ،فكثير من الحكومات الإسلامية قد سحبت سفراءها احتجاجاً على تلك الرسومات ،والتجار قد قاطعوا المنتجات الدانماركية، والأئمة والوعاظ والعلماء يرشدون ويوجهون ويُبَيِّنون، والمسلمون ينادون ويستنكرون ويطالبون ويقاطعون، فشارك الجميع الطلاب والصغار والكبار والرجال والنساء وما كان ليحصل هذا الأمر ويستمر لولا توفيق الله ثم تكاتف الجميع وتعاونهم في نصرة الحبيب المصطفى .

٢. إن اجتماع كلمة الأمة الإسلامية في هذه الحادثة كان على أساس راسخ ألا وهو العقيدة،وهو ما أحياء جذوة الإيمان في قلوب المسلمين ،فتوحدوا جميعاً على كلمة التوحيد وشهادة : أن محمدا رسول الله ، فظهر أهل التوحيد هم أهل النصرة والمحبة الحقيقية، بخلاف بعض أهل البدع والخرافات الذين ضعفت أصواتهم .

وهذا يعطينا دلالة كبرى في أن العقيدة الصافية هي التي جمعت الأمم وليس غيرها من الشعارات .

٣. إن هذه الحادثة قد ضيقت مسائل الخلاف بين المسلمين ومؤسساتهم وأخرجت كثيراً منهم من الخلاف والتعصب إلى الاتفاق والالتفاف إلى ما هم متفقون عليه جميعاً، وهو نصرة نبيهم فتوحد الصف الإسلامي، وتبنوا نفس المواقف، وإن اختلفت البلدان واللغات ، ويمكن القول: إن الأمة الإسلامية في العصر الحديث قلَّما قابلت حدثاً كان له مثل هذا التأثير.

٤. شعَرت الشعوب المسلمة، وخاصة الأفراد بمدأ قوتهم وتأثيرهم وهو دينهم والتمسك بهدى رسولهم ، فشعروا بعزتهم وأنهم أرغموا أنوف المستهزئين بالنبي ، وأن يقلبوا موازين القرار الغربي بأسره .

وفي مقابل هذا نرى اختلاف الأعداء وانقسامهم حيث حصل خلاف بين الشركات الكبرى التي تأثرت من المقاطعة من جهة والصحافة من جهة أخرى، بل والحكومة نفسها، كما انقسم الشعب الدانماركي على نفسه إزاء ما حصل: هل هو فعلاً من حرية الرأي؟ أم أنه اعتداء وعدوان؟

- **المقاطعة الاقتصادية [1]:**

أسلوب قديم قِدم الصراعات بين الجماعات البشرية ، ذلك أنه أداة تأثير فعَّال على المواقف والتوجهات ، فهو يُستخدم من قبل الأفراد والشعوب ، وتارة يستخدم من قبل المنظمات والهيئات والدول .

وقد أصبحت الدعوة إلى مقاطعة البضائع والمنتجات التي تصدِّرها الدول التي تحارب المسلمين من وسائل الضغط عليها لتوقف أو تخفف من موقفها المعادي ، لأنه سلاح مؤثر في المواجهة مع الأعداء ،وقد استُخدم هذا السلاح قديماً وحديثاً :

.وإندونيسيا : يصرح الرئيس سوسيلو بانبانغ يودهونو بأن حكومته تشجب قرار الصحيفة بنشر الصور وتلغي مباراة رياضية مع الدانمارك عقب الرسوم المسيئة .وبنغلاديش: يصرح وزير الخارجية مرشد خان أن برلمان بلاده تطالب الحكومة الدانماركية بتقديم اعتذار للمسلمين . وغير ذلك من المواقف التي سيسجلها لها التاريخ .

(1) المقاطعة : هي وقف العلائق التجارية مع فرد ، أو جماعة ،أو بلد لتحقيق غرض اقتصادي أو سياسي أو عسكري ،في السلم أو الحرب . وهي ما تفيد الامتناع عن معاملة الآخر اقتصادياً وفق نظامٍ جماعي مرسوم بهدف الضغط عليه لتغيير سياسته تجاه قضية من القضايا. وقد شاع استعمال المقاطعة في الامتناع عن شراء منتجات من يحارب المسلمين أو يعينهم دون الامتناع عن البيع ؛ وذلك لأن أهل الإسلام صاروا مستهلكين ، وقل الإنتاج فيهم . أنظر في هذا : المقاطعة الاقتصادية وأحكامها في الفقه الإسلامي ، لأخينا تركي الرشودي رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ١٨ .والمقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها ، للدكتور خالد الشمراني . في موقع المقاطعة الاقاصادية على الربط التالي : http://www.alarabnews.com/alshaab/2006/17-02-2006/6.htm .ومقاطعة بضائع الكفار نظرة شرعية ، لهاني بن جبير . في مجلة البيان ، العدد ١٧٩ .

فقديماً : استخدمته قريش ضد النبي فيما يسمى بـ «شِعْب أبي طالب»، واستمر ثلاث سنوات [(١)]، وكان تأثيره على المسلمين بالغاً.

وهدد به ثمامة بن أثال قريشاً عندما منع الحنطة من بلاد نجد، حتى جاءت قريش وناشدت النبي أن يأذن لثمامة أن يبيعهم الحنطة . [(٢)]

وأما حديثاً : فالأمثلة كثير منها : مقاطعة المهاتما غاندي في الهند ضد المستعمر البريطاني ، كما استخدمت في عهد عصبة الأمم عندما أوقعتها على اليابان ، وهئية الأمم المتحدة عندما أوقعتها على الصين الشعبية وكوريا الشمالية ، والولايات المتحدة الأمريكية وهي الرائدة في استخدام المقاطعة ، فلك أن تعرف أنها بين عامي (١٩٩٣ ـ ١٩٩٦) قد استخدمته ستين مرة ، ضد خمس وثلاثين بلداً ، وللدول العربية والإسلامية نصيب الأسد منه ،كالعراق وليبيا وأفغانستان والسودان ،كما استخدمتها الدول الإسلامية قبل معاهدات السلام ضد الشركات المتعاونة مع اليهود .

وفي الحقيقة إن المتابع لمجريات الأحداث يلمس ما لهذه المقاطعة من آثارٍ كبيرة تدفع بعض الشركات إلى التبرُّؤ من العدوان والضغط على الساسة في بلدانهم لاتخاذ ما يوقفها.

أما من ناحية الحكم الشرعي للمقاطعة الاقتصادية:

فإن الأصل جواز معاملة الكفار بالبيع والشراء سواء كانوا أهل ذمّة أو عهد أو محاربين، فلا تُمنع المقاطعة ولا تُشرع، ولكن هذا الحكم قد يتغير بالنظر إلى ما يترتب على المقاطعة الاقتصادية من مصالح أو مفاسد:

ـ فإذا غلب على الظن إفضاء المقاطعة الاقتصادية إلى الإضرار بالكفار الحربيين من غير أن يترتب على ذلك مفسدة تعود على المسلمين، فهنا يتأكد الأمر وقد يصل إلى الوجوب؛ فكل ما يُلحِق الضرر بمن أعلن لنا العداء فإنه مطلوب ومأمور به، ولا شك أن التعامل التجاري والاقتصادي الحاصل في هذا الزمن يباين التعاملات التجارية في الأزمان السابقة؛ فهو الآن أوسع وأشمل، ولا شك في ارتباط الاقتصاد الآن بالسياسة وتأثيره، وقد دعا النبي على قريش أن تضيَّق عليهم معيشتهم؛ فعن ابن مسعود τ قال: إن رسول الله لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه، فقال: (اللهم أعني عليهم بسبعٍ كسبع يوسف) فأصابتهم سنَةٌ حصّت كل شيء حتى كانوا يأكلون الميتة، وكان يقوم أحدهم، فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجَهْد والجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: أيْ محمد! إن قومك هلكوا؛ فادع الله أن يكشف عنهم. [(٣)]

ففي هذا إشارة إلى استخدام السلاح الاقتصادي ضد الأعداء المحاربين.

ـ وإذا كانت المقاطعة الاقتصادية لا يترتب عليها إضرار بالكفار، بل تعود على المسلمين أنفسهم بالضرر، فهنا يتوجه القول بالتحريم. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " الفعل إذا كان يفضي إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة يُنْهى عنه" . [(٤)]

(1) أنظر : البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٨٤ .

(2) والقصة عند البخاري في المغازي ، باب وفد بني حنيفة ، برقم ٤٠٣٤ . ومسلم في الجهاد والسير ، باب ربط الأسير وحبسه ، برقم ٣٣١٠ .

(3)رواه البخاري في تفسير القرآن ، باب فلا يربوعند الله من أعطى عطية ، برقم ٤٤٣٥ . ومسم في صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان ،برقم ٥٠٠٦ .

(4) مجموع الفتاوى ، ج ، ١ ، ص ١٦٤، ١٩٤. ج ٢٣ ، ص ٢١٤ .

ـ وأما إذا كانت المقاطعة الاقتصادية ستوقع الضرر بالكفار لكنها في المقابل ستوقع ضرراً بالمسلمين أيضاً؛ فهنا تعارضت مصلحة الإضرار بالكفار مع مفسدة وقوع الضرر على المسلمين، فينظر: فإن كانت المفسدة على المسلمين غالبة منعت المقاطعة، وإن كانت المصلحة بمقاطعتهم غالبة كانت مأموراً بها، وإن تساوت المصلحة والمفسدة فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ـ وأما إذا كانت المقاطعة الاقتصادية لا مصلحة فيها من حيث الإضرار بالكفار، ولا مفسدة فيها على المسلمين، فلا حرج من القول باستحبابها؛ لأنها تكون من وسائل التعبير عن السخط ضد ممارسات الكفار العدوانية، فلو لم ينتج عن هذه المقاطعة إلا التعبير عن عقيدة الولاء بين أهل الإيمان والبراءة من أهل الشرك والكفران .[١]

وهناك بعض الخطوط المساعدة على إنجاحها [٢] :

١ـ تحديد حجم التعدي وقدر العقوبة التي يستحقها والوسيلة المناسبة للرد عليه والتعامل معه.

٢ـ أن تكون هناك جهة أو جهات يُسترشد بها أو ينسق معها في خطوات المواجهة .

٣ـ تحديد أهداف للمقاطعة، وتُتحدد الأهداف بحسب نوع وحجم الاعتداء (فقد تكون بانسحاب قوات، أو تقديم اعتذار، أو إلغاء توكيلات، أو محاكمة أشخاص، أو استرداد مظلومين، أو نشر تعريف صحيح من قِبَلنا بالإسلام والرسول...)، بحيث تظل هذه المقاطعة مستمرة حتى تتحقق هذه الأهداف، وإذا تحققت هذه الأهداف تلغى المقاطعة، أو تحديد مدى زمني معروف تتحقق فيه الأهداف المحددة أو معظمها، وأهمية هذا التحديد تكمن في ألا يكون قصر النَّفَس أو الإيقاع في الحرج العملي لبعض الفئات مدعاة لإضعاف سلاح المقاطعة وجعله بلا جدوى أو ضعيف التأثير بعد ذلك.

وتحديد الهدف سيجعلنا أقرب إلى معرفة الممكن وغير الممكن، حتى لا نسعى إلى مستحيل أو صعب لا يتناسب بذل الجهد فيه مع الثمرة المتوقعة من ورائه، فلا يتحقق هدفنا ويؤثر على معنوياتنا.

٤ـ تحديد الشريحة الموجهة لها المقاطعة والتي يكون لها صلة منطقية بمقترف التعدي أو لها تأثير محسوس في إزالة التعدي، وتحديد العدو المستهدف تحديداً دقيقاً.

٥ ـ أن تكون المقاطعة شاملة، بمشاركة جميع المسلمين في المقاطعة بترجمة الدعوات إلى ذلك ونشرها بين أوساط المسلمين غير الناطقين بالعربية في بلادهم، وأن تكون شاملة لجميع الأنشطة والجوانب الاقتصادية والإعلامية وغيرها، وأن تكون شاملة أيضاً للمقاطعة العكسية.

٦ ـ العمل بأسلوب الحملات الإعلامية في الترويج للمقاطعة: أي أن تتزامن الدعوة إلى المقاطعة في جميع وسائل الدعاية والإعلام، كالجرائد والمجلات والإذاعة والتلفزيون ـ حتى

---

(1)أنظر : وقفات شرعية ، للمنجد ، مجلة البيان ، العدد ٢٢٢ . والمقاطعة الاقتصادية وأحكامها في الفقه الإسلامي ، لأخينا تركي الرشودي حفظه الله رسالة ماجستير غير منشورة ، ص ٥٩ ، وما بعدها .والمقاطعة الاقتصادية حقيقتها وحكمها ، للدكتور خالد الشمراني . في موقع المقاطعة الاقتصادية على الربط التالي : http://www.alarabnews.com/alshaab/2006/17-02-2006/6.htm. ومقاطعة بضائع الكفار نظرة شرعية ، لهاني بن جبير . في مجلة البيان ، العدد ١٧٩ .

(2) أنظر: هوامش على أزمة التحدي ، مجلة البيان ، عدد ٢٢٢ .

ولو في صورة إعلانات مدفوعة الأجر ـ وخطب الجمعة والمحاضرات والدروس، والإنترنت (بجميع إمكاناته) .

وأخيراً فلطالما كتب الله تبارك وتعالى النصر لدينه ولرسوله ، خلال نائبات الدهر والأحداث الجسام، فهاهو يخرجه قومه من بلده العزيزة عليه ، وهو كاره ، حين مكر كفارها به لقتله،ولكنه لبَّى أمر ربه بالهجرة فخرج ، ثم كانت النتيجة أن يعود إليها مرة أخرى منتصراً وفاتحاً .

وعندما منعت قريش رسول الله وصحابته ψ من دخول مكة للعمرة عام ستة للهجرة ، وهو عام الحديبية ، وضاقت الأرض على المسلمين بما رحبت ،حتى قال عمر بن الخطاب τ : يا رسول الله ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال : (بلى) فقال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : (بلى) قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ؟ أنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ! فقال : (يا ابن الخطاب إني رسول الله ،ولن يضيعني الله أبداً) ،فانطلقَ عمر إلى أبي بكر τ فقال له مثل ما قال للنبي فقال : إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً ،فنزلت سورة الفتح ،فقرأها رسول الله على عمر إلى آخرها ،فقال : عمر: يا رسول الله أوفتح هو ؟ قال : (نعم) .[١] ،فكانت العاقبة أن دخل الناس في دين الله أفواجاً .

وما يجب أن يدركه المسلمون اليوم هو أن هذه المحنة التي أنزلها الله علينا، بداية خير كثير ونصر ،فعلينا أن نستفيد منها ،لأن شعاعاً عظيماً من الأمل والنصر قد أشرق من جنباتها المظلمة، وما ليل إلا ويعقبه صبح ،يقول الله تبارك وتعالى: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ) [٢] .

وهذه الإساءات لا بد وأن يعقبها النصر من الله تعالى الذي بينه في كتابه العزيز ،ويمكن أن أجزه بما يلي [٣]:

١ـ ثبوت الحق وانمحاق الباطل :

كما قال تعالى (أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا

مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثَالَ) . [٤]

٢ـ إنتصار الحق على الباطل ، وذلك بتأييد من الله ، وجعله حقاً أوجبه على نفسه وكتبه عليه :

كما قال تعالى (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) . [٥]

---

(1) رواه البخاري ،في الجزية ، باب إثم من عاهد ثم غدر ، برقم ٢٩٤٥ .
(2) سورة يوسف ، آية :١١٠.
(3) أنظر : الصراع بين الحق والباطل ، ص ٧٢٩ ـ ٧٤٧ .
(4) سورة الرعد ، آية : ١٧ .
(5)سورة الروم ، آية : ٤٧ .

٣ـ حسرة أهل الباطل على ما أنفقوه في نصرة باطلهم :

يقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) . [١]

٤ـ إستخلاف الله للمؤمنين به وبرسوله ، الثابتين على الحق النابذين للباطل وتمكينهم في الأرض :

قال الله تعالى(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . [٢]

وهذا النصر ليس كما يظن البعض أنه نصر عسكري فقط ،بل هو أشمل من ذلك بكثير ، وله عدة أوجه ،منها :

الوجه الأول : النصر الفكري العقدي بالحجة والبرهان :

يقول ربنا جل وعلا (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) . [٣]

الوجه الثاني : النصر بإنجاء المؤمنين من كيد الأعداء :

يقول الله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) . [٤]

الوجه الثالث : نصر المؤمنين بإهلاك أعدائهم بالمهلكات الكونية :

كما قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا) . [٥]

الوجه الرابع : النصر العسكري :

قال الله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء الْكَافِرِينَ) .[٦]

المطلب الرابع

---

(1)سورة الأنفال ، آية : ٣٦ .
(2) سورة النــور ، آية : ٥٥ .
(3)سورة البقرة ، آية : ٢٥٨ .
(4)سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .
(5)سورة الأحزاب ، الآية: ٩ .
(6)سورة التوبة ، الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ .

الإساءة إلى الرسول ﷺ في شرعه أو حكمه أو شيء مما يتعلق به

الإساءة إلى رسول الله ﷺ تأخذ شكلاً آخر عما ذكرنا في السابق ، ففي المجتمع المسلم نرى ألواناً من الإساءات التي يغشاها المسلمون ،جهلاً أو عناداً أو اتباعاً لهوى ، وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى عن حال المؤمن المتبع (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) . [١]

قال إمام المفسرين : " لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم ،ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما ،فيعصوهما ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا (فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) يقول : فقد جار عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدى والرشاد " [٢] ، فهذه الآية عامة في جميع الأمور ،وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول ،لأن الله تبارك وتعالى نفى خيرة المكلف عند سماع أمره وأمر رسوله ﷺ ،ثم أطلق على من بقيت له خيرة عند صدور الأمر اسم المعصية ،ثم علق على المعصية بذلك الضلال ،فلزم حمل الأمر على الوجوب . [٣]

ولهذه الإساءات صور متعددة ،أذكر منها ما يلي :

الأولى : الإساءة إلى الرسول ﷺ بالتحاكم إلى غير سنته :

واستبدال شرعه بما سواه ، يقول الله تعالى (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ) [٤] وقال بعدها (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) [٥] ،ثم قال سبحانه (وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) [٦]، وسنة النبي ﷺ وشرعه من جملة ما أنزل الله تعالى على رسوله ،يقول الله تعالى (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) . [٧]

ثم إن الله سبحانه علق الإيمان بالتحاكم إلى سنة رسوله ،يقول الله تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [٨] ،وهذا أصل من أصول الإيمان به والاتباعه له ﷺ ؛ فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته، ويُسلّم تسليمًا ،وقد بين الله تعالى أن من علامات الزيغ والنفاق : الإعراض عن سنته، وترك التحاكم إليها، كما قال تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ

---

(1) سورة الأحزاب ، آية ٣٦ .
(2)جامع البيان ، ج ١٠ ، ص ٣٠٠ .
(3) أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٦٤٥ . والجامع لأحكام القرآن ، ١٤ ، ص ١٦٥ .
(4)سورة المائدة ، آية : ٤٤ .
(5) سورة المائدة ، آية : ٤٥ .
(6)سورة المائدة ، آية : ٤٧ .
(7) سورة النجم ، الآيتان : ٣،٤ .
(8)سورة النساء ، آية : ٦٥.

ضَلاَلاً بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا). [١]

قال شيخ الإسلام : " فبين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله و إلى رسوله فصد عن رسوله كان منافقاً " . [٢]

وقال أيضاً : " فكل من خرج عن سنة رسول الله وشريعته؛ فقد أقسم الله بنفسه المقدسة أنه لا يؤمن حتى يرضى بحكم رسول الله في جميع ما شجر بينهم من أمور الدين أو الدنيا، وحتى لا يبقى في قلوبهم حرج من حكمه " . [٣]

الثانية : الإساءة إلى الرسول بتقديم وتفضيل غيره عليه :

فالله سبحانه وتعالى قد فضَّل نبيه محمداً على جميع الخلق ،أولهم وآخرهم، فهو خاتم الأنبياء وإمامهم وسيدهم ، قال : (أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مُشفَّع). [٤]

قال النووي : " إنما قاله لوجهين : أحدهما : امتثال قوله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث ،والثاني : أنه من البيان الذي يجب عليه تبليغه إلى أمته ليعرفوه ويعتقدوه ويعملوا بمقتضاه ويوقروه بما تقتضي مرتبته كما أمرهم الله تعالى ،وهذا الحديث دليل لتفضيله على الخلق كلهم " . [٥]

وقد ضلَّ في هذا الباب أصناف من الناس، منهم[٦] :

أ ـ الرافضة الغلاة : الذين فضَّلوا أئمتهم ـ المعصومين بزعمهم! ـ على النبي .

ب ـ الصوفية الباطنية : الذين فضَّلوا الأولياء والأقطاب على النبي .

وكلا الفعلين ـ والعياذ بالله ـ زندقة وكفر وإلحاد، ومخالفة للنصوص المتواترة وإجماع المسلمين.

الثالثة : الإساءة إلى الرسول برد الصحيح من خبره :

وفي هذا وقع غالب أهل البدع والأهواء ، فإن أحدهم ربما ردَّ حديث رسول الله ولو اتفق عليه البخاري ومسلم ، وذلك بأدنى حجة من الحجج، كمخالفتة العقل أو عدم تمشيه مع الواقع، أو عدم إمكان العمل به، أو المكابرة في قبول الأحاديث، وربما لجأوا إلى تأويل النصوص وحرفها لأجل موالفقتها لما في أنفسهم ، والله جل وعلا يقول (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ) [٧]، ، أو ردَّ الأحاديث الصحيحة باعتبار أنها آحاد ، أو دعوى العمل بالقرآن وحده وترك ما

(1) سورة النساء ، الآيتان : ٦٠، ٦١.
(2) الصارم المسلول ، ج ٢ ، ص ٨١ .
(3) مجموع الفتاوى ، ٢٨ ، ص ٤٧١ .
(4) رواه مسلم في الفضائل ، باب تفضيل نبينا ، برقم ٤٢٢٣ .
(5)المنهاج ، ج ١٥ ، ص ٣٧ .
(6) محبة النبي وتعظيمه ، هكذا نحب النبي ونعظمه ، لبعد اللطيف الحسن ، ص ٦٦ .
(7)سورة المؤمنون ، آية : ٧١ .

سوى ذلك [١]، وقد قال (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ،ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن ،فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ،وما وجدتم فيه من حرام فحرموه) [٢]، وفي رواية أحمد (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) [٣] ، وقبل ذلك يقول الله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [٤].

يقول ابن القيم : " فرأس الأدب معه : كمال التسليم له والانقياد لأمره وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن يحمله معارضة خيال باطل يسميه معقولاً أو يحمله شبهة أو شكاً أو يقدم عليه آراء الرجال وزبالات أذهانهم ...، فلا يحاكم إلى غيره ولا يرضى بحكم غيره ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره وإلا فإن طلب السلامة : أعرض عن أمره وخبره وفوضه إليهم وإلا حرفه عن مواضعه وسمى تحريفه : تأويلاً وحملاً فقال : نؤوله ونحمله ،فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب على الإطلاق ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بهذه الحال " [٥] وألا " يستشكل قوله بل تستشكل الآراء لقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الأقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يوقف قبول ما جاء به على موافقة أحد فكل هذا من قلة الأدب معه وهو عين الجرأة " . [٦]

الرابعة : الإساءة إلى الرسول بمجانبة الأدب معه :

سبق وأن أشرنا في حقوق النبي إلى شيء من حقه في التعزيره والتوقير [٧]، وأنه أصل عظيم في مبنى الإيمان به ، إذ لا يمكن أن يكمل إيمان العبد وفي قلبه خلل بنقصان الأدب معه .

ولقد ضرب الصحابة ψ مع رسول الله أروع الأمثلة وساقوا أجمل الصور في تعاملهم مع الرسول ، ويمكن أن نحقق الأدب الجمَّ معه عبر وسائل وأساليب كثيرة ، منها [٨] :

---

(1) وانظر في هذا : شبهات القرآنيين ،لعثمان بن معلم محمود بن شيخ علي ، ص ، ٢٨ ـ ٧٠ .
(2) رواه الترمذي في العلم ، باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ، برقم ٢٥٨٧ . وأبو داود في سننه في الخراج والإمارة والفيء ، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات ، برقم ٢٦٥٢ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٦١٠ . والجامع الصغير وزيادته ، ص ٤٤١ . وانظر حديث رقم : ٢٦٤٣ في صحيح الجامع .
(3) رواه أحمد في المسند ،برقم ١٦٥٤٦ ، وقد صححه الألباني في أكثر من موضع ، أنظر : صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها، ص ١٧١ . وتحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، ص ٥٩ . والحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، ص ٣٢ ، وفيه نقل تصحيح الحاكم له . وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح رجاله ثقات ، أنظر : المسند ، ج ٤ ، ص ١٣٠ .
(4) سورة الحشر ، آية : ٧ .
(5) مدارج السالكين ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .
(6) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٣٩٠ .
(7) للاستزادة أنظر ضمن حقوق : وجوب تعزيره وتوقيره : ص ١٤٠ـ ١٤٥ .
(8) للاستزادة ، أنظر : هكذا نحب النبي ونعظمه ، ص ٦٦ ـ ٧١ .

١ـ الثناء عليه بما هو أهله ، وأبلغ ثناء ما أثنى عليه ربه عز وجل به، وما أثنى هو على نفسه به، وأفضل ذلك : الصلاة والسلام عليه، لأمر الله تعالى وتوكيده :(إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [(1)] .

و في الآية الأمر بالصلاة عليه، والأمر يقتضي الوجوب ، لهذا قال النبي (البخيل من ذُكرتُ عنده ثم لم يصلّ عليَّ) [(2)] ،وهي مشروعة في عبادات كثيرة كالتشهد في الصلاة والقنوت والخطبة وصلاة الجنازة وبعد إجابة المؤذن وعند الدعاء ، وغير ذلك من المواطن .[(3)]

ولو نظرت إلى واقعنا ومجالسنا لرأيت تقصيراً في هذا ، فإذا مرَّ ذكره قلما يُصلي عليه ، فضلاً عن أن تسمع مذكّراً بذلك . [(4)]

٢ـ التأدب عند ذكره بأن لا يُذكر باسمه مجرداً، بل يوصف بالنبوة أو الرسالة ، وهذا كما كان أدباً للصحابة ψ في ندائه فهو أدب لهم ولغيرهم عند ذكره، فلا يقال: محمد ، ولكن: نبي الله، أو رسول الله .

يقول الله تعالى آمراً المؤمنين حين مخاطبته (لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا)[(5)] . قال ابن كثير : " لا تسموه إذا دعوتموه يا محمد ،ولا تقولوا : يا ابن عبد الله ،ولكن شرفوه فقولوا : يا نبي الله ،يا رسول الله " . [(6)]

٣ـ توقير حديثه، والتأدب عند سماعه، والوقار عند دراسته، وقد كان لسلف الأمة وعلمائها عموماً والمحدثين خصوصاً من الإجلال والتعظيم لحديثه وتوقير مجلس العلم الذي يدار فيه والتحقُّز لاستباق العمل به ما يدل على التعظيم له .

وأعظم من وقَّر رسول الله وتأدب مع حديثه أصحابه ψ ، فعن أسامة بن شريك قال : أتيت النبي وإذا أصحابه كأنما على رؤوسهم الطير .[(7)]

وكان حماد بن زيد إذا حدث عن رسول الله فرفع إنسان صوته لم يحدثه [(8)]، وكان بعض السلف يكره للرجل أن يحدث بالأحاديث التي عن رسول الله إلا وهو على وضوء [(9)]. وكان سعيد بن المسيب وهو مريض يقول : أقعدوني ، فإني أُعظم أن أحدث بحديث رسول الله وأنا مضطجع [(10)]، وقد روي هذا عنه في أكثر من مرة .

---

(1) سورة الأحزاب ، آية : ٥٦.

(2) رواه الترمذي في الدعوات ، باب قول الرسول (رغم أنف رجل ..) برقم ٣٤٦٩ .قال الألباني صحيح ، أنظر : إرواء الغليل ، ج ١ ، ص ٣٥ .ومختصره ، ص ٢ .والجامع الصغير وزيادته ، ص ٥١٩ . وأحمد في المسند برقم ١٦٤٥ .واللفظ له ، قال شعيب الأرنؤوط : إسناده قوي ، أنظر المسند ، ج ،١ ، ص ٢٠١ .

(3) أنظر : جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ، لابن القيم ، ص ٣٣٧ وما بعدها. والشفا ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(4)في هذا أنظر : رسالة دمعة على حب النبي ، ص ٢٦ .

(5) سورة النور، آية : ٦٣ .

(6) تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٤٠٩ . وفي الآية قول آخر في معناها ، وهو: لا تجعلوا دعاءه لكم بمنزلة دعاء بعضكم بعضاً إن شاء أجاب وإن شاء ترك بل إذا دعاكم لم يكن لكم بد من أجابته ولم يسعكم التخلف عنها ألبتة . أنظر :مدارج السالكين ، ج ٢ ، ص ٣٩٠

(7) رواه أحمد ، برقم ١٧٧٢٥ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح ، أنظر : مسند أحمد ، ج ٤ ، ص ٢٧٨ .

(8) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ، ج ١ ، ص ٣٨٥ .

(9) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ١٢٨.

(10) المرجع السابق ،ج ٣ ، ص ١٢٦.

قال حماد بن زيد :كنا عند أيوب فسمع لغطاً ، فقال : ما هذا اللغط ؟ أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله كرفع الصوت عليه في حياته [١].

يقول ابن القيم : " فما الظن برفع الآراء ونتائج الأفكار على سنته وما جاء به ،أترى ذلك موجباً لقبول الأعمال ورفع الصوت فوق صوته موجباً لحبوطها " .[٢]

٤ـ الأدب في مسجده ، وترك اللغط ورفع الصوت، ولهذا أنكر عمر τ على من رفع صوته فيه ،فعن السائب بن يزيد قال كنت قائماً في المسجد فحصبني [٣]رجل فنظرت ،فإذا عمر بن الخطاب τ فقال : اذهب فأتني بهذين ،فجئته بهما ،قال : من أنتما ؟ ،أو من أين أنتما ؟ قالا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ،ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله [٤] ،وفي رواية [٥](لأوجعتكماجلداً) ومنه يتبين أن الحديث له حكم الرفع ،لأن عمر لا يتوعدهما بالجلد إلا على مخالفة أمر توقيفي .[٦]

والأمر بمعاملة الرسول بكامل الأدب والتوقيره والتعزيره ، وما ينتج منه من التعظيم والتجليل باب كبير ومما يطول ، بل إنه مما تضافرت فيه النصوص ، و" القرآن مملوء به " .[٧]

الخامسة : الإساءة إلى الرسول بالغلو فيه :

من الإساءة إلى دينه وأصل ملته ومخالفة هديه ودعوته، الغلو فيه ،ورفعه فوق منزلة النبوة وإشراكه فيما اختص الله به، إدعاء علمه الغيب ،أو سؤاله من دون الله، أو الإقسام به ، وقد حذر أمته من ذلك وخاف عليها ، فقال (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، ولكن قولوا: عبد الله ورسوله) .[٨]

بل إنه لعن المشركين الذين غلو في أنبياءهم ، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي قال في مرضه الذي مات فيه : (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مسجداً) قالت : ولولا ذلك لأبرزوا قبره ،غير أني أخشى أن يتخذ مسجداً .[٩]

---

(1) المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٨٤ .
(2)مدارج السالكين ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .
(3) أي : رماني بالحصباء . أنظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ٥٦١ . وانظر : عمدة القاري ، ج ٤ ، ص ٢٤٩ .
(4) رواه البخاري في الصلاة ، باب رفع الصوت في المساجد ، برقم ٤٥٠ .
(5)وهي للإسماعيلي ، أنظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ٥٦١ .
(6)أنظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ٥٦١ .
(7) مدارج السالكين ، ج ٢ ، ص ٣٨٧.
(8) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) ، برقم ٣١٨٩ .
(9) رواه البخاري في الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور ، برقم ١٢٤٤ . ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ، برقم ٨٢٣ .

ولما همَّ وفد بني عامرٍ بالغلو فيه حين قالوا : أنت سيدنا ، فقال : (السيد الله تبارك وتعالى) قالوا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ،فقال : (قولوا بقولكم أو بعض قولكم ،ولا يستجرينكم الشيطان) .[١]

وبعد أن بان لك الحق وظهر فالزم ، و لا تستوحش ، لأن الحق لا يعرف بالكثرة ، (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) [٢]، وقال تعالى (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) [٣] ، نسأل الله سبحانه أن يمنَّ علينا بالتوفيق والهدى، وأن يلهمنا رشدنا ، وأن يجنبنا سبل الضلال والعمى .

---

(1) رواه أبو داود في الأدب ، باب في كراهية التمادح ، برقم ٤١٧٢ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٦٦٩ .ومشكاة المصابيح ، ج ٣ ، ص ٦٢ . والمعنى في (لا يستجرينكم) أي لا يتخذنكم جرياً بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية أي كثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته ، أي يتخذكم الشيطان كلاء ، وقيل : هو من الجراءة بالهمزة أي لا يجعلنكم ذوي شجاعة على التكلم بما لا يجوز . أنظر : عون المعبود شرح سنن أبي داود ، ١٣ ، ص ١١١ ، ٢٢٠ .

(2) سورة الأنعام ، آية : ١١٦ .

(3)سورة يوسف ، آية : ١٠٣ .

المبحث الثالث

أهم بواعث الإساءة إلى النبي

وفيه تمهيد وسبعة مطالب :

المطلب الأول : الجهل .
المطلب الثاني : ضعف العقل والإيمان .
المطلب الثالث : الانحراف العقدي في حياة الأمة .
المطلب الرابع : الكبر .
المطلب الخامس : الحقد .
المطلب السادس : الحسد .
المطلب السابع : النفاق .

التمهيد

يقول الله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا) [١] ، ويقول الله تعالى (أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [٢]

فالدين عند الله هو الإسلام ، الذي بعث به محمداً ، وهو المكمّل من عنده سبحانه وتعالى ، والذي لا يقبل غيره .

وإن الإساءة إلى الدين أو سبه أو السخرية أو الاستهزاء به أو برسوله هو في حقيقته عائد إلى لله تعالى ، لأنه هو الذي ارتضى هذا الدين واختار له هذا الرسول ،فتعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٣ .
(2)سورة آل عمران ، آية : ٨٣ .

لذا كشف الله تعالى لنبيه هذا الخُلُق المشين ، وبين عوار أصحابه ، ومآلهم ، قال تعالى (وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) [١]

ولقبح وشناعة الإساءة ، وما تنطوي عليه ، تجد أن " الرسول أرحم الناس بالناس ، وأقبل الناس عذراً للناس ، ومع ذلك كله لم يقبل عذراً لمستهزئ ، ولم يلتفت لحجة ساخر ضاحك ، فحين سخر به وبأصحابه ψ من سخر في مسيره لمعركة تبوك ، وجاء الهازلون يقولون : إنما كنا نخوض ونلعب : لم يقبل لهم عذراً ، بل أخذ يتلو عليهم الحكم الرباني الذي نزل من فوق سبع سماوات : (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ) [٢]

ولكي ندرك خطورة وفداحة ما ارتكبوه : ننظر إلى ملابسات حالهم ، فنجد أنهم قد خرجوا في الغزو مع رسول الله وتركوا الأهل والأزواج والأولاد والأوطان ، وكان خروجهم في فصل الصيف ، وشدة حرارته معلومة وتعرضوا للجوع الشديد والعطش الأليم ، ومع هذا كله لم يشفع لهم حال من هذه الأحوال حين أستهزأوا برسول الله ومن معه من الصحابة الأجلاء " . [٣]

وإذا كان الإيمان الصحيح – بكل شعبه - هو ما جاءنا عن رسول الله الذي فيه السعادة العاجلة والآجلة ، وصلاح الظاهر والباطن والعقائد والأخلاق والآداب وغير ذلك وأنه يدعو إلى كل فضيلة ويهدي للتي هي أقوم .

وإذا كان الأمر كما ذكرنا ، فلِمَ أكثر الناس عن الدين والإيمان معرضون، وله محاربون، ومنه ساخرون؟ وهلا كان الأمر بخلاف ذلك ؟

لأن الناس لهم عقول وقلوب تختار الصالح على الطالح والخير على الشر والنافع على الضار !

نعم كان من المفروض أن يكون الأمر كذلك ! ، واعلم أن الله تعالى قد ذكر هذا الإيراد في كتابه العزيز وأجاب عنه بذكر البواعث الواقعة والموانع العائقة، وبذكر الأجوبة عن هذا الإيراد فلا يهول العبد ما يراه من إعراض أكثر البشر عنه، ولا يستغرب ذلك ، فقد ذكر الله عز وجل من بواعث الإساءة في موانع عديدة ، واقعة من جمهور البشر .

هناك بواعث تتعلق بالمستهزئ المسلم ، وثانية بالمنافق ، وأخرى بالكافر ، ونظراً لما بينهم من التشابه والتداخل في البواعث والدوافع ، ولأن النتيجة واحدة من كل الأطراف ، فقد يشترك اثنان أو أكثر في دافع ما أو أكثر لذا فقد رأيت أن أجمل البواعث التي دعت الجميع إلى الإساءة ، وقد يشارك المسلم المنافق ، وقد يشارك المسلم الكافر ، وهكذا ، علماً أن ذلك لا يعني الاتفاق في حكم كل منهم ، كما سيتبين لاحقاً – بمشيئة الله - .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ٥٥ .

(2) سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥ ، ٦٦ .

(3) الاستهزاء بالدين وأهله ، للقحطاني ، ص ٥ .

المطلب الأول : الجهل [1] .

الجهل نقيض العلم ، وهو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه [2] ، وأساس لفساد كثير من الأمور ، إذ أنه منشأ كل بلية ، وأساس كل رزية ، فكل ما عُصي الله به فهو جهالة ، وهوأكبر عائق وأعظم مانع من الوصول إلى الحقائق الصحيحة والأخلاق الحميدة ، قال تعالى (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) [3]، و" نفوس البشر مركبة على الجهل والظلم إلا من أيده الله بروح الإيمان ونور بصيرته بنور الهدى " [4] ، بل إن الاساءة والاستهزاء باب من الجهل كما يدل عليه قول موسى υ (أَعُوذُ بالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجاهلين) . [5]

وقد ذكروا أن الجهل على نوعين :

١ـ جهل بسيط ، وهو : انتفاء العلم بالمقصود بأنه لم يُدرك أصلاً ،كحال كثير من دهماء المكذبين والمسيئين للرسول .

٢ـ وجهل مركب ، وهو : الإدراك على خلاف هيئته في الواقع ، لأنه تركب من جهلين جهل المدرك بما في الواقع ، وجهله بأنه جاهل به ، كاعتقاد الفلسفي قدم العالم . [6]

وهذا كحال أئمة الكفر وزعماء الملحدين الذين مهروا في علوم الطبيعة والكون ، واستجهلوا غيرهم ، وحصروا المعلومات في معارفهم الضئيلة الضيقة ، وزعموا أن العلوم محصورة فيما وصلت إليه الحواس والتجارب البشرية ، وما سوى ذلك أنكروه وكذبوه بل ربما حاربوه مهما كان من الحق، قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) [7]

ولابن القيم كلام رائع أسوقه بتمامه ، يقول : " فأهل الأرض كلهم في ظلمات الجهل والغي إلا من أشرق عليه نور النبوة كما في المسند وغيره من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي قال (إن الله خلق خلقه في ظلمة وألقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل ، فلذلك أقول : جف القلم على علم الله) [8]

---

(1)قال ابن منظور : الجهل من قولهم : " جهله فلان جهلاً وجهالة وجهل عليه وتجاهل أظهر الجهل ...،والتجهيل أن تنسبه إلى الجهل ، وجهل فلان حق فلان وجهل فلان علي وجهل بهذا الأمر والجهالة أن تفعل فعلاً بغير العلم ...، والجاهلية زمن الفترة ولا إسلام وقالوا الجاهلية الجهلاء فبالغوا ...،هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب والكبر والتجبر وغير ذلك " لسان العرب ،ج ١١ ، ص ١٢٩ . وانظر : القاموس المحيط ،ص ٧٢ . وانظر : أحكام القرآن للجصاص ، ج ٢ ، ص ٣١٤ .

(2) التعريفات ، للجرجاني ، ١٠٨ .

(3) سورة يونس ، آية : ٣٩ .

(4) زاد المعاد ، ج ٤ ، ص ٣٢٢ . قال سهل التستري τ : " إن من أعظم المعاصي الجهل بالجهل والنظر إلى العامة واستماع كلام أهل الغفلة " . إحياء علوم الدين ، ج ١ ، ص ٨٢ .

(5) سورة البقرة ، آية : ٦٧ . وأنظر روح المعاني ، ج ١٨ ، ص ٣٤١ .

(6) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، للأنصاري، ص ٦٧، ٦٨ . وانظر : التعريفات ، للجرجاني ، ١٠٨ . ومجموع الفتاوى ، ج٢ ، ص ٦٠ .

(7) سورة غافر ، آية : ٨٣ .

(8) رواه أحمد في المسند ، برقم ٦٣٥٦ . ورواه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق الأمة ، برقم ٢٥٦٦ . قال الألباني : صحيح ، انظر : حديث رقم : ١٧٦٤ في صحيح الجامع ، والجامع الصغير وزيادته ، ص ٢٦٥ .

ولذلك بعث الله رسله ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور فمن أجابهم خرج إلى الفضاء والنور والضياء ومن لم يجبهم بقي في الضيق والظلمة التي خلق فيها وهي ظلمة الطبع وظلمة الجهل وظلمة الهوى وظلمة الغفلة عن نفسه وكمالها وما تسعد به في معاشها ومعادها فهذه جملتها ظلمات خلق فيها العبد فبعث الله رسله لإخراجه منها إلى العلم والمعرفة والإيمان والهدى الذي لا سعادة للنفس بدونه البتة فمن أخطأه هذا النور أخطأه حظه وكماله وسعادته وصار يتقلب في ظلمات بعضها فوق بعض فمدخله ظلمة ومخرجه ظلمة وقوله ظلمة وعمله ظلمة وقصده ظلمة وهو متخبط في ظلمات طبعه وهواه وجهله وقلبه مظلم ووجهه مظلم لأنه يبقى على الظلمة الأصلية ولا يناسبه من الأقوال والأعمال والإرادات والعقائد إلا ظلماتها فلو أشرق له شيء من نور النبوة لكان بمنزلة إشراق الشمس على بصائر الخفاش " [١]

ويذكر رحمه الله إلى عدد من البواعث والأسباب ، والتي تؤدي إلى الإساءة ورد الحق ، والتي تشير إلى بعض ما سنذكره من جملة البواعث ، إذ يقول : " فمنها الجهل به وهذا السبب هو الغالب على أكثر النفوس فان من جهل شيئاً عاداه وعادى أهله فإن أنضاف إلى هذا السبب بغض من أمره بالحق ومعاداته له وحسده كان المانع من القبول أقوى فان انضاف إلى ذلك الفه وعادته ومرباه على ما كان عليه آباؤه ازداد المانع من قبول الحق قوة فإن هرقل عرف الحق وهم بالدخول في الإسلام فلم يطاوعه قومه وخافهم على نفسه فاختار الكفر على الإسلام بعد ما تبين له الهدى ". [٢]

والجهل على ثلاثة أضرب :

الأول : وهو خلو النفس من العلم ، هذا هو الأصل ، وقد جعل ذلك بعض المتكلمين معنى مقتضياً للأفعال الخارجة عن النظام ،كما جعل العلم معنى مقتضياً للأفعال الجارية على النظام .

والثاني : اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه .

والثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل ، سواء اعتقد فيه اعتقاداً صحيحاً أو فاسداً ، كمن يترك الصلاة متعمداً ، وعلى ذلك قوله تعالى (قَالُواْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُواً قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [٣] فجعل فعل الهزو جهلاً ،وقال عز وجل (فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ) [٤]

والجاهل تارة يُذكر على سبيل الذم ، وهو الأكثر ، وتارة لا على سبيل الذم نحو (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ) [٥] أي : من لا يعرف حالهم وليس يعني المتخصص بالجهل المذموم . [٦]

إذ كان كذلك فإن المسيء ما كان ليقع في الإساءة ـ بكل صوره ـ إلا بسبب الجهل ، فالاستهزاء جاء من باب الجهل الواسع ، كمل يدل عليه قول موسى υ (قَالَ أَعُوذُ بِاللّهِ أَنْ

---

(1) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، ص ١٩٢ ، ١٩٣.
(2) المرجع السابق ، ص ١٦ .
(3) سورة البقرة ، ص ٦٧ .
(4) سورة الحجرات ، ص ٦ .
(5) سورة البقرة ، ص ٢٧٣ .
(6) مفردات ألفاظ القرآن ، للراغب الأصفهاني ، ص ٢٧٤ .

أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ) [١] ، على أن المستهزئ يستحق سمة الجهل ، لانتفاء موسى υ أن يكون من أهل الجهل بنفيه الاستهزاء عن نفسه . [٢]

" وهذا الجهل إما أن يكون من جهة المستهزأ به ، فلا يعلم ما يجب لرسول الله من التعظيم والإجلال والتوقير والاحترام ، وأن هذا مقتضى الإسلام والإيمان ، الذي ينجي صاحبه يوم القيامة

وإما أن يكون الجهل من جهة حكم الاستهزاء ، فلا يتصور المستهزئ أنه باستهزائه يخرج من دائرة الإسلام ، ويدخل في دائرة الكفر ـ والعياذ بالله ـ ، حين تتحقق الشروط وتنتفي الموانع .

وقد يكون عن عناد ومكابرة ، كحال كثير من العلمانيين والحداثيين والشيوعيين وغيرهم الذين دأبوا على الاستهزاء والسخرية والجحود والتشكيك في أصل وجود الرسل وفي صدقهم . [٣] " . [٤]

وإن من الجهل الإساءة إلى الرسول من قبل أولئك القوم إذ هو عين الجهل به وبدعوته ودينه ، فالأمر ربما خفي على بعضهم ، أو أخفاه الله تعالى على من سبق في علمه حالهم فلم يرد لهم خيراً ، لكن من أساء إلى محمد ٍ فقد عرف محمداً ، نعم قد لا يكون عرفه حق المعرفة ، لكنه لم يتوجه بالإساءة إليه إلى معدوم في ذهنه، ولم يتوجه بحقده وسبه وشتمه إلى وهم في مخيلته، وإن من هذا حاله يصدق عليه قول الله تعالى (وَمَن يُرِدِ اللّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [٥] وقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [٦]

وهؤلاء لا يخلو حالهم عن أحد الأمور التالية :

١ـ إما أن يكونوا في غاية الجهل والحمق .

٢ـ وإما أن يكونوا زنادقة قصدوا التنقيص برسول الله . [٧]

٣ـ وإما أن يكونوا كفاراً ، وما بعد الكفر من ذنب ، والكافر عندما يواقع الإساءة برسول ، إنما يواقعها عن جهل وضلال أو قسوة وعناد . [٨]

فما أُنكرت النبوات وكذبت إلا بجهل حقائقها ، [٩] والبعد عن معانيها ، وذلك النور الذي يصطفي له سبحانه من يشاء من عباده .

إذاً يتضح مما سبق أن الجهل باعث من بواعث الإساءة إلى الرسول .

---

(1) سورة البقرة ، آية ٦٧ . وأنظر : روح المعاني ، ج ٢٥ ، ص ٧٤ .
(2) أحكام القرآن للجصاص ، ج ١ ، ص ٤٢ .
(3) الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره ، للقرشي ، ص ١٠٥ .
(4) للاستزادة أنظر : الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ، للغامدي ، ج ٣ ، ص ١٢٠٩ ، ١٢٤٦ .
(5) سورة المائدة ، آية : ٤١ .
(6)سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ .
(7) نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، لابن القيم ، ص ٤٠ ، بتصرف .
(8) للاستزادة ، أنظر : الجواب الصحيح ، ج ٢ ، ص ٥١ .
(9) للاستزادة ، أنظر : هداية الحيارى ، ص ١٨٨

المطلب الثاني : ضعف العقل والإيمان [١] .

العقل نعمة من الله ، وبه يرقى الإنسان ، وبه قد يسقط ، وقد ورد لفظ العقل في القرآن في اثنين وسبعين موضعاً ، منها قوله تعالى (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [٢] ، وقوله تعالى (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) [٣] ، وقوله تعالى (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ) [٤] ، وقوله تعالى (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [٥]

وعقل الإنسان هو محل النظر والمعرفة ، وهو أشرف ما فيه ، فهو محل الإيمان والعرفان ، والتكليف والأمر والنهي ، وإن من شرف العقل ونبله أن يَصرفَ إلى ما فيه خير الإنسان ، وسعادته في الدارين ، والعاقل الرفيع النفس العالي الهمة إنما يسلك به عقله دروب الرشاد ويباعده عن دروب الغواية والضلال ، كما أن الجنون وسفه العقل يردي الإنسان ، ويحطه في منازل الحيوان (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [٦]

يقول سيد قطب رحمه الله : " إن دور هذا العقل أن يتلقى عن الرسالة ، ووظيفته أن يفهم ما يتلقاه عن الرسول ، ومهمة الرسول أن يبلغ ويبين ويستنقذ الفطرة الإنسانية مما يرين عليها من الركام ، وينبه العقل الإنساني إلى تدبر دلائل الهدى وموحيات الإيمان في الأنفس والآفاق ، وأن يرسم له منهج التلقي الصحيح ، ومنهج النظر الصحيح وأن يقيم له القاعدة التي ينهض عليها منهج الحياة العملية ، المؤدي إلى خير الدنيا والآخرة ، وليس دور العقل أن يكون حاكماً على الدين ومقرراته من حيث الصحة والبطلان ، والقبول أو الرفض ...، إن هذه الرسالة تخاطب العقل ، بمعنى أنها توقظه ، وتوجهه، وتقيم له منهج النظر الصحيح ،لا بمعنى أنه هو الذي يحكم بصحتها أو بطلانها ، وبقبولها أو رفضها " . [٧]

والعقل ربما يعتريه ما يعتريه ، من النقص والضعف ، الذي لا يسلبه كماله ، وإن نقص ، فضعفه يختلف من منزلة لأخرى ، وضعفه " تارة يكون من ضعف نفس الإنسان ...، وتارة يكون من قوة السبب الوارد " . [٨]

---

(1) سبق تعريف الإيمان في اللغة والاصطلاح ، وذكر كلام السلف ، وما فيه من التفاوت ومن خالفهم في ذلك ، أنظر :ص ٢٧ ـ ٣٠ . وقد رأيت أن بعضهم قد جعل للعقل أربع مراتب : أولاً : الهيولاني . الثاني : الملكة . الثالث : العقل بالفعل . الرابع : العقل المستفاد . ويقولون بأنها مذكورة في هذه الآية (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) سورة النور ، آية : ٣٥ . أنظر : معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، لأبي حامد الغزالي ، ٥٥ ، ١٢٧ . و المواقف ، للإيجي ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ .

(2)سورة البقرة ، آية : ٤٤ .

(3) سورة البقرة ، آية : ٢٤٢ .

(4) سورة المائدة ، آية : ٥٨.

(5) سورة الأنعام ، آية : ٣٢ .

(6)سورة الفرقان ، آية : ٤٤ .

(7) في ظلال القرآن ، ج ٦ ، ص ٨٠٦ ، ٨٠٧ .

(8) الاستقامة ، ج ٢ ، ص ١٤٧ . وانظر : التحرير والتنوير ، ج ٩ ، ص ٢٣٧ .

وكلما عظم الإيمان في قلب الإنسان ، عظم عقله ورشده ونباهته ، فهو ثمرة الإيمان والطاعة . [١]

قال ابن القيم رحمه الله : " فإذا ضعف الإيمان صار لعدوهم عليهم من السبيل بحسب ما نقص من إيمانهم فهم جعلوا لهم عليهم السبيل بما تركوا من طاعة الله تعالى فالمؤمن عزيز غالب مؤيد منصور مكفي مدفوع عنه بالذات أين كان ولو اجتمع عليه من بأقطارها إذا قام بحقيقة الإيمان وواجباته ظاهراً وباطناً وقد قال تعالى للمؤمنين (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [٢] وقال تعالى (فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) [٣] ،فهذا الضمان إنما هو بإيمانهم وأعمالهم التي هي جند من جنود الله يحفظهم بها ولا يفردها عنهم ويقتطعها عنهم فيبطلها عليهم كما يتر الكافرين والمنافقين أعمالهم إذ كانت لغيره ولم تكن موافقة لأمره " [٤]

وإذا ضعف العقل وقل الإيمان أو انعدم انبسطت النفس بحمقها وجنونها ورأيت صاحبها يفعل أنواعاً من الجهالات والحماقات ، ويغشى الناس بظلمه وعدوانه ، ويسيء وهو يظن الإحسان ، ويظلم وهو يظن العدل ، وذلك عين الضلال ، وأساس البلاء ، وهذا يشبه قول اليهود والنصارى ، كما في قوله تعالى (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [٥]

قال شيخ الإسلام : " فإن تعذيبه لهم بذنوبهم يقتضى أنهم غير محبوبين ولا منسوبين إليه بنسبه البنوة ، بل يقتضى إنهم مربوبون مخلوقون " [٦]

إذاً فما دام الإيمان بهذه المثابة والعقل بهذه المنزلة ، فإن المتأمل لكثير ممن يقعون في الإساءة ، إنما هو بسبب ضعف عقولهم وإيمانهم أو انتفائهما ، وبهذا وغيره يتبن أن ضعف الإيمان وسفه العقل وحمقه ، باعث من بواعث الإساءة إلى الرسول .

المطلب الثالث : الانحراف العقدي في حياة الأمة [٧] .

---

(1) للاستزادة ، أنظر : طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن القيم ، ص ٤١١ .
(2)سورة آل عمران ، آية : ١٣٩ .
(3) سورة محمد ، آية : ٣٥ .
(4) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، ١٨٣.
(5) سورة المائدة ، آية : ١٨ .
(6) مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ . وانظر : الفتاوى الكبرى ، ج ٥ ، ص ١٩٦ . والعبودية ، ص ٣٧ . وفيهما أشار رحمه الله إلى قريب من هذا المعنى المذكور آنفاً .
(7)الأمة ، ويُقصد بها : إما أمة الإجابة أو أمة الدعوة ، ويمكن أن نميز بينهما على النحو التالي :
١ ـ أمة الإجابة: كل من آمن بالرسول ρ وصدقه واتبع النور الذي أُنزل معه .
٢ ـ أمة الدعوة : كل من وجد من الثقلين على الأرض منذ بعثة الرسول إلى آخر الدنيا فهو من أمة محمد ،وهو مأمور باتباعه .
أنظر : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، للحكمي ، ج ٢ ، ص ٨٧١ . وافتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة ، للصنعاني ، ص ٥٦ .و الإبطال ، ص ٩٤ .

إذا نظرنا إلى حالة العالم قبل بعثة الرحمة المهداة لوجدنا التخبط في حياة البشرية ، حيث عاش الناس في ظلام دامس من الجاهلية ، وذلك في القرنين السادس والسابع الميلاديين ، حيث سادت الوثنيات والخرافات والعصبيات والقبليات والمفاسد الاجتماعية والسياسية ، إلا من بقي متمسكاً من أهل الكتاب بدينه من غير تحريف . (١)

ويصور النبي تلك الحالة ، فيقول (... ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ،كل مال نحلته عبداً حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظان ...) (٢)

وقد كانوا منهمكين في عبادة الأصنام ، موغلين في الشرك والضلال ، يعبدون الأشجار والأحجار والأوثان " وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدي لها كما تهدي للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها ". (٣) ، وغير ذلك من صور الغواية والضلال ، التي عمت حياة العرب ، فأصبحت سمة لتلك القرى والجماعات .

فعن أبي رجاء العطاردي يقول : (كنا نعبد الحجر ،فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ثم طفنا به ...) (٤) ،" وما زالت تلك هي حالهم ، وما برحت تلك حياتهم ، ظلم وظلام ، وشرك وأوثان ، وفسق وفجور وآثام ، وخرافة ودجل ، وتفرق وتقاتل ، وتشاحن وعصبية واحتقار وامتهان ، وخصام متواصل ، وتخلف وضعف وانحطاط " (٥) ، حتى أشرقت الأرض بنور الرسالة ، وشمس النبوة المحمدية ، وشع نورها الأرجاء ، فصلُحَ أمر البشرية ، واستقام حالها ، فعاشت سلامةً في المنهج ، وصفاءً في التصور والاعتقاد ، وسمواً في الأخلاق والسلوك ، فانزاحت عنهم دياجير الظلام ، وأقبلوا إلى الإسلام مقبلين ، ينهلون من معينه الذي لا ينضب .

فأصبحوا ـ بنعمة الله ـ إخواناً متآلفين ، يضحون لأجل دينهم بكل غالٍ ونفيس ، حتى نعتهم مولاهم بأجمل وصف ،وهو الخيرية على سائر الأمم ، فقال سبحانه (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) (٦)

يقول الله تعالى(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (٧) ، قال ابن كثير : " وهكذا وقع وعم هذا الدين وغلب وعلا على سائر الأديان في مشارق الأرض ومغاربها وعلت كلمته في زمن الصحابة ومن بعدهم وذلت لهم

(1) للاستزادة ، أنظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، ص ٥٧ .
(2) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة ، برقم ٥١٠٩ .
(3)البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .
(4) رواه البخاري في كتاب المغازي ، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال ، برقم ٤٠٢٧ . ومسلم في كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج ، برقم ٢١١٧ .
(5)الانحرافات العقدية والعلمية ، في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ، للزهراني ، ج ١ ، ص ٣٤ .
(6) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .
(7) سورة التوبة ، آية : ٣٣ .

سائر البلاد ودان لهم جميع أهلها على اختلاف أصنافهم وصار الناس إما مؤمن داخل في الدين وإما مهادن باذل الطاعة والمال وإما محارب خائف وجل من سطوة الإسلام وأهله " (١)

فأصبح الدين ظاهراً عالياً بفضل من الله وكرم منه أن هيأ جيلاً " لم يتكرر بعد في تاريخ البشرية - لا من قبل ولا من بعد - جيل الصحابة الكرام الذين أحدثوا في تاريخ البشرية ذلك الحدث الهائل العميق الممتد ، الذي لم يدرس حق دراسته إلى الآن ...،لقد كان المجتمع الذي تألف من ذلك الجيل أول مرة ، والذي ظل امتداده أكثر من ألف عام ، تحكمه الشريعة التي جاء بها هذا الكتاب ، ويقوم على قاعدة من قيمه وموازينه ، وتوجيهاته وإيحاءاته ، كان هذا المجتمع معجزة أخرى في تاريخ البشرية ، حين تقارن إليه صور المجتمعات البشرية الأخرى ، التي تفوقه في الإمكانيات المادية - بحكم نمو التجربة البشرية في عالم المادة - ولكنها لا تطاوله في (الحضارة الإنسانية) ! " (٢)

لم تكن المعركة هينة وهي تواجه عقائد فاسدة، وقيماً فاسدة، وأعرافاً فاسدة، وأنماطاً من السلوك فسادة، ونفوساً أفسدها الانحراف العقدي والقيمي والعرفي والسلوكي، ثم استنامت إلى انحرافها، تحسبه هو الحق وهو ا لصواب وهو الشيء الذي يجب المحافظة عليه والقتال دونه .

ثم بعد ذلك ظهر في تاريخ الأمة الفساد في الأخلاق والسلوك والاعتقاد وغيرها ، وكان الفساد والخلل يعظم بقدر بُعد الأمة عن أنوار الرسالة وما كان عليه الرعيل الأول ، من القرون المفضلة .

فدب الخلاف في جسم الأمة ، وظهرت البدع والمنكرات ، وقل حظ كثير من الناس من مشكاة النبوة والرسالة ، فعظم الانحراف ، وتداعت أركان الأمة ، ووصلت إلى الحضيض ، واستقرت في مراتع الدون ،وهذا أمر طبعي لمن سلك السُبُلَ المخالفة للهدي النبوي ، إذ هي سنة ربانية ، يقول الله تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) (٣) ، وكما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله يقول : (إذا تبايعتم بالعينة (٤) وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) (٥)

ثم نشأت الفرق وتشكلت ، وهذا من أخطر الانحرافات ، لأن أصحابها مندسون في الصف الإسلامي ، ولا يمكن توقع الخطر من قبلهم ، ثم ما تبع ذلك بوادر علم الكلام وفشوا الفلسفة .

قال شيخ الإسلام : " ثم حدث بعد هذا في الإسلام الملاحدة من المتفلسفة وغيرهم حدثوا وانتشروا بعد انقراض العصور المفضلة وصار كل زمان ومكان يضعف فيه نور الإسلام يظهرون فيه " (٦)

---

(1)البداية والنهاية ، ج ٦ ، ص ١٨٣ . وانظر : الصواعق المرسلة ، ج ٢ ، ص ٦٥٣ .
(2) في ظلال القرآن ، ج ٩ ، ص ١٤٢٢، ١٤٢٣ .
(3) سورة الرعد ، آية : ١١ .
(4) العينة : أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل ويسلمه إلى المشتري ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن أقل من ذلك القدر يدفعه نقداً . أنظر : المبسوط ج ٦ ، ص ٢٤١ ، ٥٤٨ . والكافي في فقه ابن حنبل ، ج ٢ ، ص ١٤ .
(5)رواه أحمد في المسند ، برقم ٤٥٩٣ .و أبو داود ، في كتاب البيوع ، باب في النهي عن العينة ، برقم ٣٠٠٣ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : صحيح الترغيب والترهيب ج ٢ ، ص ٧٠ . والسلسلة الصحيحة ، ج ١ ، ص ٤٢ . وغاية المرام ، ص ١٢٠ .
(6) منهاج السنة ، ج ١ ، ص ٣١٦ .

وأول فرقة ظهرت في تاريخ الإسلام هي فرقة الخوارج ، وقد أخبر عنهم الرسول وعن صفاتهم ، فقد جاء في الصحيح أن أبا سعيد الخدري τ قال بينما نحن عند رسول الله وهو يقسم قسماً أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال : يا رسول الله اعدل ، فقال : (ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل) فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه ،

فقال : (دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس) قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي الذي نعته) (١)

ثم تتابع حدوث الفرق والطوائف ، فكانت الفرقة الأخطر في تاريخ الإسلام ، وهي فرقة الشيعة على اختلاف نحلها ، وتعدد طوائفها ، والتي بدأت بالسبئية ، أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي ، رأس الفتنة الذي أعان على قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان τ (٢) .حتى وصل بهم الأمر إلى تأليه علي بن أبي طالب τ (٣) ، فحرقهم بالنار .

يقول شيخ الإسلام : " والخوارج والمعتزلة والروافض لما كانوا أيضا أبعد عن السنة والحديث كانوا أعظم افتراقاً في هذه ، لا سيما الرافضة فإنه يقال إنهم أعظم الطوائف اختلافاً وذلك لأنهم أبعد الطوائف عن السنة والجماعة بخلاف المعتزلة فإنهم أقرب إلى ذلك منهم " (٤)

ثم توالت على الأمة الويلات والفتن ، فكانت قاصمة الظهر باجتياح جحافل التتار (٥) بلاد المسلمين ،الذين ساموهم سوء العذاب ، فقتلوا وسبوا ، وعاثوا في البلاد ،وخربوا كل ما وقعت عليه أعينهم .

وقد وصفهم شيخ الإسلام بقوله : " أهل الفجور والطغيان وذوو الغي والعدوان الخارجون عن شرائع الإيمان طلباً للعلو في الأرض والفساد وتركاً لسبيل الهدى والرشاد

---

(1) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، برقم ٣٣٤١ ، وانظر : كتاب الأدب ، حديث رقم ٥٦٩٧ . ورواه مسلم في كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، برقم ١٧٦٥ .

(2) أنظر : البداية والنهاية ، ج ٧ ، ص ٢٣٩.

(3) يقول الشهرستاني : " ولما لم يكن بعد رسول الله شخص أفضل من علي τ وبعده أولاده المخصوصون وهم خير البرية فظهر الحق بصورتهم ونطق بلسانهم وأخذ بأيديهم فمن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي τ دون غيره لأنه كان مخصوصاً بتأييد إلهي من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار . " ! الملل والنحل ج ١ ، ١٧٢ ، ١٥١ .

(4) مجموع الفتاوى ، ج ٤ ، ص ٥٢ . وقد شابهت الرافضة اليهود من أوجه كثيرة جداً ، أوصلها رحمه الله إلى قريب من أربعين وجهاً ـ عند التتبع ـ ،و انظر : منهاج السنة النبوية ، ج ١ ، ص ٢٤ ـ ٣٣ .

(5) التتار : ومساكنهم جبال طمغاج من أرض الصين، بينها وبين بلاد التركستان ما يزيد على ستة أشهر ، وقد استولوا على كثير من بلاد الإسلام، وملكوا الصين ، وكان ملكهم يقال له جنكزخان ، وقد دخلوا بلاد المسلمين سنة تسع وتسعين وستمائة ، ومن شعارهم لبس الراحي والطراطير ويقصون لحاهم ويتركون شواربهم ، وقد ساعدتهم الرافضة في ذلك ، وكان الوزير مؤيد الدين محمد بن أحمد العلقمي ، النصير عند هولاكو ، وهو أكبر من لعب دوراً في هذه الفتنة . يقول شيخ الإسلام : " الرافضة ...تجدهم يعاونون المشركين وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن كما قد جربه الناس منهم غير مرة في مثل إعانتهم للمشركين من الترك وغيرهم على أهل الإسلام بخراسان والعراق والجزيرة والشام وغير " . منهاج السنة النبوية ، ج ١ ، ص ٢٠ . و انظر : مجموع الفتاوى ، ج ٢٨ ، ص ٥٠١ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٦٣٦ . البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ١٧٢ ، ١٩٦ ، ٢٣١ . والسلوك لمعرفة دول الملوك ، للمقريزي ، ج ١ ، ص ٦٠ .

وهؤلاء هم التتار ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين أو ببعض سياسة الإسلام " [١]

وعقب ذلك بدأ التداعي من أمم النصارى ، والتي عُرفت فيما بعد بالحملات الصليبية من بلاد أوروبا ،وقيام عدد من الصراعات ، وهو ما يسمى أخيراً وبلغة العصر (صدام الحضارات) تلميحاً للحروب القادمة .

والتي بدأت منذ أمد بعيد ، فمن مسلسلها موقعة مؤتة ، ثم فيما تلا موقعة اليرموك الظافرة ، ثم تجلت ضراوتها ووحشيتها في الأندلس عندما زحفت الصليبية على القاعدة الإسلامية في أوروبا ، وارتكبت من الوحشية في تعذيب ملايين المسلمين وقتلهم هناك ما لم يعرف التاريخ له نظيراً من قبل .

ولك أن تتصور بأن " التيار العام الذي يمثل موقف النصارى جملة فهو تلك الحروب الصليبية التي لم يخب أوارها قط - إلا في الظاهر - منذ التقى الإسلام والرومان على ضفاف اليرموك .

لقد تجلت أحقاد الصليبية على الإسلام وأهله في الحروب الصليبية المشهورة طوال قرنين من الزمان ، كما تجلت في حروب الإبادة التي شنتها الصليبية على الإسلام والمسلمين في الأندلس ، ثم في حملات الاستعمار والتبشير على المماليك الإسلامية في إفريقية أولاً ، ثم في العالم كله أخيراً " . [٢]

وهذا مصداقاً لحديث الرسول (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها) قال قلنا : يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ قال : (أنتم يومئذ كثير ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهن (قال قلنا : وما الوهن ، قال : (حب الحياة وكراهية الموت) [٣] ، والذي لا زال صدقوه واقع إلى اليوم ، كما هو الحال في كثير من بلاد المسلمين اليوم ، والله المستعان .

وكما بدأ عقد الانحراف بالخوارج ومرَّ بالشيعة على اختلاف طوائفها [٤] ، فقد انخرط هذا العقد الخبيث ، وتسلسلت حلقاته وتتابعت واحدة بعد الأخرى .

فجاءت فرق وملل وطوائف كثيرة [٥] ، ليس هذا مجال بحثها إنما أردت أن أشير إلى إلماحة عاجلة حول هذا الخلل في شيء من تاريخ الأمة ، والتي ربما كانت هي أساس الانحراف . [٦]

---

(1) مجموع الفتاوى ، ج ٢٨ ، ص ٣٩٩ .

(2) في ظلال القرآن ج ٩ ، ص ٩٦٦ .

(3) روا أحمد في المسند ، برقم ٢١٣٦٣ ، واللفظ له . ورواه أبو داود ، في كتاب الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام ، برقم ٣٧١٥ . قال الشيخ الألباني : صحيح . أنظر حديث رقم : ٨١٨٣ ، في صحيح الجامع ، الجامع الصغير وزيادته ، ١٤١٥.

(4) وهي تبلغ نحو سبعين فرقة من طوائف الشيعة . أنظر : منهاج السنة النبوية ، ج ٨ ، ص ٢٤٧.

(5) ومن ذلك نشأت الفكر الصوفي والإرجائي ، الذين أديا إلى انحصار الدين والعبادة بالخصوص بشكل ضيّق . أنظر : الانحرافات لعقدية والعلمية ، ج ١ ، ص ٨٥ ، وما بعدها .

(6) يقولون بأن أصول الفرق هي : الحرورية والقدرية والجهمية والمرجئة والرافضة والجبرية ،وقد قال بعض أهل العلم أصل الفرق الضالة هذه الفرق الستة ، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة ،فصارت اثنتين وسبعين فرقة . أنظر : تلبيس إبليس ، لابن الجوزي ، ٢٨ . وكشف الخفاء ، للعجلوني ، ج ١ ، ص ١٦٧ .

- وفي هذا إشارة إلى حديث أبي هريرة τ مرفوعاً (افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) رواه الترمذي ، في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في

هذا في حق المسلمين ومن ينتسب إلى الإسلام ، فما بالك بغيرهم من ملل الكفر والإلحاد والزندقة ، الذين بنيت كثير من عقائدهم على أسس منهارة ، سمتها الكفر ، وعنوانها الشرك ، وكان المحرك الأول لها الحقد الدفين في قلوب أصحابها ، لذلك لا يستغرب أن ينال أحد منهم الإسلام أو رسوله بسوء .

وإن حال الأمة الإسلامية وما فيها من الضعف والانقسام والانحراف والتبعية ، كل هذا قد أغرى ، وما زال يغري أعدائها بها ، فهي فريسة سانحة ، وصيد سهل المنال ، وفي المقابل فالغرب يعيش أوج قوته وقمة حضارته ، ولذا كان من السهل توجيه السهام لمحاولة النيل أو المساس بمسلمات الأمة وثوابتها .

سيما بعد قارعة (١١ / ٩ أيلول سبتمبر) ، والتي مثلت اتجاهاً آخر ومنحى خطير في التعامل مع الإسلام وأمته ، فأصبح الإسلام بعدها يقدم بأنه (الإرهاب) ، وبأننا (الأشرار) ! .

ثم إن فشل النصرانية ونجاح الإسلام يمثل خطورة شديد للغرب ، وإن شأت فقل (موت النصرانية) و (صحوة الإسلام) ، وهذا ما يدعو إلى الضربات الاستباقية ، ومباغتة العدو في عقر داره - كما يقولون - .

وبهذا تبين خطورة الانحراف عن الهدي الرشيد والحق القويم ، ولهذا وذاك يمكن أن نقول بأن من البواعث القوية على الإساءة على شخص الرسول ، هو الانحراف ، والبعد عن منهج الله تعالى .

المطلب الرابع : الكبر [1] .

الكِبْر في حق البشر خُلُق مشين ، ورداء بغيض ، وتكسب مذموم ، واتصاف ممقوت ، وكما قيل : " الكبر ذل لمن تعزز به " [2] ، وأصل من أصول الأخلاق المذمومة والخطايا ، وهو من الذنوب الأوَل التي عُصيَ الله بها ، بل إنه ركن من أركان الكفر . [3]

افتراق الأمة ، برقم ٢٥١٤ . ورواه أبو داود ، في كتاب السنة ، باب شرح السنة ، برقم ٣٩٨٠ . ورواه ابن ماجة ، في كتاب الفتن ، باب افتراق الأمة ، برقم ٣٩٨١ ، ٣٩٨٢ ، ٣٩٨٣ . ورواه أحمد ، في المسند ، برقم ٨٠٤٦ ، ورقم ١٢٠٢٢ .
قال العجلوني : قال الزركشي ورواه البيهقي وصححه من حديث أبي هريرة وغيره ، أنظر : كشف الخفاء ، ج ٢ ، ص ٣٦٨ . قال السيوطي : وصححوه من حديث أبي هريرة τ وغيره ، وانظر : الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ج ١ ، ص ٥١٣ . وقد صححه الترمذي وابن حبان والحاكم . أنظر : صحيح ابن ماجة ، ج ٢ ، ص ٣٦٤ . قال الألباني : صحيح ، أنظر السلسلة الصحيحة ، ج ١ ، ص ٤٠٢ ، ج٣ ، ص ٤٨٠ . وظلال الجنة ، ج ١ ، ص ٢٨ . والكلام يطول في مسألة الفِرَق ، ولكن لمن أراد الاستزادة ، فلينظر مثلاً : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، للالكائي ، ج ٤ ، ص ٦٤٤ ، ٦٩٦ . والإبانة عن أصول الديانة ، للأشعري ، ص ١٤ ،٢٠ ، ١٠٨ ،١٤٤ ، ١٥٢ . والسنة ، للمروزي ، ص ٤٩. والسنة ، للخلال ، ج ١ ، ص ١٤٦ . والسنة لعبد الله بن أحمد ، ج ٢ ، ص ٦٣١ . والعلو للعلي الغفار ، للذهبي ، ص ٢١٩ ،٢٢٠ . وقطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر لمحمد صديق حسن خان القنوجي ، ص ٦١ . ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لعلي بن إسماعيل الأشعري ص ١٢٧ . والإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لابن بطة ، ج ١ ، ص ٢٨٦ . ومجموع الفتاوى ، ج ٣ ، ص ١٠٤ ، ١٤١، وغير هذه المواضع كثير من المجموع .

(1) الكبر : الإثم وهو من الكبيرة كالخطء من الخطيئة . وفي المحكم : الكبر : الإثم الكبير كالكبرة بالكسر. وقد تكبر واستكبر وتكابر وقيل : تكبر من الكبر . والتكبر والاستكبار : التعظم . وقوله تعالى : " سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق " . قال الزجاج : معنى يتكبرون أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم وهذه لا تكون إلا لله خاصة . أنظر : تاج العروس ، للزبيدي ، ج ١ ، ص ٣٤٣٩ .

(2) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ، ج ١ ، ص ٣٧٨ .

(3)قال شيخ الإسلام رحمه الله : " أول ذنب عصى الله به ثلاثة الحرص والكبر والحسد فالحرص من آدم والكبر من إبليس والحسد من قابيل حيث قتل هابيل " مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ١٢٦ . وانظر : الفوائد ، ص٨٥ ، ١٤٣ ، ١٥٧ .

وألفاظ الكِبْر والتَّكَبُّر والاسْتِكْبار متقاربة .

فالكبر : حالة يتخصص بها الإنسان من إعجابه بنفسه وأن يرى نفسه أكبر من غيره وأعظم الكبر التكبر على الله بالامتناع عن قبول الحق .

والاستكبار على وجهين :

أحدهما : أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يكون كبيراً ،وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فهو محمود .

والثاني : أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهذا هو المذموم وعليه ورد القرآن وهو قوله تعالى (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ) [(١)] .

وأما التكبر فعلى وجهين :

أحدهما : أن تكون الأفعال الحسنة كبيرة في الحقيقة وزائدة على محاسن غيره وعلى هذا قوله تعالى : (الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ) [(٢)]

والثاني : أن يكون متكلفاً لذلك متشبعاً وذلك في عامة الناس نحو قوله تعالى (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ) [(٣)] وكل من وصف بالتكبر على الوجه الأول فمحمود دون الثاني ويدل على صحة وصف الإنسان به قوله تعالى(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) [(٤)] والتكبر على المتكبر صدقة .

والكبرياء : الترفع عن الانقياد ولا يستحقه إلا الله تعالى ،قال تعالى في الحديث القدسي (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في شيء منهما قصمته ولا أبالي) [(٥)] ، [(٦)]

قال الخطابي : " معنى هذا الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه واختص بهما لا يشركه أحد فيهما ولا ينبغي لمخلوق أن يتعاطاهما لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل .

وضرب الرداء و الإزار مثلاً في ذلك يقول : ـ والله أعلم ـ كما لا يُشرك الإنسان في ردائه وإزاره فكذلك لا يشركني في الكبرياء والعظمة مخلوق (فمن نازعني واحداً منهما) أي

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٣٤ .

(2) سورة الحشر ، آية : ٢٣ .

(3)سورة غافر ، آية : ٣٥ .

(4) سورة الأعراف ، آية : ١٤٦ .

(5) رواه أبو داود ، في كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، برقم ٣٥٦٧ ، ورواه ابن ماجة ، في كتاب الزهد ، باب البراءة من الكبر والتواضع ، برقم ٤١٦٤ ، ٤١٦٥ . ورواه أحمد في المسند ، برقم ٧٠٧٨ ، ٨٥٣٩ ، ٨٩٩٨ . قال العراقي : أخرجه الحاكم في المستدرك دون ذكر " العظمة " وقال صحيح على شرط مسلم ، أنظر : تخريج أحاديث الإحياء ، ص ٣ ، ص ٢٢٦ . وانظر : كشف الخفاء ، ج ٢ ، ص ٩٠٧ . قال الألباني : صحيح . أنظر حديث رقم : ٤٣٠٩ في صحيح الجامع ، أ .هـ ،وهو بدون لفظ (والعظمة إزاري) ، وانظر حديث رقم : ٤٣١٠ ، و٤٣١١ في صحيح الجامع . الجامع الصغير وزيادته ، ٧٧٦ . وهو عند مسلم بلفظ : (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) ولفظ : (العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته) من حديث أبي هريرة τ وأبي سعيد الخدري τ في كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الكبر ، برقم ٤٧٥٢ .

(6)أنظر : فتح الباري ،ج ١٠ ، ص ٤٨٩ . والتذكرة للقرطبي ، ص ٥٧٢ . قال الغزالي : الكبر على قسمين ـ وذلك باعتبار الظاهر ـ ، فإن ظهر على الجوارح يقال تكبر، وإلا قيل في نفسه كبر ، والأصل هو الذي في النفس ، وهو الاسترواح إلى رؤية النفس ، والكبر يستدعي متكبراً عليه يرى نفسه فوقه ومتكبراً به ، وبه ينفصل الكبر عن العجب ، فمن لم يخلق إلا وحده يتصور أن يكون معجباً لا متكبراً . أنظر : تحفة الأحوذي ، ج ٦ ، ص ١١٤ . وتاج العروس ، ص ٣٤٣٩ .

من الوصفين ومعنى نازعني تخلق بذلك فيصير في معنى المشارك (قذفته) أي رميته من غير مبالاة به " [١]

فالمتكبر في تكبره هذا لا يخرج عن أحد ثلاثة أقسام ،وذلك من جهة تكبره على غيره ، فإما أن يكون المُتكَبر عليه هو الله تعالى أو رسله أو سائر خلقه :

القسم الأول: التكبر على الله : وهو أفحش أنواع الكبر ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان مثل ما كان من نمرود فإنه كان يحدث نفسه بأن يقاتل رب السماء ، ومثل فرعون وغيره فإنه لتكبره قال (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) [٢] ،إذ استنكف أن يكون عبداً لله ولذلك قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [٣] ،قال ابن كثير : " لما كان كفرهم سببه البغي والحسد ومنشأ ذلك التكبر قوبلوا بالإهانة والصغار في الدنيا والآخرة " [٤]

وقال تعالى (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا) [٥] ،هذا الخلق المذموم في نفوس أولئك المتكبرين من أرباب الشرك والعناد يقود إلى نتائج قبيحة ، ولهذا فإنه" يمنعهم من الإسلام ، خيفة أن يرجعوا عباداً لله كسائر العباد ، فهم يطلبون امتيازاً ذاتياً يحفظ لهم خصوصيتهم بين الأتباع ، ويكبر عليهم أن يؤمنوا للنبي فيسلموا له ، وقد تعودوا أن يكونوا في مقام الربوبية للأتباع ، وأن يشرعوا لهم فيقبلوا منهم التشريع ، وأن يأمروهم فيجدوا منهم الطاعة والخضوع ". [٦]

القسم الثاني : التكبر على الرسل : من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس ،وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه .

وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل ،كما حكى الله قولهم (أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا) [٧] وقوله تعالى حكاية عنهم (وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ) [٨]

وقالت قريش فيما أخبر الله تعالى عنهم (لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ)[٩]" يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم كبير جليل مبجل في أعينهم ، أي من مكة والطائف ، وذلك أنهم قبحهم الله كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغياً وحسداً وعناداً واستكباراً كقوله تعالى مخبراً عنه : (وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) [١٠] ، [١] ،وقالوا كيف نجلس إليك وعندك هؤلاء وأشاروا إلى فقراء

---

(1) عون المعبود ، ج ١١ ، ص ١٠١ . وانظر : تحفة الأحوذي ، ج ٧ ، ص ١٩٧ . و فيض القدير ، ج ٤ ، ص٤٨٤ . و إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، لابن جماعة ، ص ٩٩ .

(2)سورة النازعات ، آية : ٢٤ .

(3) سورة غافر ، آية : ٦٠ .

(4) تفسير القرآن العظيم ،ج ١، ١٧٦.وانظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ، ج ٧ ، ص ٢٨٢ .

(5)سورة الفرقان ، آية : ٦٠ .

(6) في ظلال القرآن ج ٨ ، ص ١٢٠٢.

(7) سورة المؤمنون ، آية : ٤٧ .

(8) سورة المؤمنون ، آية : ٣٤ .

(9) سورة الزخرف ، آية : ٣١ .

(10) سورة الفرقان ، آية : ٤١ .

المسلمين فازدروهم بأعينهم لفقرهم وتكبروا عن مجالستهم فأنزل الله تعالى (وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ) (٢)

وهذا قريب من التكبر على الله ، وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله .

القسم الثالث : التكبر على العباد : وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتأبى نفسه عن الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويأنف عن مساواتهم .

وهذا وإن كان دون الأول والثاني فهو أيضا عظيم من وجهين :

أحدهما : أن الكبر والعز والعظمة والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر ، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله ،وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله تعالى (العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته) (٣)

الوجه الثاني : الذي تعظم به رذيلة الكبر أنه يدعو إلى مخالفة الله تعالى في أوامره لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون أنهم يتباحثون عن أسرار الدين ثم إنهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله وتشمر لجحده واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من أخلاق الكافرين والمنافقين إذ وصفهم الله تعالى فقال (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ) (٤) ،وهذا قريب من التكبر على الله ، وإن كان دونه ولكنه تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله .

إذاً فتكبره على الخلق عظيم لأنه سيدعوه إلى التكبر على أمر الله ، كحال إبليس عندما حكى ذلك ربنا سبحانه فقال (قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) (٥) ، فحمله ذلك على أن يمتنع من السجود الذي أمره الله تعالى به وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له (٦) فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد ، وكان عقابه على نقيض قصده .

وخلاصة الأمر أن كل من تكبر ، وأنف من أن يخضع لله تعالى ويتواضع لله بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله . (٧)

---

(1) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٣٢. وانظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ٨ ، ص ٦٩ ، ج١١ ، ص ١٨٢ . ومعالم التنزيل ، ج ٦ ، ص ٨٥ .

(2)سورة الأنعام ، آية : ٥٢ .

(3) سبق تخريجه ، أنظر : ص ٢٥٦ .

(4) سورة فصلت ، آية : ٢٦ .

(5)سورة الأعراف ، آية : ١٢ .

(6) قال شيخ الإسلام : " والكبر والحسد هما داءان أهلكا الأولين والآخرين وهما أعظم الذنوب التي بها عصى الله أولاً فإن إبليس استكبر وحسد آدم وكذلك ابن آدم الذي قتل أخاه حسد أخاه ولهذا كان الكبر ينافي الإسلام كما أن الشرك نافي الإسلام فإن الإسلام هو الاستسلام وحده فمن استسلم له ولغيره فهو مشرك به ومن لم يستسلم فهو مستكبر كحال فرعون وملأه ولذلك قال لهم موسى (وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) سورة الدخان ، آية : ١٩ . وقال تعالى عن فرعون (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ) سورة القصص ، آية : ٣٩ . " رسالة في التوبة ضمن جامع الرسائل ، ص ٢٣٣ ، ٢٣٤ .

(7) أنظر : إحياء علوم الدين ج ، ٣ ، ص ٣٤٥ ـ ٣٤٧ .

وفي الباب نصوص كثيرة منها ، عن عبد الله بن مسعود τ عن النبي : (قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، قال : (إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس) (1) ،وفي رواية أخرى عند أحمد ، عن ابن مسعود τ : كنت لا أحجب عن النجوى ولا عن كذا ولا عن كذا ، قال : ابن عون فنسي واحدة ونسيت أنا واحدة ، قال : فأتيته وعنده مالك بن مرارة الرهاوي فأدركت من آخر حديثه وهو يقول : يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أن أحداً من الناس فضلني بشراكين فما فوقها أفليس ذلك هو البغي ؟ قال : (لا ليس ذلك بالبغي ، ولكن البغي من بطر) قال أو قال (سفه الحق وغمط الناس) (2)

والمعنى في قوله (بطر الحق) هو : أن يجعل ما يجعله الله حقاً من توحيده وعبادته باطلاً ، وقيل : هو أن يتجبر عند الحق فلا يراه حقاً ، وقيل : هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله .

وعلى هذا يكون (بطر الحق) دفعه ورده وإنكاره ترفعاً وتجبراً عن قبوله . (3)

والمعنى في قوله (غمط الناس) الغمط : بفتح المعجمة وسكون الميم بعدها مهملة هو الازدراء والاحتقار والاستهانة ، وهو كالغمص ، وأصل البطر شدة الفرح والنشاط .

وجاء بلفظ : (وغمص الناس) (4) أي احتقرهم ولم يرهم شيئاً ، من غمصته غمصاً . (5)

وبالجملة فإن كلام أهل العلم متقارب حول هذا المعنى ، بل هما بمعنى واحد ،كما قال النووي ، وغيره . (6)

ولو نظرت في أحوال الأمم ـ ممن ذكر الله تعالى في كتابه العزيز ـ لعلمت أن سبب ضلال كثير منهم هو الكبر ، لأنه أعم من الكفر (7) ، إذ أنه سابق عليه وصارف عن الإيمان والإذعان والتواضع .

---

(1) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، برقم ١٣١ ، ١٣٣ . وتحرير مسالة (لبس الشيء الجميل واتخاذه) باختصار : إن كان استعمال الزينة لإظهار نعمة الله فهو جائز أو مستحب ، وإن كان للبطر المؤدي إلى تسفيه الحق وتحقير الناس والصد عن سبيل الله فهو المذموم ، نقله الحافظ عن الطيبي . أنظر : فتح الباري ، ج ١٠ ، ص ٤٩١ .

(2) رواه أحمد في المسند ، برقم ٣٤٦٢ . قال الألباني : صحيح . أنظر : غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، ص ٩٠ ، وجاء أيضاً عند أحمد بلفظ (ولكن الكبر من سفه الحق وازدرى الناس) ، برقم ٣٦٠٠ .

(3) أنظر : لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٦٨ ، و المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ، ج ١ ، ص ١٠٧ ، ج ٢ ، ص ٩٠ . وتحفة الأحوذي ج ٦ ، ص ١١٧ . قال المناوي " قال القاضي : البطر الحيرة والمعنى التحير في الحق والتردد فيه أو معناه التكبر عن الحق وعدم الالتفات إليه أو معناه إبطاله وتضييعه من قولهم ذهب دم فلان بطراً أي هدراً وغمط الناس احتقارهم والتهاون بحقوقهم والمتكبر منازع لله في صفته الذاتية التي لا يستحقها غيره فمن نازعه إياه فالنار مثواه فعقوبة المتكبر في الدنيا المقت من أولياء الله والذلة بين عباد الله " فيض القدير ، ج ٥ ، ص ٦٢ .

(4) وذلك في حديث (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار يعني من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان) قال : فقال له رجل : إنه يعجبني أن يكون ثوبي حسناً ونعلي حسنة قال: (إن الله يحب الجمال ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس) رواه أحمد في المسند ، برقم ٦٢٩٥ ، ١٦٥٧٤ ، ١٦٥٧٥ . ورواه الترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الكبر ، برقم ١٩٢٢ ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب . قال الألباني : صحيح ، أنظر : السلسلة الصحيحة ، ج ١ ، ص ٢٥٩ . ج ٤ ، ص١٦٥ . وتحريم آلات الطرب ، ص٣١ .

(5) أنظر : فتح الباري ، ج ١٠ ، ص ٢٦٠ ، ٤٩٠ . و تحفة الأحوذي ، للمباركفوري ، ج ٦ ، ص ١١٧ . وكنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للهندي ، ج ١٦ ، ص ١٤٣ . ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ،ج ١ ، ص ٢٨٣ .

(6) أنظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ، ج ٢ ، ص ٩٠. و فيض القدير ، ج ٥ ، ص ٦٢ ، في نقله عن القاضي ، بأنهما بمعنى واحد .

(7) أنظر : فتح الباري ، ج ١٠ ، ص ٤٩١ .

ولذا فقد شاع عند أولئك ممارسة الإساءة ، وما تنطوي عليه من الصور كالتكذيب والمعاداة والسخرية والاستهزاء ، إذ هي نتيجة طبعية للكبر وخلق من أخلاق أعداء الرسل ، يقول الله تعالى (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) (١)

فيهود أهل العناد والجحود ، الذين قام دينهم على الكبر ،إذ هو أصل دينهم (٢) ، عاقبهم بالذلة فضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ، كما قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ) (٣) ، فكان جزاؤهم (ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنْ اللّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) (٤)

ولا يبعد عن هذا حال أهل الأهواء والبدع ، من التكبر والأنفة ، وعدم قبولهم للحق (٥) ، الحق البين الذي قال الله تعالى فيه (وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ) (٦) .

يقول ابن القيم : " فإن الأخذ ببعض الكتاب يوجب الأخذ بجميعه والتزام بعض شرائعه يوجب التزام جميعها ولا تجوز أن تكون الشرائع تابعة للشهوات إذ لو كان الشرع تابعاً للهوى والشهوة لكان في الطباع ما يغني عنه وكانت شهوة كل أحد وهواه شرعاً له ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن " (٧)

ويالها من خاتمة ، تلك النتيجة المنتظرة لأولئك المتغطرسين المتجبرين ، يقول الله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ) (٨)

وقال سبحانه ـ مبيناً أن الكبر أعظم الموانع من اتباع الحق ـ(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الرُّشْدِ لاَ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ) (٩)

---

(1)سورة الأعراف ، آية : ٨٨ .

(2) أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٦٢٨

(3) سورة البقرة ، آية : ٨٧ .

(4)سورة آل عمران ، آية : ١١٢ .

(5)قال الغزالي : " فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر ومانعه عن المحافل أن لا يوقر ،أو لا يقدم ،أو يرى الترفع عن مخالطتهم ،أرفع لمحله وأتقى لطراوة ذكره بين الناس ،وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط ،فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة ،فيتخذ البيت ستراً على مقابحه إبقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبده من غير استغراق وقت الخلوة بذكر أو فكر ،وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يُزاروا ولا يحبون أن يزوروا ،ويفرحون بتقرب العوام والسلاطين إليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم أيديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض إليه المخالطة ،وزيارة الناس لبغض إليه زياراتهم له " إحياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

(6) سورة المؤمنون آية : ٧١ . وأنظر ما نقله أهل العلم عن السلف كمجاهد والسدي وغيرهم رحمهم الله ،في معنى الآية ، كما في معالم التنزيل ، ج ٥، ص ٤٢٤ . وتفسير القرآن العظيم ج ٣ ، ص ٣٣٤ . و زاد المسير ، ج ٥ ، ص ٤٨٤ . وفتح القدير ، ج ٣ ، ص ٧٠٦ .

(7) بدائع الفوائد ، ج ٤ ، ص ٩٥٣ . وانظر : مفتاح دار السعادة ، ج ٢ ، ص ١١ .

(8)سورة الأعراف ، آية : ٤٠ .

(9) سورة الأعراف ، آية : ١٤٦ .

ويكفي في الكبر مذلة وخسة أن (يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم
الذل من كل مكان فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال) [(١)]

وعن حارثة بن وهب τ أنه سمع النبي قال : (ألا أخبركم بأهل الجنة) قالوا : بلى قال (كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره) ثم قال : (ألا أخبركم بأهل النار) قالوا : بلى قال : (كل عتل جواظ مستكبر) [(٢)]

إذا تبين هذا فاعلم أن المسيء ما واقع هذا الجرم العظيم وغشي هذا الخطر الكبير ، إلا من جهة تكبره واستكباره وعناده الذي استقر في نفسه الخبيثة (وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [(٣)] ، فهو الحامل على الإعراض وعدم الانقياد والتسليم لأمر الله وأمر رسله υ ، والذي كانت الإساءة إحدى نتائجه المنتنة .

المطلب الخامس : الحقد [(٤)] .

أصل مادة الحقد ناشئ عن الغضب إذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع إلى الباطن واحتقن فيه فصار حقداً .

---

(1) رواه أحمد في المسند ، برقم ٦٣٩٠ ، ٢٦٢١٦ . ورواه الترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع ، منه ، برقم ٢٤١٦ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح . قال الألباني : حسن ، انظر حديث رقم : ٨٠٤٠ ، في صحيح الجامع ، الجامع الصغير وزيادته ص ١٤٠٠.

(2)رواه البخاري في كتاب الأدب ، باب الكبر ، برقم ٥٦١٠ ، ٦١٦٥ . ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، برقم ٥٠٩٢ ، واللفظ له . قال النووي : (العتل) بضم العين والتاء فهو : الجافي الشديد الخصومة بالباطل ، وقيل : الجافي الفظ الغليظ . وأما (الجواظ) بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة فهو : الجموع المنوع ، وقيل : كثير اللحم المختال في مشيته ، وقيل : القصير البطين ، وقيل : الفاخر بالخاء . أما (المتكبر والمستكبر) فهو صاحب الكبر وهو بطر الحق وغمط الناس . أنظر : المنهاج للنووي ، ج ١٧ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ . وجاء عند مسلم بلفظ : (كل جواظ زنيم متكبر) ، برقم ٥٠٩٢ . و(الزنيم) هو الدعى في النسب الملصق بالقوم وليس منهم شبه بزنمة الشاة . أنظر : المنهاج للنووي ، ج ١٧ ، ص ١٨٨ .

ـ فائدة : وعلى عكس ذلك ، الذل والانكسار المحمود ، الذي هو غاية العبودية لله تعالى يقول ابن القيم : " أن هذه الذلة والكسرة الخاصة تدخله على الله وترميه على طريق المحبة فيفتح له منها باب لا يفتح له من غير هذه الطريق وإن كانت طرق سائر الأعمال والطاعات تفتح للعبد أبواباً من المحبة لكن الذي يفتح منها من طريق الذل والانكسار والافتقار وازدراء النفس ورؤيتها بعين الضعف والعجز " . مدارج السالكين ، ج ١ ، ص ٤٣١ . وحري بالمرء أن يجاهد نفسه وأن يحملها على الأعمال الصالحة ، والأعمال الخيرة ، لعل الله تعالى أن يعينه على كسر حدة النفس الأمارة بالسوء ، إذ قد لا يسلم المرء من شيء من الكبر ورؤية النفس . للاستزادة ،أنظر : إحياء علوم الدين ، ج٣ ،ص ٥٨ . و الروح ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(3) سورة النمل ، آية : ١٤ .

(4) الحقد : إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها ، والحقد الضغن ، والجمع أحقاد ، وحقود وهو الحقيدة والجمع : حقائد... ، وحقد عليَّ يحقد حقداً ، وحقِد بالكسر حقداً وحقداً فيهما فهو حاقد ، فالحقد الفعل والحقد الإسم وتحقد كحقد ... ، ورجل حقود كثير الحقد ...، وأحقده الأمر صيره حاقداً وأحقده غيره .أنظر : لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٥٤ .و القاموس المحيط ، ص ٣٥٤ . ومختار الصحاح ، ص ١٦٧ .قال ابن القيم : " الحقد هو إضمار الشر وتوقعه كل وقت فيمن وجدت عليه فلا يزايل القلب أثره ، الروح ، ص ٢٥١ . ومنه الإحْنَةُ ، و السَّخيمةُ ، وهي الحقد في النفس . ومنه الغل ، ومنه الضغينة ، أنظر : النهاية في غريب الأثر ، لابن الأثير ، ج ١ ، ص ٤٩ ، ج ٢ ، ص ٨٩١ ، ج ٣ ، ص ٧١٧ ، ١٩٦ . ومنها حديث (في عَمْيَاء في غَير ضغِينةٍ وحَمْل سلاح) ، رواه أحمد في المسند ، برقم ٦٧٣٧ . وقال شعيب الأرنؤوط: حسن وبعضه صحيح . أنظر : مسند أحمد بن حنبل ، ج ٢ ، ص ٢١٧ . ورواه أبو داود في كتاب الديات ، باب ديات الأعضاء ، برقم ٣٩٥٦ . قال الألباني : حسن ، أنظر : سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٥٩٩ .للاستزادة ،أنظر : نصب الراية لأحاديث الهداية ، للزيلعي ، ج ٤، ص ٣٩٢ . والتحقيق في أحاديث الخلاف ، لابن الجوزي ، ج ٢ ، ص ٣١٧ . وغريب الحديث ، لابن سلام ، ج ١ ، ص ١٩٩ ، ٢٠٠ . وغريب الحديث ، لابن الجوزي ، ج ٢ ، ص ١٦١ .

والحقد يثمر ثمانية أمور :

الأول : الحسد ، وهو أن يحملك الحقد على أن تتمنى زوال النعمة عنه ،فتغتم بنعمة إن أصابها ،وتسر بمصيبة إن نزلت به ،وهذا من فعل المنافقين . [١]

الثاني : أن تزيد على إضمار الحسد في الباطن فتشمت بما أصابه من البلاء .

الثالث : أن تهجره وتصارمه وتنقطع عنه وإن طلبك وأقبل عليك .

الرابع : وهو دونه أن تعرض عنه استصغاراً له .

الخامس : أن تتكلم فيه بما لا يحل من كذب وغيبة وإفشاء سر وهتك ستر وغيره .

السادس : أن تحاكيه استهزاء به وسخرية منه .

السابع : إيذاؤه بالضرب وما يؤلم بدنه .

الثامن : أن تمنعه حقه من قضاء دين أو صلة رحم أو رد مظلمة ، وكل ذلك حرام .

وأقل درجات الحقد أن تحترز من الآفات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد إلى ما تعصي الله به ولكن تستثقله في الباطن ولا تنهى قلبك عن بغض المسلم حتى تمتنع عما كنت تطوع به من البشاشة والرفق والعناية والقيام بحاجاته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له أو بترك الدعاء له والثناء عليه أو التحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك وبين فضل عظيم وثواب جزيل وإن كان لا يعرضك لعقاب الله . [٢]

ومثال القلب المشحون بالحقد " كدمل ممتلىء بالصديد والمدة وقد لا يحس صاحبه بألمه ما لم يتحرك أو يمسه غيره فإن لم يكن له يد تمسه أو عين تبصر صورته ولم يكن من يحركه ربما ظن بنفسه السلامة ولم يشعر بالدمل في نفسه وأعتقد فقده ، ولكن لو حركه محرك أو أصابه مشرط حجام لانفجر منه الصديد وفار فوران الشيء المختنق إذا حبس عن الاسترسال " [٣]

ولو تأملت في قصة الصراع الطويل بين الرسل - عليهم الصلاة والسلام - وأممهم لوجدت أن من أقوى بواعثه الحقد ، فهؤلاء الكرام يريدون هداية البشر وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وأن يعبدوا رباً واحداً ، وأولئك المعادون يخالفونهم النهج ، فيسلكون في سبيل ذلك كل الطرق للصد والإبعاد ، لأن غاية هذا الصراع عند أعداء الرسل هو إضلال البشرية وإغوائها وتجهيلها .

وبداية هذا الحقد والعداء تبدأ مع آدم υ وقصته مع العدو الأول إبليس ، الذي حُشي جوفه حقداً ، حينما كان يكيد لآدم ولزوجه ، ثم نوح υ وما جرى بينه وبين قومه ، فهود υ ، وصالح υ ، ولوط υ ، وشعيب υ ، ثم موسى υ ، وما جرى بينه وبين فرعون ، الذي سار على خطى أستاذه الأول إبليس اللعين ، ثم ختمت بالخاتم نبينا محمد ρ ، والذي مارس معه أعداؤه شتى صنوف الحقد والكراهية والإبعاد .

---

(1) وسيأتي بيانه إن شاء الله ، في الباعث السادس ، ص ٢٧١ .

(2) أنظر : إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١٨١ .

(3) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .

وكل أعداء الرسل قد اتفقوا على الاتهامات الباطلة ، والافتراءات الكاذبة ، والأقوال المخالفة ، والمحرك لذلك هو الحقد الكامن في النفوس التي تتربص للنيل من الرسل وأتباعهم ، ومن دعوتهم ، في أدنى لحظة ممكنة ، أو فرصة مؤآتية .

وهذا الشأن ينبغي ألا يغيب عن الأذهان ، لأنه يرسم لنا منهجاً ، ويؤسس لنا طريقاً ، فالناس على فريقين : أهل الخير والفلاح والسعادة ، وهم أتباع الرسل ، وأهل الشر والخسران والضلال ، وهم أعداء الرسل ، من الملأ المستكبرين والمتغطرسين والمتعالين ، ومن سلك سبيلهم ، (فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) (1) ،(فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ) (2) وهنا " ليس بين الفريقين نقطة التقاء أو وفاق ، بل على العكس من ذلك فاصل عظيم ، وهو البراء من جهة أهل الإيمان ، وفاصل آخر من جهة أهل الكفر والشر ، وهو الحقد والكراهية للدين وأهله " (3) ، وهذا شيء من السُبل التي حذرنا الله تبارك وتعالى من سلوكها وسلوك أصحابها ، في قوله تعالى (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) . (4)

وعن جابر بن عبد الله τ قال : كنا عند النبي فخط خطاً وخط خطين عن يمينه وخط خطين عن يساره ، ثم وضع يده في الخط الأوسط فقال : (هذا سبيل الله ثم تلا هذه الآية : (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) . (5)

وأمام مواجهة السبل المدلهمة يجب ألا تُميِّع ثوابت الدين ومسلماته أمام ضغط الواقع ، بل يجب المحافظة عليها ، وأن نقف سداً منيعاً أمام تيارات التغريب والعلمنة ، لأن الطريق واضح (وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) (6) ، وأن توزن علاقاتنا مع غيرنا وتضبط ، بضابط الشرع ، سيما أعداء الرسل على اختلاف مللهم وتنوع توجهاتهم وتفرق مذاهبهم ، فلدينا الهدى والنبراس ، يقول سبحانه (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (7) ، ويصف دين ومنهج رسوله بقوله سبحانه (إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُّسْتَقِيمٍ) . (8)

ولذا يجب الاعتزاز بهذا المنهج الرباني الكريم ، الذي ارتضاه لعباده ، وعدم الانحراف عنه ، أو القعود عن واجب العمل له .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٣٠ .
(2) سورة النحل ، آية : ٣٦ .
(3) الاستهزاء بالدين ، للقرشي ، ص ٨٢ .
(4)سورة الأنعام ، آية : ١٥٣ .
(5)رواه أحمد في المسند، برقم ١٤٧٣٩ . ورواه ابن ماجة ، في المقدمة ، اتباع رسول الله ، برقم ١١. ورواه الدارمي ، في المقدمة ، في كراهية أخذ الرأي ، رقم ٢٠٤ . قال الإمام الذهبي : هذا حديث صحيح الإسناد ، أنظر : المستدرك على الصحيحين ، ج ٢ ، ص ٢٦١ . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ، أنظر : تخريج أحاديث الإحياء ، ج ٣ ، ص ١٤ .وقال الألباني : صحيح ، أنظر : صحيح ابن ماجه ، ج ١ ، ص ٧ . وظلال الجنة في تخريج السنة ،لابن أبي عاصم ، للألباني ، ج ١، ص ٨ . وشرح العقيدة الطحاوية ، للألباني ،ص ٥٨٧ .وقال شعيب الأرؤوط : إسناده حسن ، أنظر : مسند أحمد بن حنبل ، ج ١ ، ص ٤٣٥ ، ٤٦٥ .
(6) سورة الأنعام ، آية : ٥٥ .
(7) سورة الصف ، آية : ٩ .
(8) سورة الحج ، آية : ٦٧ .

لكن أعداء الرسل شرقت حلوقهم من ظهور هذا الدين وعلو شأنه ، فأخذوا يتتبعون سبل الشيطان ويكيدون له فآلة عملهم (لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) [١] ، ودافعهم حقد متوقد قد عشعش على قلب (أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه) [٢] ، وهدفهم إضلال الناس وغوايتهم .

والله سبحانه يحذر عباده من هذه المسالك ،كما في قوله (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ) . [٣]

لكن أعداء الله ورسله قد أوغلوا فيما نهى الله عنه ، ولم يستجيبوا لداعي الحق ، وخالفوا الرسل ، وناصبوهم العداء ، وحقروهم وحقّروا دعوتهم ، بل وصل بهم الحقد والكره إلى الإساءة ، فمارسوا أساليب التضييق والصد من الإعراض والتكذيب و السخرية والاستهزاء ، كنتاج طبعي للحقد .

كما أنه دليل على إفلاس تلك الدعوات وفشل أصحابها ، وهو ما يشير إلى مبلغ الهلع والخوف من الإسلام ، فمثلاً بعد سقوط الشيوعية " شعر الكثيرون بالحاجة إلى اكتشاف تهديد بحل محل التهديد السوفيتي ...، وبالنسبة لهذا الغرض كان الإسلام جاهزاً في المتناول ...،فالإسلام رافض لأي تمييز بين ما لله وما لقيصر ... ،وهو لا يسمح لمعتنقيه بأن يصبحوا مواطنين في دولة علمانية ...، إنه استثناء مدهش وتام جداً ...، فلم تتم أي علمنة في عالم الإسلام ، وسيطرة هذا الدين على المؤمنين به هي سيطرة قوية ، بل هي أقوى الآن مما كانت عليه من مائة سنة مضت ...، إنه مقاوم للعلمنة في ظل مختلف النظم السياسية - راديكالية وتقليدية وبين وبين - ... ، وعمليات الإصلاح الذاتي تتم في العالم الإسلامي باسم الإيمان الديني ، وليس على أنقاض هذا الإيمان ...، الأمر الذي مكن العالم الإسلامي من الإفلات من المعضلة التي جعلت مجتمعات أخرى ضحية للاضطراب والإذلال ، بسبب إضفاء الغرب الطابع المثالي على نموذجه في التحديث ، الأمر الذي جعلها تقف منه موقف المحاكاة والتقليد .

ذلك هو التفسير الأساسي لمقاومة الإسلام المرموقة للعلمنة ...، ولأن الإسلام هو الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍّ فعلي وحقيقي للثقافة العلمانية الغربية ... ،كان الإسلام من بين ثقافات الجنوب ، الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة على الإسلام " . [٤]

إذاً فالإفلاس النصراني الغربي والعلماني ،أي إفلاس الكنيسة والنظم الغربية الحداثية ، هو ما حدا بتلك الدعوات والصيحات النشاز أن تنطلق وبحقد معلنة العداء ضد الإسلام ورسول الإسلام .

من هذا يمكن أن ندرك وبوضوح موقف الغرب من الإسلام ورسوله ، إنه موقف الحقد والكراهة ، ثم إن موقفهم من الكنيسة التي أفسدت الدين النصراني المنزل من الله تعالى ،

---

(1) سورة ص ، آية : ٨٢ .

(2) جزء من حديث حذيفة т ، وقد رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، برقم ٢٠٧ . قوله: (مرباداً) : والربدة إنما هو شيء من بياض يسير يخالط السواد كلون أكثر النعام ، ومنه قيل للنعامة : ربداء . قال بعضهم : الربدة لون بين السواد والغبرة . الكُوزُ جمعه كِيزَانٌ و أَكْوَازٌ و كِوَزَةٌ ، الكُوبُ الكُوزُ الذي لا عُرْوَةَ له . أنظر : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٧٢ . و مختار الصحاح ، ص ٥٨٦ . ومعنى قوله (الكوز) : فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك (مجخياً) : معناه مائلاً ، وفسره الراوي بقوله : منكوساً وهو قريب من معنى المائل . فهو قد قُلِبَ ونكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة .أنظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، للنووي ، ج ٢ ، ص ١٧٢، ١٧٣ .

(3) سورة يس ، الآيتان : ٦٠ ، ٦١ .

(4) هذا جزء من شهادة غربية كتبها ، د . إدوارد مورتيمر و د . إرنست جيلنر ، أنظر : الغرب والإسلام أين الخطأ وأين الصواب ؟ ، ص ١٣.

حيث ألهت الناس وجعلت الإله ثلاثة ، وأبطلت حكم الله وشرعه ، فكانت هذا الأفعال مقدمة للإلحاد والخروج عن الدين .

وما قامت به من حرب للعلم والعقل والتجربة ، خشية أن يفلت زمام الأمر من يدها ، فيكتشف أتباعها حقيقة أمرها ، فالعلوم التجريبية ما جاءتهم إلا من احتكاك الأوروبيين بالإسلام ، فكان العلم المناهض للكنيسة ونظرتها هو علم الإسلام ، وهذا محل خطورة على الكنيسة ، لأن الإسلام سينتشر في أوروبا مع الحركة العلمية المنقولة عن المسلمين ، لذا أصبح مجرد ذكر اسمه تعالى في البحث العلمي يفقده الطابع العلمي .

ثم ما قام به رجال الكنيسة من التسلط والإيذاء ، فطالبوا الناس بالأموال لتستقر في جيوب الرهبان ، الذين يدعون التدين والزهد ، فعاشوا في بذخ لا يحلم به المترفون ، كما ألزموا الناس بالعمل في فلاحة الأراضي والتي تعود ملكيتها للكنيسة وذلك يوماً في الأسبوع ، بدون أجر ولا ثمن ، وأذلوا الناس ، فعندما يمر الرهبان في الشوارع يجب أن ينحنوا لهم حتى تلتصق جباههم بالأرض .

أما احتكارها الصلة بين الإنسان وربه فكانت من أبشع الممارسات التي جعلت الناس يثورون على الكنيسة ورجال الدين ، بل على الدين كله .

فكانت جلسة الاعتراف أمام الكاهن هي الطريق الوحيد للتوبة ونيل رضوان الرب ، ولا يمكن للإنسان أن يعبد ربه إلا بالواسطة التي احتكرها الرهبان ، فاستعبدوا الناس وأذلوهم ومارسوا صنوف الإذلال عليهم ، وعلقوهم بالمهزلة المخزية : صكوك الغفران ، مقابل أموال يدفعونها ، ثم حصلت المصيبة العظيمة والتي حلت برجال الدين عندما طالب الناس بحقوقهم التي سلبها الإقطاعيون ،وأصدروا الفتاوى في حق من طالب بذلك وأنه قد مرق من الدين واستحق غضب الرب .

وهذا ما أدى إلى فشوا الإلحاد ونظم المادية والشهوات التي حطمت أوروبا والغرب إلى اليوم .

فكانت كل تلك الأحداث وغيرها سبباً مباشراً من أسباب النظرة السيئة من لدن الغرب للدين ، أي دين ، وهذه النظرة ـ بطبيعة الحال ـ انسحبت بدورها على الدين الإسلامي وعلى رسوله .[(1)]

وبهذا الإسلام العظيم الذي حقق العبودية الصافية لله وحده لا شريك له ، وذلك بإرسال محمد ، فأصبح الولاء لله وحده ، وليس لغيره ، " هذا الأمر قد أزعج الملأ الذين يريدون أن يكون الولاء لأشخاصهم وليس لله وحده .

ويأتي بعد الملأ طبقات متعددة من الأمة تكره هذا الدين وتستخدم سلاح السخرية والاستهزاء لمعارضة هذا الدين وأهله ، ومن هؤلاء كتاب وقصاصون وإذاعيون وفنانون ونساء فاجرات متحررات من كل فضيلة ... ، يفعلون ذلك لأن عملهم قائم على التجارة المحرمة التي إذا قام دين الله جفف ذلك المستنقع القذر الذي يعيشون في وحله ويتكاثرون في دنسه .

ويحدث هذا في الحاضر ممن مسخت عقولهم وفتنوا بالحضارة الغربية ، ذلك أن انبهارهم بزيف وبريق هذه الحضارة وضحالة فكرهم ، وقلة ثقافتهم بدينهم ، جعلهم ينعقون

(1) للاستزادة أنظر : ما خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لأبي الحسن المودودي رحمه الله ، ص ٢٢٢ ، وما بعدها .
والانحراف العقدي ، للغامدي ، ص ٩٠ ، ٩١ . وعولمة الكراهية الغرب يقابل الحضارة الإسلامية بحروب الإلغاء ، لأحمد طحان ، ص ١١ ، وما بعدها .

بالسخرية والاستهزاء بدين الله وأحكامه وشرائعه وسنن نبيه فإذا رأيت أو سمعت يهودياً أو صليبياً يهزأ بشرع الله ويقول : إن رجم الزاني فيه وحشية وقسوة وجدت له تابعاً وإمَّعَةً من أبناء المسلمين يردد بسخرية مقالة ذلك العدو الأصلي ، وإن أردت مزيد إيضاح فتأمل موقف هؤلاء المقلدة من المخترعات الغربية وغيرها ، تجدهم يمجدونها وينبهرون بها ، وإذا ذكرت السنن النبوية ومعجزات رسول الله والأمور الشرعية التي يعجز العقل البشري عن إدراكها ، سمعت منهم الغمز واللمز ، والاستهزاء (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [١] ، وقد قال ربنا عن هؤلاء المقلدة أنهم قالوا : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ) . [٢]

إن الحرص الشديد لأعداء الله على طمس وتشويه صورة الإسلام الناصعة أمر لا يجادل فيه إلا مكابر ، لذا لا غَرْوَ إذا استخدمت السخرية والهزء سلاحاً فتاكاً لتشويه هذه الصورة ونشر الضباب المعتم على وجهها المشرق ، ولكن الله مُتِمُّ نورهِ ولو كره الكافرون " . [٣]

وأخيراً فإن كثيراً مما نراه من محاولة لهدم عرى الإسلام وطمس حقيقته وتشويه صورته الناصعة ، إنما هو عن كره وحقد متأصل في نفوس أعداءه وأعداء رسوله ، فمارسوا الإساءة من أوسع أبوبها لتحقيق أغراضهم السيئة ، وما فيها من سخرية واستهزاء لتشويه تلك الحقيقة الفذة عن الإسلام .

المطلب السادس : الحسد [٤] .

لعل من المفيد أن أبين المراد بالحسد ، فالحسد هو: " تمني زوال نعمة عن مستحق لها " . [٥] ، وقد رأيت أن بعضهم ربط تمني زوال النعمة بانتقالها إلى الحاسد ، وبعضهم لم يربطها بذلك . [٦]

يقول ابن الأثير : " الحسد يرَى الرجُل لأخيه نعْمة فيَتَمنَّى أن تزول عنه وتكون له دُونه " . [٧]

ويقول ابن الجوزي : " الحَسَدُ فهو أن يَتمنّى زوال ذَلِكَ عن المحسُودِ وإن لم يحصل له " . [٨]

---

(1) سورة الذاريات ، آية : ٥٣ .

(2) سورة الزخرف ، آية : ٢٣ .

(3) الاستهزاء بالدين وأهله ، ص ١١ ـ ١٤ .

(4) وهو في اللغة : من " حسده الشيء وعليه يحسده ويحسده حسداً وحسوداً وحسادة ، وحسده تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته ، أو يسلبهما، وهو حاسد من حسد وحساد وحسدة ، وحسود من حسد ، وتحاسدوا حسد بعضهم بعضاً. أنظر : القاموس المحيط ، ص ٣٥٣ . قال ابن الأثير : " وحَسَدْتُه أحْسُدُه حَسَداً إذا اشْتَهَيْتَ أن يكون لك مالُه وأنْ يَزُول عنه ما هو فيه" . النهاية في غريب الأثر ، ج ٣ ، ص ٦٣٣ .

(5) التوقيف على مهمات التعاريف ، للمناوي ، ص ٢٧٨ .

(6) أنظر : التعريفات ، للجرجاني ، ص ١١٧ . وللاستزادة أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ١١١، ١١٢ . معالم التنزيل ، ج ٢، ص ٢٠٥ . و التحرير والتنوير_ لابن عاشور ، ج ١٦ ، ص ٤٣٧ .

(7) النهاية في غريب الأثر ، لابن الأثير ، ج ١ ، ص ٩٥٦ .

(8) غريب الحديث لابن الجوزي ، ج ١ ، ص ٢١٢ .

وإنما كان قبيحاً لما فيه من الاعتراض على قسمة الحق سبحانه ، حيث أعطى من لا يستحق ، والتسخط لنعمة الله وقدره ـ تعالى الله ـ ، وهذا النوع هو المذكور في قوله تعالى (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) [١]

وعكس الحسد الغبطة ، وقد سماه بعضهم بالحسد المحمود [٢] ، وهي : أن يَتَمَنَّى أن يكون له مثلُها ولا يَتَمَنَّى زَوَالها عنه . [٣] ، بينما قصرها البعض على التمني بالمثل فقط . [٤] ، وقد تختص باسم المنافسة .
وهذه هي المذكورة في الحديث الصحيح (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) [٥]

قال أبو حامد الغزالي رحمه الله : " فأما الأول ـ يعني الحسد ـ فهو حرام بكل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق ، فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها ، فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة ، بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغُمَّك بنعمته [٦] ...، وأما المنافسة ـ يعني الغبطة ـ فليست بحرام بل هي إما واجبة وإما مندوبة وإما مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد " . [٧]

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله ، حالة ثالثة ليست حسداً بالمعنى الذي ذكرناه آنفاً ، يقول : " وهي تمني استصحاب عدم النعمة ، فهو يكره أن يُحدِثَ الله ُلعبده نعمة بل يحب أن يبقى على حاله من جهله أو فقره أو ضعفه أو شتات قلبه عن الله أو قلة دينه ، فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب " ثم هو يفرّق بين الحسد وهذه الحالة ، فيقول عنها " فهذا حسد على شيء مقدر " ، أما الأولى فهي "حسد على شيء محقق ، وكلاهما حاسد عدو نعمة وعدو عباده وممقوت عند الله تعالى وعند الناس ولا يسود أبداً ولا يواسى فإن الناس لا يسودون عليهم إلا

---

(1) سورة النساء ، آية : ٥٤ .
(2) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج ٢ ، ص ٦٩ .
(3) النهاية في غريب الأثر ، لأبن الأثير ، ج ١ ، ص ٩٥٦ . ج ٣ ، ص ٦٣٣ .
(4) أنظر : غريب الحديث لابن الجوزي ، ج ١ ، ص ٢١٢ .
(5) متفق عليه ، فقد رواه البخاري في كتاب العلم باب الاغتباط في العلم ، برقم ٧١ ، وانظر : حديث رقم ١٣٢٠ ، و ٤٦٣٨ ، و٦٦٠٨ . ورواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، برقم ١٣٥٠ ، وانظر حديث رقم ١٣٥٢ .
(6)للمسلم حيال النعمة التي تصيب عدوه ثلاثة أحوال : أحدها : أن تحب مساءتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك إليه بعقلك وتمقت نفسك عليه وتود لو كانت لك حيلة في إزالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعاً لأنه لا يدخل تحت الاختيار أكثر منه . الثاني : أن تحب ذلك وتظهر الفرح بمساءته إما بلسانك أو بجوارحك ، فهذا هو الحسد المحظور قطعاً . الثالث : وهو بين الطرفين أن تحسد بالقلب من غير مقت لنفسك على حسدك ومن غير إنكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك عن طاعة الحسد في مقتضاه وهذا في محل الخلاف والظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة ذلك الحب وضعفه والله تعالى أعلم . أنظر : إحياء علوم الدين ج ٣ ، ص ٢٠٠.
(7) إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ،١٩٠. وقال رحمه الله : " والمنافسة في اللغة مشتقة من النفاسة والذي يدل على إباحة المنافسة قوله تعالى (وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ) سورة المطففين ، آية : ٢٦ . وقال تعالى (سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) سورة الحديد ، آية : ٢١ . وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها " . وانظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ٦٩ . و مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ١١٣ .

من يريد الإحسان إليهم فأما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم أبداً إلا قهراً يعدونه من البلاء والمصائب التي ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم " . (١)

فالحسد باعث عظيم من بواعث الإساءة ، لأنه " داء كامن في النفس ويرى الحاسد المحسود قد فُضّل عليه وأوتي ما لم يؤت نظيره ، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من إتباعه ، وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد فإنه لما رآه قد فضل عليه ورفع فوقه غص بريقه واختار الكفر على الإيمان بعد إن كان بين الملائكة ، وهذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم وقد علموا علماً لا شك فيه أنه رسول الله جاء بالبينات والهدى ، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان وأطبقوا عليه ، وهم أمة فيهم الأحبار والعلماء والزهاد والقضاة والأمراء هذا وقد جاء المسيح بحكم التوراة لم يأت بشريعة يخالفها ولم يقاتلهم وإنما أتي بتحليل بعض ما حرم عليهم تخفيفاً ورحمة وإحساناً وجاء مكملاً لشريعة التوراة ومع هذا فاختاروا كلهم الكفر على الإيمان فكيف يكون حالهم مع نبي جاء بشريعة مستقلة ناسخة لجميع الشرائع مبكتاً له بقبائحهم ومنادياً على فضائحهم ومخرجاً لهم من ديارهم وقد قاتلوه وحاربوه وهو في ذلك كله ينصر " . (٢)

لهذا تجد أن أعداء الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من اليهود والنصارى هم من أشد الناس إيغالاً بهذا الخلق المشين ، لذلك أظهر أحبار يهود لرسول الضغائن وأبدوا له العداوة والشنآن حسداً وبغياً كما قال ربنا سبحانه وتعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣)

هذا مما في القرآ ن الكريم ، أما السنة فقد ساق الإمام البخاري بسنده عن أنس بن مالك τ قال أقبل نبي الله إلى المدينة وهو مردف أبا بكر وأبو بكر شيخ يُعرف ونبي الله شاب لا يُعرف ... ، وفيه : فلما جاء نبي الله جاء عبد الله بن سلام فقال أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في فأرسل نبي الله فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً وأني جئتكم بحق فأسلموا قالوا ما نعلمه قالوا للنبي قالها ثلاثَ مرارٍ قال فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أفرأيتم إن أسلم قالوا حاشى لله ما كان ليسلم قال أفرأيتم إن أسلم قالوا حاشى لله ما كان ليسلم قال أفرأيتم إن أسلم قالوا حاشى لله ما كان ليسلم ، قال : يا ابن سلام اخرج عليهم فخرج فقال يا معشر اليهود اتقوا الله فو الله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق ، فقالوا كذبت ، فأخرجهم رسول الله . (٤)

وتأمل في هذه الواقعة الغريبة ، لكن من قوم ملئت قلوبهم حسداً وغيظاً غير مستغرب منهم مثل ذلك ، يقول ابن إسحاق :" حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قدم رسول الله المدينة ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب

---

(1) بدائع الفوائد ، ج ٢ ، ص ٤٦٢ .
(2) هداية الحيارى ، ص ١٦ .
(3) سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .
(4) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم υ وذريته ، برقم ٣٠٨٢ .

وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين . قالت : فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس ، قالت : فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينى . قالت : فهششت إليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت إلي واحد منهما مع ما بهما من الغم . قالت : وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن أخطب : أهو هو؟ قال : نعم والله ،قال : أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت " . (١)

لم يكن محمد بدعاً من الرسل ، بل هو رسول من رسل الله تعالى ، أرسله سبحانه ليكون للعالمين نذيراً ، ويهود هم من أعلم الناس بهذه الحقيقة ، وأخبرهم بها ، لأنهم أمة كتاب ، لكن الغل الذي في نفوسهم والحسد في قلوبهم والعناد وغير ذلك من الأهواء والأمراض ، جعلهم " يصممون ويصرون على باطلهم ... ، فهم عالمين بالله ونبوة محمد إلا أنهم كفروا عناداً وبغياً وحسداً " (٢)

ولذا نجد أن القرآن الكريم يكثر من وصفهم بالحسد ، إذ هم أحسد الناس ، فمن ذلك قوله تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٣) ، ويقول سبحانه (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا) . (٤) ، (٥) .

وهم مع ذلك كله فقد " أجمعوا على مخالفة الإسلام والإعراض عنه بغياً منهم وحسداً مع ظهور أحقيته عند علمائهم وأحبارهم كما قال تعالى (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ . الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) (٦) ، " بل وصل بهم الحسد إلى ودهم أن تنرك ديننا ونتخل عنه حسداً من عند أنفسهم ، وهم مع ذلك يعلمون أنه الحق ، ولذا فقد " أعرضوا عن الإسلام وصمموا على البقاء على دينهم ودوا لو يردونكم إلى الشرك أو إلى متابعة دينهم حسداً على ما جاءكم من الهدى بعد أن تبين لهم أنه الحق " . (٧)

---

(1) أنظر : سيرة ابن هشام ، ج ٣ ، ٥٢ . والبداية والنهاية ، لابن كثير ، ج ٣ ، ص ٢١٢ . والرحيق المختوم ، ص ٢١٣ . وانظر في هذا حوادث وقصص لبعض عتاة الكفر ، وكيف أن الحسد والجحود والعناد منعهم من الإيمان ، رغم اعترافهم بالحق ، كما في سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .و سيرة ابن كثير ، ج ١ ، ص ٥٠٥ . ٥٠٦ . نعوذ بالله من ظلمة حسد و غيابة كبر و حماقة هوى يغطي على نور العقل ، كما نسأله أن يلهمنا رشدنا .

(2) مجموع الفتاوى ، ج ٤ ، ص ٣٠ . ج ٧ ، ص ١٤٦.

(3) سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .

(4)سورة النساء ، آية : ٥٤ .

(5) للاستزادة أنظر : بدائع الفوائد ، ج ٢ ، ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

(6) سورة البقرة الآيتان : ١٤٧، ١٤٦. يقول ابن القيم رحمه الله : " اليهود إنما أتوا من فساد الإرادة والحسد وإيثار ما كان لهم على قومهم من السحت والرياسة فخافوا أن يذهب بالإسلام فلم يؤتوا من عدم العلم بالحق فإنهم كانوا يعرفون أن محمداً رسول الله كما يعرفون أبناءهم ولهذا لم يوبخهم الله تعالى ويقرعهم إلا بإراداتهم الفاسدة من الكبر والحسد وإيثار السحت والبغي وقتل الأنبياء " بدائع الفوائد ، ج ٢ ، ص ٢٦٨ .

(7) وذلك في قوله تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة البقرة ، آية : ١٠٩ . أنظر : التحرير والتنوير ، ج ٣ ، ص ٦٣ .

بل إنهم يحسدوننا على ما هو أقلَّ من ذلك بكثير ، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي قال : (ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين) . [١]

وقد التمس بعضهم تعليلاً لهذا الحسد فقال : " لعل سبب حسدهم أن هذين الأمرين مطبوعان لهم ، ولا يعملون بهما ،لئلا يلزمهم التأسي والاقتداء بأهل الإسلام " . [٢]

ولعل المرء يقف برهة من الزمن وهو يتعجب ويتأمل الساعات وهو يستغرب ، متسائلاً " لماذا يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله من النبوة والتمكين في الأرض؟ وهم غارقون في فضل الله من عهد إبراهيم ، الذي آتاه الله وآله الكتاب والحكمة - وهي النبوة - وآتاهم الملك كذلك والسيادة ، وهم لم يرعوا الفضل ولم يحتفظوا بالنعمة ، ولم يصونوا العهد القديم ، بل كان منهم فريق من غير المؤمنين ، ومن يؤت هذا الفضل كله لا يليق أن يكون منهم جاحدون كافرون (أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَآ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا . فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا) [٣]
إنه لمن ألأم الحسد : أن يحسد ذو النعمة الموهوب لقد يحسد المحروم ويكون الحسد منه رذيلة، أما أن يحسد الواجد المغمور بالنعمة ، فهذا هو الشر الأصيل العميق شر يهود المتميز الفريد " [٤]

هذه حقيقة القوم ، أما أهل الضلال من أمم النصارى ، الذين هم أعظم ضلالاً من اليهود [٥] ، فلا يكاد هذا المرض يبعد عن مستقر خبثهم ، ومكمن دائهم ، وهي أنفسهم الشريرة ، فيظهر على جوارحهم ، وتنطق به أفواههم ، وقد صرح القرآن الكريم بهذه الحقائق ، ثم أثبتت ذلك الحوادث التاريخية عبر مر العصور ، بل إلى اليوم ونحن نشهد هذه الحقيقة ماثلة أمام أعيننا ، وهذا يشير إلى أنها حالة مطردة وليست عارضة .

وهاتان الأمتان - اليهود والنصارى - يلتقيان في هذا السياق على نحو واحد ، من الحسد والبغض والكراهية لهذا الدين ورسوله ، وهذا على اعتبار أن الكفر ملة واحدة ، وإن اختلفت شعبه ، يقول سبحانه وتعالى (وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) [٦]

وكما قال الحكيم :

---

(1) رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الجهر بآمين ، برقم ٨٤٦ . وقد عزاه ابن حجر إلى البخاري في الأدب المفرد ،ونقل تصحيح ابن خزيمة ، أنظر : فتح الباري ،ج ١١ ،ص ٢٠٠ . قال العراقي : رجاله رجال الصحيح ، أنظر : فيض القدير ، للمناوي ، ج ٥ ، ص ٤٤١ . و نقل صاحب كنز العمال : قول صاحب الزوائد بأن : إسناده صحيح ورجاله ثقات ،ج ٧ ، ص ٧٤٠ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : حديث رقم : ٥٦١٣ في صحيح الجامع . وانظر : صحيح الترغيب والترهيب ، ج ١ ، ص ١٢٤ . و صحيح ابن ماجة ، ج ١ ، ص ١٤٢ . وهو في السلسلة الصحيحة برقم : ٦٩١ .
- وجاء بلفظ آخر من طريق عطاء عن ابن عباس τ قال : قال رسول الله (ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على آمين فأكثروا من قول آمين) رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب الجهر بآمين ، برقم ٨٤٧ . قال صاحب كنز العمال : قال في الزوائد : إسناده ضعيف ، ج ٧ ، ص ٧٤١ . قال الألباني : ضعيف جداً ، انظر حديث رقم : ٥٠٥٣ في ضعيف الجامع . وانظر : الجامع الصغير وزيادته ، ج ١ ، ص١١٨٤ . و ضعيف الترغيب والترهيب ، ج ١ ، ص ٧٠ . و ضعيف ابن ماجة ، ص ٦٦
(2) شرح سنن ابن ماجه ، للسيوطي وغيره ، ص ٦١ .
(3) سورة النساء ، الآيتان ٥٤ ، ٥٥ .
(4) في ظلال القرآن ، ج ٥ ، ص ٦٨٣ .
(5) للاستزادة أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٤ ، ص ٣٠ .
(6) سورة البقرة ، آية : ١٢٠ .

كل العداوة ترجى إفاقتها *** إلا عداوة من عاداك من حسد [١]

فاتفاقهم في الملة يدل على اتفاقهم فيما دون ذلك من الطِباع والأخلاق ،كالحسد ، ولذا ترى أن القرآن الكريم عندما يحدثنا عن الباعث على هذا الأمر تجده يحدده بجلاء ووضوح (حَسَدًا مِّنْ عِندِ أنفُسِهِم) ، وهذا بيان واضح أن مكمن خبثهم ، ومستقر شرهم ، إنما هو أنفسهم ، فليست شبهة عارضة ، أو هوى طارئ ، فهذه الأنفس الخبيثة ، والطباع اللئيمة ، هي سبب حسدهم وبغضهم وعنادهم وإصرارهم ، وإلا فإن الحق عندهم بيِّن واضح (مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ) ، وقال سبحانه (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) [٢] ، فلا يلتبس عليهم أمره ، ولا يخفى شأنه ،كما قد يرد على غيرهم من المشركين ، ثم ما تقدمه من البشارات في كتبهم ، وهم من أعلم الناس بها ، والتي تعلمهم بصحة رسالته وتخبرهم بصدق نبوته ، ولكنهم يقفون من هذا كله موقف الجحود ، يقول سبحانه (فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللّهِ يَجْحَدُونَ) [٣]

إذاً هذه أخلاق القوم ، وهذا ديدنهم ، فلا يجوز أن نمد لهم يداً ، وإن مدوا فقد مدوا يد الغدر والخيانة ، وهذا مما يدعونا إلى توقع الشر والمكر منهم ، فلا لقاء بيننا وبينهم البته ، (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) . [٤]

والمسلم حينما يرى أن هؤلاء قد أساءوا إلى الإسلام أو إلى رسوله ، يدرك تماماً مغزى القوم ، وأن هذا يسير وفق مسرحية الإساءة التي رسم فصولها الأولى كبيرهم الأول ابن السوداء اليهودي، والتاريخ يعيد نفسه بنفسه .

وقد حذر النبي أمته من الحسد ، فعن الزبير بن العوام τ أن النبي قال : (دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين ، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم أفشوا السلام بينكم) . [٥]

---

(1) وبعضهم يرويه على نحو : كل العداوة ترجى إماتتها *** إلا عداوة من عاداك من حسد
ولا فرق في المعنى ، وهذا البيت رغم بحثي الطويل لم أجد قائله ، ولكن يبدو أنه لابن بشر المروزي ، كما نقل صاحب مجمع الحكم والأمثال ، في ج ١ ، الباب السادس ، وانظر : عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري ، ج ١ ، ص ١٤٦ .

(2) سورة البقرة ، آية : ١٤٦ .

(3) سورة الأنعام ، آية : ٣٣ .

(4) سورة الكافرون ، آية : ٦ . وللاستزادة حول هذه المسألة ، أنظر : اليهود والماسونية ، للشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله ، ص ١٢٥ ، وما بعدها .

(5) رواه أحمد في المسند ، برقم ١٣٣٨ ، ١٣٥٥ . ورواه الترمذي ، في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ، برقم ٢٤٣٤ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد : إسناده حسن ، ج ٨ ، ص ٦٤ . أنظر : تخريج أحاديث الإحياء ، ج ٣ ، ص ١٥٥ . قال الألباني : حسن ، انظر : حديث رقم : ٣٣٦١ ، في صحيح الجامع ، وصحيح الترمذي ، و الجامع الصغير وزيادته ، ص ٥٦٨ . وقال في صحيح الترغيب والترهيب : حسن لغيره ، ج ٣ ، ص ١٧، ٦١ . ثم رأيته رحمه الله يقول في تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام : ضعيف ، ص ٢٢ . وهذا في حكمه على أحد طرقه ، لكن في مجموعها يرقى إلى درجة الحسن لغيره . وللاستزادة أنظر : السلسلة الصحيحة ، ج ٢ ، ص ٢٩٠ . و إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ .

بل إن الحسد مما يعارض الإيمان ويزاحمه ويناقضه ، فعن أبي هريرة τ أن رسول الله قال : (لا يجتمعان في النار مسلم قتل كافراً ثم سدد وقارب ولا يجتمعان في جوف مؤمن غبار في سبيل الله وفيح جهنم ولا يجتمعان في قلب عبد الإيمان والحسد) [١]

يقول ابن القيم : " والحسد خلق نفس ذميمة وضيعه ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى أن لوفاته كسبها حتى يساويها في العدم ... فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو ...والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان " . [٢]

والمؤمن يترفع عن سفاسف الأخلاق ورذائلها ، فهو كما لا يحب الشر لنفسه ، فهو كذلك لا يحبه لأخيه ، وفي المقابل فهو كما يحب الخير لنفسه فهو كذلك يحبه لغيره ، ، كما قال النبي قال : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) . [٣]

فالحسد من الأمراض التي قد تظهر على الجوارح وقد لا تظهر ، فغالباً ما يكون في القلب ، وعلى أي حال فإن دواؤه العلم والعمل ، ومن ذلك أن تعلم " أن الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وأنه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به فيهما ومتى عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة .

أما كونه ضرراً عليك في الدين : فهو أنك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمته التي قسمها بين عباده وعدله الذي أقامه في ملكه بخفي حكمته فاستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد وقذى في عين الإيمان وناهيك بهما جناية على الدين وقد انضاف إلى ذلك أنك غششت رجلاً من المؤمنين وتركت نصيحته وفارقت أولياء الله وأنبياءه في حبهم الخير لعباده تعالى وشاركت إبليس وسائر الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبائث في القلب تأكل حسنات القلب كما تأكل النار الحطب وتمحوها كما يمحو الليل والنهار .

وأما كونه ضرراً عليك في الدنيا : فهو أنك تتألم بحسدك في الدنيا أو تتعذب به ولا تزال في كمد وغم إذ أعداؤك لا يخليهم الله تعالى عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتألم بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموماً محروماً متشعب القلب ضيق الصدر قد نزل بك ما يشتهيه الأعداء لك وتشتهيه لأعدائك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقداً ، ومع هذا فلا تزول النعمة عن المحسود بحسدك ولو لم تكن تؤمن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة إن كنت عاقلاً أن تحذر من الحسد لما فيه من ألم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وأنت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الآخرة فما أعجب من العاقل كيف يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله وألم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه من غير جدوى ولا فائدة وأما أنه ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لأن النعمة

---

(1) رواه النسائي في كتاب الجهاد ، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه ، برقم ٣٠٥٨ . وقد نقل عبد الفتاح أبو غدة تحسين الألباني للحديث في المجتبى من السنن للنسائي ، ج ٦ ، ص ١٢. بل قال الشيخ الألباني : صحيح ، أنظر حديث رقم : ٧٦١٩ ، في صحيح الجامع ، الجامع الصغير وزيادته ، ص ١٣٥٨ . وانظر : سنن النسائي الكبرى ، ج ٣ ، ص ٩ .

(2) الروح ، ص ٢٥٢ . قال شيخ الإسلام : " المبغض للنعمة على من انعم الله عليه بها ظالم معتد والكاره لتفضيله المحب لمماثلته منهي عن ذلك إلا فيما يقربه إلى الله فإذا أحب أن يعطى مثل ما أعطى مما يقربه إلى الله فهذا لا بأس به وأعراض قلبه عن هذا بحيث لا ينظر إلى حال الغير أفضل ، ثم هذا الحسد إن عمل بموجبه صاحب كان ظالماً معتدياً مستحقاً للعقوبة إلا أن يتوب وكان المحسود مظلوماً مأموراً بالصبر والتقوى فيصبر على أذى الحاسد ويعفو ويصفح عنه ". مجموع الفتاوى ، ج ١٠ ، ص ١٢١ .

(3)رواه البخاري في كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، برقم ١٢ ، واللفظ له . ورواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لغيره ما يحب لنفسه ، برقم ٦٤ .

لا تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله تعالى من إقبال ونعمة فلا بد أن يدوم إلى أجل غير معلوم قدره الله سبحانه فلا حيلة في دفعه بل كل شيء عنده بمقدار ولكل أجل كتاب " [١]

لكن أرح قلبك وطمئن خاطرك بأن مقدر الأقدار ورازق الأرزاق ـ سبحانه ـ حكم عدل ، والهج دوماً ب (رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) . [٢]

وبهذا تتضح خطورة الحسد واستبطان الشر في النفوس وأنه دليل على الخبث وسوء الطوية ، مما يدفع صاحبه لممارسة الإساءة والاجتراء والاعتداء .

المطلب السابع : النفاق [٣] .

النفاق والمنافقون من الأمور التي كثر الحديث عنها في القرآن الكريم ، في صفاتهم وأخلاقهم ، وذكر شعب النفاق وطبائعهم وسوء طويتهم وخبث مغزاهم ، لذا فهم أشر الكفار على الإطلاق ، وقد جعل سبحانه مصيرهم في الآخرة الدرك الأسفل من النار (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) [٤]

ولهذا فإن " طبقة الزنادقة ، وهم قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل وأبطنوا الكفر ومعاداة الله ورسله وهؤلاء المنافقون ...، فالكفار والمجاهرون بكفرهم أخف وهم فوقهم في دركات النار ، لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعاداة الله ورسله ، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق ، وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ،ولهذا قال تعالى في حقهم(هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) [٥] ، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر أي لا عدو إلا هم ولكن لم يرد ها هنا من إثبات الأولوية والأحقية لهم في هذا الوصف وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المسلمين ظاهراً وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم ، بل هم أحق بالعداوة ممن باينهم في الدار ونصب لهم العداوة وجاهرهم بها ، فإن ضرر هؤلاء المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم أشد عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم ، لأن الحرب مع أولئك ساعة أو أياماً ، ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر ، وهؤلاء معهم في الديار والمنازل صباحاً ومساء ، يدلُّون العدو على عوراتهم ويتربصون بهم الدوائر ولا يمكنهم مناجزتهم ، فهم أحق بالعداوة من المباين المجاهر ،فلهذا قيل(هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ) لا على معنى

---

(1) أنظر : إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١٩٦ .
(2) سورة الحشر ، آية : ١٠ .
(3) وقد اختلف أهل اللغة في أصل اشتقاق النفاق ، فقالوا في تسمية المنافق منافقاً ثلاثة أقوال :
أحدها : أنه سمي به لأنه يستر كفره ويغيبه ، فشبه بالذي يدخل النفق وهو السرب يستتر فيه ، وقالوا : إنما سمي المنافقُ مُنافقاً للنَّفَق وهو السَّرَب في الأرض . **والثاني :** أنه نافق كاليربوع ،وذلك أن يحفر حفيرة ثم يسد بابها بترابها ويسمى ذلك التراب (الدَّامّاء) ثم يحفر حفراً آخر يقال له (النافِقاء) والنُّفَقَة والنَّفَق فلا ينفذها ولكنه يحفرها حتى ترقّ فإذا أُخِذَ عليه بقاصِعائه عدا إلى النافِقاء فضربها برأسه ومَرَق منها وتراب النُّفَقَةِ يقال له (الراهِطَاء) وهو دخوله نافقاءه ، فشبه به لأنه يخرج من الإيمان من غير الوجه الذي دخل فيه ، ومن هذا المعنى أخذ اشتقاق المُنافق في الدين . كما سيتبين بمشيئة الله . أنظر : لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٣٥٧ . وتاج العروس ، ج ١ ، ص ٦٦٠٠ . وغريب الحديث لابن الجوزي ، ج ٢ ، ص ٤٢٧ .والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للرافعي ، ج ٢ ، ص ٦١٨ ،**.والثالث :** أنه إنما سمي به لإظهاره غير ما يضمر ، تشبيها باليربوع ، فكذلك المنافق ظاهره إيمان وباطنه كفر . أنظر : عمدة القاري ، ج ١ ، ص ١٥١ .
(4) سورة النساء ، آية : ١٤٥ .
(5)سورة المنافقون ، آية : ٤ .

أنه لا عدو لكم سواهم ، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدواً من الكفار المجاهرين " . [(١)]

أما النِّفاق في الاصطلاح ، فهو : فعل المنافِق ، والنِّفاقُ الدخول في الإسلام من وَجْه والخروُج عنه من آخر ، وبعبارة أخرى هو : إظهار الإسلام ، وإبطان الكفر . [(٢)]

وسُمي المنافق بذلك لأنه يدخل من باب ويخرج من آخر ، وعلى ذلك نبه الله تعالى (إنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) . [(٣)]

قال ابن منظور : " وهو اسم إسلاميّ لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يَسْترُ كُفْره ويظهر إيمانَه ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً ". [(٤)]

وأساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب ، كما قال تعالى (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ) . [(٥)]

وكذلك الإعراض ، قال تعالى (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ) [(٦)] " وهو حالة أخرى غير حالة التكذيب وكلتاهما من أسباب استمرار كفرهم " [(٧)]

ولذلك فإن ظاهرهم يخالف باطنهم ،فوصفهم بالفصاحة والبيان وحسن اللسان ، بل وحسن الصورة (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) . [(٨)]

---

(1) طريق الهجرتين ، ص ٥٩٥ ، ٥٩٦ .

(2) وهو ما يعبر عنه بأنه النفاق الأكبر أو الاعتقادي ، قال الإمام أحمد و اللالكائي : "والنفاق هو الكفر ، أن يكفر بالله ويعبد غيره ويظهر الإسلام في العلانية ، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ". أنظر : أصول السنة ، للإمام أحمد بن حنبل ، ٥٥ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، لللالكائي ، ج ١ ، ص ١٦٢ ، ١٦٩ .وقال إمام الحرمين : " النفاق هو الاعتقاد الفاسد الذي هو للمنافق في الله وليس هو من قبيل الإرادات والإخلاص في طلب الأجر إرادة نفع الآخرة بعمل الخير " . فيض القدير ، ج ٤ ، ص ٢٧٤ . وللاستزادة أنظر : الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، لمحمد أحمد الأزهري الهروي ، ص ٣٨١ . والتعريفات ، ج ٣١١ . والنوع الثاني : النفاق العملي - وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب ، وهذا لا يخرج من الملة - لكنه وسيلة إلى ذلك . وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق ، وإذا كثر صار بسببه منافقا خالصاً ، والدليل عليه قوله : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً . ومن كانت فيه خصله منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها . إذا اؤتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) متفق عليه ، أنظر :صحيح البخاري ،كتاب الإيمان باب علامة المنافق ، برقم ٣٣ . ومسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال النفاق ، برقم ٨٨ . وللاستزادة أنظر : المنهاج ، للنووي ، ج٢ ، ص ٤٧ .

(3) سورة التوبة ، آية : ٦٧ .

(4) لسان العرب ، ج ١٠ ، ص ٣٥٧ . وانظر : تاج العروس ، للزبيدي ، ص ١٦٦٦ .

(5) سورة المنافقون ، آية : ١ . وللاستزادة : أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٥٤٣ . ج ٢٠ ، ص ٧٥ ، ٧٧ . ومنهاج السنة النبوية ، ٢ ، ص ٤٦ . وإغاثة اللهفان ،ج ١ ، ص ٢٥٠ . وعون المعبود ، ص ١٣ ، ص ١٨٤ . وصفة النفاق وذم المنافقين ، للفريابي ، ص ٢ ، وما بعدها . و إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، لأبي السعود ، ج ٤ ، ص ٨٦ . وانظر إلى ما ذكره غير واحد عن السلف في معنى قوله (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) سورة البقرة ، آية : ١٠ . من ذلك قول قتادة : إياكم والكذب فإنه باب النفاق . فتح القدير ، ج ١ ، ص ٦٦ .

(6) سورة الأنعام ، آية : ٤ .

(7) التحرير والتنوير ، ج ٤ ، ص ٤١٤. وقال الشوكاني في قوله تعالى (أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) سورة النور ، آية : ٥٠ . : " وهذه الهمزة للتوبيخ والتقريع لهم والمرض النفاق : أي أكان هذا الإعراض منهم بسبب النفاق الكائن في قلوبهم ، وإنا والله ما رأينا عملا قط أسرع في فساد قلب عبد من كبر أو كذب " . فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٦٦ . وانظر : الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٧٦ .

(8) سورة المنافقون ، آية : ٤ .

ومما تجدر الإشارة إليه أن " كون الرجل مسلماً في الظاهر لا يمنع أن يكون منافقاً في الباطن ، فان المنافقين كلهم مسلمون في الظاهر ، والقرآن قد بين صفاتهم وأحكامهم ، وإذا كانوا موجودين على عهد رسول الله وفي عزة الإسلام مع ظهور أعلام النبوة ونور الرسالة ، فهم مع بعدهم عنهما أشد وجوداً ، لاسيما وسبب النفاق هو سبب الكفر وهو المعارض لما جاءت به الرسل ". (١)

وقد كانوا " على عهد النبي يلتزمون أحكام الإسلام الظاهرة لا سيما في آخر الأمر ما لم يلتزمه كثير من المنافقين الذين من بعدهم لعز الإسلام وظهوره إذ ذاك بالحجة والسيف " . (٢)

والنفاق لم يكن معروفاً في أول الأمر ، كما هو الحال في مكة ، بل إن أول ظهور له كان عند بداية تأسيس دولة الإسلام في المدينة النبوية ، وقوة سلطان المسلمين ، وتمكين الله لهم فيها ، عند ذلك ظهرت شوكته ، وراج سوقه . (٣)

قال الإمام ابن جرير : " إن الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد أمره في دار هجرته واستقر بها قراره وأظهر الله بها كلمته وفشا في دور أهلها الإسلام وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان وذل بها من فيها من أهل الكتاب أظهر أحبار يهودها لرسول الله ρ الضغائن وأبدوا له العداوة والشنآن حسداً وبغياً إلا نفراً منهم هداهم الله للإسلام .

وطابقهم سراً على معاداة النبي وأصحابه وبغيهم الغوائل قوم من أراهط الأنصار الذين آووا رسول الله ونصروه وكانوا قد عسوا في شركهم وجاهليتهم...،وظاهروهم على ذلك في خفاء غير جهار حذار القتل على أنفسهم والسباء من رسول الله وأصحابه وركوناً إلى اليهود لما هم عليه من الشرك وسوء البصيرة بالإسلام ، فكانوا إذا لقوا رسول الله وأهل الإيمان به من أصحابه قالوا لهم حذاراً على أنفسهم : إنا مؤمنون بالله وبرسوله وبالبعث وأعطوهم بألسنتهم كلمة الحق ليدرأوا عن أنفسهم حكم الله فيمن اعتقد ما هم عليه مقيمون من الشرك لو أظهروا بألسنتهم ما هم معتقدوه من شركهم ، وإذا لقوا إخوانهم من اليهود وأهل الشرك والتكذيب بمحمد وبما جاء به فخلوا بهم (قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ) (٤) ، فإياهم عنى جل ذكره بقوله : (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ) " . (٥) ، (٦)

ومن المبطن من خبث أخلاق المنافق أنه" أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى ،ويكون أشد عداوة منهم لأهل الإيمان كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان . (٧)

---

(1) مجموع الفتاوى ، ج ٢٨ ، ص ٢٠٢ .
(2) المرجع السابق ، ج ٧ ، ص ٤٦٩ .
(3) للاستزادة ، أنظر : الاستهزاء بالدين ، للقرشي ، ص ٩٩ .
(4)سورة البقرة ، آية : ١٤ .
(5)سورة البقرة ، آية : ٨ .
(6) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١ ، ص ١٤٩ .
(7) قال شيخ الإسلام : " وكثير منهم يواد الكفار من وسط قلبه أكثر من موادته للمسلمين ولهذا لما خرج الترك والكفار من جهة المشرق فقاتلوا المسلمين وسفكوا دماءهم ببلاد خرسان والعراق والشام والجزيرة وغيرها كانت الرافضة معاونة لهم على قتال المسلمين ووزير بغداد المعروف بالعلقمي هو وأمثاله كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على المسلمين وكذلك الذين كانوا بالشام بحلب وغيرها من الرافضة كانوا من أشد الناس معاونة لهم على قتال المسلمين وكذلك النصارى " . منهاج السنة النبوية ، ج ٣ ، ص ٣٧٧ ، ج ٥ ، ص ١٥٥ . وللاستزادة أنظر : البداية والنهاية ، ١٣ ، ص ١٣٥ ،١٦٤ . وتاريخ الخلفاء ،

ومن تدبر ما في التاريخ وما وقع منهم من الوقائع عرف أن هذا حال المنافقين قديماً وحديثاً ، وقد
حذر الله نبيه من طاعتهم والقرب منهم وحضه على جهادهم في مواضع من كتابه قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) " . (١) ، (٢)

ولما كان أمرهم يشتبه على كثير من الناس ، فقد بين سبحانه صفاتهم وأخلاقهم ، وليس أسمائهم ، لأن الاسم يزول بموت صاحبه ، لذلك " أطنب في ذكرهم بصفات متعددة كل منها نفاق كما أنزل سورة براءة فيهم وسورة المنافقين (٣) فيهم وذكرهم في سورة النور وغيرها من السور تعريفاً لأحوالهم لتجتنب ويجتنب من تلبس بها أيضاً " . (٤)

وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي ـ رحمه الله ـ أنه سبحانه وتعالى لم يعين أشخاصهم لفائدتين:

إحداهما: أن اللّه سِتِّيرٌ يحب الستر على عباده .

والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين ، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة ، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب ، حتى خافوا غاية الخوف . (٥)

ولهذا النفاق صور ، وتكمن أهمية ذكرها هنا لأن لأمرين :

الأمر الأول : أنها تخرج صاحبها من الملة .

والأمر الثاني : أن أكثرها متعلق بحق الرسول .

قال شيخ الإسلام : " فمن النفاق ما هو أكبر يكون صاحبه في الدرك الأسفل من النار ،كنفاق عبد الله بن أبي وغيره ، بأن يظهر تكذيب الرسول ، أو جحود بعض ما جاء به ، أو بغضه ، أو عدم اعتقاد وجوب إتباعه ، أو المسرة بانخفاض دينه ، أو المساءة بظهور دينه ، ونحو ذلك مما لا يكون صاحبه إلا عدوا لله ورسوله .

وهذا القدر كان موجوداً في زمن رسول الله ، وما زال بعده بل هو بعده أكثر منه على عهده ، لكون موجبات الإيمان على عهده أقوى ، فإذا كانت مع قوتها وكان النفاق معها موجوداً فوجوده فيما دون ذلك أولى " . (٦)

وقد نقل الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هذه الأنواع ، وهي على النحو التالي :

١ ـ تكذيب الرسول .
٢ ـ تكذيب بعض ما جاء به الرسول .
٣ ـ بغض الرسول .
٤ ـ بغض بعض ما جاء به الرسول .

للسيوطي ، ص ٤٠١ ، ٤٠٣وتاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، للجبرتي ج ١ ، ص ٤٦٩ . و المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، لابن الجوزي ، ج ٨ ، ص ٢٠٢ .

(1) سورة التحريم ، آية : ٩ .
(2) فتح المجيد ، ص ٣٨٤ .
(3) والصواب أن اسمها سورة : المنافقون .
(4)تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٧٤ .
(5)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي ، ج ١٠ ، ص ٣٤٢ .
(6) مجموع الفتاوى ، ج ٢٨ ، ص ٤٣٤ .

٥ ـ المسرة بانخفاض دين الرسول .
٦ ـ الكراهية لانتصار دين الرسول .[1]

وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم ما يبين أسرارهم ، ويهتك أستارهم ، كما في قوله تعالى (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ) .[2]

وسبب نزول هذه الآيات : أن رجلاً من المنافقين قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك : ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطونا وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء ! .

فقال له عوف : ولكنك منافق ، لأخبرن رسول الله ، فذهب عوف إلى رسول الله ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال زيد : قال عبد الله بن عمر : فنظرت إليه متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة يقول : (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) ! فيقول له النبي : (قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ) ما يزيده .[3]

وأيضاً مما ذكر الله تعالى في كتابه ما يوضح شيئاً من إساءتهم بالسخرية والاستهزاء ، كما في قوله تعالى (وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) .[4]

وقوله تعالى (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .[5]

وهم بهذا وغيره يحاولون أن يوقعوا الأذى برسول وبالمؤمنين " وإلقاء الشك في نفوس المسلمين في كمالات نبيهم ، وفي حقيقة الأمر أنهم "[6] " هم المتهمون المأبونون وهم مع هذا لا ينكرون للدين ، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم "[7]

وبهذا يتضح أن وقوع السخرية والاستهزاء ، وغيرهما من صور الإساءة من المنافقين أمر لا يغيب عن لبيب ، (إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ)[8] ، فهو سوء في الحال والمآل ، فالنفاق

---

(1) انظر : عقيدة التوحيد ، ص ١٠٧ . وقد استخلص بعضهم صفات أخرى غير هذه ، منها :
١- أذى الرسول ، أو عيبه ولمزه .
٢ – مظاهرة الكافرين ومناصرتهم على المؤمنين .
٣ - الاستهزاء والسخرية بالمؤمنين ، لأجل إيمانهم وطاعتهم لله ولرسوله .
٤ – التولي والإعراض عن حكم الله وحكم رسوله . أنظر : نواقض الإيمان الاعتقادية ، للوهيبي ، ج ٢ ، ص ١٦٠ .

(2) سورة التوبة ، الآيتان ٦٥ ، ٦٦ . قال شيخ الإسلام : " وهذا نص في أن الاستهزاء بالله و بآياته و برسوله كفر ... ،وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله جاداً أو هازلاً فقد كفر " . الصارم المسلول ، ج ٢ ، ص ٧٠ . وسيأتي ـ بمشيئة الله ـ مزيد بسط لهذه المسألة في الفصل الثالث .

(3)أنظر : جامع البيان ، ج ٦ ، ص ٤٠٨ . والجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ١٨١ . ومعالم التنزيل ، ج ٤ ، ص ٦٩ ، ٧٠ . وتفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ . الدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٢١٥ ، ٢٣٠ ، وما بعدها . وأضواء البيان ، للشنقيطي ، ج ٧ ، ص ٤٧٢ . وما أشاروا فيه إلى ما روي في سبب النزول عن الكلبي و مقاتل و قتادة ، وغيرهم .

(4)سورة التوبة ، آية : ٥٨ . قال ابن منظور : اللمز : كالغمز في الوجه تلمزه بفيك بكلام خفي ... ، ورجل لمزة : يعيبك في وجهك ورجل همزة : يعيبك بالغيب . وقال الزجاج : الهمزة اللمزة الذي يغتاب الناس ويغضهم ، وبعضهم لم يفرق بينهما . قالوا : والأصل في الهمز و اللمز الدفع ... ، واللمز : العيب في الوجه وأصله الإشارة بالعين والرأس والشفة مع كلام خفي . لسان العرب ، ج ٥ ، ص ٣٩٧ . وانظر : القاموس المحيط ، ص ٦٧٤ . وتاج العروس ص ٣٨٠٤ .

(5) سورة التوبة ، آية : ٧٩ .

(6) التحرير والتنوير ، ج ٦ ، ص ٣١٩ .

(7)تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٧٨ .

(8)سورة التوبة ، آية : ٩ .

باعث كبير ، ودليل بيِّن على خبث النفس ، وعمى البصيرة ، مما يدعو إلى الاجتراء والإساءة ، نسأل الله العافية .

المبحث الرابع
حرية التعبير والتحيز الغربي

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : مفهوم حرية التعبير .

المطلب الثاني : مدى اعتبار (حرية التعبير) حقاً في الإسلام .

المطلب الثالث : التحيز في وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام .

المطلب الأول
مفهوم حرية التعبير (١)

يعيش الغرب اليوم أزمة حقيقية حيال هذه القيمة التي ضخمت وضخمت حتى غدت ديناً جديداً ،يعبد فيها صاحبها هواه من دون الله، ولم تعد للقيم الإنسانية والمفاهيم البشرية ما

(1) سبق تعريف حرية التعبير ، في مصطلحات الدراسة ، من الإطار المنهجي للدراسة (المبحث الأول) ، أنظر : ص ٣٢ .

يكافئها وما يدانيها، وما أزمتنا التي نعيشها اليوم معهم حيال الإساءة إلى مقام الرسول إلا أنموذج لتضخم هذه القيمة عندهم حتى يوشك أن يتلفهم ويهلكهم وقد فعل [1].

لقد اعتذروا لنا عن الاعتذار بدعوى حرية التعبير، وصار السب والاستهزاء حقاً مكفولاً ترعاه الحكومات والدول الغربية تحت هذا البند (حرية التعبير)، وصار معتنقو هذا المبدأ ـ وهم كثرة كاثرة ـ مشاريع سب وشتيمة وإن لم يمارسوه؛ إذ هم يبيحونه ويجوِّزونه وكفى بها جريمة، ومن رضي بما وقع كمن فعل وقال.

لقد أظهروا تضامنهم وتآزرهم لضمان حقهم في حرية التعبير بإعادة نشر الصور هنا وهناك، وليذهب المسلمون إلى الجحيم! وأعلنوا لنا مراراً أنهم غير مستعدين للتنازل عن حقهم المزعوم هذا لأي كان، [2] وهكذا يريدون إقناعنا بقيمة حرية التعبير عندهم، وأنه لا محل للتفاوض حولها، ولا مجال للأخذ والعطاء [3] .

هذا في الوقت الذي لا زال بعض مدعي الثقافة يرددون بأن الغرب (قبلة الحريات) ومنطلق الديمقراطيات !

" والحقيقة أن إشكالية حرية التعبير في الغرب معقدة ، ولا تجدي في فهمها الحلول البسيطة الجاهزة " [4] ، ذلك أنه يزن بميزانين ويكيل بمكيالين حينما تكون المواجهة مع الإسلام ،الأمر الذي يثير عدة تساؤلات : ما مدى التزام الغرب بهذه الحرية ، وهل هي مطلقة أم مقيدة ؟ وإذا كانت مقيدة فما هو حدها ؟ ولماذا؟ ومن له سلطة التقييد ؟ وأسئلة كثيرة .

وفي الغرب قوانين تمنع نشر بعض الآراء وبعض القضايا ، ولذلك أمثلة كثير ، منها :

- كتاب (كفاحي) لهتلر ، يحظر بيعه أو شراؤه أو طباعته في ألمانيا ، أو حتى كتابة مقالات مؤيدة للنازيين ، ولو على سبيل المزاح .
- في عام ١٩٩١ م عقدت محاضرة في ألمانيا ،واستضيف فيها رجل أمريكي ، وقال : بأن قتل اليهود بالغاز لم يحدث مطلقاً ، فترتب على ذلك أن المضيف للمحاضرة قدم للمحاكمة ، طبقاً لقانون حظر أي إثارة للأحقاد بين المجموعات العرقية .
- في النمسا قد يعاقب الإنسان بالسجن إذا أنكر وجود غرف الغاز ، التي أقامها النازيون أثناء الحرب العالمية الثانية .
- في الدانمارك يحظر على أي إنسان التهديد أو الإهانة أو الحط من شأن أي إنسان بصورة علنية ، بسبب الدين أو العرق أو التوجه الجنسي .

---

(1) مفهوم حرية التعبير في ما يتعلق بجناب الأنبياء واحترامهم قانون دولي مقرر على وجه العموم، بل إن التعريض ببعض معتقدات الأديان وما يعظمون مما لا يرقى إلى درجة الأنبياء حرمته مقررة في قوانينهم الدولية، ولهذا تجد أن المحرقة المزعومة لا يجرؤ كثير منهم على الكلام فيها باسم الحرية، ومن تكلم حوسب. أما الكلام في الإسلام ونبيه فلا يعتبرون فيه المواثيق الدولية بحجة الحرية، وهذا التناقض ليس منشؤه غموض في القانون أو لبس في حدود مفهوم الحرية، وأما اللغط الذي يدور حول هذا المفهوم فما هو إلاّ صخب يستر به كثيرون ما تكن صدورهم من عدم اعتبار لدين الإسلام ولا نبيه. أنظر ورقة العمل التي قدمها الدكتور : ناصر العمر في المؤتمر العالمي لنصرة النبي ، بعنوان : ظاهرة الإساءة إلى النبي وشريعته في الغرب ، في موقع المسلم ، على الرابط التالي :
http://www.almoslim.net/admin_prod/show_chapter_main.cfm?id=337&bid=37

(2) بل قال رئيس الوزراء الدانماركي: " القضية تتركز على حرية التعبير في الغرب مقابل المحرمات في الاسلام " .

(3) للاستزادة ،أنظر : خريف الليبراليين ، مجلة البيان ، العدد٢٢٢ .

(4) حرية التعبير في الغرب ، ص ٣ .

- في بريطانيا التي لا يزال يعمل فيها قانون يمنع سب المقدسات ، ولكن عندما أراد أحدهم [(١)] إخراج فلم عن الحياة الجنسية للمسيح ، ثارت غضبة المؤسسات الدينية سيما الفاتيكان ، حتى تدخل رئيس الوزراء البريطاني[(٢)] إذ ذلك ، وحذر من إخراج الفلم ، وسوف يكون تحت طائلة قانون سب المقدسات ، مما منع المخرج من إخراجه .
- وفي يونيو ١٩٧٦م قامت صحيفة (News Gay) الخاصة بأخبار الشواذ جنسياً من الرجال بنشر قصيدة للشاعر البريطاني (جيمس كيركوب) يصف فيها المسيح υ في أوضاع غير لائقة، مما أثار غضب اتحاد المشاهدين والمستمعين الإنجليز، الذي يتولى الرقابة الشعبية على كل ما ينشر في الصحف أو يعرض في وسائل الإعلام والأفلام السينمائية، وقامت رئيسة الاتحاد بمقاضاة رئيس تحرير الصحيفة والشركة التي تملكها وتتولى نشرها بتهمة سبّ المقدّسات.

وبالفعل تمت المحاكمة في شهر يوليو عام ١٩٧٧، وبالرغم من محاولات الدفاع المستميتة في إقناع المحلّفين أن القصيدة لم تعنِ أو تضمر أيّة إساءة للدين النصراني، بل بالعكس كانت تصوّر العلاقة العاطفية التي تربط الشاعر بشخص المسيح υ ،إلا أن هيئة المحلّفين لم تقبل هذا الدفاع وأدانت الصحيفة بأغلبية عشرة أصوات مقابل صوتين بتهمة امتهان مشاعر المسيحيين في إنجلترا، والإساءة إلى مقدّساتهم، بعد قرار هيئة المحلّفين القاضي على رئيس التحرير بالسجن لمدّة تسعة أشهر مع وقف التنفيذ ودفع غرامة مقدارها (خمسمائة جنيه إسترليني)، وعلى الناشر بغرامة مقدارها (ألف جنيه إسترليني)، بالإضافة إلى تحمّل تكاليف القضية. وعلى الرغم من استئناف الصحيفة الحكم عام ١٩٧٨م أمام القسم القضائي بمجلس اللوردات البريطاني، الذي يمثل أعلى سلطة قضائية في بريطانيا إلا أنها خسرت للمرّة الثالثة، حيث أقرّت المحكمة البريطانية العليا الأحكام السابقة الصادرة ضدّ رئيس التحرير[(٣)].

- في إيطاليا يمنع عرض الفيلم الأمريكي (الإغراء الأخير للسيد المسيح)، لما فيه من استثارة مشاعر المسيحيين، لذا لم يُكْتَفَ بمنع عرضه فقط في العديد من البلاد الأوروبية بل قُدِّم مخرج الفيلم في المهرجان للمحاكمة في روما بسبب الفيلم.
- وفي فرنسا يقر مجلس الشعب الفرنسي قانون فابيوس ـ جيسو في عام ١٩٩٠م الذي يحظر مجرّد مناقشة حقيقة وقوع الهولوكست في الحرب العالمية الثانية.
- وفي كندا على الرغم من أن القانون الكندي ينص على حق كل مواطن في التعبير الحرّ إلا أنه يحظر ـ في الوقت ذاته ـ أيّ نوع من أنواع التعبير من شأنه أن يؤدي إلى إثارة الكراهية ضدّ أية مجموعة عرقية أو إثنية أو دينية، ويمنح القانون المجالس التشريعية في كندا تقييد حريّة التعبير أو غيرها من الحريّات الدستورية إذا استدعت الضرورة ذلك، وبناء على هذا أقرّت المحكمة الكندية العليا العقوبة التي أقرّت بها إحدى محاكم مقاطعة (ألبرتا) ضدّ (مدير) مدرسة اتهم بمعاداة السامية والترويج لكراهية اليهود.

(1) وهو المخرج الدانماركي جينز ثورسن .
(2) وهو جيمس كالاهان .
(3) بعد حكم المحكمة العليا جرت محاولات عِدّة لإنهاء العمل بقانون سبّ المقدّسات من خلال مجلس العموم البريطاني، إلا أن جميع تلك المحاولات باءت بالفشل، حيث لم يقبل مجلس العموم ولا مجلس اللوردات أي مساس بذلك القانون بالرغم من أنه يحمي الديانة المسيحية فقط من السبّ ويهمل بقيّة الديانات المنتشرة داخل بريطانيا، وأنه يعاقب على المساس بالمقدّسات المسيحية دونما نظر أو مراعاة لقصد أو نيّة الشخص المتهم بسبّ المقدّسات.

- وفي أمريكا قام رئيس مجلس النواب [١]بفصل مؤرخة تعمل بالمجلس حين علم أنها سبق وأن قالت : وجة نظر النازيين بصرف النظر عن عدم شعبيتها ، لا تزال وجة نظر ، ولا تأخذ حقها في التعبير .
- في عام ١٩٩٤ م أعلنت المحكمة الدستورية الألمانية أن أي محاولة لإنكار الهولوكوست [٢] لا تتمتع بحماية حق حرية التعبير .

فدعاوى الغربيين اليوم أن حرية التعبير والرأي عندهم لا حدود لها، يدحضها سلوكهم عند أي تصرف أو سلوك أو تفكير أو تعبير يتعرض بالعداء لـ (السامية) مثلاً .

ومن أبرز التجليات المجسدة لقضية (معاداة السامية)، قضية المحرقة اليهودية، أو (الهولوكوست) ،وحول هذه الدعوى المزعومة تتجلى الحرية الغربية عند النيل منها ولو بالتشكيك فيها ، فمن ذلك :

ـ ما حصل للمثقف الفرنسي : روجيه غارودي [٣]، بعد إصدار كتابه (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية) ، والحكم عليه بدفع غرامة (٢٠ ألف دولار) ،والذي اتهم بمعاداة السامية ، مما يدلك على الدور الذي يلعبه اللوبي الصهيوني في الغرب ، سيما ما يخص قضاياه ومشروعه وقد هُدد بالقتل ، وتم الاعتداء على المكتبات التي تبيع كتبه ، وعلى الناشر ،وألقيت قنابل مولوتوف على المكتبة التي يمتلكها بأثينا .

ـ وحوكم كاتب سويدي آخر، وهو (رينيه لويس) بمقتضى القانون السويدي الذي يحرم معاداة السامية؛ لأنه شكك في قصة المحرقة، وحُكم عليه بالسجن لمدة ١٧ عاماً، ولا يزال في سجنه حتى اليوم.

ـ وحوكم الكاتب الألماني (أرنست ذوندل) في ١٥ نوفمبر ٢٠٠٥، بتهمة التشكيك في المحرقة، وطرد من كندا بسبب نفيه وقوع ما يسمى بـ (أفران الغاز).

ـ وفي ١٦ نوفمبر ٢٠٠٥، تم ترحيل عالم الكيمياء الألماني (جيرمان رودلف) من أمريكا إلى ألمانيا؛ لأنه أعد بحثاً كيميائياً أثبت فيه أن صنف الغاز الذي تحدث اليهود أن هتلر استخدمه ضدهم في أفران الغاز الحارقة، غير موجود أصلاً بالخواص التي ذكرها اليهود، وقد حكم على هذا الباحث بالسجن لمدة عام وشهرين، عقاباً له، لا على حرية الرأي فحسب، بل على حرية التفكير والبحث!

في مقابل ذلك كانت السويد قد دعت الكاتب الهندي المرتد (سلمان رشدي) لزيارة عاصمتها، وعندما جاء احتفت به كل وسائل الإعلام، وأتاحت له كامل الحرية في مخاطبة الشعب السويدي النصراني عن آرائه في الدين الإسلامي، بينما حجبت تلك (الحرية) نفسها

---

(1) وهو نيوت جنجرييتس .

(2) وهي كلمة يونانية، تعني (القربان الكامل) إشارة إلى القرابين التي كانت تُقدَّم تعبُّداً، كي تُحرق في المعابد بشكل كامل، حيث لا ينال أحد من البشر منها شيئاً. وقد أشاع اليهود هذا التعبير كمصطلح يرمز إلى ما حدث لهم على يد الزعيم الألماني (أدولف هتلر)، حيث صوَّروا ما فعله ضدهم من انتقام وحرق في السجون أنه أكبر محرقة في التاريخ ،حتى سرت هذه العدوى للبلد الصناعي الوثني اليابان ، الذي أدى نشر مقال ينكر ذلك إلى موجة غضب شديدة .

(3) يقال بأنه لم يتخلَّ عن النصرانية ،وله آراء شاذة منها قوله بأن الصلوات ثلاث وليست خمساً ، وأنه يدعو إلى عقيدة جديدة تخلط بين الإسلام والنصرانية والشيوعية ، كما نشر في مجلة المجلة لعام ١٤١٦هـ ، وقد رد عليه شيخ الأزهر جاد الحق رحمه الله ، كما رد عليه سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله في مجلة البعث الإسلامي ، العدد السادس ١٤١٧هـ ، أنظر : الإبطال ، ص ٣٢ .

عن ضيف آخر في التوقيت نفسه، وهو الكاتب الفرنسي المعروف بالعداء للصهيونيين (فوريسون) ومنعته من المحاضرة، بل سمحت ـ من باب حرية التعبير ـ بالتظاهر ضده!! (١)

إذاً فالحرية في الغرب لا تعدوا أن تكون حكاية ، بل أسطورة كاذبة ، فحقيقة الأمر أن " الغرب لا تنقصه الحرية المطلة للتعبير ، بل وتنقصه الحرية المطلقة للتفكير أيضاً ... ، وتبقى الحقيقة أن حرية التعبير في الغرب ناقصة ، ودون مستوى الشعارات البراقة التي ترفعها كثير من الدساتير الغربية وتنادي بها مواثيق حقوق الإنسان ...، ثم إن الحرية المطلقة لكل أنواع التعبير، تعني حرية مطلقة للاستفزاز والكتابات العدوانية ، والألفاظ الجارحة المؤذية ، مما سيؤدي لا محالة إلى انتشار العدوان والأحقاد " .(٢)

من البدهي أن أقول : إن الإسلام قد قرر الحرية للإنسان وجعلها حقاً من حقوقه ،واتخذها دعامة لجميع ما سنه للناس من عقيدة وعبادة ونظم وتشريع ، ولم يقيد حرية أحد ، إلا فيما كانت مصلحته عامة ،أوالتدخل في شؤون الناس وإلحاق الضرر بهم، في أعراضهم أو في أموالهم أو في أخلاقهم ،وغير ذلك.

تظهر حرية الرأي في الإسلام جلية بما قرره من حق الاجتهاد ، في أمور الدين والدنيا (٣)، وهي من الحريات الأساسية التي يجب أن يتمتع بها الإنسان ،ومفهومها من المنظور الإسلامي يتحقق من خلال الحقوق والواجبات باعتبار ما بينهما من التلازم ،لان الحقوق من دون أن تقيد بالواجبات سيصبح الفرد غير مرتبط بمن حوله، فيعرف ما له من حق ولا يعرف حق غيره .

ففي الإسلام تكون إنسانية الإنسان هي رهن حريته ،إذ لايمكن أن تتحقق إنسانيته بدون حريته ،وإذا كانت الحرية من منطلق الحقوق فقط دون الواجبات تُحدث عدم التوازن في الحياة .

وقد يظن البعض أنه مادامت الحرية مكفولة وأنها حق قد قرره الشرع، فيبيح لنفسه إشباع غرائزه، وإن كان ذلك على حساب غيره، وهذه هي الفوضى التي تقضي على أمن المجتمع وعلى استقراره وسلامته ،فالحرية لا تعني الفوضى وارتكاب الموبقات والمنكرات باسم الحرية واستباحة محارم الله والانغماس في الشهوات المحرمة ،فالحرية التي تبيح هذه المحظورات هي انفلات ، وتصور خاطئ للحرية،ولذلك يقول الرسول : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وأصاب بعضهم أسلفها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فآذوهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم هلكوا وهلك الناس جميعهم وإن منعوهم نجو ونجى الناس جميعاً) (٤) . وهكذا حياة الناس كأنهم على ظهر سفينة تحمل البر والفاجر، والصالح والطالح والمحسن والمسيء ،وإن ترك المسيئين يمرحون ويفعلون ما يحلو لهم ،وما يشاءون دون الأخذ على أيديهم وكفها عن اقتراف الموبقات والآثام لهو عين هلاك الناس جميعهم نتيجة لاختلال التوازن في مطالب الحياة ، وإن أخذوا بأيديهم نجو ونجوا جميعاً .

إذاً فحرية التعبير من أعظم الحريات التي كفلها الإسلام للإنسان وهي من نعم الله تعالى عليه حيث جعله بهذه النعمة معبراً عن نفسه مبيناً عما يدور في فكره وخلده ،ومنحه القدرة العقلية على تصور ما يدور حوله ثم الحكم عليه بما يصل له من خبراته وتجاربه بعد

---

(1) أنظر : مجلة البيان ، العدد ٢٢٢ .
(2) حرية التعبير في الغرب ، ص ١٦ ـ ٢١ .
(3) أنظر : حقوق الإنسان في الإسلام ، للدكتور محمد الزحيلي ، ص ١٩٠ .
(4)رواه البخاري في الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ؟ برقم ٢٣١٣ .

توفيق الله تعالى (الرَّحْمَنُ .عَلَّمَ الْقُرْآنَ . خَلَقَ الْإِنسَانَ . عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) [١] ، وقال تعالى(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [٢] فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأكرمه وأنعمه بنعمة العقل والإدراك وعلمه البيان ليُعْمل عقله ويفصح عما ما يدور في عقله بحرية مبنية على احترام الحق الفطري واستخدام نعمة الإدراك والبيان ، ومن الأدلة التي تدل على وجوب حرية التعبير، قوله تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ) [٣]،فإن الأمر والنهي لا يكون إلا من خلال التعبير ، فإن الأمر والنهي تعبير وإبداء رأي ،وبما أن الأمر والنهي واجب فنقول بوجوب حرية التعبير إذ تقرر لنا حق إبداء الرأي ،إذ بالأمربالمعروف والنهي عن المنكر نالت الخيرية على الناس وعلى أساسه وعدت بالتمكين في الأرض ،وهذا كله إن دل فإنما يدل على أن حرية التعبير من حقوق الإنسان، وحقوق الإنسان هي جزء من الدين الذي شرعه الله [٤].

وقد نص الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان على هذا الحق مفصلاً في أربع فقرات ، من المادة (٢٢) ، وهي :

أ - لكل إنسان الحق في التعبير بحرية عن رأيه بشكل لا يتعارض مع المباديء الشرعية .

ب - لكل إنسان الحق في الدعوة إلى الخير والنهي عن المنكر ، وفقاً لضوابط الشريعة الإسلامية .

ج - الإعلام ضرورة حيوية للمجتمع ، ويحرم استغلاله ، وسوء استعماله ، والتعرض للمقدسات وكرامة الأنبياء فيه ، وممارسة كل ما من شأنه الإخلال بالقيم ، أو إصابة المجتمع بالتفكك ، أو الانحلال ، أو الضرر ، أو زعزعة الاعتقاد .

د - لا تجوز إثارة الكراهية القومية والمذهبية ، وكل ما يؤدي إلى التحرض على التمييز العنصري بكافة أشكاله [٥].

وبهذا تتضح دعوى حرية التعبير في الغرب وواقعيتها النزيهة في الإسلام .

المطلب الثاني

مدى اعتبار (حرية التعبير) حقاً في الإسلام

---

(1) سورة الرحمن ، الآيات ١-٤ .

(2)سورة البلد ، آية : ١٠ .

(3) سورة آل عمران ، آية : ١١٠ .

(4) للاستزادة أنظر : تحرير مفهوم حرية التعبير واحترام الأديان والمقدسات ، ورقة عمل في المؤتمر العالمي لنصرة النبي قدمها الدكتور محمد إدريس حسن ،في موقع إلا رسول الله ، على الرابط التالي :
http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1777
وانظر : حقوق الإنسان في الإسلام ، للدكتور محمد الزحيلي ، ص ١٨٥ - ١٩٥ .وحقوق الإنسان في الإسلام ، للدكتور عبد اللطيف الغامدي ، ص ١٥٤ - ١٥٨ .

(5) أنظر : نص الإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان ،في حقوق الإنسان في الإسلام ، للدكتور محمد الزحيلي ، الملحق الثالث ، ص ٤٠٠ - ٤٠٨ .

هذا الحق (حرية التعبير) هو مما أقرته الشريعة الإسلامية كما سبق ، ولكن ما يهم هو أن هناك دعوات تظهر بين الفينة والأخرى ،تنادي بها بعض الحكومات الغربية ،ومن وراءها بعض المؤسسات الغربية ، سيما الحقوقية منها ،والتي تهدف إلى الإساءة إلى الإسلام والمسلمين بدعوى انتهاك حقوق الإنسان في البلاد العربية والإسلامية ، عندما تطبق حكم الله في الحدود .

ومما زاد الأمر سوءاً أن انطلت هذه الدعوات على بعض أبناء المسلمين ، فصدقوهم وصاروا أبواقاً وأصوات نشاز لتلك المفتريات، ثم إنها سوغت لبعض دول الغرب الظالمة لنفسها أن تعتدي وتتدخل في بعض بلاد المسلمين لنشر الديمقراطية كما يقولون ،مباشرة أو بواسطة ، فصارت كالوصي عليهم ، فضيقت عليهم في دينهم ودنياهم ، كما حصل في أفغانستان والعراق .

وقبل أن أبيِّن هذا الاعتبارلحرية التعبير في الإسلام ، يحسن أن أُشير إلى مكانة الإنسان في الإسلام ، ذلك أن مظاهر التكريم الإلهي للإنسان في الإسلام تتضح فيه بجلاء ، كما قال تعالى (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) [١].

وأهم مظاهر هذا التكريم ما يلي [٢] :

أولاً : أن الإنسان مستخلف في الأرض :

خلق الله تعالى الإنسان ، ثم اختاره من بين سائر مخلوقاته ، فميزه بالعقل واصطفاه على جميع ما خلق ، فكلفه بإعمار الأرض ، قال تعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) [٣]،وحمله الأمانة ، (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [٤] ، وهذا مما يدل على عظم التكريم الذي منحه الإسلام للإنسان ، وأنه أعطاه المنزلة الرفيعة .

ثانياً : أن الإنسان محور الرسالات السماوية :

المقصود الأسمى لإرسال الرسل وإنزال الكتب هو الإنسان ، فعندما أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض ، كان من حكمته ورحمته بالإنسان ألا يتركه هملاً ،(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) [٥]، فأنزل عليه كتبه وأرسل رسله ، وبين له سبل الهدى والرشاد ، وحذره مما سواه ، قال تعالى (وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ) [٦]، وقال سبحانه (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ

(1)سورة الإسراء ، آية : ٧٠ .
(2) أنظر : حقوق الإنسان في الإسلام ، للدكتور محمد الزحيلي ، ص ١٥ -٢٧ . وحقوق الإنسان في الإسلام ، للدكتورعبد اللطيف الغامدي ، ص ١٧ - ٢٩ .
(3) سورة البقرة ، آية : ٣٠ .
(4) سورة الأحزاب ، آية : ٧٢ .
(5) سورة الذاريات ، آية : ٥٦ .
(6) سورة البلد ، آية : ١٠ .

الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا . وأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [١].

فالمقصد العظيم للرسالات هو السعي لتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا ، والفلاح في الآخرة ، وجاءت الشرائع لتأمين مصالح العباد ، بجلب النفع لهم ودفع الضر عنهم .

فحق التعبير عن الرأي حق أصيل ، وذلك أنه مرتبط بحرية الإنسان في تفكيره ، والتفكير نشاط عقلي ، والإسلام قد عظَّم شأن العقل الذي هو وسيلة للتفكير ، ولهذا جاء ذكره في القرآن لإثارة الانتباه إليه والاهتمام به ، والرجوع إليه ، والدعوة إلى تحري كنه ما يحيط بالإنسان .

يقول الله تعالى (قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ) [٢]، ويقول سبحانه (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) [٣] .

فالدعوة إلى التفكير هي اللبنة الأولى للتعبير ، وكذلك إلى إبداء الرأي ، وفي هذا دليل واضح على أن التعبير عن الرأي فريضة إلهية من الله تعالى على عباده .

ولما لهذا العقل من أهمية في توجيه الإنسان نحو الخير أو الشر ، لذا كان التعبير عن الرأي موضع توجيه ومناط تكليف ، والإسلام يرسم للمسلم الطريق الصحيح الذي يجب أن يسير عليه ، وذلك ببيان الأحكام والضوابط التي تحكم تصرفه عند التعبير عن رأيه . [٤]

المطلب الثالث

التحيز [٥]في وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام

جاء هذا المصطلح ليمثل تحدياً للكثير من المسلمات في الفلسفة الغربية لوسائل الإعلام، ولإحدى أهم أطروحات هذه الفلسفة حول الموضوعية، وقدرة السوق الحرة للإعلام على إدارة المناقشات الحرة بين الاتجاهات السياسية المختلفة في المجتمع ونقلها إلى الجماهير، كما جاء

(1) سورة الإسراء ، آية : ٩ ، ١٠ .

(2)سورة يونس ، آية : ١٠١ .

(3)سورة البقرة ، آية : ٤٤ .

(4) التعبيرعن الرأي ضوابطه ومجالاته في الشريعة الإسلامية ، للشمراني ، ص ٣٨ ، ٣٩ ، رسالة دكتوراه ، غير منشورة ، مكتبة الملك فهد الوطنية .

(5)ظهر مفهوم التحيز (Bies)في الدراسات الإعلامية خلال السبعينيات ، وهناك تعريفات كثيرة ، إلا أن كثيراً منها لا يسلم من الملحوظات ، أو التحفظ ، لكن يمكن اختيار التعريف التالي وهو : عدم القدرة على تحقيق الموضوعية والعدالة والحياد، ومعاملة الطرفين في قضية محل جدل أو صراع بشكل يتسم بالمساواة، ويرتبط هذا المفهوم ارتباطاً وثيقاً بمفاهيم أخرى، هي استخدام معايير مزدوجة و الصورة النمطية، أو إنتاج هذه الصورة بالإضافة إلى تحريف المعلومات أو تشويهها ،واستخدام اللغة بشكل يؤدي إلى إصدار أحكام معينة بإدانة أطراف معينة في صراع أو جدل.أنظر : كيف نواجه تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام ؟ للدكتور سليمان صالح ، ورقة عمل قدمت في المؤتمر العالمي لنصرة النبي . على الرابط التالي : http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1775 والتحيز الإعلامي ، على الرابط التالي : http://meshkat.net/new/contents.php?catid=6&artid=7199

ليمثل تحدياً لأسطورة الموضوعية والحياد التي تستخدمها الأيديولوجية الغربية لوسائل الإعلام في الدفاع عن نفسها .

- **هناك نوعان من التحيز:**

أ- التحيز المقصود: وهو ما ينتج عن تأييد المؤسسة الإعلامية لأحد جانبي الصراع أو المناقشة، وله أمثلة كثيرة ، منها إعطاء مساحة أكبر على صفحة الصحيفة التي تصدرها، أو وقتاً أطول في إرسالها من محطات الإذاعة وقنوات التليفزيون لهذا الجانب، أو أن تقوم المؤسسة الإعلامية بالتركيز على الأخبار السيئة عن أحد طرفي الصراع بهدف تشويه صورته.

ب - التحيز غير المقصود: وهو ما ينتج عن تبني وسائل الإعلام القيم الخبرية التي تطورت في الغرب، وهو ما يجعل هذه المؤسسات تركز على نشر وإذاعة أخبار دول النخبة، وهي الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا الغربية بالإضافة إلى تجمع يهود في فلسطين (إسرائيل) ، وفي المقابل تركز على الأخبار السيئة، خاصة عن الدول التي لا تنتمي للنخبة الدولية ، كالدول العربية والإسلامية ، وإن كان فيه تحيز بوجه من الوجوه إلا أنه ليس كسابقه .

وحين نمايز بين التحيز في مجال الأخبار وبين مجال الرأي ،ينبغي التنبه إلى أن التحيز في مواد الرأي والتعبير يكون مقصوداً ، ولذا ينتج عن هذا التحيز ظاهرتان هما: نقص المعلومات التي تقدم للمتلقي ، ويؤدي بالضرورة إلى الظاهرة الآخرى وهي : إساءة تقديم المعلومات أو التضليل الإعلامي ، والذي ينتج عنه اتخاذ المواطنين لقراراتهم بناء على ما تحدده المؤسسات الإعلامية، وما تقدمه للناس من معلومات، وأساليبها في تقديم هذه المعلومات، هذا بالإضافة إلى التأثير على صناع القرار لتأتي قراراتهم متوافقة مع مصالح أطراف معينة في الصراع أو الجدل، كما تقوم المؤسسات الإعلامية بتبرير هذه القرارات والترويج لها.

ومن المؤسف أننا في الوقت الذي نتأذى فيه من هذه الإساءة في وسائل الإعلام الغربية ، نجد أن بعض وسائلنا الإعلامية العربية كثيراً ما تقع في نفس الخطأ ،وتمارس نفس الأسلوب من التنميط المتحيز ، ضد بعض الدول والحكومات ،أوالمؤسسات ،أو الشخصيات العربية والإسلامية ، كما هو الحال بعد وصول (حماس) إلى سدة الحكم [١].

ولهذا يمكن أن نقول عن بعض تلك المؤسسات الإعلامية أن أداءها لا يعدو أن يكون مجرد محاكاة وترديد للأداء الغربي ،ولكن بأصوات عربية وليس بلغة عربية وشتان بين الاثنين .

- **تطور ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية [٢]:**

لقد كان للقساوسة ورجال الدين المسيحي الدور الرئيس في تعبئة شعوب أوروبا خلال الحروب الصليبية لشن حرب على الإسلام والمسلمين، وركز خطابهم في هذه المرحلة على إثارة المشاعر الدينية للشعوب الأوروبية، ولذلك تم التركيز في هذا الخطاب الدعائي على أن

---

(1) للاستزادة حول هذا أنظر : مأزق التدخل الأمريكي وإمكانات الفعل العربي ، للدكتورة بثينة شعبان ، ص ٢٤٨ -٢٥٢ .
(2) أنظر : كيف نواجه تحيز وسائل الإعلام الغربية ضد الإسلام ؟ على الرابط التالي :
http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1775
وانظر : الإسلام والغرب ، ص ٥٥ -٩٥ .

المسلمين كفار ،وأن المسلمين يقتلون الحجاج المسيحيين، ويمنعونهم من الحج إلى الأماكن المقدسة.. إلخ، ونجح القساوسة في حملتهم حتى استطاعوا التأثير في مراكز صنع القرار .

كما أثارت الفتوحات العثمانية في أوروبا الخوف الشديد من الإسلام، وأدت إلى إنتاج تراث شكّله أيضاً القساوسة، يقوم على رسم صورة مخيفة للمسلمين من أهم سماتها أنهم متعطشون للدم، ويشكّلون تهديداً لأوروبا، وأن الإسلام يفرض عقوبات قاسية على بعض الجرائم مثل السرقة .

وإذا كان رجال الدين هم القائمون بالاتصال خلال فترة الحروب الصليبية، فإن الصحفيين أصبحوا هم القائمون بالاتصال بشكل أساسي خلال الموجة الاستعمارية الأوروبية التي بدأت بالحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م وقد كان المبرر الدعائي الذي قدمته الصحافة الأوروبية للعقل الأوروبي كي يقتنع بضرورة استعمار أوروبا لآسيا وأفريقيا، هو رسالة الرجل الأبيض في تمدين البشرية أو الشعوب المتخلفة، وكان هذا نتاجاً طبيعياً لتحول أوروبا إلى العلمانية. ولتكريس هذا المبرر في الذهن الأوروبي، قامت الصحافة بتقديم صورة نمطية لشعوب آسيا وأفريقيا على أنها شعوب متخلفة، يعيشون كالوحوش وعرايا ،لإقناع الإنسان الأوروبي بأنه يقوم بمهمة نبيلة لتحرير البشرية .

وقد ركّز الخطاب في هذه المرحلة بشكل أساسي على عنصرين أساسيين هما: إثارة الاحتقار للمسلمين بشكل خاص [١]، ورسم صورة الذات بالنسبة للمستعمر الأوروبي بشكل يقوم على الاستعلاء العرقي .

ثم جاء اختراع السينما [٢]و تحولها إلى صناعة ضخمة ليقوم بدور أساسي في تقديم صورة نمطية للمسلمين، وتثبيت هذه الصور في الذهن الغربي، ومن خلال الكثير من الأفلام تم استدعاء المخزون التاريخي في العقل الغربي خلال الحروب الصليبية، والفتوحات العثمانية بالإضافة إلى الخطاب الاستعماري، وإعادة تقديمه والإلحاح على التذكير به ،وتحويل صورة المجاهدين في الحروب الصليبية إلى صورة القراصنة الذين لا يحاربون من أجل هدف، وبأنهم يصحبون النساء والراقصات في معسكراتهم، وأن صلاح الدين كان الهدف الأساسي لحروبه هو عشقه لفتاة غربية بيضاء... الخ.

بعد ذلك جاء اختراع التليفزيون بإمكانياته الهائلة، ليؤدي إلى مزيد من التكريس والتثبيت للصورة النمطية التي سبق أن روّجت لها الصحافة والسينما للإسلام والمسلمين [٣]، كما قام بدور كبير في تشويه هذه الصورة وتنميطها بحيث أصبحت تُستدعى تلقائياً عند ذكر الإسلام والمسلمين، وتثير الكثير من مشاعر العداء نحوهما [٤].

(1) أنظر : صورة العرب في أمريكا ، للكاتب السويسري الدكتور رتو بيت ، ترجمة ثابت عيد ، ص ٧ ـ ٩ .

(2) أنظر : صورة العرب في أمريكا ، ص ١٦ ـ ٢٠ .

(3) فمثلاً قام جاك شاهين أستاذ وسائل الإعلام في إحدى الجامعات الأمريكية ، بتحليل دقيق لحادث جانبي في أحد المسلسلات الأمريكية ، واستخلص منه ست أساطير ، تتخلل الصورة التي يقدمها التلفزيون الأمريكي عن العرب ، الأولى : سيقوم العرب بشراء أمريكا بأكملها . الثانية : أن اللغة العربية ليست لغة بالمعنى الحقيقي للكلمة ، ولكنها عبارة عن رطانة وكلام غير مفهوم . الثالثة : أن كل العرب أغنياء بصورة فاحشة . الرابعة : أن كل العرب قوم أميون ، وبدو متخلفون . الخامسة : أن كل العرب قوم يؤمنون بالخرافات . السادسة : أن كل العرب يمتلكون معظم الاحتياطي العالمي للبترول . أنظر : صورة العرب ، ص ٢١ ، ٢٣ .

(4)وإليك هذا المثال : الصراع العربي الإسرائيلي: ارتبط التحيز الأمريكي والغربي بشكل عام لإسرائيل بتحيز وسائل الإعلام الغربية لإسرائيل ضد العرب والمسلمين، وبالتالي تم إضافة سمات جديدة للصورة النمطية بهدف إقناع المواطنين الغربيين بالتأييد المطلق لإسرائيل، وإثارة الخوف والكراهية والعداء والاحتقار للعرب والمسلمين ،كما حمل الخطاب الغربي في هذه

كما كان لاستخدام العرب للبترول بشكل ناجح خلال حرب عام ١٩٧٣م [١]، دور مهم في إضافة سمات أخرى لصورة استهدفت إثارة الخوف من السيطرة العربية على المصادر البترولية، والتحكم في إمدادات البترول للدول الغربية، وأنهم يستخدمون البترول كوسيلة لابتزاز الغرب .

كما جاء انهيار الشيوعية التي مثّلت خلال فترة الحرب الباردة العدو الرئيس للرأسمالية الغربية؛ ليفرض على الدول الغربية بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص ضرورة البحث عن عدو، لذلك فقد عمدت دوائر صنع القرار في الغرب، وتبعتها في ذلك وسائل الإعلام إلى استخراج العدو الإسلامي من المخزون التاريخي الثقافي الغربي، وتقديمه إلى الشعوب باعتباره يمثل الخطر الذي يهددها، ويهدد الحضارة الغربية [٢].

وبذلك قُدم الإسلام ليس على أنه عدو فقط ، بل على أنه هو العدو الوحيد .

كما أن هناك عوامل أخرى ساعدت على تكريس هذا المبدأ منها : أن الغرب يمر بحالة من عدم اليقين تجاه المستقبل ، فيستمر في تعبئة الرأي العام ،ضد عدو خارجي..، ومن هنا ظهرت فكرة صراع الحضارات ،ومنها رسالة الرجل الأبيض في تمدين البشرية ،ولذا فإن المبررات الجديدة التي تقدمها وسائل الإعلام الغربية هي حماية حقوق الإنسان، وحماية الديموقراطية وحماية العالم من الإرهاب، وحماية العالم من الأصولية الإسلامية، وحماية مصادر البترول ،ومنها التركيز على بعض الأحداث مع المبالغة في تصويرها وتوجيهها ،مثل حادث تفجير مركز التجارة العالمي في الولايات المتحدة الأمريكية [٣]، لتكرس مشاعر الخوف والعداء والكراهية ضد الإسلام والمسلمين .

- **من العوامل التي شكّلت ظاهرة التحيز ضد الإسلام والمسلمين بشكل خاص :**

أ - العداء القديم :

وأكثر ما يبرز في الحروب الصليبية ، التي تعود إلى عقود طويلة من العداء ،حتى أصبح ذلك مخزوناً تاريخياً يصعب تجاوزه أو أن ينسى، ولابد من التسليم بأنه سيظل ينتج تناقضات حادة، وحالة عداء مستمر بين الغرب والمسلمين، ثم إن الغرب يدرك مصادر القوة في الإسلام، وأن الإسلام قد صنع وحدة الأمة الأولى ونهضتها، وأقام حضارة شامخة، وأنه

القضية – الذي تم الترويج لها عبر وسائل الإعلام – الكثير من المبررات للسياسات الغربية المؤيدة لإسرائيل ،وفي المقابل تم الترويج لصورة إيجابية لإسرائيل، كان من أهم سمات الصورتين المتناقضتين للعرب والإسرائيليين ما يلي:

١- إسرائيل هي الطرف الضعيف في الشرق الأوسط، ومع ذلك فقد استطاعت أن تنتصر على العرب الشواذ كثيري العدد، وذلك بسبب شجاعة الإسرائيليين وذكائهم وكفاحهم... وتم الترويج لهذه السمة بشكل واسع عقب ٥ يونيو ١٩٦٧.

٢- إن الفلسطينيين لم يتم طردهم من أرضهم عام ١٩٤٨، وأن اليهود قد حثوهم على البقاء، ولكنهم تركوا أرضهم بإرادتهم الحرة، وبناءً على نصيحة العرب الآخرين لهم.

٣- إن الإسرائيليين قد جعلوا الصحراء تزدهر، بينما ترك العرب فلسطين قاحلة.

٤- إن الصهيونية فلسفة تحررية ليبرالية، لذلك فهي تستحق المساعدة من هؤلاء الذين يحبون الحرية في كل أنحاء العالم.

٥- العرب معادون للسامية، ولذلك يكرهون اليهود .

وقد أنتجت الصورتان المتناقضتان للعرب والإسرائيليين تأثيرهما على الجماهير، كما في بعض الاستطلاعات الأمريكية .

(1) وفي هذه الحقبة أدى الرسم الكاركاتوري دوراً بارزاً في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث نُشرت الصحف الأمريكية عام ١٩٧٤ م رسما يظهر مجموعة من العرب الملتحين ، ذوي الأجسام البدينة ، والأنوف المعكوفة ، مع وجود فجوات بين أسنانهم ، يجلسون على وسائد سميكة بملابسهم البدوية ، على هيئة دائرة ، وتقوم فتاة شابة ترتدي فستاناً قصيراً بتقديم صينية لهم عليها خنزير مشوي صغير ، وأحدهم يرمي بقطعة من عظام الخنزير بعد أن قضم ما علق بها من لحم إلى طفل أسود ، نحيل يبدو الجوع عليه ، كرمز للقارة السوداء أفريقيا . أنظر : صورة العرب في أمريكا ، ص ١٠ .

(2) أنظر : الإسلام العدو الوهمي الجديد للغرب ، ضمن صورة الإسلام في التراث الغربي ، ص ٣٨ .

(3) أنظر : العرب وعالم ما بعد ١١ سبتمبر ، لبرهان غليون ، ص ٧ - ١٦ .

قادر على أن يصنع وحدة الأمة مرة أخرى، وأن يقود خطاها إلى صنع مرحلة تاريخية جديدة من الحضارة والتقدم ،سيما وأن الإسلام يقدّم بناءً شاملاً للحياة والثقافة والحضارة، وهو يمثل المشروع البديل الوحيد للحضارة الغربية.. والقضية ليست قضية منجزات مادية أو تقنية، أو تقدم مادي، فهذا كله مع أهميته إلا أنه يمكن تحقيقه وفي فترات قصيرة نسبياً، لكن القضية هي قضية عقيدة ، وهي قضاية أكثر أهمية من كل أشكال التقدم المادي.

ب ـ العداء الجديد:

والمتمثل في ربط ذلك العداء القديم بالجديد ، فما حرب أفغانستان وغزو العراق وتبني الغرب عموماً وأمريكا خصوصاً لدويلة يهود إلا مثالاً واضحاً أمام هذه الهيمنة والغطرسة الغربية تجاه الإسلام وقضاياه ، ثم وقوف أكثر وسائل الإعلام الغربية لمناصرة الصحيفة الدانماركية ، وقيام حملات مساندة إلا صورة بسيطة على ذلك .

الغرب لا يعجب إلا بالقوة [١]،والقوة مهما بدت مخيفة بالنسبة له إلا أنه لا يستطيع احتقارها، ومن هنا فإنه من المؤكّد أن الطريق الصحيح لمقاومة تحيز الغرب ووسائل إعلامه ضد الأمة الإسلامية، وتصحيح الصورة النمطية المشوّهة هو إقامة مشروع حضاري جديد تستعيد في ظله الأمة عافيتها وقوتها ووحدتها وقدرتها على تحقيق النهضة والتقدم، وفي إطار هذا المشروع يتم إقامة صناعة إسلامية قوية للإعلام والمعلومات تواجه الصورة المشوّهة داخل الأمة قبل أن تواجهها في الخارج.

(1) أنظر : عدالة العصر ، ضمن ظلام من الغرب ، ص ٩٤ ـ ٩٨ .

الفصل الثالث

حكم الإساءة إلى الرسول وأثرها

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث .

التمهيد : ويشتمل على مقدمات عامة .

المبحث الأول : حكم الإساءة إلى الرسول .

المبحث الثاني : أقسام المسيئين إلى الرسول وحكم كل قسم .

المبحث الثالث : أثر الإساءة إلى الرسول .

التمهيد

مقدمات عامة

قبل الكلام على المسائل المتعلقة بحكم الإساءة إلى النبي يحسن أن نشير إلى بعض المقدمات التي رأيت أنها مهمة في بداية هذا الفصل ، وهي على النحو التالي :

- **المقدمة الأولى : شُعَب الكفر وأنواعه :**

الكفر ليس حقيقة واحدة ، أو شعبة واحدة [١]،بل هو شعب متعددة ، ومراتب متفاوتة ،كما أن ما يقابله من الإيمان له شعب أيضاً [٢].

قال ابن القيم : " الكفر ذو أصل وشعب فكما أن شعب الإيمان إيمان فشعب الكفر كفر والحياء شعبة من الإيمان وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر والصدق شعبة من شعب الإيمان والكذب شعبة من شعب الكفر والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان وتركها من شعب الكفر والحكم بماأنزل الله من شعب الإيمان والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر والمعاصي كلها من شعب الكفر كما ان الطاعات كلها من شعب الإيمان "[٣] .

وقد ذكروا أن من أنواعه وأقسامه [٤]:

١- الكفر باعتبار حكمه : وهما : كفر أكبر وكفر أصغر .
٢ـ الكفر باعتبار بواعثه : وهي : كفر الإنكار ، وكفر الجحود ، والاستكبار ، والنفاق ، والإعراض ، والشك .
٣ـ الكفر باعتبار ما تقوم به أعضاء البدن : وهي : كفر قلبي ، وكفر قولي ، وكفرعملي .
٤- الكفر باعتباره طارئاً أم أصلياً : وهما : كفر أصلي ، وكفر ردة .
٥- الكفر باعتبار الاطلاق والتعيين : وهما : كفر مطلق ، وكفر معين .

وعليه فإن للكفر فروعاً دون أصله ، لا تنقل صاحبها عن ملة الإسلام ، كما أن للإيمان من جهة العمل فرعاً للأصل ، لا ينقل تركه عن ملة الإسلام . [٥]

- **المقدمة الثانية : إطلاقات الكفر :**

الكفر قد يطلق على الكفر الأكبر تارة ، وقد يطلق على الكفر الأصغر تارة أخرى ، فمن إطلاق لفظ الكفر على الكفر الأكبر قوله تعالى (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلاً) [٦] ، وقوله تعالى (وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) [٧].

ومن إطلاق لفظ الكفر على الكفر الأصغر قوله تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [٨] ،ومن السنة حديث أبي هريرة τ عن النبي أنه قال : (لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر) [٩] .

---

(1) كما يظن بعض المخالفين من المرجئة وفرقها .
(2) أنظر : نواقض الإيمان ، ٤٥ .
(3) الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها، لابن القيم ،ص ٧٠ .
(4) أنظر : شرح قصيدة ابن القيم ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .ومعارج القبول ، ج ٢ ، ص٥٩٣ .وأصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ،ص ٨٤ . والتكفير وضوابطه ، للدكتور إبراهيم الرحيلي ، ص ٨٩ ، وما بعدها .
(5) أنظر : تعظيم قدر الصلاة ، للمروزي ، ج ٢ ، ص ٥٢٠ . ونواقض الإيمان ، ص ٤٦ .
(6) سورة الرعد ، آية : ٤٣ .
(7) سورة البقرة ، آية : ٢١٧ .
(8) سورة لقمان ، آية : ١٢ .
(9) رواه البخاري في الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه ، برقم ٦٢٧٠ . ومسلم في الإيمان ،باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ، برقم ٩٤ .

وقد نقل ابن حجر عن بعض العلماء أنه قال : " وليس المراد بالكفر حقيقة الكفر التي يخلد صاحبها في النار " . [١] ،وهكذا فهم أهل العلم وصرحوا .

- **المقدمة الثالثة : اجتماع الإيمان والكفر :**

إذا ثبت أن للكفر شعباً متعددة ، وأن له مراتب ،فمنه ما يخرج من الملة ، ومنه ما ليس كذلك ، فإنه قد يجتمع في العبد كفر ـ غير مخرج من الملة ،وإيمان ـ ،وهذا أصل عظيم عند أهل السنة ، ونصوص الكتاب والسنة والاجماع تدل على هذا الأصل .

إذاً لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد أن يصير كافراً الكفر المطلق ، حتى تقوم به حقيقة الكفر ، " كما أنه ليس كل من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير بها مؤمناً ، حتى يقوم به أصل الإيمان وحقيقته " [٢].

ففرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله (ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة) [٣] وبين كفر منكرّ في الإثبات ،وفرق أيضاً بين معنى الإسم المطلق إذا قيل كافر أو مؤمن وبين المعنى المطلق للاسم في جميع موارده كما في قوله (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) [٤]

- **المقدمة الرابعة : كفر المعين والمطلق :**

أهل السنة والجماعة يفرقون في التكفير بين العمل أو القول ، وبين العامل ، فهم لا يكفرون المعين إلا بعد أن تتحقق فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع .

لأن الكفر المطلق هو ما يكون فيه الوصف عاماً غير مختص ، كقولهم لمن تلبس بالكفر : من فعل كذا فهو كافر ،بينما المعيِّن هو تنزيل الحكم على شخص معيِّن ،وإلصاق مسمى الكفر عليه، والحق أنه لا يكفر إلا بعد أن تجتمع فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع " فحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ،ويقال : من قال كذا فهو كافر ،لكن الشخص المعين الذى قاله لا يحكم بكفره ،حتى تقوم عليه الحجة التى يكفر تاركه " [٥].

والمقصود هو أن التفريق بين التكفير المطلق والمعيَّن ، لأن هذا ما عليه كثير من المحققين من أئمة الإسلام ، إذ الأمر مرتبط بثبوت الكفر من عدمه ، وذلك على ما ذكروه من الشروط والموانع .[٦]

وفي هذا غلط من غلط وذلك بتكفير المعين بإطلاق دون النظر إلى الشروط والموانع ، وفريق آخر امتنع عن تكفير المعين بإطلاق فأغلق باب الردة .

---

(1) فتح الباري ، ج ١٢ ، ص ٥٥ .
(2) اقتضاء الصراط ، ج ١ ، ص ٧٠ .
(3)رواه النسائي في الصلاة ، باب الحكم في ترك الصلاة ، برقم ٤٦٠ . وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فيمن ترك الصلاة ، برقم ١٠٧٠ ، والدارمي في الصلاة ، باب في تارك الصلاة ، برقم ١٢٠٥ . قال الألباني : صحيح ،أنظر : سنن النسائي ، ج ١ ، ص ٢٣٢ . وصحيح ابن ماجة ، ج ١ ، ص ١٧٧ .قال حسين سليم أسد عن رواية الدارمي : إسناده صحيح . أنظر :سنن الدارمي ، ج ١ ، ص ٣٠٧ .
(4) رواه البخاري في العلم ، باب الإنصات للعلماء ، برقم ١١٨ . ومسلم في الإيمان ، باب بيان معنى قول النبي (لا ترجعوا ...) ،برقم ٩٨ .وانظر : اقتضاء الصراط ، ج ١ ، ص ٧٠ .
(5) مجموع الفتاوى ، ج ٢٣ ، ص ٣٤٥ .
(6) للاستزادة أنظر : منهاج السنة النبوية ، ج ٥ ، ص ٢٤٠ .

- **المقدمة الخامسة : مسألة التكفير :**

هذه المسألة مما يجب العناية بها ، إذ أن الكفر ولفظه مصطلح شرعي ، له مدلول معين الدلالة ، وعليه فلا بد من الاستناد فيه إلى الدليل الشرعي من الكتاب أوالسنة ، لأن الحكم بخلاف ذلك خطر عظيم على الأمة ، لما فيه من استباحة الدماء والأموال والأعراض ، "ولهذا يجب الاحتراز من تكفير المسلمين بالذنوب والخطايا ،فإنه أول بدعة ظهرت فى الإسلام فكفر أهلها المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم "[١] .

يقول شيخ الإسلام : " فإنه بسبب عدم ضبطه اضطربت الأمة اضطراباً كثيراً في تكفير أهل البدع والأهواء كما اضطربوا قديماً وحديثاً في سلب الإيمان عن أهل الفجور والكبائر وصار كثير من أهل البدع مثل الخوارج والروافض والقدرية والجهمية والممثلة يعتقدون اعتقاداً هو ضلال ،يرونه هو الحق ويرون كفر من خالفهم في ذلك فيصير فيهم شوب قوي من أهل الكتاب في كفرهم بالحق وظلمهم للخلق ولعل أكثر هؤلاء المكفرين يكفر المقالة التي لا تفهم حقيقتها ولا تعرف حجتها " [٢].

المبحث الأول
حكم الإساءة إلى الرسول

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : العقوبة حسب جسامة الإساءة .

المطلب الثاني : أنواع الإساءة ،وحكم كل نوع منها .

المطلب الثالث : حكم رسم صورة الرسول أو تمثيل خَلقِه .

المطلب الرابع : تقرير كفر المسيء إلى النبي ، وأنه يجب قتله .

---

(1)مجموع الفتاوى ، ج ١٣ ، ص ٣١ .
(2) المرجع السابق ، ج ١٢ ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

المطلب الأول

الإساءة حسب جسامة العقوبة [1]

شرع الله سبحانه وتعالى العقوبة لحِكَم عظيمة ، ومقاصد جليلة ، وهي إما لمقاصد عامة ،أو خاصة ، فمن المقاصد العامة لتشريع العقوبة ما يلي :

١ـ مقاصد ضرورية :

وهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا " بحيث إذا فقدت لم تجرِ مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج وفوت حياة ،وفي الأخرى فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين " [2] ،إذاً فالضروري هو ما تقوم عليه حياة الناس ولابد منه لاستقامة مصالحهم، فإذا ما فقد اختل نظام حياتهم .

والمقاصد الضرورية ترجع إلى خمسة أشياء : الدين ، النفس ، العقل ، النسل ، المال ، وقد شرعت العقوبات لحفظها ،وحفظها يكون بأمرين أحدهما ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها ،وذلك عبارة عن مراعتها من جانب الوجود ،والثاني ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها ،وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم .

٢ـ مقاصد حاجية :

وهي ما يحتاج إليها الناس للتيسير واحتمال مشاق التكليف ، وإذا فقدت لا يختل نظام حياتهم ،ولكن ينالهم الحرج والمشقة، و" لا يبلغ مبلغ الفساد العادي المتوقع في المصالح العامة " [3]فالأمور الحاجية بهذا المعنى تشمل كل ما يرفع الحرج، ويخفف مشاق التكليف، وييسر أمور حياتهم .

وهي جارية في العبادات والعادات والمعاملات والجنايات ،ففي العبادات كالرخص المخففة بالنسبة إلى لحوق المشقة بالمرض والسفر ،وفي العادات كإباحة الصيد والتمتع بالطيبات مما هو حلال ، كالمأكل والمشرب والمسكن ،وفي المعاملات كالقراض والمساقاة ،وفي الجنايات كالقسامة وضرب الدية على العاقلة وما أشبه ذلك .

٣ـ مقاصد تحسينية :

---

(1)العقوبة في اللغة : مصدر عاقب يعاقب عقوبة ، وهو الجزاء على الفعل السيىء ، والمعاقبة الأخذ بالشيء ، يقول الله تعالى (وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ) سورة النحل ، آية : ١٢٦ . أنظر : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٦١٩ .

وفي الاصطلاح : هي الجزاء المقرر على مخالفة الشرع ، لمصلحة الجماعة بانتهاك حق الله .

أنظر : التشريع الجنائي الإسلامي ،لعبد القادر عودة ، ج ٢ ، ص ١٦٦ . و التشريع الجنائي الإسلامي ، للحميد ، ص ٣٢

(2) الموافقات في أصول الفقه ،للشاطبي ، ج ٢ ، ص ٨ .

(3) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١١. وانظر : التشريع الجنائي الإسلامي ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .

" معناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق " [١]وإذا فقد لا يختل نظام حياتهم كما إذا فقد الأمر الضروري، ولا ينالهم حرج كما إذا فقد الأمر الحاجي، ولكن تكون حالهم مستنكرة في تقدير العقول الراجحة والفطر السليمة.

وهي جارية فيما جرى فيه الأول والثاني ،ففي العبادات كإزالة النجاسة ،وستر العورة وأخذ الزينة والتقرب بنوافل الخيرات وفي العادات كآداب الأكل والشرب ومجانبة الإسراف ،وفي المعاملات كالمنع من بيع النجاسات وفضل الماء ونحو ذلك .

وأما الخاصة ، فمن مقاصد التشريع للعقوبة ما يلي :

١- تأديب الجاني على جنايته ، وردعه عن العود ، وإصلاحه ، ولهذا فقد سمَّى الله تعالى العقوبة جزاءً ، وذلك في قوله تعالى (إِنَّمَا جَزَاء الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُواْ أَوْ يُصَلَّبُواْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) [٢] .

ثم وصفها بعد ذلك بالنكال ، فقال سبحانه (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [٣] ،فالألم الواقع على النفس والبدن إذا أعقب اللذة وما استمتعت به ،

كان مقابلاً لذلك ، وأن العقوبة كانت مقصودة ، فيحصل بها المقصود . [٤]

٢- زجر غير الجاني ممن قد تحدثه نفسه بالشر والاعتداء على غيره ، أو مخالفة أمر الشارع ، فالعقوبة في ذاتها مفسدة ، إلا أنها محمدة لما ينتج عنها من المصالح العامة ، يقول الله تعالى (وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِيْ الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [٥] ، فعندما تحدثه نفسه الأمَّارة بالسوء : أن أقدم على القتل ،أو السرقة ،فإذا ما رأى القاتل يقتل ، والسارق تقطع يده ،كفى شره وامتنع وانزجر .

يقول بعضهم : " أنها موانع قبل الفعل زواجر بعده ،أى العلم بشرعيتها يمنع الإقدام على الفعل ،وإقاعها بعد يمنع من العود إليه " .[٦]

قال العزبن عبد السلام رحمه الله : " وربما كانت أسباب المصالح مفاسد فيؤمر بها أو تباح لا لكونها مفاسد بل لكونها مؤدية إلى مصالح ، وذلك كقطع الأيدي المتآكلة حفظاً للأرواح ، وكالمخاطرة بالأرواح في الجهاد ، وكذلك العقوبات الشرعية كلها ليست مطلوبة لكونها مفاسد بل لكونها المقصودة من شرعها كقطع السارق وقطع الطريق وقتل الجناة ورجم الزناة وجلدهم وتغريبهم : وكذلك التعزيرات ، كل هذه مفاسد أوجبها الشرع لتحصيل ما رتب عليها من المصالح الحقيقة ، وتسميتها بالمصالح من مجاز تسمية السبب باسم المسبب " [٧] .

---

(1)الموافقات في أصول الفقه ، ج ٢ ، ص ١١. وانظر : التشريع الجنائي الإسلامي ، ج ١ ، ص ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(2) سورة المائدة ، آية : ٣٣ .
(3) سورة المائدة ، آية : ٣٨ .
(4) للاستزادة أنظر : المحصول في علم الأصول ، للرازي ، ج ١ ، ص ٤٦٧ .
(5) سورة البقرة ، آية : ١٧٩ .
(6) شرح فتح القدير ، للسيواسي ، ج ٥ ، ص ٢١٢ .
(7) قواعد الأحكام في مصالح الأنام ، ج ١ ، ص ١٨ .

٣ـ تطهير الجاني ، وتكفير ذنبه ،ذلك أن العقوبة يجتمع فيها الزجر والجبر ، فالزجر في ذات العقوبة وشدتها ، والجبر في تكفير ذنب الجاني .

ففي الصحيح عن عبادة بن الصامت τ قال بايعت في رهط فقال : (أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئاً ،ولا تسرقوا ،ولا تزنوا ،ولا تقتلوا أولادكم ،ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم
وأرجلكم ،ولا تعصوني في معروف ،فمن وفى منكم فأجره على الله ،ومن أصاب من ذلك شيئاً فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطُهْور ،ومن ستره الله فذلك إلى الله ،إن شاء عذبه ،وإن شاء غفر له) [١]

قال أبو عبد الله البخاري رحمه الله ـ معلقاً على الحديث بعدما ساقه ـ : " إذا تاب السارق بعد ما قطع يده قبلت شهادته ،وكل محدود كذلك ،إذا تاب قُبلت شهادته " [٢] .

فالذي أقيم عليه الحد وصف بالتطهر فإذا انضم إلى ذلك أنه تاب فإنه يعود إلى ما كان عليه قبل ذلك فتضمَّن ذلك قبول شهادته .[٣]

إذاً فالعقوبة إنما شرعت لتكون رحمة بالعباد ، ومصلحة لشؤونهم ، ومقوِّمة لأخلاقهم وسلوكهم ، ومطهرة لمن قارف الذنب الموجب ، (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) [٤] .

- **أقسام العقوبة [٥]حسب شدتها وجسامتها :**

تنقسم العقوبة حسب هذا الاعتبار إلى ثلاثة أقسام ، وهي :

القسم الأول : عقوبات الحدود [٦]: وهي العقوبات المقررة على جرائم الحدود ،والحد هو العقوبة المقدرة الواجبة حقاً لله تعالى .

وهي سبع جرائم : الزنا [٧]، والقذف [٨]، وشُرب المسكر [٩]، والسرقة [١٠]، والحرابة [١]، والردة [٢]، والبغي [٣]. وهي لا تسقط بأي حال .

---

(1) رواه البخاري في الحدود ، باب توبة السارق ، برقم ٦٣٠٣ .، واللفظ له .ومسلم في الحدود ، باب الحدود كفارات لأصحابها ، برقم ٣٢٢٣ .

(2) أفاد بهذا الإمام البخاري بعد أن ساق الحديث السابق .

(3) أنظر : فتح الباري ، ج ١٢ ، ص ١٠٩ . و عمدة القاري ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(4) سورة النحل ، آية : ٧ .

(5) للعقوبة أقسام عدة ، تبعاً لاعتبارات مختلفة ، وللاستزادة ، أنظر : التشريع الجنائي الإسلامي ، لعودة ، ج ١ ، ٨٧ ـ ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٩١ .

(6)الحد في اللغة : عبارة عن المنع ،ومنه سمي البواب حداداً لمنعه الناس عن الدخول . لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٤٠ .و انظر : بدائع الصنائع ، ج ٥ ، ص ٤٨٦ . والإقناع ، ج ٤ ، ص ٢٤٤ .

(7) الزنا : وهو وطئ المرأة في قبلها أودبرها وطأً خالياً من الملك أوالشبهة . أنظر : منار السبيل ، ج ٢ ، ص ٢٥٠ . والإنصاف ، ج ٨ ، ص ١١٦ . ومعجم لغة الفقهاء ، ص ٢٣٤ .

(8) القذف : وهو رمي الشئ بقوة ، وفي الشرع : الرمي بالزنا صراحة أو ضمناً .أنظر : المغني ، ج ١٠ ، ص ١٩٢ . ومعجم لغة الفقهاء ، ص ٣٥٩ .

(9) المسكر : وهو اسم فاعل أسكر الشراب فهو مسكر ،وهو اختلاف العقل قليله وكثيره ،إذا جعل شاربه سكران فاقداً للتمييز بين الاشياء . شرح منتهى الإرادات ج ، ٣ ، ص ٣٦٠ .وانظر :معجم لغة الفقهاء ، ص ٤٢٩ .

(10) السرقة : وهي أخذ ما هو مملوك للغير خفية، والسرقة الموجبة للقطع هي أخذ المكلف نصاباً خالياً من الملك وشبهته من حرز خفية . معجم لغة الفقهاء ، ص ٢٤٣ .

القسم الثاني : عقوبات القصاص والدية : وهي ما يتصل بالنفس وما دونها ، ويعاقب عليها بالقصاص أو الدية ، وعقوبة كل منهما مقدرة (٤).

القسم الثالث : عقوبات التعزير(٥) : وهي العقوبات التأديبية المقررة على كل مخالفة غير مقدرة ، وليست من الحدود ، ولا من القصاص والدية .

وقد نصت الشريعة على بعضها ، وتركت لأولي الأمر النص على بعضها الآخر، وهو القسم الأكبر من جرائم التعازير، ولكن الشريعة لم تترك لأولي الأمر الحرية في النص على هذه الجرائم ،بل أوجبت أن يكون التحريم حسب ما تقتضيه المصلحة ، وأن لا يكون مخالفاً للنصوص الشرعية والإجماع .

إذاً تكون العقوبات بالتعزير نوعان :

الأول : عقوبات الحدود أوالقصاص العمدي ، إذا لم تتوفر فيها شروط إيقاع عقوبة الحد أو القصاص ، مثاله : السرقة من غير حرز ،أو السرقة فيما دون النصاب .

الثاني : العقوبات التي لا حد فيها ولا قصاص ،وهي الأكثر ، كالمعاصي التي لا حد فيها ولا كفارة ، ومثاله : كالغش في المعاملة ، وشهادة الزور ، وهذه لم تشرع فيها عقوبة مقدرة ، فيُعزر على قدر ذنبه ، وما يراه الإمام العادل رادعاً .

- **الردة (٦):**

يمكن تقسيم الردة إلى نوعين (٧) ، وهما :

النوع الأول : الردة المجردة : وهي التي لم يَضُمّ إليها المرتد أموراً أخرى تغلّظها ، ولا خلاف بين جمهور العلماء في مشروعية استتابة هذا النوع من الردة ، والخلاف بينهم في

---

(1) الحرابة: من حارب محاربة وحرابة: قطع الطريق وإشهار السلاح خارج المصر ،وقال البعض تتحقق الحرابة داخل المصر ، قالوا : وقطع الطريق إنما يكون في الصحراء و لأن المصر يلحق فيه الغوث غالباً فتذهب شوكتهم و يكونون مختلسين . أنظر : المغني ، ج ١٠ ، ص ٢٩٨ . والشرح الكبير ، ج ١٠ ، ص ٢٩٨ . والكافي في فقه ابن حنبل ، ج ٤ ، ص ٦٧ . ومعجم لغة الفقهاء ، ص ١٧٧ .

(2) سيأتي بيانها فيما يلي ـ بمشيئة الله ـ .

(3) أهل البغي: المسلمون الخارجون على الإمام ،متأولين إذا كانت لهم شوكة . معجم لغة الفقهاء ، ص ٩٥ .

(4) وهي خمس: القتل العمد ،والقتل شبه العمد ،والقتل الخطأ ،والجناية على ما دون النفس عمداً ، والجناية على ما دون النفس خطأ ، ومعنى الجناية على ما دون النفس: الاعتداء الذي لا يؤدي للموت كالجرح والضرب . أنظر : التشريع الجنائي الإسلامي ، ج ١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(5) التعزير لغة : هو المنع ، والتعزير التوقيف على الفرائض والأحكام ،وأصل التعزير التأديب ولهذا يسمى الضرب دون الحد تعزيراً ، ويطلق على النصرة والتأييد . لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٥٦١ .

(6) الردة : في اللغة : الرجوع عن الشيء إلى غيره ، يقال : ارتد الشخص رد نفسه إلى الكفر والإسم الردة ، وهي تختص بالكفر والارتداد فيه ، وهي أفحش الكفر وأغلظه حكما محبطة للعمل إن اتصلت بالموت ، وتكون بالقول ، والفعل ، والاعتقاد ، والشك ،قال بعضهم وفي الترك ، أنظر : مغني المحتاج ، ج ٤ ، ص ١٣٣ . والتعاريف ، ص ٣٦١، ٣٦٢ .و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، ج ٣ ، ص ٣٨٢ . وغيرها .وموسوعة نضرة النعيم ، ج ١٠ ، ص ٤٥٣٣ .وفي الاصطلاح : يقول الكاساني : الردة : " إجراء كلمة الكفر على اللسان بعد وجود الإيمان إذ الردة عبارة عن الرجوع عن الإيمان " . بدائع الصنائع ، ج ٦ ، ص ١١٧ .وقال الصاوي :
الردة : " كفر مسلم بصريح من القول ، أو قول يقتضي الكفر ، أو فعل يتضمن الكفر " . حاشية الصاوي على الشرح الصغير ، ج ١٠ ، ص ٢١٥ . قال الشربيني : الردة هي : " قطع الإسلام بنية ، أو قول ، أو فعل ، سواء قاله استهزاءً ، أو عناداً أو اعتقاداً " مغني المحتاج ، ج ٤ ، ص ١٣٣. وقال صاحب الروض : المرتد هو " الذى يكفر بعد إسلامه طوعاً ولو مميزاً أو هازلاً بنطق أو اعتقاد أو شك أو فعل " . الروض المربع ، ج ١ ، ص ٦٨١ . وانظر : الشرح الكبير ، ج ، ١٠ ، ص ٧٢ .

(7) أنظر : مقدمة الصارم ، ج ١ ، ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،و ج ٣ ، ص ٦٩٦ .

حكم الاستتابة فقط ، هل هي واجبة أم مستحبة ؟ ويؤجَّل المرتد ثلاثة أيام بعد الاستتابة ، فإن تاب خلالها قُبلت توبته ، وإذا لم يتب قُتل .[١]

النوع الثاني : الردة المغلظة : هي التي ضَمَّ إليها المرتد ما يُغلِّظها ، وذلك مثل : من ارتدَّ وقتل المسلم وأخذ المال ، أو ارتدَّ وأساء إلى الرسول بالسب وقتل المسلم ، أو ارتدَّ وطعن على الرسول وافترى عليه .

وفي هذا النوع يجب قتل المرتد ، ولم يأتي نص ولا إجماع بسقوط القتل عنه ، بل أدلة الكتاب والسنة قد فرقت بين النوعين من الردة ، ففي الأول تقبل التوبة ،وفي الثاني لا تقبل .

فتلخص من هذا أن المرتد إذا لم يتب في النوع الثاني (الردة المغلظة) يقتل على كل حال ، فإذا تاب فالتوبة لا تدرأ عنه العقوبة في الدنيا ، وأما في الآخرة فتنفعه التوبة إن صدق فيها .

وأما قياس هذا النوع من الردة على النوع الأول (الردة المجردة) فلا يجوز لوجود الفارق بين المقيس والمقيس عليه ، وسب الرسول والإساءة إليه من هذا النوع من الردة ، فلا تسقط العقوبة في الدنيا بالتوبة ، ذلك أن الساب قد ضمَّ إلى ردته جناية السب فغلَّظها ، فلا تنطبق عليه الأدلة التي نطقت بقبول توبة المرتد .

وهكذا بالنسبة للكافر المعاهد [٢]، إذا نقض العهد يكون على نوعين :

النوع الأول : النقض المجرد : هو المعاهد الذي لم يضم إلى نقض عهده أشياء تغلِّظها ، وفي هذا النوع إذا أسلم فقد عصم دمه ، لأن الله تعالى يقول في بعض من نقض العهد (ثُمَّ يَتُوبُ اللّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاء وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [٣]،وكذلك الرسول كان يقبل توبة من نقض العهد من المعاهدين ، مثل بني بكر الذين نقضوا العهد ، واعتدوا على خزاعة فقتلوهم [٤]، فهؤلاء لما أسلموا قَبِلَ الرسول إسلامهم ، وفي هذا دليل على أن مجرد الإسلام يعصم الدم .[٥]

النوع الثاني : النقض المغلظ : وهو الذي ضمَّ إلى نقضه للعهد ما يضر المسلمين في دينهم أو دنياهم ، مثل : قطع الطريق ، أو الزنى بمسلمة ، فإسلامه لا يسقط عنه هذه الحدود ، بل تستوفى منه بعد إسلامه ، ومثله من من نقض العهد وسب الرسول وأساء إليه من المعاهدين ، فإنه غلَّظ نقضه بما يضر المسلمين في دينهم ودنياهم ، ولذا فإن عقوبته القتل ، فلا يسقط بإسلامه .[٦]

ولما كان هذا متعذراً على المسلمين اليوم لعدة أسباب ،منها ضعفهم وتفرقهم أنْ ينالوا من أعدائهم المستهزئين برسله، ومنها تسلط أعدائهم عليهم : كان الواجب على كُلِّ مسلم في هذا

---

(1) ويرى بعضهم أنه يقتل ولا يستتاب ، وذهب شيخ الإسلام إلى مذهب الجمهور ،أنظر : الصارم ، ج ٣ ، ص ٥٨٠ ـ ٥٩٢ .وللاستزادة أنظر : المبسوط ، ج ٦ ، ص ١٣٦ . والمغني ، ج ٢ ، ص ٢٩٧ . والشرح الكبير ، ج ١٠ ، ص ٧٦ .

(2) المعاهد هو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه ويدل على ذلك قوله تعالى (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ) سورة التوبة ، آية : ٦ .أنظر : نيل الأوطار ، ج ٧ ، ص ٩٦ .

(3)سورة التوبة ، آية : ٢٧ .

(4) وأصل القصة عند أحمد في المسند ، برقم ٦٣٩٤ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن ،ولبعضه شواهد يصح بها . أنظر : المسند ، ج ٢ ، ص ١٧٩ .

(5) أنظر : الصارم ، ج ٣ ، ص ٨١١ ، ٨١٢ .

(6) أنظر : المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٨١٥ ، ٨١٦ .

بقدره وبحسبه، إعذاراً إلى الله وبراءةً منهم إليه، كما قال سبحانه (لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) [(١)]، وقال سبحانه (فَاتَّقُوْا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) [(٢)]، إنكارُ هذا المنكر العظيم، كُلٌّ بما خَوَّلَهُ الله وولّاهُ، فيجب على ولاة أمور المسلمين أموراً كثيرة منها ،قَطْعُ صِلَتِهم بتلك الدول المُحادَّة .

وعلى عموم المسلمين أموراً أخرى ، منها الاستجابة للمقاطعة ،ليذوق المعتدي وبال أمره ، عندما تضغط الشركات المتضررة منها على حكومتها ،ومن أساء إلى رسولنا ،فيقلعوا عن إساءتهم ،قال تعالى : (لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[(٣)] ،وقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ) [(٤)].

وحول هذا يُقعِّد شيخ الإسلام قاعدة جليلة ،فيقول : " فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف ،أوفي وقت هو فيه مستضعف ،فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو [(٥)]عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين ،وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر[(٦)] الذين يطعنون في الدين و بآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " . [(٧)]

المطلب الثاني

أنواع الإساءة وحكم كل نوع منها

تنقسم الإساءة إلى النبي إلى نوعين :

- **النوع الأول : الدعاء [(٨)] :**

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٢٨٦ .
(2) سورة التغابن ، آية : ١٦ .
(3) سورة المجادلة ، آية ٢٢ .
(4) سورة الممتحنة ، آية : ١ .
(5)وذلك كمثل قوله تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .وقوله تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) سورة المائدة ، آية : ١٣ .
(6)وذلك كمثل قوله تعالى (فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الحُرُمُ فَاقْتُلُواْ المُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) سورة التوبة ، آية : ٥ . وقوله تعالى (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) سورة التوبة ، آية : ٢٩ .
(7) الصارم ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ـ ٤١٤ .
(8) الدعاء : وهو الطلب ، وله إطلاقات أخرى ، وفي الشرع : قول يطلب به الإنسان إثبات حق على الغير .أنظر : التعريفات ، ص ١٣٩ .ومعجم لغة الفقهاء ، ص ٦١ .

ومثاله أن يقول قائل : لعنه الله [١]،أو قبحه الله ،أو لا رحمه الله ،وكذلك لو قال عنه : لا صلى الله عليه أو لا سلم ،أو لا رفع الله ذكره ،ونحو ذلك من الدعاء عليه بما فيه سب له ،أوضرر عليه في الدنيا أو في الدين أو في الآخرة .

فهذا كله إذا صدر من مسلم أو معاهد فهو سب ،فأما المسلم فيقتل به بكل حال ،وأما الذمي[٢] فيقتل بذلك إذا أظهره .

وإذا عرَّض الذمي بسب النبي ولم يصرح ،كأن يقول : السام عليكم ،وأظهر أنه يقول : السلام ،ففيه قولان :

القول الأول : أنه من السب الذي يُقتل به ،و إنما كان عفو النبي عن اليهود الذين حيوه بذلك حال ضعف الإسلام بالبقاء عليه لما كان مأموراً بالعفو عنهم والصبر على أذاهم .

قال ابن حزم : " إن قالوا لنا : السام عليكم أو قالوا الموت عليكم لقلنا لهم صدقتم ولا خفاء في هذا، وكذلك لو خاصمونا في حق يدعونه فرفعوا أصواتهم علينا ما كان في ذلك نكرة ،وهو لرسول الله من أهل الاسلام وغيرهم كفر ونقض للذمة " . [٣]

القول الثاني : أنه ليس من السب الذي ينتقض به العهد ،لأنهم لم يظهروا السب ولم يجهروا به ،إنما أظهروا التحية والسلام لفظاً وحالاً ،وحذفوا اللام حذفاً خفياً يفطن له بعض السامعين و قد لا يفطن له الأكثرون .

وقد بوَّب البخاري في صحيحه في استتابة المرتدين (باب إذا عرَّض الذمي وغيره بسب النبي ولم يصرح نحو قوله السام عليكم) ،وأورد فيه حديث أنس τ قال : مر يهودي برسول الله فقال : السام عليك ، فقال رسول الله : (وعليك) ،ثم قال : (أتدرون ماذا يقول ؟ قال السام عليك) قالوا يا رسول الله : ألا نقتله ؟، قال : (لا ، إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم) .[٤]

فقوله : السام عليكم لو كان هذا من السب لوجب أن تشرع له عقوبة في الحال ،فلما لم يشرع ذلك علم أنه لا يجوز مؤاخذتهم به ،وقد أخبر الله عنهم بقوله تعالى (وَإِذَا جَاؤُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [٥] ،فجعل عذاب الآخرة حسبهم يدل على أنه لم يشرع على ذلك عذاباً في الدنيا ،وهذا

(1) إن مجرد ذكر الأمثلة على أنواع الإساءة إلى النبي مما يؤذي النفس ، ويثقل على القلب واللسان ، كما مر معنا في استعراض صور الإساءة إلى النبي في المبحث الأول والثاني من الفصل الثاني ،قال شيخ الإسلام : " ونحن نتعاظم أن نتفوه بذلك ذاكرين ،لكن للاحتياج إلى الكلام في حكم ذلك نحن نفرض الكلام في أنواع السب مطلقاً من غير تعيين " . أنظر : الصارم ، ج ٣ ، ص ١٠٠٥ ـ ١٠١٢ . وقد قسم بعضهم الإساءة إلى أربعة أقسام ، وأدرجوا تحت كل قسم أنواعة كثير جداً، فقالوا: الأول : الإساءة القاصرة ، كالتهاون بالصلاة . والثاني : الإساءة القولية والفعلية ، وفيها أدرجوا الإساءة إلى النبي ، بأذيته وسوء الأدب عليه .والثالث : الإساءة الفعلية ، مثل هجر المسلم . والرابع : الإساءة القولية ، كسب الصحابة ψ . أنظر : موسوعة نضرة النعيم ، ج ٩ ، ص ٣٨٣٨ ـ ٣٨٤١ .

(2) الذمي: الذمة لغة العهد لأن نقضه يوجب الذم ،ومنهم من جعلها وصفاً فعرفها بأنها : وصف يصير الشخص به أهلاً للإيجاب له وعليه ،ومنهم من جعلها ذاتاً فعرفها بأنها : نفس لها عهد فإن الإنسان ،يولد وله ذمة صالحة للوجوب له وعليه عند جميع الفقهاء ،بخلاف سائر الحيوانات .التعريفات ،١٤٣ . وانظر : التعاريف ، ص ٣٥٠ .ومعجم لغة الفقهاء ، ص ٢١٤ .

(3) المحلى ، ج ١١ ، ص ٤١٨ .

(4) في الاستئذان ، باب كيف يرد على أهل الذمة السلام ، برقم ٥٧٨٧ . وانظر : طرح التثريب ، ج ٨ ، ص ٣٩٣ . والظاهر أن البخاري اختار هذا القول كما يبدو من الترجمة للباب ،وهو قول الثوري وأبو حنيفة ،و الطحاوي . وانظر : عمدة القاري ، ج ٢٤ ، ص ٨٢ .

(5) سورة المجادلة ، آية : ٨ .

لو أنهم قد قُرروا على ذلك لقالوا إنما قلنا : السلام ،فهم في هذا مثل المنافقين الذين يظهرون الإسلام و يعرفون في لحن القول و يعرفون بسيماهم فإنه لا يمكن عقوبتهم باللحن و السِّيما .

وموجبات العقوبات لابد أن تكون ظاهرة ،وإتيانه به على هذا الوجه غاية ما يكون من الكتمان والإخفاء ، ولا يمكن أن يعاقبوا على ما يسرونه و يخفونه من السب و غيره .[١]

- **النوع الثاني : الخبر[٢] :**

فكل ما عده الناس شتماً أو سباً أو نقضاً ،فإنه يجب به القتل ، فالكفر ليس مستلزماً للسب ، لأن الكافر قد لا يسب ،كمن يبغض شخصاً ويعتقد فيه السوء ولا يسبه ،وقد يضم إلى ذلك مسبةً ،وإن كانت المسبة مطابقة للمعتقد ،فليس كل ما يحتمل عقداً يحتمل قولاً ،ولا ما يحتمل أن يقال سراً يحتمل أن يقال جهراً ،والكلمة الواحدة تكون في حال سباً وفي حال ليست بسب .

فُعلم أن هذا يختلف باختلاف الأقوال والأحوال ،وإذا لم يكن للسب حد معروف في اللغة ولا في الشرع فالمرجع فيه إلى عرف الناس فما كان في العرف سباً للنبي فهو الذي يجب أن ننزل عليه كلام الصحابة والعلماء وما لا فلا ،ومن ذلك أقساماً ،فنقول : لا شك أن إظهار التنقص والاستهانه عند المسلمين سب كالتسمية باسم الحمار ،أو الكلب ،أو وصفه بالمسكنة ،والمهانة ،وأن عليه آثام الخلائق ونحو ذلك ،وكذلك إظهار التكذيب على وجه الطعن في المكذب ،مثل وصفه بأنه ساحر خادع محتال ،وأنه يضر من اتبعه وأن ما جاء به كله زور و باطل ونحو ذلك .

قال ابن القيم : " ولا ريب أن من أكثر من سب النبي أو نظم القصائد في سبه ،فإن جرمه أعظم من جرم من سبه بالكلمة الواحدة المنثورة ،بحيث يجب أن تكون إقامة الحد عليه أوكد والانتصار منه لرسول الله أوجب ،ولو كان المقل أهلاً أن يعفى عنه لم يكن هذا أهلاً لذلك ".[٣]

وأما من أخبر عن معتقده بغير طعن فيه ،مثل أن يقول : أنا لست متبعه ،أو لست مصدقة ،أو لا أحبه ونحو ذلك ،فإنما أخبر عن اعتقاد ،أو إرادة لم يتضمن انتقاصاً ،لأن عدم التصديق والمحبة قد يصدر عن الجهل والعناد والحسد والكبر وتقليد الأسلاف وإلْفِ الدين أكثر مما يصدر عن العلم بصفات النبي ،خلاف ما إذا قال من كان و من هو رأي كذا و كذا و نحو ذلك .

وإذا قال : لم يكن رسولاً و لا نبياً ولم ينزل عليه شيء ونحو ذلك ،فهو تكذيب صريح ،وكل تكذيب فقد تضمن نسبته إلى الكذب وصفه بأنه كذاب .

والكلام على أعيان الكلمات لا ينحصر ،وإن جماع ذلك أن ما يعرف الناس أنه سب فهو سب ، وقد يختلف ذلك باختلاف الأحوال والاصطلاحات والعادات وكيفية الكلام ونحو ذلك وما اشتبه فيه الأمر أُلحق بنظيره وشبهه .[٤]

وتلك الرسوم السيئة تدخل في كلا النوعين ، فتدخل في الدعاء ،من وجه التعليق على الصور بكلام قبيح يقصد به الفاعل الإضرار بالنبي ، وتدخل في الخبر من وجه تضمنه

---

(1)وقد ضعف شيخ الإسلام هذا القول فقال : " فإن الدعاء على الرسول و المؤمنين بالموت وترك الدين من أبلغ السب ،كما أن الدعاء بالحياة والعافية والصحة والثبات على الدين ،من أبلغ الكرامة " أنظر: الصارم ، ج ٣ ، ص ١٠٠٨ .

(2) الخبر بالتحريك واحد الأخبار ،والخبر ما أتاك من نبإ عمن تستخبر ، والخبر النبأ والجمع أخبار .أنظر: لسان العرب ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .ومعجم لغة الفقهاء ص ١٩٢ .

(3) أحكام أهل الذمة ، ج ٣ ، ص ١٤٤٣ .

(4) أنظر الصارم ، ج ٣ ، ص ١٠٠٩ ـ ١٠١٢ ، بتصرف .

للرسم الكاذب المخالف لواقع النبي ، ولأن ذلك مما عدَّه الناس سبَّاً وإساءة إلى النبي ، فينطبق عليه كلام السلف والأئمة في حكم ساب للنبي الذي أظهر التنقص والاستهانة به .

المطلب الثالث

حكم رسم صورة الرسول أو تمثيل خَلَقِه [١]

هذه المسألة من حيث أصلها ليست نازلة مستجدة من كل الوجوه ، لتقادم العهد بوجود وقائع لها ، إذ هي موجودة منذ أمد بعيد [٢]، فقد وجدت عند قدماء المصريين واليونانيين والصينيين ،ثم بعد ذلك عرفها الفراعنة ،ومن ثم انتقلت منذ أوائل القرن العاشر الهجري إلى أوروبا وفي ألمانيا تحديداً ، فكان أصل استخدامها لخدمة أغراض دينية ضالة ،حيث نشأت في عصر الثورة الغاشمة على كل ما يمت إلى الإله بصلة ، وفي وقت بذور الإلحاد والكفر بما رواء المحسوس ، وذلك بعد الصراعات المريرة بين رجال الكنسية ودعاة حرية الفكر ، والتي انتهت بكنس الكنيسة من حياة الناس ، فشاع الإلحاد باسم الحرية ، فتردَّت أوروبا نحو الهاوية ، وهكذا كانت أوروبا إبان نشوء الرسوم الكاريكاتورية الساخرة [٣]، إلى أن انتشرت في العالم بعد القرن الثالث الهجري بانتشار الصحافة فيه . [٤]

لكن الاصطلاح الحديث للرسم الذي صيَّره فنَّاً له أهله ، ورواده ، ومدارسه ، حتى أصبح ظاهرة معروفة في هذه الأزمنة ، جعله نازلة عصرية على الساحة الإسلامية ، فالناس لم يعرفوه ، والعلماء لم يذكروه ، ولذا لو قلَّبت كتب أهل العلم لعزَّ عليك أن تجد من يتحدث عن حكمه ،أو يذكر عيبه ، إذاً فما هو ، وما الأصل فيه ؟

---

(1) (الرسم) الأثر ،وقيل بقية الأثر ،وقيل هو ما ليس له شخص من الآثار ،وقيل هو ما لصق بالأرض منها ،ورسم الدار ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض ،والراسم الماء الجاري وناقة رسوم تؤثر في الأرض من شدة الوطء ورسمت الناقة ترسم رسيماً أثرت في الأرض من شدة وطئها .أنظر : لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ٢٤١ . ومختار الصحاح ، ص ١١٩ . وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة ،وقوله مثَّل له الشيء صوره حتى كأنه ينظر إليه ،وامتثله هو تصوره ،وقيل هو من المثلة والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله ، سواء كان المقصود منه التحسين أو التقبيح أو المطابقة .والحاصل من هذا أن الرسم نوع من التصوير . أنظر : العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ج ١ ، ص ٢٨ ، ١٤٥ ، ج ٢ ، ص١٦٣ .والمحيط في اللغة ، للصاحب بن عباد ، ج ٢ ، ص٢٦٠ ، ٤١٣ .والصحاح في اللغة ، للجوهري ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .والمقامات ، للزمخشري ، ص ٣٢ .وتاريخ النقد الأدبي عند العرب ، لإحسان عباس ، ص ٥٢٣ .

(التصوير) الصورة، بالضم الشكل ، وجمعها صور ، كعنب، وقد صوره فتصور ، وصوّره تصويراً فتصور ، والتصاوير التماثيل ،وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة . أنظر : القاموس المحيط ، ص ١٧٨ ، ٤٤٨ .

(التمثيل) مثل كلمة تسوية يقال هذا مثله ومثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى ،وماثل الشيء شابهه والتمثال الصورة والجمع التماثيل ومثل له الشيء صوره حتى كأنه ينظر إليه وامتثله هو تصوره ،ومنه الحديث (لا تمثلوا بنامية الله) أي لا تشبهوا بخلقه وتصوروا مثل تصويره وقيل هو من المثلة والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله وجمعه التماثيل وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا قدرته على قدره ويكون تمثيل الشيء بالشيء تشبيها به . لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٦١٠ . وانظر : التمثيل حقيقته ، تاريخه ، حُكمه ، للدكتور بكر أبو زيد ، وما ذكر فيه من الفتاوى والإجماع على حرمة تمثيل الرسول .

(2) أنظر: طرفاً من ذلك في المبحث الثاني من الفصل الثاني ، تحت عنوان : تصوير ورسم الرسول عبر التاريخ .

(3) للاستزادة أنظر: الرسوم الساخرة في الصحافة ، ص ٧٥ ـ ٧٨ .

(4)أنظر : الموسوعة الإعلامية ، ص ٢٠٠٣ .وتعريف الرسوم الكاريكاتورية ، ضمن مصطلحات الدراسة في الفصل التمهيدي ، ص ٣٠ ـ ٣٢ .

من نافلة القول أن أُذكِّرَ بأن الحديث عن ذِكرِ صفات النبي الخَلْقية ، من طول قامته ، وكثافة لحيته ولون بشرته الطاهر أو غير ذلك ، أوذكره من خلال مغازية وجهاده ودعوته أو غير ذلك ،هو مما كثر ذكره في السنة والسيرة ، فهذا محمود ، لكن محاولة تمثيل هذه الصفات أو تشبيهها على هيئة مرسومة باليد أو بغيرها أمر لا يمكن ، كما سيتبين ذلك من خلال الأمور التالية :

أولاً : إذا كان (الرسم الكاريكاتوري) نوع من أنواع التصوير ، بل هو من أشنعها ،بعد صورة المجسَّم والمنقوش والمنحوت .

وإذا تقرر هذا فإن الأصل في حكم التصويروتمثيل الخِلقَة مما له روح [1] كالإنسان أنه محرم ، سواء كان ذلك الفعل على هيئة مرسومة ،أو مصوَّرة،أو مجسَّمة ، أومنقوشة أو منحوتة باليد أو بالآلة،وأن بعض هذه الأنواع أشد من بعض .

وإليك طرفاً من الأحاديث التي تدل على عموم تحريم التصوير :

أ - عن مسلم قال كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير فرأى في صُفّته تماثيل فقال سمعت عبد الله τ قال سمعت النبي يقول : (إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون) .[2]

ب - عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه τ قال : (لعن النبي الواشمة والمستوشمة وآكل الربا وموكله ونهى عن ثمن الكلب وكسب البغي ولعن المصورين) .[3]

ج - عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة τ في دار مروان فرأى فيها تصاوير ،فقال : سمعت رسول الله يقول : (قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي ،فليخلقوا ذرة ،أو ليخلقوا حبة ،أو ليخلقوا شعيرة) [4].

د - عن سعيد بن أبي الحسن قال كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال يا أبا عباس إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي وإني أصنع هذه التصاوير ،فقال ابن عباس لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله يقول سمعته يقول : (من صور صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح ،وليس بنافخ فيها أبداً) ، فربَا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه ،فقال : ويحك إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر ،كل شيء ليس فيه روح .[5]

---

(1) أنظر كلام أهل العلم في هذه المسألة والخلاف فيها : شرح معاني الآثار ، ج ٥ ، ص ٤٢٠ - ٤٢٣ .

(2) متفق عليه ، فقد رواه البخاري في اللباس ، باب عذاب المصورين يوم القيامة ، برقم ٥٤٩٤ . ومسلم في اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير الحيوان ، برقم ٣٩٤٣ .

(3) رواه البخاري ، في الطلاق ، باب مهر البغي والنكاح الفاسد ، برقم ٤٩٢٨ . وجاء من طريق آخر عند البخاري بلفظ : (ولعن المصور) في البيوع ، باب موكل الربا ، برقم ١٩٤٤ .

(4) متفق عليه ، وجاء من طريق جرير عن عمارة عن أبي زرعة قال دخلت أنا وأبو هريرة داراً تبنى بالمدينة لسعيد أو لمروان قال فرأى مصوراً يصور في الدار فقال قال رسول الله بمثله ،ولم يذكر (أو ليخلقوا شعيرة).رواه البخاري في اللباس ، باب نقض الصور ، برقم ٥٤٩٧ . ومسلم في اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، برقم ٣٩٤٧ .

(5)رواه البخاري في البيوع ، باب بيع التصاوير التي ليس فيها روح وما يكره ، برقم ٢٠٧٣ . ومسلم في اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، برقم ٣٩٤٦ .

هـ - عن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيها تماثيل فلما رآه رسول الله هتكه ، وقال : (أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله) قالت : فجعلناه وسادة أو وسادتين . (١)

و - عن أبي الهياج الأسدي قال قال لي علي بن أبي طالب τ ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله (أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ،ولا قبراً مشرِّفاً إلا سويته) ،وفي رواية : (ولا صورة إلا طمستها) . (٢)

قال ابن العربي : " حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرم با لإجماع " (٣). وبهذا يُعلم أن تصوير ما له روح حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بالوعيد الشديد المذكور في النصوص السالفة الذكر ،وسواء صنعه لما يمتهن أو لغيره فصنعته حرام بكل حال لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى . (٤)

أما أدلة تحريم تصوير الأنبياء على الخصوص ، فمنها ما يلي :

أ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن رسول الله لما قدم أبىَ أن يدخل البيت وفيه الآلهة ،فأمر بها فأُخرجت ،فأخرجوا صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما الأزلام (٥)، فقال رسول الله : (قاتلهم الله ،أما والله لقد علموا أنهما لم يستقسما (٦)بها قط ،فدخل البيت فكبر في نواحيه ولم يصل فيه) . (٧)

ب - عن جابر τ قال كان في الكعبة صور فأمر النبي عمر بن الخطاب τ أن يمحوها فبَلَّ عمر ثوباً ومحاها به فدخلها رسول الله وما فيها منها شيء) . (٨)

ففي الحديث الأول لم يدخل الرسول البيت لوجود هذه الآلهة الباطلة ، ثم إنه دعى على أهل الجاهلية الذين وضعوا تلك التماثيل ولعنهم ، إذ كيف يدَّعون على إبراهيم υ كذباً

---

(1) رواه البخاري في اللباس ، باب ما وطيء من التصاوير ، برقم ٥٤٩٨ . ومسلم في اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ، برقم ٥٤٩٨ .

(2) رواه مسلم في الجنائز ، باب الأمر بتسوية القبر ، برقم ١٦٠٩ .

(3) عون المعبود ، ج ١١ ، ص ١٤١ .

(4) للاستزادة أنظر : نيل الأوطار ، للشوكاني ٢ ، ص ٩٧ .

(5) الأزلام :جمع زلم ،وهي السهام التي كانوا يستقسمون بها الخير والشر وتسمى القداح المكتوب عليها الأمر والنهي إفعل ولا تفعل ، فكان الرجل منهم يضعها في وعاء له وإذا أراد سفراً أو زواجاً أو أمراً مهما أدخل يده فأخرج منها زلماً فإن خرج الأمر مضى لشأنه وإن خرج النهي كف عنه ، وقال ابن الأثير : كان على بعضها مكتوب أمرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي وعلى الآخر غفل فإن خرج أمرني ربي مضى لشأنه وإن خرج نهاني أمسك وإن خرج الغفل أعاد حالها وضرب بها أخرى إلى أن يخرج الأمر أو النهي . أنظر: عمدة القاري ، ج ١٧ ، ص ٢٨٣ .

(6) الاستسقام :وهو طلب القسم الذي قُسم له وقُدر ،وهو استفعال منه، كانوا يفعلون بالأزلام ، المرجع السابق ، ج ١٧ ، ص ٢٨٣ .

(7)رواه البخاري في الحج ، باب من كبر في نواحي الكعبة ، برقم ١٤٩٨ . وهو في كتاب الأنبياء ،برقم ٣١٠٢ ، بلفظ : دخل النبي البيت فوجد فيه صورة إبراهيم وصورة مريم فقال : (أما هم فقد سمعوا أن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة هذا إبراهيم مصور فما له يستقسم) ؟ . وهو لفظ أحمد أيضاً في المسند ، برقم ٢٣٧٨ . قال شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين، أنظر : المسند ، ج ١ ، ص ٢٧٧ . وقد وقع خلاف في مسألة : صلاة النبي عندما دخل البيت هل صلاها داخله أم خارجه ؟ ومتى كان دخوله ؟ وهل هي حادثة واحدة أم أكثر ؟ وقد أجاب عن ذلك الإمام ابن القيم في زاد المعاد ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

(8)رواه أحمد في المسند ، برقم ١٤٧٢٤ .قال شعيب الأرنؤوط : حديث صحيح وهذا إسناد حسن ، أنظر : المسند ، ج ٣ ، ص ٣٩٦ . وقال الألباني : صحيح ،أنظر : السلسلة الصحيحة ، ج ٨ ، ص ١٢٢ .

الشركَ بالله ، وهذا مستبعد عليه ، لأن الله عصمه [١] ، قال الله تعالى (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [٢] ، " ولكن هذه الأمة التي انغمست في الجهالة وصارت عقائدها غروراً ومن دون تدبر اعتقدت ما لا ينتظم مع الدليل واجتمعت في عقائدها المتناقضات " [٣] ، وفي الآخر أمر النبي عمر بن الخطاب τ أن يزيل تلك التصاوير ويمحوها ، وهو ما كان مدهوناً ،وأخرج ما كان مخروطاً ،فلما أزيلت دخل النبي الكعبة .

ثانياً : مما يدل على تحريم رسم صور النبي ما يفضي إليه الرسم من الشرك والغلو فيه، وهذا في حد ذاته كاف في المنع ، لأن " المكان الذي فيه صور مظنة الشرك ،فغالب كفر الأمم من جهة الصور " . [٤]

وعند قوله تعالى(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [٥]

قال بعض السلف : " كان هؤلاء قوماً صالحين في قوم نوح υ ،فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ،ثم صوروا تماثيلهم ،ثم طال عليهم الأمد ،فعبدوهم ،فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل " [٦] ، ولهذا جمع النبي بين القبور والصور [٧]،فالنبي محمد ونوح υ إنما أرسلا إلى قوم مشركين يعبدون الأصنام ، فتبين أن مبدأ الشرك بالصالحين هو تصويرهم والغلو فيهم ، ولو فُتح الباب لكان الغلو في الأنبياء أولى عند المشركين لمقام النبوة واصطفاء الرسالة بهم دون غيرهم من الصالحين ، كما هو الحال عند النصارى ، " فقد صوروا في كنائسهم صورمن يعظمون من الناس ، غير عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام ، فأخذوا يعبدون تلك الصور ويسألونها ويدعونها ويقربون لها القرابين وينذرون لها النذور ،ويقولون : هذه تذكرنا بأولئك الصالحين ،والشياطين تضلهم كما كانت تضل المشركين " . [٨]

ثالثاً : رسم صورة النبي ليس كرسم غيره ، لأنه مما يتنافي مع أصل الإيمان به ، وما له من التوقير والتعزير ، قال تعالى (لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) [٩]

---

(1) أنظر : عمدة القاري ، ج ٩ ، ص ٢٤٧ . ، ج ، ١٥، ص ٢٤٤ .

(2) سورة آل عمران ، آية ٦٧ .

(3)التحرير والتنوير ، ج ٢ ، ص ٤ .

(4) أنظر : فتح الباري ، ج ٨ ، ص ١٧ .

(5) سورة نوح ، آية : ٢٣ .

(6) إغاثة اللهفان ، ج ١ ، ص ١٨٤ . وانظر : فتح المجيد ، ص ٢١٢ . وتيسير العزيز الحميد ، ص ٢٦٩ . ومعارج القبول ، ٢ ، ص ٥١٤ . وإبطال التنديد لابن عتيق ، ص ٢١٣ . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد أما ،ود كانت لكلب بدومة الجندل وأما سواع كانت لهذيل وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجوف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت . رواه البخاري في تفسير القرآن ، باب قوله تعالى (وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) برقم ٤٥٣٩ .

(7) للاستزادة أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١٧ ، ص ٤٥٥ . ج ٢٧ ، ص ١٥٧ .

(8)للاستزادة أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ١٧ ، ص ٤٥٥ ـ ٤٥٧ . ج ٢٩ ، ص ٣٧٠ .

(9) سورة الفتح ، آية : ٩ .

ولهذا كان القيام بما له من الحقوق من لوازم الإيمان ، وصدق اليقين ،وكمال التسليم ، وعلى العكس من ذلك الخذلان ، الدال على ضعف الإيمان ،الذي ينافي كمال القيام بتعزيره وتوقيره ،أو زواله بالكلية.

رابعاً : في الرسم دلالة واضحة على الإساءة إليه بالتنقص ، والازدرا به واختقاره ،وهذا الأذى عين الكفر والضلال ، قال تعالى(مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ) [١] ، وقال سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [٢]وهو دليل على الاستهانة به والاستخفاف بحرمته ،فإن من وقر الإيمان به في قلبه فذلك موجب لإكرامه و إجلاله ،ولم يُتصور منه الإساءة إليه بالرسم وغيره ،ولهذا فقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن غير واحد من الأئمة الإجماع على كفر منتقصه ،قال محمد بن سحنون : " أجمع العلماء على أن شاتم النبي والمتنقص له كافر ،والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ،ومن شك في كفره وعذابه كفر " ، كما نص على ذلك الإمام أحمد فقال : " كل من شتم النبي أو تنقصه ـ مسلماً كان أو كافراً ـ فعليه القتل ،وأرى أن يقتل ولا يستتاب " . [٣]

وهذا الحكم يجري أيضاً على من آمن به ثم يسيء إليه ويتنقصه ،لأن إيمانه بينه وبين الله ،وأما في الظاهر فتجري الأحكام على ما يظهره من القول والفعل ،لأن الاستهزاء بالقلب والانتقاص ،ينافي الإيمان الذي في القلب منافاة الضد ضده ،والاستهزاء برسم صورته ينافي الإيمان الظاهر به ، ولأن الفعل الصادر عن القلب يوجب الكفر ظاهراً و باطناً . [٤]

خامساً : تصويره بالرسم كذب محض ، ففي الصحيح عنه أنه قال : (إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد ،من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [٥] ، وعادةً ما يُرفق مع الرسم تعليقات ، وسيقولون (قال) وما قال ، و(فعل) وما فعل ، وهكذا في أشكال وحركات وتصرفات هي محض افتراء ،وتقوّل عليه ، وهم حين يفعلون ذلك إنما يأتون زوراً وبهتاناً وإفكاً عظيماً ، واليوم يعود الكذب بمسلاخ آخر (الرسم) ، فبالأمس (الحديث الموضوع) واليوم (الرسم الكاريكاتوري) باسم تعليم السيرة النبوية للناشئة، وبعضهم جعله قربة ليحبب الإسلام إلى النفوس ؟

ثم كيف لإنسان أن يتخيل صورته ، فضلاً على أن يُجري قلمه فيرسمه ! ، وقد قال : (من رآني في المنام فقد رآني ،فإن الشيطان لا يتمثل بي) [٦] ، وهذا واضح الدلالة فى أن الشيطان لا يظهر فى صورة النبى عياناً أو مناماً ،صوناً من الله لرسوله وعصمة له، بعد أن عصم ذات ونفسه.

---

(1) سورة البقرة ،آية : ٩٨ .

(2) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ .

(3) الصارم المسلول ، ج ٢ ، ص ١٥ ، ١٦ . وانظر : الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(4) هذا مذهب الفقهاء و غيرهم من أهل السنة و الجماعة خلاف ما يقوله بعض الجهمية و المرجئة القائلين بأن الإيمان هو المعرفة والقول بلا عمل من أعمال القلب مع أنه ينافيه في الظاهر وقد يجامعه في الباطن . أنظر : الصارم المسلول ، ج ٣ ، ص ٧٠١ . وانظر : تعريف الإيمان في الفصل التمهيدي ، ص ٢٧ ـ ٣٠ .

(5) رواه البخاري في الجنائز ، باب ما يكره من النياحة هلى الميت برقم ١٢٠٩. ومسلم في المقدمة ، باب تغليظ الكذب على النبي ، برقم ٥ .

(6)رواه مسلم في الرؤيا ، باب قول (من رآني في المنام فقد رآني ...) ، برقم ٤٢٠٦ . وهذا مما اختصه الله به على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . أنظر : أسنى المطالب ، ج ١٤ ، ص ٢٥٦ .وخصائص المصطفى ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

فإذا أعيت الرؤية وتقمص الصورة شياطين الجن ،فكيف بشياطين الإنس أن تراه ، ثم إن من فقه هذا المعنى أنه يحرم على أى إنسان أن يحاكي شخصيته بالرسم .

سادساً: المروءة من مقاصد الشرع ، وخوارمها من مسقطات الشهادة قضاء ، والشرع يأمر بمعالي الأخلاق ، وينهي عن سفاسفها ،وقد نص الفقهاء في باب الشهادة على سقوط شهادة : المضحك و الساخر والمستهزئ ، وغيرهم ،وهذا منتشر في كلام الفقهاء من المذاهب الأربعة وغيرهم .

وهذا الراسم ، إنما قصد السخرية أو الاستهزاء أو الضحك ، أو قصد ما هو حسن في ظنه كالتعليم والتوضيح ، وهو مما لا يبرر ، لأنه في كل الأحوال إختلاق وإخبار بخلاف الواقع ، وقد قال رسول الله : (ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له) [(١)].

وما الرسومات إلا عين لهذا ، حتى أصبحت السخرية والتندر بعباد الله من الصالحين وغيرهم شعار لهم ، وإذا لم تكن هذه الحرفة المهينة ، والصبغة المشينة مسقطة للمروءة فماذا يسقطها ؟

سابعاً: الإسلام ينشد لأهله الترقي في مدارج الشرف ،والهمم العالية ، ويحبذ لهم المسلك الرائع ، الذي تهفو إليه النفوس المطمئنة ،والابتعاد بهم عن إيجاد طبقة ساذجة ، دأبها اللهو ، والتفاهة ، وتتبع السافل ونشر هذا التدني في الأمة .

والرسوم الكاريكاتورية بلباسها العاري لون ساقط من ضروب السفاهة والدنو ،والتقليد المقيت لأمم الكفر الضالة ،ففي الصحيح قال : (لتتبعن سنن من قبلكم ،شبراً بشبر وذراعاً بذراع ،حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : (فمن) [(٢)].

قبح الله همة تتسامى *** عن كبار الأقدار دون الصغار
هي أقل لما عراها من الذلْ *** لِ وما مسها من الإحتقار [(٣)]

وبهذا يظهر : أن (الرسم الكاريكاتوري) للنبي قد جمع أسباب التحريم الثلاثة :

١- أنه محرم لذاته .
٢- ومحرم لموضوعه .
٣- ومحرم لما يفضي إليه .

المطلب الرابع

تقرير كفر المسيء إلى النبي ، وأنه يجب قتله

(1)رواه أبو داود في الأدب ، باب في التشديد في الكذب ، برقم ٤٣٣٨ . وأحمد في المسند ، برقم ١٩١٩١ . والدارمي في الاستئذان ،باب في الذي يكذب ليضحك به القوم . برقم ٢٥٨٦ . وقد حسنه الألباني ، أنظر : سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٧١٦ . وشعيب الأرنؤوط ،أنظر: المسند ، ج ٥ ، ص ٥ .

(2)رواه البخاري في أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، برقم ٣١٩٧ .

(3) للشوكاني ، أنظر : الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها ، لمحمد الحمد ، ص ٤٦ .

الإساءة إلى الرسول بالسب أوالشتم أوبأي صورة تدل على هذا أو شيء منه يعد ناقضاً من نواقض الإيمان التي توجب الكفر ظاهراً وباطناً ، سواء استحل ذلك أم لم يستحله . [1]

لأن ذلك يدل على الاستخفاف بالمسبوب والمشتوم ، وهو من الاستهزاء ، وهذا إذا قام في قلب المرء ، فقد امتنع أن يكون فيه انقياد واستسلام ،قال القاضي عياض : " من سبه أو تنقصه فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته وكفره " . [2]

فمن الطبعي أن القلب لا يُهين من انقاد وخضع واستسلم له ،أو أن يستخف به فإذا حصل في القلب استخفاف واستهانة امتنع أن يكون فيه انقياد أواستسلام ،فلا يكون فيه إيمان ،فهذه المسألة أقوى لا يتصور فيها الخلاف ،لأنه حق متعلق للنبي ولأمته بسببه ،لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الآدميين .[3]

والمسيء إلى الرسول بالعيب عليه ، أو السخرية منه ـ كرسم صورته، أو غيره مما هو تنقص لجنابه العظيم ـ ،هو مستهزئ به استهزاء ظاهراً ،و لا ريب أنه كافر حلال الدم ، وقد أمر النبي بقتل جماعة لأجل سبه ، فمن ذلك قتله لابن الزبعري ، وهو شاعر كان يؤذي النبي بلسانه ،حين كان يهجوه [4]، وفي هذا بيان أن النبي أمر بقتل من كان يهجوه ويؤذيه من الشعراء .[5]

إذاً فالمسيء إلى الرسول بما ذُكر يُعد كافراً وناقضاً للإيمان وملعوناً ، كما قال سبحانه وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [6]،وهذا الكفر من عدة أوجه :

الوجه الأول : ما ورد في القرآن الكريم من آيات كثيرة تدل على كفر المسيء للرسول ، فمن ذلك :

١ـ قوله تعالى (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ) .[7]

قال شيخ الإسلام : " فعُلم أن إيذاء رسول الله محادة لله ولرسوله ،لأن ذكر الإيذاء هو الذي اقتضى ذكر المحادة ،فيجب أن يكون داخلاً فيه ،ولولا ذلك لم يكن الكلام مؤتلفاً ،إذا أمكن أن يقال : إنه ليس بمحاد ،ودل ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر ،لأنه أخبر أن له نار جهنم خالداً فيها ولم يقل : هي جزاؤه ،و بين الكلامين فرق ،بل المحادة هي المعاداة والمشاقة وذلك

---

(1) أنظر رد شيخ الإسلام على من قال : لا يكفر إلا المستحل ، في الصارم ، ج ٣ ، ٩٦٠ ـ ٩٧٦ . وقال : " إن سب الله أو سب رسوله
كفر ظاهراً و باطناً سواء كان الساب يعتقد أن ذلك محرم أو كان مستحلاً له أو كان ذاهلاً عن اعتقاده ، هذا مذهب الفقهاء و سائر أهل السنة " . ج ٣ ، ص ٩٥٥ .
(2) الشفا ، ج ٢ ، ص ١٩٢ .
(3) أنظر : الشفا ج ، ٢ ، ص ٢١٧ . والصارم ، ج ٣ ، ص ٩٦٦، ٩٦٧ .
(4) أنظر : سيرة ابن هشام ج ، ٥ ، ص ٨١ .
(5) للاستزادة: أنظر : الصارم ، ج ٢ ،ص ٢٦٧ ، ٣٢٨ .
(6) سورة الأحزاب ، آية ٧٥ .
(7)سورة التوبة ، الأيتان : ٦١ ، ٦٢ .

كفر ومحاربة ،فهو أغلظ من مجرد الكفر ،فيكون المؤذي لرسول الله كافراً عدواً لله ورسوله محارباً لله ورسوله ،لأن المحادة اشتقاقها من المباينة بأن يصير كل واحد منهما في حدٍّ " .[(١)]

٢ـ قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا . وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا)[(٢)] ،فالأذى في حقه سبحانه وحق رسوله كفر ، لأن اللعن والعذاب المهين إنما يكونان للكفار ، وكذا القطع بهما .[(٣)]

٣ـ قوله سبحانه وتعالى (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ . وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ) .[(٤)]

قال شيخ الإسلام: " وهذا نص في أن الاستهزاء بالله و بآياته و برسوله كفر ،فالسب المقصود بطريق الأولى ،وقد دلت هذه الآية على أن كل من تنقص رسول الله جاداً أو هازلاً فقد كفر " .[(٥)]

٤ـ قوله تعالى (فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا) .[(٦)]

ففي هذه الآية : أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون ،حتى يحكموه في الخصومات التي بينهم ،ثم لا يقف الأمر عند هذا بل لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً من حكمه ،بل يسلموا لحكمه ظاهراً و باطناً .

وقال قبل ذلك (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا . وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا) .[(٧)]

فبين سبحانه أن من دعي إلى التحاكم إلى كتاب الله و إلى رسوله فصد عن رسوله كان منافقاً .

وقال سبحانه (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ . وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ . وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ . إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[(٨)] ،فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض

---

(1) الصارم ، ج ٢ ، ص ٥٨ .
(2) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ ، ٥٨ .
(3) أنظر : السيف المسلول على من سب الرسول ، للسبكي ، ص ١٠٥ .
(4) سورة التوبة ، الآيات : ٦٤ ـ ٦٦ .
(5) الصارم ، ج ٢ ، ص ٧٠ .
(6) سورة النساء ، آية : ٦٥ .
(7) سورة النساء ، الآيتان : ٦٠ ، ٦١ .
(8) سورة النور الآيات ، ٤٧ ـ ٥١ .

عن حكمه فهو من المنافقين ،وليس بمؤمن وأن المؤمن هو الذي يقول : سمعنا و أطعنا ،فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره ،مع أن هذا ترك محض وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالنقص و السب و نحوه ؟ .[١]

الوجه الثاني : ورد في السنة النبوية نصوص كثيرة [٢] تدل على كفر المسيء للرسول ،وأنه يجب قتله ،فمن ذلك :

١- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي قال : (من لكعب بن الأشرف ،فإنه قد آذى الله ورسوله) قال محمد بن مسلمة : أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟ قال : (نعم) قال : فأتاه ،فقال : إن هذا -يعني النبي - قد عنانا وسألنا الصدقة ،قال : وأيضاً والله لتملنه ،قال : فإنا قد اتبعناه فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره ،قال : فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه ،فقتله .[٣]

وهذا الحديث -كما قال ابن حجر - : فيه " جواز قتل من سب رسول الله ولو كان ذا عهد " [٤]، " لأن العهد لا يعصم من القتل لأنا لم نعاهدهم على أن يؤذوا الله ورسوله " .[٥]

٢- عن أنس بن مالك τ أن النبي دخل مكة عام الفتح وعلى رأسه مغفر ،فلما نزعه جاءه رجل ،فقال : ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ، فقال : (اقتلوه) ،فقال مالك : نعم .[٦]

وهذا الرجل كان مرتداً ، ووجب قتله مع أنه قد استسلم وانقاد ،ولذا فإن من ارتد وسب يُقتل بلا استتابة ،بخلاف من ارتد فقط ،يؤيده أن النبي أمَّن عام الفتح جميع المحاربين إلا ذوي جرائم مخصوصة ،وكان ممن أهدر دمه دون غيره ،فعلم أنه لم يُقتل لمجرد الكفر والحراب .[٧]

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي وتقع فيه ،فينهاها فلا تنتهي ،ويزجرها فلا تنزجر ،قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي وتشتمه ،فأخذ المغول [٨] فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها ،فوقع بين رجليها طفل ،فلطخت ما هناك بالدم ،فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله فجمع الناس ،فقال : (أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام) ،فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل ،حتى قعد بين يدي النبي فقال : يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك ،فأنهاها فلا تنتهي ،وأزجرها فلا تنزجر ،ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ،وكانت بي رفيقة ،فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك

---

(1) الصارم ، ج ٢ ، ٨٠ ، ٨١ .
(2) وقد أوصلها شيخ الإسلام إلى خمسة عشر دليلاً ، أنظر: الصارم ، ص ١٢٥ - ٣٧٨ .و السيف المسلول ، ص ١٠٨ - ١١٩ .
(3) متفق عليه ، فقد رواه البخاري في الجهاد والسير ، باب الكذب في الحرب ، برقم ٢٨٠٦ . ومسلم في الجهاد والسير ، قتل كعب بن الأشرف طاغوت اليهود ، ٣٣٥٩ .
(4) فتح الباري ، ج ٥ ، ص ١٤٣ .
(5) الصارم ، ج ٢ ، ص ٥٦ .
(6) رواه البخاري في الحج ، باب دخول الحرم ومكة بغير إحرام ، برقم ١٧١٥ . ومسلم في الحج ، باب جواز دخول مكة بغير إحرام ، برقم ٢٤١٧ ، واللفظ له .
(7) أنظر : الصارم ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ . مع فتح الباري ، ج ٤ ، ص ٤٤ .
(8) المِغوَل : بالكسر شبه سيف قصير يشتمل به الرجل تحت ثيابه ،وقيل : هوحديدة دقيقة لها حدٌّ ماضٍ وقفاً ،وقيل : هو سوط في جوفه سيف دقيق يشدُّه الفاتِك على وسَطه ليَغْتال به الناس . أنظر : لسان العرب ، ج ١١ ، ص ٥٠٧ .

،فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها ،فقال النبي : (ألا اشهدوا أن دمها هدر) .[1]

وفي هذا الحديث بيان أن ساب النبي يقتل ،وذلك أن السب منها لرسول الله ارتداد عن الدين ،لأن هذه المرأة إما أن تكون زوجة لهذا الرجل أو مملوكة له ،وعلى التقديرين فلو لم يكن قتلها جائزاً لبين النبي له أن قتلها كان محرماً ،وأن دمها كان معصوماً ،ولأوجب عليه الكفارة بقتل المعصوم والدية إن لم تكن مملوكة له ،فلما قال : (اشهدوا أن دمها هدر) ـ والهدر الذي لا يضمن بقود ولا دية ولا كفارة ـ عُلم أنه كان مباحاً مع كونها ذمية ،فعلم أن السب أباح دمها لا سيما والنبي إنما أهدر دمها عقب إخباره بأنها قُتلت لأجل السب ،فتبين أنه الموجب لذلك ،والقصة ظاهرة الدلالة .[2]

٤ ـ عن سعد بن أبي وقاص τ قال : لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله ابن أبي السرح عند عثمان بن عفان τ فلما دعا رسول الله الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على رسول الله فقال : يا نبي الله بايع عبد الله ،فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً ،كل ذلك يأبى ،فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه ،فقال : (أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله) فقالوا : ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألا أومأت إلينا بعينك ، قال : (إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين [3]) .[4]

وهو ممن أهدر النبي دمه ، وانضاف إلى ردته ما وقع منه في حق النبي من الطعن عليه وعلى كتابه والافتراء عليه ،بما يوجب الريب في نبوته ، فذلك قدر زائد على مجرد الكفر به والردة في الدين ،وهو من أنواع السب ،قال السبكي : " وهو بلا شك دليل على قتل الساب قبل التوبة " .[5]

الوجه الثالث : الإجماع :

وقد حكى الإجماع على ذلك جمع غفير من أهل العلم ، فمن ذلك :

١ـ إجماع الصحابة ψ ، وقد نقله شيخ الإسلام ابن تيمية ،فقال : " و أما إجماع الصحابة فلأن ذلك نُقل عنهم في قضايا متعددة ينتشر مثلها ويستفيض ،ولم ينكرها أحد منهم فصارت إجماعاً " [6].

ومنه :

---

(1) رواه النسائي في تحريم الدم ، باب الحكم فيمن سب النبي ، برقم ٤٠٠٢ ، وأبو داود في الحدود ، باب باب الحكم فيمن سب النبي ، برقم ٣٧٩٥ . وقد صححه الألباني ، أنظر : سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ . وسنن النسائي ، ج ٧ ، ص ١٠٧ .

(2) أنظر : الصارم ، ج ٢ ، ص ١٤٤ ، ١٤٥ . والجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ٨٣ ، ٨٤ . وعون المعبود ، ج ١٢ ، ص ١١ .

(3) (خائنة الأعين) قال الخطابي : " معنى خائنة الأعين أن يضمر بقلبه غير ما يظهره للناس ،فإذا كف بلسانه وأومى بعينه إلى خلاف ذلك وكان ظهور تلك الخيانة من قبل عينه ،فسميت خائنة الأعين" . أنظر : عون المعبود ، ج ٧ ، ص ٢٤٩ . وحاشية السندي على النسائي ، ج ٧ ، ص ١٠٦ .

(4) رواه أبو داود في الجهاد ، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام ، برقم ٢٣٠٨ . قال الألباني : صحيح ، أنظر : سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٦٥ ، ٥٣٢ . والسلسلة الصحيحة ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ .

(5) السيف المسلول ، ص ١١١ . وانظر : الصارم ، ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(6) وقد نقل هذا الإجماع عن عدد من الأئمة منهم مالك و الليث و أحمد و إسحاق و هو مذهب الشافعي ، وحكاه أبوبكر الفارسي ،وهذا الإجماع الذي حكاه هذا محمول على إجماع الصدر الأول من الصحابة و التابعين ، أنظر : الصارم المسلول ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ١٤ .

أ - ما رُفع إلى المهاجر - يعني المهاجر بن أبي أمية وكان أميراً على اليمامة و نواحيها - امرأتان مغنيتان غنت إحداهما بشتم النبي قطع يدها و نزع ثنيتيها وغنت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها ونزع ثنيتها فكتب إليه أبو بكر τ : بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بشتم النبي فلولا ما قد سبقتني لأمرتك بقتلها لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود ،فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر .[١]

ب - ما جاء عن مجاهد قال : " أُتي عمر برجل سب النبي فقتله ،ثم قال عمر : من سب الله أو سب أحد من الأنبياء فاقتلوه " .[٢]

٢- ونقل ابن المنذر الاتفاق على أن من سب النبي صريحاً وجب قتله ، وذكر ابن حجر عن بعض أئمة الشافعية كفر من سب النبي مما هو قذف صريح باتفاق العلماء ،فلو تاب لم يسقط عنه القتل ،لأن حد قذفه القتل ،وحد القذف لايسقط بالتوبة .[٣]

٣- قال إسحاق بن راهويه : " وقد أجمع العلماء أن من سب الله عز وجل أو سب رسول الله ،أو دفع شيئاً أنزله الله ،أو قتل نبياً من أنبياء الله وهو مع ذلك مقر بما أنزل الله أنه كافر " .[٤]

٤- قال محمد بن سحنون : " أجمع العلماء على أن شاتم النبي والمتنقص له كافر ،والوعيد جار عليه بعذاب الله له ،وحكمه عند الأمة القتل ،ومن شك في كفره وعذابه كفر " .[٥]

٥- قال القاضي عياض : " إعلم - وفقنا الله و إياك - أن جميع من سب النبي أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله أو عرض به أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه و العيب له فهو ساب له ،والحكم فيه حكم الساب يقتل ،ولا نمتري فيه تصريحاً كان ،أو تلويحاً ،وكذلك من لعنه أو دعا عليه أو تمنى مضرة له أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام و هجر و منكر من القول و زور أو عيره بشيء مما جرى من البلاء و المحنة عليه أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة و المعهودة لديه ،و هذا كله إجماع من العلماء و أئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا ... ولا نعلم خلافاً في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة ،وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله وتكفيره " .[٦]

٦- قال ابن حزم : " ومن أوجب شيئاً من النكال على رسول الله أو وصفه وقطع عليه بالفسق أو بجرحه في شهادته: فهو كافر مُشِك مرتد كاليهود والنصارى، حلال الدم والمال بلا خلاف من أحد من المسلمين " .[٧]

---

(1) الصارم ، ج ، ٢ ، ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .
(2) فتح الباري ، ج ١٢ ، ص ٢٨١ .
(3) المرجع السابق ، ج ١٢ ، ص ٢٨١ .
(4) التمهيد ، ٤ ، ص ٢٢٦ .
(5) أنظر : الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨ . والصارم ، ج ٢ ، ١٣ . وفيهما عن مالك : من سب النبي من المسلمين قتل و لم يستتب . قال الخطابي : " لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله " . وقال ابن القاسم: " من سبه أو شتمه أو عابه أو تنقصه فإنه يقتل و حكمه عند الأمة القتل كالزنديق " .
(6) الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .
(7) المحلى ، ج ٢ ، ص ٢٤٣ .

٧- قال السبكي بعد أن ساق أقوال الأئمة في حكم الساب وأنه يقتل : " وهذه نقول معتضدة بدليلها ، وهو الإجماع ، ولا عبرة بما أشار إليه ابن حزم الظاهري [١]من الخلاف في تكفير المستخف به ، فإنه شيء لا يُعرف لأحد من العلماء ، ومن استقرأ سير الصحابة تحقق إجماعهم على ذلك ، فإنه نُقل عنهم في قضايا مختلفة منتشرة يستفيض مثلها ، ولم يُنكره أحد " . [٢]

والنصوص في هذا الباب كثيرة ، سواءً من الكتاب أو السنة أو كلام أهل العلم ،بل إنه مما استفاض في مصنفاتهم رحمهم الله ، والمقصود هو تقرير كفر المسيء إلى النبي ، فمن تنقصه سواء كان جاداً أو هازلاً فقد كفر ،وأنه يجب قتله ، وهذا كان فعله ، وعلى هذا الفهم والعمل قد سار أصحابه ψ ، فإذا تعين قتل المسيء إلى الرسول بما ذكرنا مما يقتضي سخرية أو استهزاء أو غيرهما بما يدل على تنقصه بأي حال [٣] ، وعلى هذا سار العمل في أمة الإسلام ، " حتى أصبحت هذه المسألة أمراً معلوماً من الدين بالضرورة ، ولقد كان من المظاهر العملية لهذه العقيدة : قيام المسلمين بقتل السابين والشاتمين لرسول الله في حياة النبي وبعد وفاته " . [٤]

---

(1) أنظر : المحلى ، ج ١١ ، ص ٤٠٨ ، ٤٠٩ . وما ذكر في هذه المسألة .

(2) السيف المسلول ، ص ٩٧ .

فقول مالك مشهور في هذا كله أنه يقتل حداً لا كفراً ،لهذا لا تقبل توبته ولا تنفعه ، ثم بين أنه لا اعتبار لقصده ، فقال : " إن كان القائل لما قاله في جهته عليه الصلاة والسلام غير قاصد السب والازدراء ولا معتقداً له ،ولكنه تكلم في حقه عليه الصلاة والسلام بكلمة الكفر من لعنه ،أو سبه ،أو تكذيبه ،وظهر بدليل حاله أنه لم يتعمد ذمه ولم يقصد سبه ،إما بجهالة حملته على ما قاله ،أو ضجر ،أو سكر اضطره إليه ،أو قلة مراقبة ،أو ضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه ،فحكم هذا الوجه حكم الأول دون تلعثم " . انظر : حاشية العدوي ، ج ٧ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ . وانظر تقرير هذه المسألة أيضاً عند الشافعية في : المجموع ، ج ١٩ ، ص ٤٢٧ ، ٤٢٨ . وعند الحنابلة في : المغني ، ج ١٠ ، ص ٢٢٤ . والإنصاف ، ٤ ، ص ٢٥٧ .

(3) وسيأتي - بمشيئة الله - تفصيل المسألة في المبحث التالي .

(4) أنظر : مقدمة الصارم ، ج ١ ، ص ٢١٥ .

المبحث الثاني

حكم المسيئين إلى الرسول

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : في حكم المسيء إلى الرسول من الكفار .

المطلب الثاني : في حكم المسيء إلى الرسول من المنافقين .

المطلب الثالث : في حكم المسيء إلى الرسول من المسلمين .

المطلب الأول

في حكم المسيء إلى الرسول من الكفار

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى : المسيء الحربي .

المسألة الثانية : المسيء المعاهد أو الذمي .

المسألة الأولى : المسيء الحربي [١]:

الكفار إما أهل حرب وإما أهل عهد [٢]، والحربي: منسوب إلى الحرب ،ودار الحَرْبِ : بلاد الكفر الذين لا صُلح لهم مع المسلمين ،وهي دار العدو [٣] ، وهم الذين أمر الله بقتالهم ، بعد

(1) الحربي : حرب حَرَبًا ،من باب تعب أخذ جميع ماله فهو (حَرِيبٌ) و (حُرِبَ) بالبناء للمفعول كذلك فهو (مَحْرُوبٌ) و (الحَرْبُ) المقاتلة والمنازلة من ذلك ولفظها أنثى يقال قامت (الحَرْبُ) على ساق إذا اشتدّ الأمر وصعب الخلاص وقد تذكر ذهاباً إلى معنى القتال فيقال (حَرْبٌ شَدِيدٌ) . المصباح المنير ، ١٢٧ .

(2) أنظر : أحكام أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٨٧٣ .

(3) معجم لغة الفقهاء ، ص ١٧٨ .

أن لم يكن مأذوناً بقوله تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) [1] ،وقوله تعالى (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) [2]،وقوله سبحانه (وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا) [3]،وما كان مثله مما نزل بمكة . [4]

فلما استقر رسول الله بالمدينة وأيده الله بنصره وبعباده المؤمنين الأنصار ،وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم ،فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر ،وبذلوا نفوسهم دونه وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج ،وكان أولى بهم من أنفسهم رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ،وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة ،وصاحوا بهم من كل جانب ،والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والصفح ،حتى قويت الشوكة واشتد الجناح ،فأذن لهم حينئذ في القتال ولم يفرضه عليهم فقال تعالى : (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ) [5].[6]

بعد ذلك فرض الله تعالى على عباده المؤمنين القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ، كما قال تعالى (وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ) [7] ،فهذه الآية إنما هي أمر من الله للمؤمنين بجهاد عدوهم على صفة ،وذلك قوله (فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) [8] .[9]

ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وكان محرماً ثم مأذوناً به ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال ثم مأمورا به لجميع المشركين [10] ،وفي هذا الأمر الرباني نزلت الآيات الكثيرة ، التي منها قوله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) [11]،وقوله سبحانه (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[12] ،وقوله سبحانه (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) [13]،وقوله سبحانه (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَات وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلاَ تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ

(1) سورة المائدة ، آية : ١٣ .
(2) سورة المؤمنون ، آية : ٩٦ .
(3) سورة المزمل ، آية : ١٠ .
(4) أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ٣٤٤ .
(5) سورة الحج ، آية : ٣٩ .
(6) أنظر : زاد المعاد ، ج ٣ ، ص ٦٢ .
(7) سورة البقرة ، آية : ١٩٠ .
(8) سورة البقرة ، آية : ١٩٤ .
(9) أنظر : جامع البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ . و ما ذكره عن السلف في تفسير الآيات . وزاد المعاد ، ج ٣ ، ص ٦٤ .
(10) أنظر : زاد المعاد ، ج ٣ ، ص ٦٤ .
(11) سورة البقرة ، آية : ١٩٣ .
(12) سورة الأنفال ، آية : ٣٩ .
(13) سورة التوبة ، آية : ٢٩ .

وَقَاتِلُواْ الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [١]،وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) [٢] .

قال ابن القيم : " المراد من إرسال الرسل وإنزال الكتب إعدام الكفر والشرك من الأرض ،وأن يكون الدين كله لله كما قال تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ) [٣] ،ومقتضى هذا ألا يقر كافر على كفره ،ولكن جاء النص بإقرار أهل الكتاب إذا أعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ،فاقتصرنا بها عليهم وأخذنا في عموم الكفار بالنصوص الدالة على قتالهم إلى أن يكون الدين كله لله " .[٤]

إذا كان كذلك فاعلم أن الكافر الحربي إذا صدرت منه إساءة إلى الله تعالى ، أو إلى رسوله ، أو إلى دين الإسلام فحكمه القتل ، إلا أن يُسلم ، وذلك لعموم الأدلة الدالة على ذلك . [٥]

ومن نصوص العلماء في ذلك :

ـ قول الإمام مالك : " من سب رسول الله أو شتمه أو عابة أو تنقصه ـ قتل مسلماً كان أو كافراً و لا يستتاب إلا أن يسلم " ،وقال أيضاً : " من سب النبي أو غيره من النبيين من مسلم أو كافر قتل ،وذلك على كل حال ،أسرَّ ذلك أو أظهره ،ولا يستتاب ،لأن توبته لا تُعرف " [٦] .

ـ وقال عبد الله بن الحكم :" من سب النبي مسلم أو كافر قتل و لم يستتب " . [٧]

ـ وقد نص أحمد عليه في مواضع متعددة، فمن ذلك قوله : " كل من شتم النبي أو تنقصه مسلماً كان أو كافراً فعليه القتل ، وأرى أن يقتل ولا يستتاب " . [٨]

ـ وقال جعفر بن محمد : سمعت أبا عبد الله يُسأل عن يهودي مرَّ بمؤذن وهو يؤذن فقال له : كذبت ،فقال : يقتل لأنه شتم ،فقد نص على قتل من كذب المؤذن في كلمات الأذان ،وهي قول (الله أكبر) ،أو (أشهد أن لا إله إلا الله) ،أو (أشهد أن محمداً رسول الله) .[٩]

ـ قال ابن القاسم : " من شتم الأنبياء من اليهود و النصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه إلا أن يسلم " . [١٠]

---

(1) سورة التوبة ، آية : ٣٦ .،
(2) سورة التوبة ، آية : ١٢٣ .
(3) سورة البقرة ، آية : ١٩٣ .
(4) أحكام أهل الذمة ، ج ١ ، ص ٩٥ . ومما يدل على ذلك ما جاء في السنة ، عن عتبة بن عبد السلمي أن النبي قال لأصحابه : (قوموا فقاتلوا) قالوا نعم يا رسول الله ولا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى υ انطلق أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكن انطلق أنت وربك يا محمد فقاتلا وإنا معكما نقاتل . رواه أحمد ، برقم ١٦٩٨٧ . وقد حسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ، ج ٢ ص ٤٨ . و شعيب الأرنؤوط ،في المسند ، ج ٤ ، ص ١٨٤ .
(5) للاستزادة أنظر : الاستهزاء بالدين ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .
(6) الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .
(7) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٨٨.
(8) الصارم ، ج ٢ ، ١٦ .
(9) الصارم ، ج ٣ ، ٩٩٦ .
(10) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩٩٨ .

ـ قال شيخ الإسلام : " ولا خلاف بين المسلمين أن الحربي إذا أسلم عند رؤية السيف وهو مطلق أو مقيد يصح إسلامه ،وتقبل توبته من الكفر ،وإن كانت دلالة الحال تقتضي أن باطنه خلاف ظاهره " .(١)

وخلاصة المسألة : أنه قد اتفقت نصوص العلماء ، كالإمام مالك وأحمد والمشهور من مذهبه على أن الإساءة إلى النبي بالتنقص كفر مبيح للدم إلا أن يسلم ،ولا فرق في ذلك بين أن يقصد عيبه أو لا يقصد ، كمن يهزل أويمزح أو يفعل غير ذلك ، بأن حصل السب تبعاً له أو لا يقصد شيئاً من ذلك (٢).

يقول ابن القيم عند قوله تعالى قوله تعالى (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ) (٣) : " فمد قتالهم إلى أن ينتهوا عن أسباب الفتنة وهي الشرك وأخبر أنه لا عدوان إلا على الظالمين والمجاهر بالسب والعدوان على الإسلام غير منته فقتاله واجب إذاكان غير مقدور عليه وقتله مع القدرة حتم وهو ظالم فعليه العدوان الذي نفاه عمن انتهى وهو القتل والقتال وهذا بحمد الله في غاية الوضوح " . (٤)

المسألة الثانية : المسيء المعاهد أو الذمي (٥).

سبق وأن ذكرنا بأن الكفار ينقسمون إلى قسمين : إما أهل حرب ،وإما أهل عهد ،وأهل العهد ثلاثة أصناف :

الصنف الأول : أهل ذمة .

الصنف الثاني : أهل هدنة .

الصنف الثالث : أهل أمان .

وفي الأصل أن لفظ (الذمة والعهد) يتناول هؤلاء الأصناف كلهم ، وبهذا فإن الذمة من جنس لفظ العهد والعقد ،وقولهم : هذا في ذمة فلان ،أصله من هذا أي في عهده وعقده أي فألزمه بالعقد والميثاق . (٦)

---

(1)المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦١٩ .

(2)المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٥٧٢ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ .وانظر : الشفا ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

(3) سورة البقرة ، آية : ١٩٣ .

(4) أحكام أهل الذمة ، ج ٣ ، ص ١٣٩٦ .

(5) العهد الأمان واليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية. وعهد إليه من باب فهم أي أوصاه. ومنه اشتق العهد الذي يكتب للولاة. وتقول علي عهد الله لأفعلن كذا...،وعاهد الذمي أعطاه عهداً ،وقيل :معاهدته مبايعته لك على إعطائه الجزية والكف عنه ،والمعاهد الذمي،وأهل العهد أهل الذمة ،فإذا أسلموا سقط عنهم اسم العهد ،ومنه الذمي المعاهد الذي فورق فأومر على شروط استوثق منه بها وأومن عليها فإن لم يف بها حل سفك دمه . أنظر : لسان العرب ، ج ٣ ، ص ٣١١ . ومختار الصحاح ، ص ٢١٩ .

(6)يقول ابن القيم : " ثم صار يستعمل في كل ما يمكن أخذ الحق من جهته سواء وجب بعقده أو بغير عقده كبدل المتلف فإنه يقال هو في ذمته وسواء وجب بفعله أو بفعل وليه أو وكيله كولي الصبي والمجنون وولي بيت المال والوقف فإن بيت المال والوقف يثبت له حق وعليه حق كما يثبت للصبي والمجنون ويطالب وليه الذي له أن يقبض له ويقبض ما عليه ،وهكذا لفظ الصلح عام في كل صلح وهو يتناول صلح المسلمين بعضهم مع بعض وصلحهم مع الكفار ،ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء أهل الذمة عبارة عمن يؤدي الجزية وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله بخلاف أهل الهدنة فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم سواء كان الصلح على مال أو غير مال لا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة لكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين وهؤلاء يسمون أهل العهد وأهل الصلح وأهل الهدنة،وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها وهؤلاء أربعة أقسام رسل وتجار ومستجيرون حتى يعرض عليهم الإسلام والقرآن فإن شاؤوا دخلوا فيه وإن شاؤوا رجعوا إلى بلادهم وطالبوا حاجة من زيارة أو غيرها وحكم هؤلاء ألا يهاجروا ولا يقتلوا ولا تؤخذ منهم الجزية وأن يعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن فإن دخل فيه فذاك وإن أحب اللحاق

والدليل على ذلك ما جاء في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " كان المشركون على منزلتين من النبي والمؤمنين كانوا مشركي أهل حرب ،يقاتلهم ويقاتلونه ،ومشركي أهل عهد لا يقاتلهم ولا يقاتلونه ... " (١)

والمعاهد إذا أساء إلى رسول الله بالسب أو الشتم أو غيرهما ، مما يدخل فيهما أو غيرهما بوجه من وجوه التنقيص عليه ،فإن ذلك ناقض للعهد موجب للقتل ،ولا يدخل في الإساءة إلى النبي مجرد كفره به ، لأن كفره لا ينقض العهد ، ولا يبيح الدم ،لأنا صالحناهم على هذا ،وأما سبه له فإنه على ما ذكرنا من نقض العهد ووجوب القتل .

قال القاضي أبو يعلى : " عقد الأمان يوجب إقرارهم على تكذيب النبي عليه الصلاة و السلام ،لا على شتمهم وسبهم له " (٢)

والدليل على انتقاض العهد للذمي إذا أساء إلى الرسول بما ذُكر من السب ونحوه الكتاب والسنة ،فمن الكتاب :

١- قوله الله تعالى (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُواْ لَكُمْ فَاسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) إلى قوله تعالى (وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ) (٣)

ففي هذه الآيات قد جعل سبحانه " الطعن في ديننا بمنزلة نكث الأيمان ،إذ معلوم أنه لم يرد أن يجعل نكث الأيمان والطعن في الدين بمجموعهما شرطاً في نقض العهد ،لأنهم لو نكثوا الأيمان بقتال المسلمين ولم يُظهروا الطعن في الدين لكانوا ناقضين للعهد " . (٤)

ولهذا فإن مجرد إحداث أهل الذمة الطعن في الدين مخالفة لموجب العقد ،مخالفة تنافي ابتداءه ،فيجب انفساخ عقدهم بها ، فمجرد الطعن على رسول الله والوقيعة فيه يوجب القتل في الحال . (٥)

قال شيخ الإسلام : " فإذا طعن الذمي في الدين فهو إمام في الكفر فيجب قتاله لقوله تعالى :(فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) ولا يمين له لأنه عاهدناه على أن لا يظهر عيب الدين وخالف ،واليمين هنا المراد بها العهود ...،لأن كل واحد من المعاهدين إنما عاهدناه بأمانة الله وكفالته

بمأمنه ألحق به ولم يعرض له قبل وصوله إليه فإذا وصل مأمنه عاد حربياً كما كان " . أحكام أهل الذمة ، ج ٢ ، ص ٨٧٣ ، ٨٧٤ .

(1)رواه البخاري في الطلاق ، باب نكاح من أسلم من المشركات وعدتهن ، برقم ٤٨٧٨ .

(2) الصارم ، ج ٣ ، ص ٩٩٤ . وانظر : الشفا ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ . والسيف المسلول ، ص ١٢٠ - ١٢٦ . ومما يجب أن يؤخذ على الذمي عدم إظهار معتقده ، مما فيه ضرر أو ازدراء على الإسلام ، وإذا خالف ذلك بأن أظهر ما نعلمه من دينه من الشرك نقض العهد ، كما أنه إذا أظهر ما نعلمه بقوله في نبينا نقض العهد ، وقد نص الأئمة على ذلك . أنظر : الشفا ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ . والصارم ، ج ٢ ، ص ١٣ - ٢٤ .و أحكام القرآن ،لابن العربي ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .و السيف المسلول ، ص ١٨٥ - ٢٢٧ ، وقد أطال في إراد هذه الأقوال .

(3) سورة التوبة ، الآيات ٧ - ١٢ . قوله تعالى : (وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ) : الطعن الضرب بالرمح وبالقرن وما يجرى مجراهما، وهو الذي ينسب إليه ما لا يليق به ، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين ؛ لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه . أنظر : أحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .

(4) أحكام القرآن ،للجصاص ، ج ٤ ، ص ٢٧٥ . قال ابن العربي : " قال علماؤنا رحمة الله عليهم : إن عملوا ما يخالف العهد انتقض عهدهم " . أحكام القرآن ،لابن العربي ، ج ٤ ، ص ٢١٨ .

(5) قال كثير من الفقهاء : إن عهدهم ينتقض بما يضر المسلمين من المخالفة دون ما لا يضرهم وخص بعضهم ما يضرهم في دينهم دون ما يضرهم في دنياهم والطعن على الرسول أعظم المضرات في دينهم . أنظر : الصارم ، ج ٢ ، ص ٤٠٠ - ٤٠٨ .

وشهادته ،فثبت أن كل من طعن في ديننا بعد أن عاهدناه عهداً يقتضي أن لا يفعل ذلك فهو إمام في الكفر لا يمين له ،فيجب قتله بنص الآية " .[١]

٢ـ قوله تعالى (أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ) [٢].

ففي هذه الآية دلالة على أن أذى النبي محاددة لله ولرسوله ،لأنه هذه الآية جاءت بعد قوله تعالى : (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) [٣]،ثم قال : (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤْمِنِينَ . أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ) [٤] .

قال شيخ الإسلام : " فلو لم يكونوا بهذا الأذى محادين لم يحسن أن يوعدوا بأن للمحاد نار جهنم ،لأنه يمكن حينئذ أن يقال : قد علموا أن للمحاد نار جهنم لكنهم لم يحادوا وإنما آذوا ،فلا يكون في الآية وعيد لهم ،فعلم أن هذا الفعل لا بد أن يندرج في عموم المحادة ليكون وعيد المحاد وعيداً له و يلتئم الكلام " .[٥]

ومما يعضد هذا ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله في ظل حُجْرَةٍ من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظِل ،قال : فقال : (إنه سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعيني شيطان ،فإذا أتاكم فلا تكلموه) ،قال : فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله فكلمه ،قال : (علام تشتمني أنت وفلان وفلان) نفر دعاهم بأسمائهم ،قال فذهب الرجل فدعاهم ،فحلفوا بالله واعتذروا إليه ،قال : فأنزل الله عز وجل (يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [٦].[٧]

٣ـ قوله الله سبحانه وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [٨].

وهذه الآية توجب قتل من آذى الله ورسوله ،والعهد لا يعصم من ذلك لأنا لم نعاهدهم على أن يؤذوا الله ورسوله .

ويوضح ذلك قول النبي (من لكعب بن الأشراف فإنه قد آذى الله و رسوله) [٩] " فندبَ المسلمين إلى يهودي كان معاهداً لأجل أنه آذى الله ورسوله ،فدل ذلك على أنه لا يوصف كل ذمي بأنه يؤذي الله و رسوله وإلا لم يكن فرق بينه وبين غيره ،ولا يصح أن يقال : اليهود ملعونون في الدنيا والآخرة مع إقرارهم على ما يوجب ذلك ،لأنا لم نقرهم على إظهار أذى الله ورسوله ،وإنما أقررناهم على أن يفعلوا بينهم كما هو من دينهم " .[١٠]

---

(1) الصارم ، ج ٢ ، ص ٤١ ـ ٤٣ .
(2) سورة التوبة ، آية : ٦٣ .
(3) سورة التوبة ، آية : ٦١ .
(4) سورة التوبة ، الآيتان ٦٢ ، ٦٣ .
(5) الصارم ، ج ٢ ، ٤٨ .
(6) سورة المجادلة ، آية : ١٨ .
(7) رواه أحمد في المسند ، برقم ٢٢٨٣ . وقد حسنه شعيب الأرنؤوط .أنظر : المسند ، ج ١ ، ص ٢٦٧ .
(8) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ .
(9) سبق تخريجه ، أنظر : ص ٣٣٤ .
(10) الصارم ، ج ٢ ، ص ٥٦، ٥٧ .

وقال سبحانه (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) . [1] ،ومن هذه الآية يُفهم بأنه يجب أن يكون هذا الملعون في الدنيا والآخرة عادم النصير بالكلية ،فتركه وعدم قتله مخالفة صريحة لقوله (فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا) ،لأنه مؤذ لله ورسوله ،وبذلك تزول العصمة عن نفسه وماله . [2]

ومما جاء في السنة على انتقاض العهد للذمي إذا أساء إلى الرسول بما ذكرنا ، ما يلي :

١ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي وتقع فيه ،فينهاها فلا تنتهي ،ويزجرها فلا تنزجر ،قال : فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي وتشتمه ،فأخذ المغول فوضعه في بطنها واتكأ عليها فقتلها ،فوقع بين رجليها طفل ،فلطخت ما هناك بالدم ،فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول الله فجمع الناس ،فقال : (أنشد الله رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام) ،فقام الأعمى يتخطى الناس وهو يتزلزل ،حتى قعد بين يدي النبي فقال : يا رسول الله أنا صاحبها كانت تشتمك وتقع فيك ،فأنهاها فلا تنتهي ،وأزجرها فلا تنزجر ،ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين ،وكانت بي رفيقة ،فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك ،فأخذت المغول فوضعته في بطنها واتكأت عليها حتى قتلتها ،فقال النبي : (ألا اشهدوا أن دمها هدر) [3].

قال شيخ الإسلام : " فهذه القصة يمكن أن تكون هي الأولى ،ويدل عليه كلام الإمام أحمد لأنه قيل له في رواية عبد الله : في قتل الذمي إذا سب أحاديث ؟ قال : نعم ،منها حديث الأعمى الذي قتل المرأة " . [4] ،ففي الحديث دليل على أن الذمي إذا لم يكف لسانه عن الله ورسوله فلا ذمة له ،فيحل قتله . [5]

٢ـ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي قال : (من لكعب بن الأشرف ،فإنه قد آذى الله ورسوله) قال محمد بن مسلمة : أتحب أن أقتله يا رسول الله ؟ قال : (نعم) قال : فأتاه ،فقال : إن هذا يعني النبي قد عنانا وسألنا الصدقة ،قال : وأيضا والله لتملنه ،قال : فإنا قد اتبعناه فنكره أن ندعه حتى ننظر إلى ما يصير أمره ،قال : فلم يزل يكلمه حتى استمكن منه ،فقتله . [6]

وهذا الرجل قد كان مؤذ لله ورسوله ، فلذلك تزول العصمة عن نفسه وماله ، ولهذا فقد ندب إلى قتله بعد العهد ،وعلل ذلك بكونه آذى الله ورسوله . [7]

وقد كان عاهد رسول الله أن لا يعين عليه ولا يقاتله ولحق بمكة ،ثم قدم المدينة معلناً لمعادة النبي فكان أول ما خزع [8]عنه قوله :

---

(1) سورة النساء ، آية : ٥٢ .

(2) أنظر : أحكام أهل الذمة ، ج ٣ ، ص ١٣٩٥ . وفي الباب آيات كثيرة ، كقوله تعالى (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) سورة التوبة ، آية : ٢٩ ،ولعل فيما ذكر غنية .

(3) تقدم تخريجه ، أنظر : ص ٣٣٥ .

(4) الصارم ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .واظر : أحكام أهل الذمة ، ج ٣ ، ص ١٤٠٣ .

(5) أنظر : عون المعبود ، ج ١٢ ، ص ١١ .

(6) تقدم تخريجه ، أنظر : ص ٣٣٤ .

(7) أنظر : أحكام أهل الذمة ، ج ٣ ، ص ١٣٩٥ .

(8) خَزَع : معناه قطع عهده . أنظر : القاموس المحيط ، ص ٩٢٠ .

أذاهب أنت لم تحلل بمرقبة *** وتارك أنت أم الفضل بالحرم ؟

في أبيات يهجوه بها ،فعند ذلك ندب رسول الله إلى قتله ،قال شيخ الإسلام : " والحكم الحادث يضاف إلى السبب الحادث ،فُعلم أن ذلك الهجاء والأذى الذي كان بعد قفوله من مكة موجب لنقض عهده ولقتله ،وإذا كان هذا في المهادن الذي لا يؤدي جزية فما الظن الذي يعطي الجزية ويلتزم أحكام الملة ؟ " . [١]

وقد اختلفت كلمة أهل العلم في هذه المسألة ، وذلك على النحو التالي :

- **أولاً : مذهب أبي حنيفة رحمه الله :**

قال أبو حنبفة وأصحابه : لا ينتقض العهد بالسب [٢]،ولا يقتل الذمي بذلك ،لكن يعزر على إظهار ذلك ،كما يعزر على إظهار المنكرات التي ليس لهم فعلها من إظهار أصواتهم بكتابهم ونحو ذلك .

ومن أصولهم أن ما لا قتل فيه عندهم مثل الجماع في غير القبل إذا تكرر فللإمام أن يقتل فاعله و كذلك له أن يزيد على الحد المقدر إذا رأى المصلحة في ذلك ويحملون ما جاء عن النبي وأصحابه ψ من القتل في مثل هذه الجرائم ،على أنه رأى المصلحة في ذلك ويسمونه : القتل سياسة ،وكان حاصله أن له أن يعزر بالقتل في الجرائم التي تغلظت بالتكرار وشرع القتل في جنسها ،ولهذا أفتى أكثرهم بقتل من أكثر من سب النبي من أهل الذمة ،وإن أسلم بعد أخذه وقالوا : يقتل سياسة وهذا متوجه على أصولهم .[٣]

- **ثانياً : مذهب الإمام مالك رحمه الله :**

قال الإمام مالك وغيره : " فيمن شتم نبينا من أهل الذمة أو أحداً من الأنبياء عليهم السلام قتل إلا أن يسلم " . [٤]

وقال أيضاً : " وأما إن شتم النبي شتماً يعرف فإنه يقتل ،إلا أن يسلم " قاله غير مرة ولم يقل يستتاب .[٥]

وعندهم أن الذمي إذا صرح بسب النبي أو عرض به أو استخف بقدره أو وصفه بغير الوجه الذي كفر به ،فلا خلاف عندهم في قتله إن لم يسلم لأن الإسلام يجب ما قبله .[٦]

وقد سئل مالك عن نصراني بمصر شُهد عليه أنه قال : مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة ، فهو الآن في الجنة ؟! ما لَهُ لم ينفع نفسه إذ كانت الكلاب تأكل ساقيه ، لو قتلوه استراح الناس منه ، قال مالك : أرى أن تضرب عنقه ، قال : ولقد كِدت ألا أتكلم فيها ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت .[٧]

---

(1) الصارم ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .
(2) أنظر : حاشية رد المحتار ، ج ٤ ، ص ٣٩٨ . يرى أبوحنيفة و الثوري و أتباعهما من أهل الكوفة ، أن الذمي : لا يقتل لأن ما هو عليه من الشرك أعظم و لكن يؤدب و يعزز . والشفا ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .
(3) الصارم ، ج ٢ ، ٣١ . وانظر : بدائع الصنائع ، ج ٦ ، ص ٨١ .
(4) الشفا ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .
(5) الشفا ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .
(6) انظر : شرح مختصر خليل للخرشي ، ج ٢٣ ، ص ١٢٦ .والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ج ٧ ، ص ١٥٠ . والشفا ، ج ٢ ، ص ٢٢٣ .
(7) أنظر : السيف المسلول ، ص ١٨٨ .

- **ثالثاً : مذهب الإمام الشافعي رحمه الله :**

قال الإمام الشافعي : " يقتل الذمي إذا سب النبي وتبرأ منه الذمة " .[1]

وقد احتج الإمام الشافعي بقصة قتل محمد بن مسلمة لكعب بن الأشرف على أن الذمي إذا سب قُتل وبرئت من الذمة ، فهذا ـ كعب بن الأشرف ـ قد كانت " له هدنة وموادعة ، ومن ادعى أنه كان حربياً فلا عِلمَ له ، هذا متفق عليه بين أهل السير " .[2]

وقال أيضاً في كلام له حول مكاتبة الإمام لأهل الذمة : " إذا أراد الإمام أن يكتب كتاب صلح على الجزية ، ... ـ إلى أن قال ـ فأجبتك ـ أي الذمي ـ إلى أن عقدت لك ولهم علي وعلى جميع المسلمين الأمان ما استقمت واستقاموا بجميع ما أخذنا عليكم ،وذلك أن يجري عليكم حكم الإسلام لا حكم خلافه بحال يلزمكموه ،ولا يكون لكم أن تمتنعوا منه في شيء رأيناه نلزمكم به ،وعلى أن أحداً منكم إن ذكر محمداً أو كتاب الله عز وجل أو دينه بما لا ينبغي أن يذكره به فقد برئت منه ذمة الله ،ثم ذمة أمير المؤمنين وجميع المسلمين ،ونقض ما أُعطى عليه الأمان وحل لأمير المؤمنين ماله ودمه كما تحل أموال أهل الحرب ودماؤهم ...، فهذه الشروط لازمة له إن رضيها فإن لم يرضها ،فلا عقد له ولا جزية " .[3]

وأما أصحابه فذكروا ـ فيما إذا ذكر الله أو كتابه أو رسوله بسوء ـ وجهين :

أحدهما : ينقض عهده بذلك سواء شرط عليهم تركه أو لم يشرط بمنزلة ما إذا قاتلوا المسلمين وامتنعوا من التزام الحكم ،ومنهم من خص سب رسول الله وحده أنه يوجب القتل .

والثاني : أن السب كالأفعال التي على المسلمين فيها ضرر من قتل المسلم ،والزنا بالمسلمة ،والجس ، و ذكروا في تلك الأمور وجهين :

أحدهما : أنه إن لم يشرط عليهم تركها بأعيانها ففي انتقاض العهد بفعلها وجهان .

والثاني : لم ينتقض العهد بفعلها مطلقاً .

ومنهم من حكى هذه الوجوه أقوالاً ،وهذه طريقة العراقيين ،وقد صرحوا بأن المراد شرط تركها لا شرط انتقاض العهد بفعلها .

وأما الخراسانيون فقالوا : المراد بالاشتراط هنا شرط انتقاض العهد بفعلها لا شرط تركها ،قالوا : لأن الترك موجب لنفس العقد ،ولذلك ذكروا في تلك الخصال المضرة ثلاثة أوجه :

أحدها : ينتقض بفعلها .

والثاني : لا ينتقض .

والثالث : إن شرط في العقد انتقاض العهد بفعلها انتقض و إلا فلا .

ومنهم من قال : إن شُرطَ نقض وجهاً واحداً ،وإن لم يشرط فوجهان ،وحسبوا أن مراد العراقيين بالاشتراط هذا ،فقالوا حكاية عنهم : إن لم يجر شرط لم ينتقض العهد ،وإن جرى فوجهان ،ويلزم من هذا أن يكون العراقيون قائلين بأنه إن لم يجر شرط الانتقاض بهذه الأشياء لم ينتقض بها وجهاً واحداً و إن صرح بشرط تركها انتقض وهذا غلط عليهم .

---

(1) المجموع ، ج ١٩ ، ص ٤٢٨ .
(2) السيف المسلول ، ص ٢٣٣ .وانظر: الصارم ، ج ٢ ، ص ١٥٢ .
(3) الأم ، ج ٤ ، ص ٢٨٠ .

والذي نصروه في كتب الخلاف أن سب النبي ينقض العهد و يوجب القتل كما ذكرناه عن الشافعي نفسه .[١]

- **رابعاً : مذهب الإمام أحمد رحمه الله :**

وقد نص أحمد على انتقاض عهد الذمي ،وأنه يقتل في مواضع متعددة ،قال حنبل : سمعت أبا عبد الله يقول : " كل من شتم النبي أو تنقصه ـ مسلماً كان أو كافراً ـ فعليه القتل ،وأرى أن يقتل ولا يستتاب " .[٢]

وقال أيضاً : " كل من نقض العهد وأحدث في الإسلام حدثاً ،مثل هذا رأيت عليه القتل ليس على هذا أعطوا العهد والذمة " .[٣]

وقد سئل عن رجل من أهل الذمة شتم النبي ماذا عليه ؟ قال : إذا قامت البينة عليه يقتل من شتم النبي مسلماً كان أو كافراً .[٤]

وأيضاً سئل عن شتم النبي قال :يقتل ، قيل له : فيه أحاديث ؟ قال : نعم أحاديث منها : حديث الأعمى الذي قتل المرأة .[٥] ،وفي رواية ،قال : يقتل ،قد نقض العهد .

وقال حرب : سألت أحمد عن رجل من أهل الذمة شتم النبي قال : يقتل إذا شتم النبي .[٦] ،وقد نص على هذا في غير هذه الجوابات

قال شيخ الإسلام ـ بعد أن ساق هذه الأقوال ـ : " فأقواله كلها نص في وجوب قتله ،وفي أنه قد نقض العهد ،وليس عنه في هذا اختلاف ...، وكذلك ذَكَرَ عامة أصحابه متقدمهم ومتأخرهم ،لم يختلفوا في ذلك " .[٧]

وقد ذكر بعضهم أنه لا خلاف في أنهم إذا امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام الملة انتقض عهدهم ،وذكروا في جميع الأفعال والأقوال التي فيها ضرر على المسلمين وآحادهم في النفس أو في المال أو فيها غضاضة على المسلمين في دينهم مثل سب الرسول ،وما مثله روايتين : أحداهما : ينتقض العهد بذلك ،والأخرى : لا ينتقض عهده وتقام في حدود ذلك [٨]، مع أنهم كلهم متفقون على أن

---

(1) أنظر : الصارم ، ج ٢ ، ص ٢٩ ـ ٣١ . والسيف المسلول ، ص ١٨٥ ، ١٩٠ .
(2) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦ . والسيف المسلول ، ص ١٨٩ .
(3) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦ ، ١٧ .
(4) الصارم ، ج ٢ ، ص ١٧.
(5) سبق تخريجه ، أنظر : ص ٣٣٥ .
(6) أنظر : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٩ . والسيف المسلول ، ص ١٩٠ .
(7) الصارم ، ج ٢ ، ص ١٩ .
(8) وهو لأبي يعلى القاضي ،وتبعه في ذلك بعض الحنابلة ، فذكروا الأشياء التي يجب على أهل الذمة تركها و فيها ضرر على المسلمين وآحادهم في النفس أوفي المال ، ومنها : الإعانة على قتال المسلمين ، ثم قال : فعليه الكف عن هذا ،شُرطَ أو لم يشرط ،فإن خالف انتقض عهده ،ثم ذكر في قذف المسلم على أنه لا ينتقض عهده بل يحد حد القذف . وعليه فتخرج المسألة على روايتين : الأولى : في معنى هذه الأشياء ، وهي : ذكر الله وكتابه ودينه ورسوله بما لا ينبغي ،فهذه أربعة أشياء الحكم فيها نقض الأمان ،سواء كان مشروطاً في العهد أو لم يكن . والأخرى : لا ينتقض عهده إلا بالامتناع من بذل الجزية ،وجري أحكامنا عليهم . أنظر : الصارم ، ج ، ٢ ، ص ٢٠ ـ ٢٢ .

المذهب انتقاض العهد بذلك .[١]

والذي يظهر ـ والعلم عند الله ـ أن الراجح في المسألة : أن الذمي إذا أساء إلى الرسول بالسب ونحوه مما هو داخل في تنقصه أنه بذلك ينتقض عهده ويحل دمه ،ولا تقبل توبته إلا أن يسلم ، كما لا تقبل بغيره .

المطلب الثاني

في حكم المسيء إلى الرسول من المنافقين

المنافق إذا أظهر إساءته إلى الرسول الله بالسب أو السخرية أو الاستهزاء ،أو غير ذلك مما هو في حكمه ،فإنه يخرج من ملة الإسلام ويتوجب قتله ،والدليل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع .

- **أولاً : الأدلة من القرآن الكريم :**

١ـ قوله تعالى (يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ .وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ) [٢]

وقد ذكر الإمام الطبري في سبب نزول هذه الآيات ما روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رجل في غزوة تبوك في مجلس : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ولا أجبن عند اللقاء ،فقال رجل في المجلس : كذبت ولكنك منافق ،لأخبرن رسول الله ،فبلغ ذلك النبي ،ونزل القرآن ،قال عبد الله بن عمر : فأنا رأيته متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ،ورسول الله يقول : (أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) .[٣]

فهؤلاء لما تنقصوا النبي حيث عابوه والعلماء من أصحابه ،واستهانوا بخبره أخبر الله أنهم كفروا بعد إيمانهم ،مع قولهم إنا تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له ،بل كنا نخوض ونلعب ،وإن قالوه استهزاء فكيف بما هو أغلظ من ذلك ؟ [٤]

وبهذ يعلم أن " عدم احترام النبي المشعر بالغض منه أو تنقيصه والاستخفاف به أو الاستهزاء به ردة عن الإسلام وكفر بالله " .[٥]

وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة خصوصاً السريرة التي يمكر فيها بدينه ويستهزئ به وبآياته ورسوله ،فإن اللّه تعالى يظهرها ويفضح صاحبها ويعاقبه أشد العقوبة

---

(1) وللاستزادة في تفاصيل هذه المسألة أنظر : الشرح الكبير لابن قدامة ، ج ١٠ ، ص ٦٣٥ .والفروع لابن مفلح ، ج ١١ ، ص ٣٣٥ .والإنصاف ، ج ٧ ، ص ٢٢٤ .وشرح منتهى الإرادات ، ج ٤ ، ص ٣٢٨ .ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ، ج ٧ ، ص ٢٧٤ .

(2) سورة التوبة ، الآيات : ٦٤ ـ ٦٦ .

(3) جامع البيان ، ج ٦ ، ص ٤٠٨ . وهو حسن لغيره ، وله شواهد ومتابعات ، ذكرها ابن جرير عن قتادة وعكرمة مولى ابن عباس وعن مجاهد ابن جبر المكي . أنظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٦٣ . والدر المنثور ، ج ٤ ، ص ٢٣٠ . والصارم ، ج ٢ ، ص ٧٢ ، ٧٣ .

(4) أنظر : مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٢٢٠ ، ٢٧٣ . والصارم ، ج ٢ ، ص ٧٤ .

(5) أضواء البيان ، ج ٧ ، ص ٤٦٣ .

،وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه أو سخر بذلك أو تنقصه أو استهزأ بالرسول أو تنقصه ،فإنه كافر بالله العظيم . [١]

٢ـ قول الله تبارك وتعالى (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) . [٢]

فقوله تعالى (وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ) قيل : تكذيبهم بما وعد الله من الفتح ،وقيل : كلمة الكفر قول الجلاس بن سويد : إن كان ما جاء به محمد حقاً لنحن أشر من الحمير ، وقيل : قول عبد الله بن أبي بن سلول :(لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ) [٣]،وقيل : كلمة الكفر سب النبي والطعن في الإسلام (وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ) أي بعد الحكم بإسلامهم ، وأي ما يكون في سبب نزولها إلا أنه يقال : " إن الله تعالى أخبر عن المنافقين أنهم يحلفون بالله كذباً على كلمة كفر تكلموا بها أنهم لم يقولوها " [٤]،وفي هذا دلالة على أن المنفقين كفار ،وفي قوله تعالى : (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) [٥] ،دليل قاطع ، [٦] قال القرطبي : " هذا إعلام من الله تعالى بأن المنافق كافر ،أي أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب " . [٧]

ويؤيد هذا ما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري τ قال: سمعت رسول الله يقول : (يكون خلف بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ،ثم يكون خلف يقرءون القرآن لا يعدو تراقيهم ،ويقرأ القرآن ثلاثة : مؤمن ومنافق وفاجر) ،قال بشير فقلت للوليد : ما هؤلاء الثلاثة ؟ فقال : المنافق كافر به ،والفاجر يتأكل به ،والمؤمن يؤمن به . [٨]

٣ـ قوله تعالى (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا . مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا . سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) . [٩]

في قوله تعالى (لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) هذه الأوصاف الثلاثة لشيء واحد ،والمعنى أنهم قد جمعوها . [١٠]

وهؤلاء المنافقين إنما كان مصيرهم الطرد والنفي حيثما لقوا من الأرض، فلا يحصل لهم أمن ولا

(1) أنظر :تيسير الكريم الرحمن ، ج ١٠ ، ص ٣٤٣ .
(2) سورة التوبة ، آية : ٧٤ .
(3) سورة المنافقون ، آية : ٨ .
(4) جامع البيان ، ج ٦ ، ص ٤٢١ .
(5) سورة المنافقون ، آية : ٣ .
(6)أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ٨ ، ص ١٨٨.
(7) المرجع السابق ، ج ١٨ ، ص ١٢٤ .
(8) رواه أحمد في المسند ، برقم ١٠٩١٢ .وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن ، أنظر : المسند ، ج ٣ ، ص ٣٨ .
(9) سورة الأحزاب ، الآيات : ٦٠ ـ ٦٢ .
(10)أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٤ ، ص ٢١٨ .

يقر لهم قرار ، فإما أن يؤخذوا بالحبس أو العقاب أو القتل ،وذلك لكفرهم بالله .(١)

وفي الآيات " معنى الأمر بقتلهم وأخذهم ،أي هذا حكمهم إذا كانوا مقيمين على النفاق والإرجاف " (٢)، وإنما يكون ذلك إذا أظهروا النفاق ،لأنه ما دام مكتوماً لا يمكن قتلهم .(٣)

قال القرطبي : " قوله تعالى : (لِسُنَّةِ اللَّهِ) نصب على المصدر ،أي سن الله جل وعز فيمن أرجف بالأنبياء ،وأظهر نفاقه أن يؤخذ ويقتل (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) أي تحويلاً وتغييراً " (٤) ،فهي ثابتة دائمة في أمثال هؤلاء في الخلف والسلف (٥) من المسيئين بالتكذيب والاستهزاء وغيره ، فسنة الله جرت على الدوام أنه " للإحسان : جزائه من الإحسان وللإساءة والكفر : العقاب والنكال " .(٦)

- **ثانياً : الأدلة من السنة :**

١ـ حديث علي τ قال : بعثني رسول الله أنا والزبير والمقداد بن الأسود قال : (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ (٧)فإن بها ظعينة (٨)،ومعها كتاب فخذوه منها) فانطلقنا تعادي بنا خيلنا ،حتى انتهينا إلى الروضة ،فإذا نحن بالظعينة ،فقلنا : أخرجي الكتاب ،فقالت : ما معي من كتاب ،فقلنا : لتخرجن الكتاب أولنلقين الثياب ،فأخرجته من عقاصها ،فأتينا به رسول الله فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله فقال رسول الله : (يا حاطب ما هذا) ؟ قال : يا رسول الله لا تعجل علي ،إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ،ولم أكن من أنفسها ،وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم ،فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ،وما فعلت كفراً ولا ارتداداً ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام ،فقال رسول الله : (لقد صدقكم) قال عمر τ : يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق ، قال : (إنه قد شهد بدراً ،وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر ،فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) . (٩)

(1) جامع البيان ، ١٠ ، ص ٣٣٤ . وتيسير الكريم الرحمن ، ج ٢٢ ، ص ٦٧٢ .

(2)أنظر : الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٤ ، ص ٢١٨ . وقد نقل قول النحاس : " وهذا من أحسن ما قيل في الآية "، يعني قوله تعالى (مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا) . وانظر : كلام الشوكاني في فتح القدير ، ج ٤ ، ص ٤٣٣ ، حيث تعقب ذلك بقوله : " وأقول ليس هذا بحسن ولا أحسن فإن قوله (مَلْعُونِينَ) إلخ ، إنما هو لمجرد الدعاء عليهم لا أنه أمر لرسول الله بقتالهم ولا تسليط له عليهم " . والله أعلم .

(3)أنظر : الصارم ، ج ٣ ، ص ٦٦٠ .

(4) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١٤ ، ص ٢١٨ .

(5) للاستزادة أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٧٤١ . وفتح القدير ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ .

(6) جامع البيان ، ج ١١ ، ص ٣٥٤ .

(7) (روضة خاخ) هي بخاءين معجمتين هذا هو الصواب الذي قاله العلماء كافة في جميع الطوائف وفي جميع الروايات والكتب ووقع في البخاري من رواية أبي عوانة حاج بحاء مهملة والجيم واتفق العلماء على أنه من غلط أبي عوانة وأنما اشتبه عليه بذات حاج بالمهملة والجيم وهي موضع بين المدينة والشام على طريق الحجيج وأما روضة خاخ فبين مكة والمدينة بقرب المدينة قال صاحب المطالع وقال الصائدي هي بقرب مكة والصواب الاول . المنهاج ، ج ١٦ ، ص ٥٥ .

(8)والظعينة الجمل يظعن عليه والظعينة الهودج تكون فيه المرأة وقيل هو الهودج كانت فيه أو لم تكن والظعينة المرأة في الهودج سميت به على حد تسمية الشيء باسم الشيء لقربه منه وقيل سميت المرأة ظعينة لأنها تظعن مع زوجها وتقيم بإقامته كالجليسة ولا تسمى ظعينة إلا وهي في هودج ، أنظر : لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ٢٧٠ . واسم هذه الظعينة سارة مولاة لعمران بن أبي صيفي القرشي . المنهاج ، ج ١٦ ، ص ٥٥ .

(9) رواه البخاري في الجهاد والسير ، باب الجاسوس ، برقم ٢٧٨٥ . ومسلم في فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر ψ ، برقم ٤٥٥٠ .

وفي هذه القصة دلالة على جواز قتل المنافق من غير استتابة ،وأن ذلك " مشروع إذ لم ينكر النبي على عمر استحلال ضرب عنق المنافق ،ولكن أجاب بأن هذا ليس بمنافق ،ولكنه من أهل بدر المغفور لهم ،فإذا أظهر النفاق الذي لا ريب أنه نفاق فهو مباح الدم " .[١]

٢ـ عن عائشة رضي اله عنها ـ في حديث الإفك ـ قالت : فقام رسول الله من نومه ،فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول فقال رسول الله وهو على المنبر : (من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي ؟ ،فو الله ما علمت على أهلي إلا خيراً ،ولقد ذكروا رجلاً [٢]ما علمت عليه إلا خيراً ،وما كان يدخل على أهلي إلا معي) فقام سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل فقال : يا رسول الله أنا والله أعذرك منه : إن كان من الأوس ،ضربنا عنقه و إن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك ،فقام سعد بن عبادة ،وهو سيد الخزرج ،وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه ،وكان رجلاً صالحاً ،ولكن احتملته الحمية ،فقال لسعد بن معاذ : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ،فقام أسيد بن حضير ،وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ ،فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه ،فإنك منافق تجادل عن المنافقين ،فثار الحيان الأوس والخزرج ،حتى هموا أن يقتتلوا ،ورسول الله قائم على المنبر ،فلم يزل النبي يخفضهم حتى سكتوا وسكت .[٣]

وفي براءة عائشة رضي الله عنها وقصة الإفك أنزل الله تعالى قوله (إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) ، إلى قوله (... أُوْلَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) . [٤]

ومن هداية هذه الآيات الكريمات أن رمي أمهات المؤمنين رضي الله عنهن إساء إلى رسول الله بالطعن عليه والعيب له ،وهذا عين الأذى له ،والله تعالى يقول (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [٥]، ولهذا يستعذر ممن بلغه أذاه في أهله فيقول (من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي) أي : " ينصرني ،وقيل المراد من ينتقم لي منه ،ويؤيده قول سعد τ : أنا أعذرك منه " [٦] ،وهذا ما فهمه بعض الصحابة ψ .

ثم إن المسيء إليه بهذا ملعون في الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) [٧] .

قال شيخ الإسلام : " وعلى هذا فرميهن ـ أي أمهات المؤمنين ـ نفاق مبيح للدم ،إذا قصد به أذى النبي ،أو بعد العلم بأنهن أزواجه في الآخرة ،فإنه ما بغت امرأة نبي قط ...،فمن فعل ذلك فهو

---

(1) الصارم ، ج ٣ ، ص ٦٦٤ . قال النووي : " وفيه أن الجاسوس وغيره من اصحاب الذنوب الكبائر لا يكفرون بذلك وهذا الجنس كبيرة قطعاً لانه يتضمن إيذاء النبي وهو كبيرة بلا شك لقوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ . المنهاج ، ج ١٦ ، ص ٥٥ .

(2) هو صفوان بن المعطل τ .

(3) رواه البخاري في الشهادات ، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً ، برقم ٢٤٦٧ . ومسلم في التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول التوبة ، برقم ٤٩٧٤ .

(4) سورة النور ، الآيات : ١١ ـ ٢٦ .

(5) سورة التوبة ، آية : ٦١ .

(6) فتح الباري ، ج ٨ ، ص ٤٧٠ .

(7) سورة الأحزاب ، آية : ٥٧ .

كافر وهو بمنزلة من سب النبي " . [١]

قال ابن حجر : " وفيه أن من آذى النبي بقول أو فعل يقتل ،لأن سعد بن معاذ أطلق ذلك ولم ينكره النبي " . [٢]

٣ـ في الصحيحين عن جابر τ قال : غزونا مع النبي وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا ،وكان من المهاجرين رجل لعَّاب ،فكَسَع [٣] أنصارياً ،فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا ،وقال الأنصاري يا للأنصار ،وقال المهاجري يا للمهاجرين ،فخرج النبي فقال : (ما بال دعوى أهل الجاهلية) ،ثم قال : (ما شأنهم) فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاري ،قال : فقال : النبي (دعوها فإنها خبيثة) ،وقال عبد الله بن أبي ابن سلول : أقد تداعوا علينا ،لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ،فقال عمر τ : ألا تقتل يا رسول الله هذا الخبيث ـ لعبد الله ـ فقال النبي : (لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه) . [٤]

قال شيخ الإسلام : " ففي هذه القصة بيان أن قتل المنافق جائز من غير استتابة ،وإن أظهر إنكار ذلك القول وتبرأ منه وأظهر الإسلام ،وإنما منع النبي من قتله ما ذكره من تحدث الناس أنه يَقتل أصحابه ،لأن النفاق لم يثبت عليه بالبينة ،وقد حلف أنه ما قال ،وإنما علم بالوحي وخبر زيد بن أرقم τ ،وأيضا لمِاَ خافه من ظهور فتنة بقتله ،وغضب أقوام يخاف افتتانهم بقتله .

ففي جملة هذه الأحاديث دلالة على أن قتل المنافق كان جائزاً ،إذ لولا ذلك لأنكر النبي على من استأذنه في قتل المنافق ، ولأنكر على عمر τ إذ قتل من قتل من المنافقين ، ولأخبر النبي أن الدم معصوم بالإسلام ،ولم يعلل ذلك بكراهية غضب عشائر المنافقين لهم ،وأن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ،وأن يقول القائل : لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم ،لأن الدم إذا كان معصوماً كان هذا الوصف عديم التأثير في عصمة دم المعصوم ،ولا يجوز تعليل الحكم بوصف لا أثر له ويترك تعليله بالوصف الذي هو مناط الحكم ،وكما أنه دليل على القتل فهو دليل على القتل من غير استتابة على ما لا يخفى " .[٥]

- **ثالثاً : الإجماع :**

وقد حكى بعض أصحاب الشافعي رحمهم الله إجماع المسلمين على أن حد من سب النبي القتل ،قال شيخ الإسلام : " وهذا الإجماع الذي حكاه محمول على إجماع الصدر الأول

---

(1) مجموع الفتاوى ، ج ١٥ ، ص ٣٦٢ .
(2) فتح الباري ، ج ٨ ، ص ٤٨٠ .
(3) الكسع : قال ابن التين الكسع أن تضرب بيدك على دبر شيء أو برجلك ،وقال القرطبي أن تضرب عجز إنسان بقدمك ،وكذا قال الخليل ،وقيل الضرب بالسيف على المؤخر ،وقال ابن القطاع كسع القوم ضرب أدبارهم بالسيف وكسع الرجل ضرب دبره بظهر قدمه ،وكذا إذا تكلم فأثر كلامه بما ساءه .أنظر : فتح الباري ، ج ١ ، ص ١٧٩ ، ج ٨ ، ص ٦٥١ . وعمدة القاري ، ج ١٦ ، ص ٨٨ . والمنهاج ، ج ١٦ ، ص ١٣٨ .
(4) رواه البخاري في المناقب ، باب ما ينهى عنه من دعوة الجاهلية ، برقم ٣٢٥٧ . ومسلم في البر والصلة والآداب ، باب أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، برقم ٤٦٨٢.
(5) الصارم ، ج ٣ ، ص ٦٧١ ـ ٦٧٣ .

من الصحابة والتابعينψ ،أو أنه أراد به إجماعهم على أن ساب النبي يجب قتله إذا كان مسلماً ... ،وكذلك حكي عن غير واحد الإجماع على قتله و تكفيره " .[(١)]

وقد قيده القاضي عياض فقال : " أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه ".[(٢)]

وقال الإمام إسحاق بن راهويه : " أجمع المسلمون على أن من سب رسوله الله أو دفع شيئاً مما أنزل الله عز و جل أوقتل نبياً من أنبياء الله عز وجل : أنه كافر بذلك ،و إن كان مقراً بكل ما أنزل الله " . [(٣)]

ولعل سائلاً يقول : لماذا لم يقتل النبي المنافقين الذين ثبت نفاق بعضهم عنده وقبل علانيتهم ؟

والجواب على هذا من وجهين :

الأول : أن عامتهم لم يكن ما يتكلمون به من الكفر مما يثبت عليهم بالبينة ،بل كانوا يظهرون الإسلام ،ونفاقهم يُعرف تارة بالكلمة يسمعها الرجل المؤمن ،فينقلها إلى النبي ،فيحلفون بالله أنهم ما قالوها ،أولا يحلفون ،وتارة بما يظهر من تأخرهم عن الصلاة والجهاد واستثقالهم للزكاة وظهور الكراهة منهم لكثير من أحكام الله ،وعامتهم يعرفون في لحن القول كما قال الله (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ . وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) [(٤)].

ومنهم من كان يقول القول أو يعمل العمل فينزل القرآن يخبر أن صاحب ذلك القول والعمل منهم وكان المسلمون أيضاً يعلمون كثيراً منهم بالشواهد والدلالات والقرائن والأمارات ،ومنهم من لم يكن يعرف كما قال تعالى : (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ) [(٥)] .

ثم إن جميع هؤلاء المنافقين يظهرون الإسلام ويحلفون أنهم مسلمون وقد اتخذوا أيمانهم جنة ،وإذا كانت هذه حالهم فالنبي لم يكن يقيم الحدود بعلمه ولا بخبر الواحد ولا بالدلائل والشواهد ولا بغير ذلك حتى يثبت الموجب للحد ببينة أو إقرار ،فكان ترك قتلهم ـ مع كونهم كفاراً ـ لعدم ظهور الكفر منهم بحجة شرعية .

الوجه الثاني : أنه كان يخشى أن يتولد من قتلهم من الفساد أكثر مما في استبقائهم ،وقد بين ذلك حين قال : (لا يتحدث الناس أنه كان يقتل أصحابه) ،فإنه لو قتلهم بما يعلمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظان أنه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد ،وإنما قصده الاستعانة بهم على الملك ...،وأن يخاف من يريد الدخول في الإسلام أن يقتل مع إظهاره الإسلام كما قتل غيره .

وقد كان أيضاً يغضب لقتل بعضهم قبيلته وأناس آخرون ،فيكون ذلك سبباً للفتنة ،واعتبر ذلك بما جرى في قصة عبد الله بن أبي لما عرَّض سعد بن معاذ بقتله ،خاصم له أناس صالحون

---

(1) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ١٤ .
(2) الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .
(3) الصارم ، ج ٢ ، ص ١٤ .
(4) سورة محمد ، الآيتان : ٢٩ ، ٣٠ .
(5) سورة التوبة ، آية : ١٠١ .

و أخذتهم الحمية حتى سكّتهم رسول الله ،وقد بيَّن ذلك رسول الله لما استأذنه عمر τ في قتل ابن أبي .[1]

والحاصل مما تقدم " أن الحد لم يقم على واحد بعينه ،لعدم ظهوره بالحجة الشرعية التي يعلمه بها الخاص والعام ،أو لعدم إمكان إقامته ، إلا مع تنفير أقوام عن الدخول في الإسلام ،وارتداد آخرين عنه

،وإظهار قوم من الحرب والفتنة ما يربي فساده على فساد ترك قتل منافق ،وهذان المعنيان حكمهما باق إلى يومنا هذا إلا في شيء واحد و هو أنه ربما خاف أن يظن الظان أنه يقتل أصحابه لغرض آخر ،مثل أغراض الملوك فهذا منتف اليوم " .[2]

إذا كان كذلك فهل تقبل توبة المنافق [3] أم لا ؟

وقع خلاف بين أهل العلم في هذه المسألة ، وذلك على قولين :

أحدهما : لا يستتاب ولا تُسقِط القتل عنه توبته ، وهوالمشهور عن مالك [4] وأحمد في المشهورعنه [5]، وذكر القاضي عياض أنه المشهور من قول السلف وجمهور العلماء ،وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي [6] ، وأحد القولين في مذهب أبي حنيفة ،وكذا عند بعض أصحابه [7] .

قال الإمام مالك : " من سب النبي قُتل ولم يستتب " ، وقال أيضاً : " من سب رسول الله أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلماً كان أو كافراً ولا يستتاب " . [8]

وقال الإمام أحمد ـ في رواية ـ : " من شتم النبي قتل ، وذلك أنه إذا شتم فقد ارتدَّ عن الإسلام ، ولا يشتم مسلم النبي " ، وقال : " من شتم النبي مسلماً كان أو كافراً يقتل " .[9]

القول الآخر : أنه تقبل توبته ،وحكاه مالك [10]وأحمد [11]،وهو قول الإمام أبي حنيفة وأصحابه [12]،وهو المشهور من مذهب الإمام الشافعي [13] بناء على قبول توبة المرتد [14] .

---

(1)أنظر : الصارم ، ج ٣ ، ص ٦٧٣ ـ ٦٨٩ . بتصرف يسير .

(2) الصارم ، ج ٣ ، ص٦٨١ . وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٧٧ .و أحكام القرآن لابن العربي ، ج ١ ، ص ٢١ .

(3) قال ابن قدامة : " الردة لا تصح إلا من عاقل ،فأما من لا عقل له كالطفل الذي لا عقل له والمجنون ومن زال عقله باغماء أو نوم أومرض أو شرب دواء يباح شربه فلا تصح ردته ،ولا حكم لكلامه بغير خلاف ،قال ابن المنذر : أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم على أن المجنون إذا ارتد في حال جنونه أنه مسلم على ما كان عليه قبل ذلك " . المغني ، ج ١٠ ، ص ٧٢ .

(4) أنظر : حاشية الصاوي على الشرح الصغير ، ج ١٠ ، ص ٢٤١. والفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ج ٧ ، ص ١٥٠.

(5) أنظر : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، ج ٨ ، ص ١٤.والإنصاف ، ج ١٦ ، ص ٩٣، ٩٤ . والشرح الكبير ، ج ١٠ ، ص ٨٩. ٦٦ . والمغني ،ج ٥ ، ص ١٩٩. ج ١٩ ، ص ٤٥١. ومطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ،ج ١٤ ، ص ٦٦ .

(6) أنظر : المجموع ، ج ١٩ ، ص ٢٣٣.

(7) أنظر : حاشية رد المحتار ، ج ٤ ، ص ٤٢٢ .والبحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ج ١٣ ، ص ٤٩٩ .

(8) السيف المسلول ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

(9) المرجع السابق ، ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(10) أنظر : الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ج ٧ ، ص ١٤٧ .

(11) أنظر : الشرح الكبير ، ج ١٠ ، ص ٨٩.

(12) أنظر : البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ج ١٣ ، ص ٤٩٧ .

(13) أنظر : الأم ، ج ٥ ، ص ٨٢ .

(14) أنظر : الصارم ، ج ٣ ، ص ٥٧٧ ـ ٥٩٥ .ومجموع الفتاوى ، ج ٢ ، ص ٤٨٣ .

وفي الزنديق الذي يُظهر الإسلام ،قال الإمام أبو حنيفة : " أستتيبه كالمرتد ، فإن أسلم خليت سبيله وإن أبى قتلته " . [١]

قال أصحاب الشافعي : " إنما لم يقتلهم لأن الزنديق وهو الذي يسر الكفر ويظهر الإيمان يستتاب ولا يقتل " . [٢]

قال ابن قدامة : " إن مفهوم كلام الخرقي أنه إذا تاب قبلت توبته ولم يقتل أي كفر كان ،وسواء كان زنديقاً يستتر بالكفر أو لم يكن ،وهذا مذهب الشافعي والعنبري ،ويروى ذلك عن علي وابن مسعود وهو إحدى الروايتين عن أحمد واختيار أبي بكر الخلال وقال إنه أولى على مذهب عبد الله .. " [٣]

والصواب ـ والعلم عند لله ـ ما عليه الجماعة وهو قبول التوبة مطلقاً ،لأن الله سبحانه و تعالى قال في كتابه : (كَيْفَ يَهْدِي اللّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ .خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ) . [٤]

فأخبر أنه غفور رحيم لمن تاب بعد الردة ،وذلك يقتضي مغفرته له في الدنيا والآخرة ،ومن هذا حاله لم يعاقب بالقتل ،قال النووي ـ بعد أن أشار إلى الأقوال في المسألة : " والأصوب فيها : قبولها مطلقاً للأحاديث الصحيحة المطلقة " [٥]،ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما ـ المتفق عليه ـ أن رسول الله قال : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) [٦] ، [٧]

والحديث الصحيح الآخر ،وفيه : فقال رجل كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء قال فبلغ ذلك النبي فقال : ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ،يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء) قال فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال يا رسول الله : اتق الله ، قال : (ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله) قال ثم ولى الرجل قال خالد بن الوليد : يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ ، قال : (لا لعله أن يكون يصلي) فقال خالد : وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال رسول الله : (إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم) الحديث [٨]

ثم إن فهم وفعل أصحاب النبي و ψ كان على ذلك ، فإنه لما توفى النبي ارتد أكثر العرب إلا أهل مكة والمدينة والطائف واتبع قوم من تنبأ لهم ،فقاتلهم الصدِّيق وسائر الصحابة

---

(1) أحكام القرآن للجصاص ، ج ٥ ، ص ١٥٦ . وفيه ذكر عن أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وزفر : " في الأصل لا يقتل المرتد حتى يستتاب ، ومن قتل مرتداً قبل أن يستتاب فلا ضمان عليه " .

(2) الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، ص ٢٤٤ . وقد ذكر أقوالاً أخرى في المسألة .

(3) المغني ، ج ١٠ ، ص ٧٢ .

(4) سورة آل عمران ، الآيات : ٨٦ ـ ٨٩ .

(5) المنهاج ، ج ١ ، ص ٢٠٧ .

(6) سبق تخريجه ، أنظر : ص ٧٢ .

(7)أنظر : نيل الأوطار ، ج ١ ، ص ٣٦٤ . وفيه قال : " من أظهر الإسلام وأسر الكفر يقبل إسلامه في الظاهر وهذا قول أكثر العلماء "

(8)رواه البخاري في المغازي ، باب بعث علي وخالد بن الوليد رضي الله عنهما ، برقم ٤٠٠٤ . ومسلم في الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ، برقم ١٧٦٣ .

ψ حتى رجع أكثرهم إلى الإسلام فأقروهم على ذلك ،ولم يقتلوا واحداً ممن رجع إلى الإسلام ،وقد حكى ذلك شيخ الإسلام إجماعاً عن الصحابة ψ . (١)

المطلب الثالث

في حكم المسيء إلى الرسول من المسلمين

في البداية : هل يمكن أن تقع الإساءة إلى الرسول من جانب المسلم ؟

لو نظرنا إلى ما حدث في غزوة تبوك ، وقول رجل لعوف بن مالك τ : ما لقرائنا هؤلاء أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة وأجبننا عند اللقاء ! .(٢)

وهو الذي كان سبباً في نزول قوله تعالى : (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ . لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ) (٣)،وهؤلاء النفر لم يقل أحد عنهم بأنهم كانون كفاراً ، أو أنهم قد خرجوا عن الإسلام بقول ما قبل ذلك ، إنما الذي يظهر أنهم كانوا مسلمين ،لكم ممن ضعف الإيمان في قلوبهم .

ومثل هذه الآية قوله تعالى (إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ . اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) (٤).

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقول من يقول عن مثل هذه الآيات : أنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم ،لا يصح لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر ،فلا يقال : قد كفرتم بعد إيمانكم ،فإنهم لم يزالوا كافرين فى نفس الأمر ،وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان ،فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم ،وهم مع خواصهم ما زالوا هكذا ،بل لما نافقوا وحذروا أن تنزل سورة تبين ما فى قلوبهم من النفاق ،وتكلموا بالإستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم ،ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين .

وقد قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ. يَحْلِفُونَ بِاللّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ) (٥)،فهنا قال وكفروا بعد إسلامهم ،فهذا الإسلام قد يكون من جنس إسلام الأعراب فيكون قوله بعد إيمانهم وبعد إسلامهم سواء ،وقد يكونون ما زالوا منافقين فلم يكن لهم حال كان معهم فيها من الإيمان شيء لكونهم أظهروا الكفر والردة ،ولهذا دعاهم إلى التوبة ...،وهذا إنما هو لمن أظهر الكفر فيجاهده الرسول بإقامة الحد والعقوبة .

---

(1)أنظر : الصارم ، ج ٣، ص ، ٥٩١ ، ٦٠٣ .و الشفا ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

(2) أنظر : المطلب السابع في بواعث الإساءة ، ص ٢٨٠ .

(3) سورة التوبة ،آية : ٦٥ .

(4) سورة المنافقون ، الآيات : ١ ـ ٣ .

(5) سورة التوبة ، الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ .

وهؤلاء الصنف الذين كفروا بعد اسلامهم غير الذين كفروا بعد إيمانهم ...،فصدر منهم قول وفعل ، فدل على أنهم لم يكونوا عند أنفسهم قد أتوا كفراً بل ظنوا أن ذلك ليس بكفر ،فبين أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر يكفر به صاحبه بعد إيمانه ،فدل على أنه كان عندهم إيمان ضعيف ،ففعلوا هذا المحرم الذى عرفوا أنه محرم ،ولكن لم يظنوه كفراً ،وكان كفراً كفروا به ،فإنهم لم يعتقدوا جوازه ،وهكذا قال غير واحد من السلف " .[١]

وبهذا يتضح أنه من الممكن أن يواقع المسلم هذا الكفر ويغشاه ، بعد أن " اعتقد الإسلام ظاهراً وباطناً ،وأنه يكفر بعد إسلامه ويرتد ، إذا أتى بناقض من نواقض الإيمان ، القولية أوالفعلية ، أوالاعتقادية ، كالاستهزاء بالدين " [٢].

إذاً فما حكم إساءة المسلم إلى رسول الله ؟

قال الإمام مالك : " من سب النبي أو شتمه أو عابه أو تنقصه قتل مسلماً كان أو كافراً ولا يستتاب " وقال أيضاً : " من سب النبي أو غيره من النبيين مسلماً كان أو كافراً قتل ولم يستتب " [٣].

ويقول الإمام أحمد : " كل من شتم النبي أو تنقصه ـ مسلماً كان أو كافراً ـ فعليه القتل ،وأرى أن يقتل ولا يستتاب " . [٤]

وقد سئل عن رجل من أهل الذمة شتم النبي ماذا عليه ؟ قال : " إذا قامت البينة عليه يقتل من شتم النبي مسلماً كان أو كافراً " . [٥]

ويقول القاضي عياض : " أجمعت الأمة على قتل متنقصه من المسلمين وسابه " [٦] ،ثم استدل بقوله تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا) . [٧] وهذا " يقتضي تحتم قتله ،وإن تاب بعد الأخذ لأنه سبحانه ذكر الذين يؤذون الله ورسوله والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ،فإذا كانت عقوبة أولئك لا تسقط إذا تابوا بعد الأخذ فعقوبة هؤلاء أولى و أحرى ،لأن عقوبة كليهما على الأذى الذي قاله بلسانه ،لا على مجرد كفر هو باق عليه " [٨].

وبهذا نخلص إلى " تحرير القول فيه : أن الساب إن كان مسلماً فإنه يكفر ويقتل بغير خلاف ،وهو مذهب الأئمة الأربعة وغيرهم وقد تقدم ممن حكى الإجماع على ذلك " [٩].

---

(1) مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص٢٧٢ ، ٢٧٣ . وانظر : الصارم ، ج ٢ ، ص ٤٥٢ .
(2) الاستهزاء بالدين ، ص ٤٩٦ .
(3) الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ، ٣٢٣ .والصارم ، ج ٣ ، ص ٥٧٢ .
(4) الصارم ، ج ٢ ، ص ١٦ . ج ٣ ، ص ٥٥١ .
(5) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٧ .
(6) الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .وانظر : الصارم ، ج ٢ ، ص ١٤ . والسيف المسلول ، ص ٩٧ .
(7) سورة الأحزاب ،آية : ٥٧ .
(8) الصارم ، ج ٣ ، ص ٦٣٥ .
(9) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦ . وقد سبق نقل إجماع الصحابة والتابعين على أن ساب النبي يجب قتله إذا كان مسلماً . أنظر : ص ٣٦١ . وقال أبو سليمان الخطابي : " لا أعلم أحداً من المسلمين اختلف في وجوب قتله إذا كان مسلماً " . أنظر : الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨.والصارم ، ج ٢ ، ص ١٥ .و السيف المسلول ، ص ٧٩ .

وقد تقدم [1] معنا كثير من نصوص الأئمة حول هذا ، وبهذا يتبين أن هذه الإساءة من المسلم كفر بالله تعالى وبرسوله ﷺ وردّة عن الإسلام ، وأنها تستوجب القتل ، نسأل الله تعالى العافية .

المبحث الثالث
أثر الإساءة إلى الرسول ﷺ .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أثر الإساءة على المسيئين في الدنيا والآخرة .

المطلب الثاني : أثر الإساءة على الأمة الإسلامية .

(1) أنظر : في تقرير كفر المسيء إلى الرسول ﷺ ، وأنه يجب قتله ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣٨ ، وحكم المسيء من المنافقين ، ص ٣٥٤ ـ ٣٦٥ .

المطلب الأول

أثر الإساءة على المسيئين في الدنيا والآخرة

يقول الله تعالى : (أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (١)،ويقول سبحانه : (إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ . كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٢).

فالله سبحانه وتعالى " قد حكم وكتب في كتابه الأول ،وقدره الذي لا يُخالف ولا يُمانع ولا يبدَّل بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين في الدنيا والاخرة " (٣)

ويقول سبحانه (وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) (٤) ،ويقول تعالى (إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ) (٥) .

فلو تأملت الآيات العظيمة التي وردت في كتاب الله تعالى ،والتي ذكر فيها سبحانه عقوبة المسيئين الأليمة التي تحيط بهم ،لوجدت أمراً مهولاً تتفطر منه الأكباد ، وتنخلع لهوله الأفئدة .

ففيها الخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة والهلاك والدمار في العاجلة والعذاب المقيم في الآجلة .

أولاً : أثر الإساءة على المسيئين في الدنيا (٦) :

إن مما سنه الله تبارك وتعالى في هذا الكون سُنَّة المدافعة ، وهي ما تُسمى : بالصراع بين الحق والباطل ،فكما أن للحق أهله المجتهدين في نصرته القاذفين فيه على الباطل بُغية دمغه وطمسه ،كذلك للباطل أعوانه الذين يحاولون بكل وسيلة إعلاء باطلهم وتزيينه وإغراء الناس به

---

(1) سورة القلم ،الآيتان : ٣٥ ، ٣٦ .
(2) سورة المجادلة ، الآيتان : ٢٠ ، ٢١ .
(3) تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٤٢١ .
(4) سورة هود ، آية : ١٠٢ .
(5) سورة البروج ، آية : ١٢ .
(6) سبق الحديث عن أقسام الردة وشيئاً من أحكامها ،أنظر : المطلب الأول من المبحث الأول من هذا الفصل ،ص ٣١٥ . وأيضاً حكم الإساءة إلى الرسول من الكافر و المنافق و المسلم ، أنظر : المبحث الثاني من هذا الفصل ، ص ٣٣٩ ـ ٣٦٨ . وهذا الحكم أثر من آثار الإساءة بل هو من أعظمها أثراً، وحيث سبق الكلام فيه فقد رأيت ألّا أُعيد ما ذكرت سابقاً .

،وإبعاد الحق وإقصاءه والتنفير منه ،يقول الله تعالى (مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا) [١].

ولكن لولا أن الله يدافعُ بأهل الحق أهلَ الباطل ، وينصر أهله وخاصته على من عاداه لكانت النتيجة هي فساد الأرض وانتشار الشر ، وتلك من صفات أولئك المسيئين ، قال الله تعالى (وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [٢]، وقال سبحانه (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) [٣]، ولهذا فمن الواجب أن يكون أهل الحق متصفين بالقوة ،وألا يتسلل الضعف إلى نفوسهم ، حتى لا يهنوا في مدافعة الباطل وأهله ، فمن الحجة البليغة إلى المنازلة بالحسام ، إذا لم يكن سبيل للنصر إلا بذاك ،يقول سبحانه (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) [٤]،سيما وأن أولئك كانوا وما زالوا مهتبلين كل فرصة للنيل من الحق وأهله ، فحيث وجدوا خللاً أو فرصة كضعف أو نحوه ،فإنهم لا يألون جهداً في مدافعة الحق بالباطل . [٥]

فمن حكمته الله تعالى " أن يجعل الجولة الأولى للكافرين في معركة الصراع ، ثم تكون العاقبة للمتقين ، ويُنزِلُ الله عقابه الدنيوي على أهل الكفر والعناد والاستكبار ، الذين اتخذوا دينهم هزواً ولعباً " [٦]، وهذا مصير أهل السوء والإساءة ، يقول الله تعالى (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) [٧] .

يقول الله تعالى (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) [٨] ،فبسبب تلك الإساءة " وقع بهم العذاب الذي استهزأوا به " وهو استهزاؤهم برسل الله تعالى .

يقال : حاق الشيء يحيق حيقاً وحُيُوقاً وحيقاناً نزل : أي فنزل ما كانوا به يستهزئون ،وأحاط بهم : وهو الحق حيث أهلكوا من أجل الاستهزاء به ، والمعنى في هذه الآية " أي أحاط ودار بسبب ذلك بالذين سخروا من أولئك الرسل وهزأوا بهم (مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ) ،ما موصولة أو مصدرية : أي فأحاط بهم الأمر الذي كانوا يستهزئون به ،أو فأحاط بهم استهزاؤهم : أي جزاؤه على وضع السبب موضع المسبب أو نفس الاستهزاء إن أريد به العذاب الأخروي " [٩].

ويقول تبارك وتعالى (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) [١٠] ،يقول الألوسي : " (فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ) أي تركتهم ملاوة ،أي من

---

(1) سورة الكهف ، آية : ٥ .
(2) سورة البقرة ، آية ٢٥١ .
(3) سورة الحج ، آية : ٤٠ .
(4) سورة الحجرات ، آية : ١٥ .
(5) للاستزادة أنظر : الصراع بين الحق والباطل ، ٥ ، ٦ .
(6) أنظر : الاستهزاء بالدين ، ص ٥٦٠ .
(7) سورة فصلت ،آية : ٤٦ .
(8) سورة الأنعام ، آية : ١٠ .
(9) أنظر : جامع البيان ، ج ٥ ، ص ١٥٣ . وفتح القدير ، ج ٢ ، ص ١٤٨ ، ج ٣ ، ص ٥٨٥ .
(10) سورة الرعد ، آية : ٣٢ .

الزمان ،ومنه الملوان في أمن ودعة ،كما يملي للبهيمة في المرعى ،وهذا تسلية للحبيب عما لقى من المشركين من الاستهزاء به وتكذيبه وعدم الاعتداد بآياته واقتراح غيرها ،وكل ذلك في المعنى استهزاء ووعيد لهم ،والمعنى أن ذلك ليس مختصاً بك ،بل هو أمر مطرد قد فُعل برسل جليلة كثيرة كائنة من قبلك ،فأمهلت الذين فعلوه بهم ،والعدول في الصلة الى وصف الكفر ليس لأن المملي لهم غير المستهزئين بل للإشارة إلى أن ذلك الاستهزاء كفر ، كما قيل وفي الإرشاد لإرادة الجمع بين الوصفين ،أي فأمليت للذين كفروا بكفرهم مع استهزائهم لا باستهزائهم فقط ،ثم أخذتهم فكيف كان عقاب " (١) .

يقول شيخ الإسلام : " وقد أخبر سبحانه بما عاقب به أهل السيئات من الأمم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وقوم فرعون فى الدنيا ،وأخبر بما يعاقبهم به فى الآخرة ...،ولهذا قال مؤمن آل فرعون (وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ . وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ . يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (٢) .

ولهذا يذكر الله فى عامة سور الإنذار ما عاقب به أهل السيئات فى الدينا ،وما أعده لهم فى الآخرة ،وقد يذكر فى السورة وعد الآخرة فقط ،اذ عذاب الآخرة أعظم وثوابها أعظم وهى دار القرار " (٣).

فكان من آثار الإساءة على المسيئين في الدنيا تلك العقوبات المتنوعة التي أنزلها الحق تبارك وتعالى بتلك الأقوام المسيئة ، وهذا من إرادته وحكمته جل وعلا ،يقول سبحانه وتعالى (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) (٤)،وقال تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (٥) .

فمن ذلك ما يلي :

أولاً : قوم نوح υ :

بعد أن انحرف الناس عن التوحيد ، وأوغلوا في حمأة الشرك والضلال واتخاذ الأصنام ، أرسل الله نبيه نوح υ ، فدعا قومه إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، قال تعالى (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) (٦) .

ولكن قومه قابلوا ذلك بالإساءة من السخرية والاستهزاء والتكذيب ، قال تعالى (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ . فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ. فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ . وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ . وَحَمَلْنَاهُ عَلَى

(1)روح المعاني ، ج ١٣ ، ص ١٥٩ . وانظر : تفسيرالقرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٦٧٩ .
(2) سورة غافر، الآيات : ٣٠ ـ ٣٣ .
(3) مجموع الفتاوى ، ج ٢٨ ، ص ١٣٩ .
(4) سورة الأنبياء ، آية : ٢٣ .
(5) سورة يونس ، آية : ٤٤ .
(6) سورة الأعراف ، آية : ٥٩ .

ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ . تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاء لِّمَن كَانَ كُفِرَ . وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ . فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ) [1].

وقال سبحانه (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) [2].

فكان مصيرهم أن أغرقهم الله سبحانه وتعالى بالطوفان (فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ) [3] .

ثانياً : قوم هود υ :

دعا هود υ قومه إلى التوحيد ،وبين لهم بالحجة والبرهان ، ولكنهم لسوء تفكيرهم وانطماس بصيرتهم أخذتهم العزة بالإثم ، وغرتهم النعم ، فجحدوا وأصروا على كفرهم وعنادهم وعبادتهم للأصنام ، بل تبجحوا واستهزؤا بطلب العذاب ، قال تعالى (قَالُواْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) قالوا ذلك على سبيل الإنكار والاستهزاء ،(فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [4].

وقد ذكر الله تعالى ما حلَّ من العذاب بعاد ، وهو اللعنة والريح الشديدة التي استأصلتهم فلم تبقي لهم أثراً ،فقال سبحانه (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ . وَأُتْبِعُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ) [5]، وقال سبحانه (وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ . سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ . فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ) [6].

ثالثاً : قوم صالح υ :

أساء أصحاب الحجر كما أساء من سبقهم ،فدعاهم نبي الله صالح υ إلى عبادة الله وحده وترك ما سواه ، إذ كانوا يعبدون الأوثان من دون الله إلا أن ثمود استعصوا على نبيهم وأصروا على كفرهم وعنادهم وجحدوا آيات ربهم وتحدوا نبيهم ،فأساءوا وسخروا ،ثم إنهم عقروا آيتهم الناقة ،قال الله تعالى (فَعَقَرُواْ النَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [7] .

فكانت عاقبتهم الرجفة ،وهي الزلزلة الشديدة التي أهلكتهم وهم قيام في أماكنهم لا يستطيعون ردَّ شيء من ذلك عن أنفسهم قال سبحانه (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ

(1) سورة القمر ، الآيات : ٩ ـ ١٦ .
(2) سورة هود ، الآيتان ٣٨ ، ٣٩ .
(3) سورة الأعراف ، آية : ٦٤ .
(4)سورة الأعراف ، آية : ٧٠ .
(5)سورة هود، الآيتان ٥٩ ، ٦٠ .
(6) سورة الحاقة ، الآيات : ٦ ـ ٨ .
(7) سورة الأعراف ، آية : ٧٧ .

جَاثِمِينَ) [١] ،وقال تبارك وتعالى (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ . كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ إِنَّ ثَمُودَ كَفرُواْ رَبَّهُمْ أَلاَ بُعْدًا لِّثَمُودَ) [٢] .

رابعاً : قوم لوط υ :

ومن العقوبات التي حلّت بالمسيئين الساخرين أهل قرية سدوم قوم لوط υ ،إذ عُرفوا بقبيحة لم تعرف في أمة خلت من قبل ، قال سبحانه (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [٣] ،فيرسل الله تعالى لهم نبيه لوط υ فيدعوهم ،ولكنهم يصرون ويتمادون في الطغيان والعمى ، بل أساءوا مرة أخرى حينما راودوه عن أضيافه يريدون بهم الفاحشة ، قال تبارك وتعالى (وَجَاءهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُواْ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلاء بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَلاَ تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) [٤] .

فبعد أن قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار وخالفوا الرسول وكذبوه وهموا بإخراجه من بينهم ،قال الله تعالى(وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)[٥].

فكانت النتيجة أن قلب الله عليهم قريتهم ، فجعل عاليها سافلها ، بعد أن رفعها إلى السماء وألقى بها على الأرض ، ثم زاد عذابهم بأن أمطر عليهم مطراً من حجارة معدة للعذاب ،قال تعالى (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) [٦] ،" وجعل الله مكانها بحيرة خبيثة منتنة ،وجعلهم عبرة إلى يوم التناد ،وهم من أشد الناس عذاباً يوم المعاد " [٧] ، قال تعالى (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ . وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [٨] .

خامساً : قوم شعيب υ :

ومن تلك العقوبات الدنيوية للمسيئين ما نزل بأهل مدين ، الذين ألِفُوا الأصنام واستحبوا الشرك على الإيمان بالله ، والذين زادوا على إساءتهم بخلق سيء يرون بأنه سبباً لنماء ثروتهم ، فجعلوه دستوراً لحياتهم ، حيث كانوا ينقصون الكيل والميزان ، ويبخسون الناس أشياءهم ، ويصدون عن سبيل الله ، ويمنعون الناس ويصدونهم عن الهدى ، فأخذ نبي الله شعيب υ يدعوهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ،والبعد عما يشين من الأخلاق ، كما قال تعالى(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ

(1) سورة الأعراف ، آية : ٧٨ .
(2)سورة هود ، الآيتان : ٦٧ ، ٦٨ .
(3) سورة العنكبوت ، آية : ٢٩ .
(4) سورة هود ، آية : ٧٨ .
(5)سورة الأعراف ،آية : ٨٢ .
(6) سورة الأعراف، آية ٨٤ .
(7) تفسير القرآن العظيم ، ج ٣ ، ص ٥٤٦ .
(8) سورة العنكبوت ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥ .

إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [١] ، قال تعالى (قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ) [٢] .

فكان عاقبة ذلك الرجفة ، وهي الزلزلة الشديدة والتي صاحبها صوت شديد فلم تبق لهم أثراً ، قال الحق تبارك وتعالى (وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [٣] .

سادساً : فرعون وبني إسرائيل :

فهذا الرجل (فرعون) قد طغى وتجبر وتعالى ، حتى ادعى بأنه الإله ،كما قال تعالى حكاية عنه (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي) [٤]،وبأنه الرب قال تعالى (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) [٥] ،فظلم من تحته من بني إسرائيل أشد الظلم وأقساه ، فأخذ يقتل أبنائهم ويستحيي نسائهم ، فأرسل الله إليه موسى υ يدعوه إلى عبادة الله وحده ، قال تعالى (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُواْ بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) [٦]،ولكنه أبى وكذب وعصى ، فما كان من موسى υ إلا أن أراه الآيات الدالة على صدقه ، قال تعالى (فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ) [٧] ،لكنه أصر على الكفر والتكذيب .

فكانت نهايته الغرق في اليمَّ هو وجنوده ، قال سبحانه (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ) [٨] ،وقد نجَّى بدنه ليكون آية للعالمين ،قال تعالى (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً) [٩].

- **معاصي بني إسرائيل وعقاب الله لهم [١٠]:**

ويمكن إجمالها على النحو التالي :

١ ـ جحد نعم الله عليهم ، فبعد أن أنعم الله عليهم بنجاتهم من فرعون وخلصهم من الذل والاستعباد وتقتيل الأبناء واستحياء النساء وإهلاك عدوهم فرعون رأي العين ، طلبوا من موسى υ أن يجعل لهم إلهاً يعبدونه من دون الله ! ، قال الله تعالى (وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ . إِنَّ هَؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ) [١١] .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ٨٥ .
(2) سورة الأعراف، آية : ٨٨ .
(3) سورة هود ، آية : ٩٤ .
(4) سورة القصص ، آية : ٣٨ .
(5) سورة النازعات ، آية : ٢٤ .
(6)سورة الأعراف ، آية : ١٠٣ .
(7) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٠٧ ، ١٠٨ .
(8)سورة الذاريات ، آية : ٤٠ .
(9) سورة يونس ، آية : ٩٢ .
(10) للاستزادة أنظر : الصراع بين الحق والباطل ، ص ٦٤٠ ـ ٦٤٢ .
(11) سورة الأعراف ، الآيتان : ١٣٨، ١٣٩ .

٢ـ اتخاذهم العجل حين غاب عنهم موسى υ ، لتلقي التوراة ، وعبادتهم له من دون الله تعالى ، يقول سبحانه (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ) (١) .

وبسبب هذه الإساءات عاقبهم الله تعالى على ذلك بعقوبتين هما : الغضب والذلة في الحياة الدنيا ،قال سبحانه وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ) (٢) .

٣ـ تبديلهم ما أمرهم الله به من القول والفعل عند دخولهم الأرض المقدسة ، فبدل أن يقول ما أمرهم الله : (حِطَّةٌ) ، أي أن يحط عنهم خطاياهم (٣) ،ولكنهم قالوا : حنطة في شعير ، وأمرهم أن يدخلوا الباب سجداً ، ولكنهم دخلوا يزحفون على أستاههم ، كما في قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) (٤).

وقد عوقبوا في الحياة الدنيا بأن أرسل الله عليهم رجزاً من السماء ،نظير طغيانهم وعدوانهم وفسقهم ، قال الله سبحانه (فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) (٥) .

٤ـ نقضهم الميثاق الذي أخذه الله عليهم ، كما في قوله سبحانه (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ) (٦) .

فكان عقابهم بأن رفع الله جبل الطور فصار كالمظلة فوق رؤوسهم ، وذلك ليحملهم على الاستمساك بالميثاق الذي أخذ عليهم ، كما قال تعالى (وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (٧).

٥ـ تعديهم على محارم الله ، وذلك باصديادهم في اليوم الذي حرم عليهم الصيد فيه ، وذلك أنهم اختاروا لأنفسهم يوم السبت للعبادة ، فابتلاهم الله بأن تأتيهم حيتانهم في يوم سبتهم ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ، كما في قوله تعالى (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) (٨) .

فكان عقابهم أن مسخهم الله تعالى قردة ، قال سبحانه (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَواْ مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ) (٩) .

---

(1) سورة الأعراف ، آية : ١٤٨ .
(2) سورة الأعراف ، آية : ١٥٢ .
(3) أنظر : جامع البيان ، ج ٤ ، ص ٥٢٢ .
(4) سورة البقرة ، آية : ٥٨ .
(5) سورة البقرة ، آية : ٥٩ .
(6)سورة البقرة ، آية : ٨٣ .
(7) سورة الأعراف ، آية : ١٧١ .
(8) سورة الأعراف ، آية : ١٦٣ .
(9)سورة البقرة ، آية : ٦٥ .

ولعل في هذه الإشارة من إساءاتهم كفاية ، إذ ليس المقصود حصر إساءات بني إسرائيل ،بل ضرب أمثلة على عقاب الله الذي ينزل بالمسيئين في الحياة الدنيا ، وإلا فإن لهم النصيب الأوفر من ذلك ،لكن الله عاقبهم على بغيهم وعدوانهم وضلالهم ، كما في قوله تعالى (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ) [١] ، وقوله سبحانه (قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ . قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) [٢] ، وقوله تعالى (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاَتٍ فَاسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ . وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُواْ يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ . فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ . فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَافِلِينَ)[٣] .

سابعاً : مصير المسيئين للرسول :

يقول الله تعالى (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [٤] ،ومن أمثلة العقوبات الربانية التي نزلت بالمسيئين للرسول ، والتي تبين مصير هؤلاء ،وهي كثيرة ، فمن ذلك ما يلي :

١ـ ما لقيه صناديد الكفر من قريش ، وذلك يوم بدر المشهود ، ففيه أخزى الله أعداءه ونصر رسوله ، فعن أنس بن مالك τ عن أبي طلحة τ : أن نبي الله أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ،فقذفوا في طوي من أطواء بدر خبيث مخبث ،وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال ،فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ،ثم مشى واتبعه أصحابه ،وقالوا : ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجته ،حتى قام على شفة الركي [٥] فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، : (يا فلان بن فلان ،ويا فلان بن فلان ،أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله ،فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً) قال : فقال عمر τ : يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ،فقال رسول الله : (والذي نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم)

قال قتادة : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقيمة وحسرة وندماً .[٦]

قال شيخ الإسلام عند قوله سبحانه : (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ . إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) [٧] : " والقصة في إهلاك الله واحداً واحداً من هؤلاء المستهزئين معروفة

---

(1) سورة البقرة ، آية : ٥٥ .
(2) سورة المائدة ، الآيات : ٢٤ ـ ٢٦ .
(3) سورة الأعراف ، الآيات : ١٣٣ ـ ١٣٦ .
(4) سورة النور ، آية : ٦٣ .
(5) (شفة الركي) : أي طرف البئر ،وفي رواية الكشميهني على : (شفير الركي) والركي : بفتح الراء وكسر الكاف وتشديد آخره البئر قبل أن تطوى ،والأطواء جمع طوى ،وهي : البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار ،ويجمع بين الروايتين :بأنها كانت مطوية فاستهدمت فصارت كالركي . أنظر : فتح الباري ، ج ٧ ، ص ٣٠٢ .
(6) رواه البخاري في المغازي ، باب قتل أبي جهل ، برقم ٣٦٧٩ . ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه ، برقم ٥١٢١ .
(7) سورة الحجر ، الآيتان ٩٤ ، ٩٥ .

قد ذكرها أهل السير والتفسير ،وهم على ما قيل نفر من رؤوس قريش : منهم الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسودان ابن المطلب وابن عبد يغوث والحارث بن قيس .

٢ـ كتب النبي إلى كسرى وقيصر ،وكلاهما لم يسلم لكن قيصر أكرم كتاب النبي و أكرم رسوله فثبت ملكه ،فيقال : إن الملك باق في ذريته إلى اليوم وكسرى مزق كتاب رسول الله و استهزأ برسول الله ،فقتله الله بعد قليل ومزق ملكه كل ممزق و لم يبق للأكاسرة ملك " .[١]

٣ـ ومن تلك العقوبات التي حلت بالمسيئين ما جاء في الصحيح عن أنس τ قال كان رجل نصرانياً ،فأسلم ،وقرأ البقرة وآل عمران ،فكان يكتب للنبي ،فعاد نصرانياً ،فكان يقول : ما يدري محمد ،إلا ما كتبت له ،فأماته الله فدفنوه ،فأصبح وقد لفظته الأرض ،فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه ،لما هرب منهم نبشوا عن صاحبنا ،فألقوه فحفروا له فأعمقوا ،فأصبح وقد لفظته الأرض ،فقالوا : هذا فعل محمد وأصحابه نبشوا عن صاحبنا لما هرب منهم ،فألقوه فحفروا له وأعمقوا له في الأرض ما استطاعوا ،فأصبح وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس فألقوه .[٢]

٤ـ ومن العقوبات الدنيوية ما حدّث به إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه حدثه أن رجلاً أكل عند رسول الله بشماله فقال : (كل بيمينك) قال : لا أستطيع ،قال : (لا استطعت ،ما منعه إلا الكبر) ،قال : فما رفعها إلى فيه .[٣]

٥ـ ومثله ما ذكره القاضي عياض رحمه الله، حين أفتى فقهاء القيروان وأصحاب سحنون ،بقتل إبراهيم الفزاري ،وكان شاعراً متفنناً في كثير من العلوم ، فرفعت عليه أمور منكرة ،في الاستهزاء بالله وأنبيائه ونبينا فأحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وأمر بقتله ،وصلبه فطعن بالسكين ،وصلب منكساً ،ثم أنزل وأحرق بالنار،وحكى بعض المؤرخين أنه لما رفعت خشبته و زالت عنها الأيدي استدارت ،وحولته عن القبلة ،فكان آية للجميع وكبر الناس ،وجاء كلب فولغ في دمه .[٤]

٦ـ حكى ابن كثير عن ابن خلكان فيما نقل من خط الشيخ قطب الدين اليونيني قال : " بلغنا أن رجلاً يدعى أبا سلامة من ناحية بصرى كان فيه مجون واستهتار فذُكِرَ عنده السواك ،وما فيه من الفضيلة ،فقال : والله لا أستاك إلا في المخرج ،يعني دبره ،فأخذ سواكاً فوضعه في مخرجه ،ثم أخرجه فمكث بعده تسعة أشهر ،وهو يشكو من ألم البطن والمخرج ،فوضَعَ ولداً على صفة الُجرذان له أربعة قوائم ورأسه كراس السمكة وله أربعة أنياب بارزة وذنب طويل مثل شبر وأربع أصابع وله دبر كدبر الأرنب ،ولما وضعه صاح ذلك الحيوان ثلاث صيحات ،فقامت ابنة ذلك الرجل فرضخت رأسه فمات ،وعاش ذلك الرجل بعد وضعه له يومين ومات في الثالث ،وكان يقول : هذا الحيوان قتلني وقطع أمعائي ،وقد شاهد ذلك جماعة من أهل تلك الناحية وخطباء ذلك المكان ،ومنهم من رأى ذلك الحيوان حياً ،ومنهم من رآه بعد موته " .[٥]

---

(1) الصارم ، ج ٢ ، ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
(2) سبق تخريجه ، أنظر : ص ١٧٦ .
(3)رواه مسلم في الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما ، برقم ٣٧٦٦ .
(4)الشفا ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .
(5) البداية والنهاية ، ج ١٣ ، ص ٢٤٩ . وانظر : بستان العارفين ، ص ١٢٧ .

٧ـ وذكر أيضاً أنه : " في يوم الجمعة السادس عشر من سنة ٧١٦ هـ ، قتل عثمان بن محمد المعروف بابن دبادب الدقاق بالحديد على ما شهد عليه به جماعة لا يمكن تواطؤهم على الكذب ،أنه كان يكثر من شتم الرسول فرفع إلى الحاكم المالكي وادعى عليه فأظهر التجابن ثم استقر أمره على أن قتل ،قبحه الله وابعده ولا رحمه .[١]

٨ـ ومما ذكر أيضاً : أنه في يوم الاثنين السادس والعشرين منه قتل محمد المدعو زبالة الذي بهتار لابن معبد على ما صدر منه من سب النبي ودعواه أشياء كفرية وذكر عنه أنه كان يكثر الصلاة والصيام ومع هذا يصدر منه أحوال بشعة في حق أبي بكر وعمر وعائشة أم المؤمنين وفي حق النبي فضربت عنقه أيضاً في هذا اليوم في سوق الخيل ولله الحمد والمنة ".[٢]

٩ـ ما روي عن السدي عند قوله تعالى : (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ) [٣] ، قال : " كان رجل من النصارى بالمدينة إذا سمع المنادي ينادي : (أشهد أن محمداً رسول الله) قال : (حُرِّق الكاذب) ! فدخلت خادمه ذات ليلة من الليالي بنار وهو نائم وأهله نيام فسقطت شرارة فأحرقت البيت فاحترق هو وأهله " .[٤]

١٠ـ ذكر ابن القيم عن أحمد بن شعيب قال : " كنا عند بعض المحدثين بالبصرة فحدثنا بحديث النبي (إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم) [٥] ،وفي المجلس معنا رجل من المعتزلة فجعل يستهزئ بالحديث فقال : والله لاطرقن غداً نعلي بمسامير فأطأ بها أجنحة الملائكة ،ففعل ومشى في النعلين فجفت رجلاه جميعاً ،ووقعت فيهما الآكلة " .[٦]

١١ـ وقال أيضاً عن زكريا بن يحيى الساجي قال : " كنا نمشي في بعض أزقة البصرة إلى باب بعض المحدثين فأسرعنا المشي ،وكان معنا رجل ماجن متهم في دينه ،فقال : ارفعوا ارجلكم عن اجنحة الملائكة لاتكسروها ،كالمستهزيء فما زال من موضعه حتى جفت رجلاه وسقط " .[٧]

١٢ـ وذكر النووي أن بعض المبتدعة حين سمع قول النبي : (إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها فإنه لا يدري أين باتت يده) [٨] ،قال ذلك المبتدع

---

(1) البداية والنهاية ، ج ١٤ ، ص ٢٧٣ .
(2) المرجع السابق ، ج ١٤ ص ٢٧٣ .
(3) سورة المائدة ، آية : ٥٨ .
(4) جامع البيان ، ج ٤ ، ص ٦٣١ . وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ١٠٠ . والدر المنثور ، ج ٣ ، ص ١٠٨ . وروح المعاني ، ج ٦ ، ص ١٧٢ .وزاد المسير ، ج ٢ ، ص ٣٨٦ .والاستهزاء بالدين ، ص ٥٧٣ .
(5) رواه الترمذي في العلم ، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، برقم ٢٦٠٦ . والنسائي في الطهارة ، باب الوضوء من البول والغائط ، برقم ١٥٨ . وأبو داود في العلم ، باب الحث على طلب العلم ، برقم ٣١٥٧ . وابن ماجة في المقدمة ، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم ، برقم ٢١٩ . وأحمد في المسند ، برقم ١٧٣٩٤ . قال أبو عيسى الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . أنظر : سنن الترمذي ، ج ٥ ، ص ٥٤٥ .وقال الألباني : حسن . أنظر : سنن الترمذي ، ج ٥ ، ص ٥٤٦ .وسنن النسائي ، ج ١ ،ص ٩٨ . وانظر : الجامع الصغير وزيادته : ص ٣٧٢ . حديث رقم : ١٩٥٦ في صحيح الجامع . وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن .أنظر : مسند أحمد ، ج ٤ ، ص ٢٣٩ .والذي يبدو أنه بمجموع طرقه حسن لغيره
(6) مفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ٦٤ . وانظر : بستان العارفين ، ١٧ .والاستهزاء بالدين ، ص ٥٧٣ .
(7) مفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ٦٤ . قال النووي : وقال الحافظ عبد الحافظ إسناد هذه الحكاية كالوجد أو كرأي العين ،لأن رواتها أعلام أئمة . أنظر : بستان العارفين ، ص ١٢٥.
(8) رواه البخاري في الوضوء ، باب الاستجمار وتراً ، برقم ١٥٧ . ومسلم في الطهارة ، باب كراهة غمس المتوضيء وغيره يده المشكوك من نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثاً ، برقم ٤١٦ .

على سبيل التهكم : أنا أدري أين باتت يدي في الفراش ،فأصبح وقد أدخل يده في دبره إلى ذراعه ". [١]

١٣ـ وأيضاً ما ذُكِرَ من قصة رجل من أهل ديمترفة [٢]، قد أطال لسانه في شأن الرسول ، وأهان الشريعة أيام التشريق بما تخشى حكايته ، ثم عرض أمره على رئيسه وإلى الأمير ، فأفتى مفتيه بقتله ، قال : فحكى لي بعض رفقائه أنه حين أحضر إلى الميدان ، لقَّنه بعض رفقائه الشهادة ، وألحوه وأقدموه عليها ، فلم يقدر على التكلم والتفوّه بها أصلاً ، كأنه فقد الحياة ، حتى ألقوه في نهر طونة [٣]، وغرق ولم يقدر على الشهادة . [٤]

وهكذا تحل العقوبات الدنيوية بمن أساء إلى رسول الله أو إلى سنته ، إما بالسيف إذا تمكن المسلمون منه ،وإما أن الله تعالى يوقع به عقوبة يعتبر الناس بها ، ويرونها عياناً .

قال شيخ الإسلام : " ومن سنة الله أن من لم يمكن المؤمنون أن يعذبوه من الذين يؤذون الله ورسوله فإن الله سبحانه ينتقم منه لرسوله و يكفيه إياه " [٥] .

وبهذا يتحقق قوله تعالى : (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) [٦] ،وقوله تعالى (وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ)[٧] ،فكل من أساء إلى الرسول بأن شانه أو أبغضه أو عاداه فإن الله يقطع دابره ويمحق عينه وأثره .

قال تعالى (وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) [٨] ، وحول العذاب الأشد والأبقى في الآخرة قلت :

ثانياً : أثر الإساءة على المسيئين في الآخرة :

إن من حكمة الحق تبارك وتعالى وسنته التي لا تختلف أن جعل الجزاء من جنس العمل ، وقد سبقت سنته سبحانه وتعالى أنه لو بغى جبل على جبل جعل الباغي منهما دكاً . [٩]

قال ابن القيم : " وقد دل الكتاب والسنة في أكثر من مائة موضع على أن الجزاء من جنس العمل ،في الخير والشر كما قال تعالى (جَزَاء وِفَاقًا) [١٠] ،أي وفق أعمالهم ،وهذا ثابت شرعاً وقدراً " [١١] .

---

(1) بستان العارفين ،ص ١٢٦ .وذكر قول التيمي : " فليتق المرء الاستخفاف بالسنن ومواضع التوقيف ،فانظر كيف وصل إليهما شؤم فعلهما " .
(2) مدينة في بلغاريا .
(3) هو نهرالدانوب ، في بلغاريا .
(4) انظر : السيف المسلول ، للسبكي ، ص ١٦٨ .
(5) الصارم ، ج ٢ ، ص ٣١٦ .
(6) سورة الكوثر ، آية : ٣ .
(7) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(8) سورة طـه ، آية : ١٢٧ .
(9) للاستزادة أنظر : بدائع الفوائد ، ج ٢ ، ص ٤٦٤ . ومفتاح دار السعادة ، ج ١ ، ص ٢٩١ . وغذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، ج ٤ ، ص ٤ .
(10) سورة النبأ ، آية : ٢٦ .
(11) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، ج ١٢ ، ص ١٧٦ .

وعلى هذا أمثلة كثيرة في القرآن ، منها : قوله تعالى (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى) [1] ،وقوله سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ) [2] ،وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [3] ،وقوله جل وعلا (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) [4] .

ولهذا كان " من قدر الله الكوني الشرعي أن جعل جزاء المستهزئين في الآخرة من جنس صنيعهم بأهل الإسلام في الدنيا ،فسوف يعاقبهم الله بنقيض قصدهم ،ويخزيهم غاية الخزي ،ويجعل كيدهم في تباب " [5] ،وكما قال ربنا عز وجل (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) [6].

وفي هذا يقول الله تعالى (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ . اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) [7] .

ويقول الله تعالى (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) [8] ،وفي هذا وأمثاله يقول تعالى (وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ الله) [9] قالوا : أنه من باب المقابلة [10] ،وذلك " على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين ،لأن الجزاء من جنس العمل ،فعاملهم معاملة من سخر منهم ،انتصاراً للمؤمنين في الدنيا ،وأعدَّ للمنافقين في الآخرة عذاباً أليماً ،لأن الجزاء من جنس العمل " [11].

ومن المعاني ـ التي ذُكرت ـ في صفة استهزاء الله جل ثناؤه بمن استهزأ به من أهل النفاق والكفر به : إما إهلاكه إياهم وتدميره بهم وهو استدراجه لهم ،وقيل : إما إملاؤه لهم ليأخذهم في حال أمَنَهم عند أنفسهم بغتة ،وقيل : توبيخه لهم ولائمته إياهم ، وقيل ايقاع استهزائهم ردُّ خداعهم ومكرهم عليهم وقيل أنه يظهر لهم فى الدنيا خلاف ما أبطن فى الآخرة

---

(1) سورة طـه ، الآيتان ١٤٥ ، ١٢٦ .
(2) سورة محمد ، آية : ٧ .
(3) سورة المجادلة ، آية : ١١ .
(4) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ، ٨ .
(5) أنظر : الاستهزاء بالدين ، ص ٥٧٥ .
(6) سورة فصلت ، آية : ٤٦ .
(7) سورة البقرة ، الآيتان : ١٤ ، ١٥ .
(8) سورة التوبة ،آية : ٧٩ .
(9) سورة آل عمران ، آية : ٥٤ .
(10) قال الشنقيطي في الأضواء : " وقد اتفق السلف ، أنه لا ينسب إلى الله تعالى على سبيل الإطلاق ـ أي المكر ـ ، ولا يجوز أن يشتق له منه اسم ، وإنما يطلق في مقابل فعل العباد ، لأنه في غير المقابلة فهو في غاية العلم والحكمة والقدرة ، والكيد أصله المعالجة للشيء بقوة " . ج ٩ ، ص ١٤٦ . وانظر : مجموع الفتاوى ، ج ٢٨ ، ص ١٨٢ . وفتح الباري ، ج ١ ، ص ١٥٧ . ج ٦ ، ص ٣٨٩ . وإيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، لبدر الدين ابن جماعة ، ص ١٨٣ . قال شيخ الإسلام : " وكذلك ما ادعوا أنه مجاز فى القرآن كلفظ المكر و الاستهزاء و السخرية المضاف إلى الله وزعموا أنه مسمى باسم ما يقابله على طريق المجاز وليس كذلك بل مسميات هذه الأسماء إذا فعلت بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلماً له وأما اذا فعلت بمن فعلها بالمجنى عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلاً كما قال تعالى (كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ) سورة يوسف ، آية : ٧٦ ،فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه (لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا) سورة يوسف ، آية : ٥ ، وقال تعالى (إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا . وَأَكِيدُ كَيْدًا) سورة الطارق ، الآيتان : ١٥ ، ١٦ ...، ولهذا كان الاستهزاء بهم فعلاً يستحق هذا الإسم " . مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ١١١ .
(11) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٩٣ .

وقيل هو تجهيلهم وتخطئتهم فيما فعلوه وهذا كله حق وهو استهزاء بهم حقيقة ،قالوا : وكذلك معنى المكر منه والخديعة والسخرية .[1]

وحول هذه الآيات وما في معناها يقول ابن جرير الطبري : " ومعنى الاستهزاء في كلام العرب : إظهار المستهزىء للمستهزأ به من القول والفعل ما يرضيه ظاهراً ،وهو بذلك من قيله وفعله به مورثه مساءة باطناً ،وكذلك معنى الخداع والسخرية والمكر ،فإذا كان ذلك كذلك وكان الله جل ثناؤه قد جعل لأهل النفاق في الدنيا من الأحكام بما أظهروا بألسنتهم من الإقرار بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله المُدْخِلِهم في عداد من يشمله اسم الإسلام ،وإن كانوا لغير ذلك مستبطنين أحكام المسلمين المصدقين إقرارهم بألسنتهم بذلك بضمائر قلوبهم ،وصحائح عزائمهم ،وحميد أفعالهم المحققة لهم صحة إيمانهم مع علم الله عز وجل بكذبهم واطلاعه على خبث اعتقادهم وشكهم فيما ادعوا بألسنتهم أنهم به مصدقون حتى ظنوا في الآخرة إذ حشروا في عداد من كانوا في عدادهم في الدنيا أنهم واردون موردهم وداخلون مدخلهم ،والله جل جلاله مع إظهاره ما قد أظهر لهم من الأحكام الملحقتهم في عاجل الدنيا وآجل الآخرة إلى حال تمييزه بينهم وبين أوليائه ،وتفريقه بينهم وبينهم معدٌّ لهم من أليم عقابه ونكال عذابه ما أعد منه لأعدى أعدائه وشر عباده ،حتى ميَّز بينهم وبين أوليائه ،فألحقهم من طبقات جحيمه بالدرك الأسفل كان معلوماً أنه جل ثناؤه بذلك من فعله بهم وإن كان جزاء لهم على أفعالهم وعدلاً ما فعل من ذلك بهم لاستحقاقهم إياه منه بعصيانهم له كان بهم بما أظهر لهم من الأمور التي أظهرها لهم : من إلحاقه أحكامهم في الدنيا بأحكام أوليائه ،وهم له أعداء وحشره إياهم في الآخرة مع المؤمنين ،وهم به من المكذبين - إلى أن ميَّز بينهم وبينهم - مستهزئاً وبهم ساخراً ،ولهم خادعاً ،وبهم ماكراً ،إذ كان معنى الاستهزاء والسخرية والمكر والخديعة ما وصفنا قبل ، دون أن يكون ذلك معناه في حال فيها المستهزىء بصاحبه له ظالم أو عليه فيها غير عادل ،بل ذلك معناه في كل أحواله ،إذا وجدت الصفات ...، في معنى الاستهزاء وما من أشبهه نظائره " [2].

وأيضاً من العقوبات التي يُنزلها الله تبارك وتعالى بالمسيئين في الآخرة : أنه تعالى يعطي أهل النفاق ما يعطي أهل الإيمان من النور ،بسبب ما أظهروا من الإسلام الذي به ناكحوا المسلمين ووارثوهم وبه حقنوا دمائهم وأموالهم ، ثم إنه سبحانه يسلبهم ذلك النور فجأة ، ثم يكونون في ظلام دامس ،قالوا ولا يبقى لهم منه إلا الدخان والإحراق ،وهكذا كانت قلوبهم في الدنيا مليئة بالشك والزندقة والنفاق [3] ، " فهذا حال من أبصر ثم عمي وعرف ثم أنكر ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه ،فهو لا يرجع " [4] ،والجزاء من جنس العمل ،قال الله تعالى (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ) [5] ،وقال سبحانه (يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ . يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [6] .

---

(1) أنظر : جامع البيان ، ج ١ ، ص ١٦٥ . ومجموع الفتاوى ، ج ٧ ،ص ١١٢ .
(2) جامع البيان ، ج ١ ، ص ١٦٥ .
(3) للاستزادة أنظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٨٣ .
(4) إعلام الموقعين ، ج ١ ، ص ١٥١ .
(5) سورة البقرة ، الآيتان ١٧ ، ١٨ .
(6) سورة الحديد ، الآيتان ١٣ ، ١٤ .

قال ابن القيم : " وكذلك حال المنافقين : ذهب نور إيمانهم بالنفاق وبقي في قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلي في قلوبهم ،قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها في الدنيا ،فأصلاها الله تعالى إياها يوم القيامة ناراً موقدة تطلع على الأفئدة ،فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان في الدنيا بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به وهو حال المنافق عرف ثم أنكر وأقر ثم جحد فهو في ظلمات أصم أبكم أعمى " (١) .

وأما أهل الإيمان أهل النور في الدنيا والآخرة فإنهم يمضون نحو الجنة بفضل الله الذي منحهم هذا النور ، قال الله تعالى (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (٢) .

ومن العقوبات التي تحلُّ بالمسيئين في الآخرة : أن الله تعالى يديل الأيام على أهل الإساءة من المنافقين والكافرين ،بأن يُضحِكَ المؤمنين عليهم ، فيسخرون منهم كما سخروا منهم من قبل في الحياة الدنيا ، فالجزاء من جنس العمل ، قال الحق تبارك وتعالى (إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُواْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ . وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ . وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ . وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاء لَضَالُّونَ . وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ . فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُواْ مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ . عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ . هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) (٣) ،وهذا الصنيع إنما هو " مقابلة لتغامزهم وضحكهم " (٤) من المؤمنين في الحياة الدنيا .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : " السور بين أهل الجنة والنار فيفتح لأهل الجنة أبواب فينظرون وهم على السرر إلى أهل النار كيف يعذبون ،فيضحكون منهم ،ويكون ذلك مما يُقِرُ الله به أعينهم أن ينظروا إلى عدوهم كيف ينتقم الله منهم " (٥) ،وعنه أيضاً : " أنه يفتح لهم باب من الجنة وهم فى النار ،فيسرعون إليه فيغلق ،ثم يفتح لهم باب آخر فيسرعون إليه ،فيغلق فيضحك منهم المؤمنون "(٦)

ونظير هذه الإساءة في الأمم السابقة قوم نوح υ ، عندما ضحكوا عليه وهو يصنع السفينة ،كما في قوله تعالى (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ . فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) (٧) .

وأنت تتأمل هذه الحادثة تدرك بأن " هذه سنة الله في خلقه أن أنقص الناس عقولاً وأعظمهم سفهاً يرمون أعقل الخلق وأفضلهم بنقصان العقول ،ولا تنسى قول أعداء الرسل في الرسل أنهم مجانين لا عقول لهم ،فهكذا ورثتهم يرمون ورثة الرسل بدائهم إلى يوم القيامة " (٨)

---

(1) الوابل الصيب ، ص ٧٢ . وانظر : الأمثال في القرآن الكريم ، لابن القيم ، ص ٩ . قال شيخ الإسلام : " فبين أن المنافقين يحشرون مع المؤمنين فى الظاهر ،كما كانوا معهم في الدنيا ...،والجزاء في الآخرة هو من جنس العمل في الدنيا ،فلهذا أعطوا نوراً ثم طفيء ،لأنهم فى الدنيا دخلوا في الإيمان ثم خرجوا منه " . مجموع الفتاوى ، ج ٧ ، ص ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

(2) سورة التحريم ، آية : ٨ .

(3) سورة المطففين ، الآيات : ٢٩ ـ ٣٦ .

(4) إغاثة اللهفان ، ج ١ ، ٣٣ .

(5)وبمثله قال غير واحد من السلف في معنى الآيات ، أنظر : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ٥٠٢ . والجامع لأحكام القرآن ، ج ١٩ ، ص ٢٣٥ .

(6) مجموع الفتاوى ، ٧ ، ص ١١٢ .

(7) سورة هود ، الآيتان : ٣٨ ، ٣٩ .

(8) الصواعق المرسلة ، ج ٤ ، ص ١٥١٨ .

، وأعظم من ذلك الإساءة إليهم بالسخرية والاستهزاء والضحك ،فعلى هذا جرت سنة الله سبحانه بأن الغلبة للرسل وأتباعهم ،فإذا لم تتحقق في الدنيا فهي موعود الله لهم في الآخرة ، بأن يسخروا ويستهزؤا ويضحكوا بمن فعل بهم هذا .

وهكذا مصير أهل الإساءة خسارة وندامة في الدنيا والآخرة ،ففي الدنيا يتعرضون لما أعدَّ الله لهم من السخط وإنزال البلاء وإحلال العقاب وحبوط أعمالهم مهما كانت ، وفي الآخرة (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)[١] يُحِّلُ بهم سبحانه أقسى العقوبات كالمكر والخديعة والسخرية منه سبحانه ،وحرمانهم الإيمان المنجي من عذاب الله في الآخرة ، فيتيهون في غياهب الظلمات ، كما تاهوا في غياهب الكفر والنفاق والشك والشبهات ، وهذا عين الخسارة .

يقول ابن جرير الطبري عند قوله تعالى (أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الُدنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [٢] " فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : (إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) [٣] وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم (حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) يقول : ذهبت أعمالهم باطلاً فلا ثواب لها إلا النار لأنها كانت فيما يسخط الله ويكرهه (وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) يقول : وأولئك هم المغبونون صفقتهم ببيعهم نعيم الآخرة بخلاقهم من الدنيا اليسير الزهيد " [٤] .

وهذه نتيجة حتمية ونهاية مؤكدة للمسيئين ، كما قال سبحانه (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) [٥] ، وقوله تعالى (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ) [٦]،وفي هذا بيان واضح لنهاية الظالمين من أهل السوء والإساءة في الدنيا كما في قتالهم وعقابهم وفي الآخرة كما في نهايتهم السيئة .

ويقول تعالى (فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاء مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ) [٧] ، وفي هذه الآية دلالة بيِّنة على مصير هؤلاء المسيئين في الآخرة وأنهم إلى النار وبئس القرار ، كما أن فيها تطمين لخاطر حبيبه كي لا يشك بهذه النتيجة [٨].

المطلب الثاني

أثر الإساءة على الأمة الإسلامية

إن أعظم منة وأكبر نعمة منَّ الله سبحانه بها على عباده هي رسالة محمد ، فهي أعظم الرسالات قدراً وأبلغها أثراً وأعمها نفعاً ، إذ أرسله ربه سبحانه لهداية الخلق أجمعين ،فهدى الله

---

(1) سورة الفجر ، آية : ١٤ .
(2)سورة التوبة ، آية : ٦٩ .
(3) سورة التوبة ، آية : ٦٥ .
(4) جامع البيان ، ج ٦ ، ص ٤١٢ .
(5) سورة التوبة ، آية : ٧٣ .
(6)سورة الرعد ، آية : ١٨ .
(7) سورة هود ، آية : ١٠٩ .
(8) وبهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما ، أنظر : زاد المسير ، ج ٤ ، ص ٨٩ .

به من الضلالة ،وألّف به بعد الفرقة ،وأغنى به بعد العيلة ،فأصبح الناس بنعمة الله إخواناً ،وفي دين الله أعواناً ،فدانت الأمم لهذا الدين ،وكان المتمسكون به غرة بيضاء في جبين التاريخ .

أما أعداء هذا النور والهداية والرحمة فإن مكائدهم ومخططاتهم الخبيثة والحاقدة والتي ترمي الإساءة إلى الإسلام أوالقضاء عليه أو الصدِّ عنه أو التشكيك فيه والتشويش على أهله ، ما كانت لتقف يوماً ما ، ومن ظنَّ ذلك فقد غلط وجهل سنة الله تعالى في عباده .

فالأعداء ـ وبكل ما أوتوا من القوة والوسائل ـ يسعون لتحقيق مؤآمراتهم ومخططاتهم على علم، لأجل الإساءة إلى الإسلام و رسوله .

فهذه الإساءات إلى جناب المعصوم قد خالف الله بها مراد ومقصود أهل الكفر والضلال ، فالضربات التي لا تكسر الظهر تقويه ـ كما يقال ـ ،يقول الله تعالى (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) [(١)] ، وقال سبحانه (وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [(٢)] ، وهذا مما يكسب المؤمن تفاؤلاً كبيراً من هذه الأحداث ،التي ربما يراها البعض شروخاً في مقابل مشروع الأمة المسلمة في هداية الناس واستصلاحهم ودعوتهم واستنقاذهم من النار .

وعلى الرغم مما أرى إلا أن ذلك لا يعني أنها ـ وأمثالها عبر التأريخ ـ لا تؤثر على عموم الأمة الإسلامية في حياتها وسير الدعوة فيها ، فالناس ليسوا على قلب رجل واحد ، ففيهم الجاهل والغرّ الأحمق والمفتون المولّع وحال كثير منهم يكدر الخاطر ويؤلم الضمير ، فهم بين أخلاق منحرفة وعقيدة ضالة ، إلا من رحم ربك .

ولهذا فإن للإساءة آثاراً سلبية على عموم المسلمين ، فمن ذلك :

أولاً : محاولة زعزعة ثوابت الأمة والنيل من مسلماتها :

وذلك من خلال ما يلي :

١ـ العقيدة الإسلامية [(٣)] :

إن أقوى ما يميز هذه الأمة رسوخ العقيدة وثبات المبدأ ووحدة الهدف ، ولا غرو في ذلك ، إذ أن تلك العقيدة تُستمد من الوحي المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فسلامة مصدرها في التلقي من الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ،جعلها سالمة من الدجل والزيف ، في الوقت الذي ضلت فيه كثير من الأمم .

ثم إنها تقوم على التسليم لله سبحانه ولرسوله لأنها غيب ، والغيب يقوم على التسليم " ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام " [(٤)] .

ولذلك مدح الله المؤمنين لاتصافهم بالإيمان بالغيب ، كما قال تعالى (آلم . ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ . الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) [(٥)] .

وهذا ما يقلقل أعداء الله الذي تخبطوا في ضلالات الكفر والإلحاد والزندقة ،وهو أساس الخلاف بين الإسلام وأهله وبين أولئك ،لذا أخذوا يحاربون الأمة في صميمها وضربها في

---

(1)سورة الأنفال ، آية : ٣٠ .
(2) سورة غافر ، آية : ٢٥ .
(3) سبق الحديث في الفصل الأول عن شيء من عقيدة السلف في الأنبياء ، حيث تناول الإيمان بهم وبرسولنا على الخصوص ، فانظره غير مأمور .
(4) العقيدة الطحاوية ، ص ٢٦ ، وشرحها ، ص ٢٠١ .
(5) سورة البقرة ، الآيات : ١ ـ ٣ .

مقتل ، وسلكوا في سبيل تحقيق ذلك كل ما يستطاع وتفننوا في هذه الحرب ، للنيل من الرسول ومحاولة الإساءة إليه ، ولكن هيهات ،يقول الحق سبحانه (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (١) .

ومما ينبغي التنبه له أنه " ليست المشكلة بين هذين الاتجاهين ما تصوره بعض الأقلام المريضة أو الجاهلة ، أنها مشكلة صراع بين قديم وجديد ، وتقدم وتخلف ، وشرق وغرب ، إلى غير ذلك من الدعاوى والتوصيفات الساذجة أو المغرضة " (٢) ، بل هو تصادم وتناقض بين مسلكين ومنهجين وعقيدتين ، بين الإسلام وأهله و بين الكفر وأذنابه من الزنادقة ،فلا تلاقي بينهما .

يقول أحدهم (٣): " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول أو شعوب ، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية ، لقد كان الصراع محتدماً ما بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى ، وهو مستمر حتى هذه اللحظة بصور مختلفة

...، إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا إنما هي جزء مكمل للعالم الغربي فلسفته وعقيدته ونظامه ، وذلك يجعلها تقف معادية للعالم الشرقي الإسلامي بفلسفته وعقيدته المتمثلة بالدين الإسلامي ، ولا تستطيع أمريكا إلا أن تقف هذه الموقف في الصف المعادي للإسلام ، وإلى جانب العالم الغربي ، والدولة الصهيونية ، لإنها إن فعلت عكس ذلك فإنها تتنكر للغتها وفلسفتها وثقافتها ومؤسساتها " . (٤)

وآخر يختصر مفهوم العداء بكلمات قلائل ، حيث يقول : " إنها معركة بين الهلال والصليب " . (٥)

وهنا أؤكد على أن " الخمر العتيقة تصب في الجرار الجديدة " (٦)، كما قال ربنا سبحانه (كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ) (٧) ،إذ يقول مارق في مقطوعة إلحادية : " في هذه المقطوعة يسمي الله والأنبياء والفضيلة والآخرة ألفاظاً رتبتها الأجيال الغابرة ، وهي قائمة بقوة الاستمرار لا بقوة الحقيقة ...، والتمسك بهذه التقاليد موت ، والمتمسكون بها أموات ، وعلى كل من يريد التحرر منها أن يتحول إلى حفار قبور ، لكي يدفن أولاً هذه التقاليد ، كمقدمة ضرورية لتحرره " . (٨)

ومولّع آخر بالغرب من الحداثيين لا يخفي صدق الانتماء إليهم ، وذلك إبان الاحتلال الانجليزي لمصر ، حيث يقول : " إن الإنجليز هم أولياء أمورنا ، في الوقت الحاضر ، ولا

---

(1) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(2) الانحراف العقدي ، ج ١ ، ص ٨٥ .
(3) وهو أيوجين روستو ، وهو رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجيه الأمريكية ، ومساعد وزير الخارجية ، ومستشار الرئيس جنسون لشؤون الشرق الأوسط حتى عام ١٩٦٧م .أنظر : قادة الغرب يقولون ، لجلال العالم ،ص ٢٤ .
(4) قادة الغرب يقولون ، ص ٢٤ .
(5) المرجع السابق ، ص ٢٧ . وانظر : الامبراطورية بعد احتلال العراق ، ص ٤٩ ، ترجمة تركي الزميلي .
(6) الإسلام والغرب ، الحاضر والمستقبل ، لزكي ميلاد وتركي الربيعو ، ص ١٤ .
(7) سورة الذاريات ، آية : ٥٢ .
(8) صدمة الحداثة ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ . نقلاً عن : الانحراف العقدي ، ج ٢ ، ص ١٢٢٥ .

ينبغي أن نحاربهم ونقاومهم ، إنما واجبنا أن نتعلم منهم ، ثم نتفاهم معهم ، بعد ذلك تصفية ما بيننا من خلافات " . (١)

وآخر رضع من ثدي الإلحاد الممجوج فقاء قيحاً جاء منه : " ومن أعقد مشكلات الحياة العربية الجنس ...، ـ إلى أن يقول ـ ومن أعقد مشكلاتنا مشكلة الله ، وما يتصل بها مباشرة في الطبيعة وفيما بعدها ، ونعرف جميعاً ماذا يهيىء للذين يعالجونها بأقل ما يمكن من الصراحة والجرأة .

ومن أعقد مشكلاتنا أيضاً وأكثرها إلحاحاً وحضوراً ، مشكلة القيم والتراث " . (٢)

وحتى وصل الانحطاط بهم والتبجح والجرأة إلى أن قال أحدهم : " ... ، ففي النشوة ينعدم كل شيء ،حتى الله " (٣)

وهؤلاء يخبرنا الله عنهم بقوله (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) (٤) .

فتعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، يقول الله تعالى (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ) (٥) .

يقول ابن كثير : " يخبر تعالى عما دار بين الكفار وبين رسلهم من المجادلة ،وذلك أن أممهم لما واجهوهم بالشك فيما جاؤهم به من عبادة الله وحده لا شريك له قالت الرسل : (أَفِي اللّهِ شَكٌّ) وهذا يحتمل شيئين :

أحدهما : أفي وجوده شك ،فإن الفطر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به ،فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ولكن قد يعرض لبعضها شك واضطراب ،فتحتاج إلى النظر في الدليل الموصل إلى وجوده ،ولهذا قالت لهم الرسل ترشدهم إلى طريق معرفته بأنه: (َفاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق ،فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهر عليهما فلا بد لهما من صانع ،وهو الله لا إله إلا الله هو خالق كل شيء وإلاهه ومليكه .

والمعنى الثاني : في قولهم : (أَفِي اللّهِ شَكٌّ) أي أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ،وهو الخالق لجميع الموجودات ،ولا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ،فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنونها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى " (٦) .

٢ـ العبادات :

---

(1) وهي من أقوال لطفي السيد ، أنظر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٠٠ .
(2) وهي لأدونيس، أنظر : الحداثة في ميزان الإسلام ، ص ١٠٠ .
(3) الصوفية والسريالية ، ص ٥٥ . نقلاً عن الانحراف العقدي ، ج ١ ، ص ١٤٠ .
(4) سورة الزمر، آية : ٤٥ .
(5) سورة إبراهيم ، آية : ١٠ .
(6) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٦٩١ .

إذا كانت العبادة بمفهومها الشامل : " هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والاعمال الباطنة والظاهرة " (١) ،أو : " هى طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل " (٢) .

فإن العبادات على اختلاف أنواعها جزء من هذا الإسم الشامل الذي جاءت به الرسل ، والذي لا يمكن أن تُفصل عن بعضها ولا أن تتجزأ بأي حال ،فالصلاة والزكاة والصيام والحج وأداء الامانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد والاحسان الى الجار، وغير ذلك من العبادات ، والتي هي " منقسمة على القلب واللسان والجوارح ،وعلى كل منها عبودية تخصه " (٣) ،وهي لا تختلف من حيث التكليف بها و أصل مصدرها ، فالذي أمر بالتوحيد والإيمان ، هو الذي أمر بالعبادات والمعاملات وغيرهما ، يقول سبحانه (قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا) (٤) .

ومن السنة ما روى البخاري رحمه الله من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال : رسول الله (بني الإسلام على خمس ،شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة ،والحج ،وصوم رمضان) (٥).

وجاء عند مسلم بلفظ : (بني الإسلام على خمسة ،على أن يوحد الله ،وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة وصيام رمضان ،والحج ...) الحديث (٦) ،وعنده في الأخرى (بني الإسلام على خمس ،على أن يعبد الله ويكفر بما دونه ،وإقام الصلاة ،وإيتاء الزكاة ،وحج البيت ،وصوم رمضان) (٧) .

وفي مجموعها دلالة على أنه لا فرق بين عقيدة أو عبادة على نحو ما أشرنا سابقاً ، إذ أنها كلها تسمى : دين الإسلام .

وهذا العبادات العِظام ما زال أعداء الله يواجهونها بالإساءات المتكررة ، من السخرية والاستهزاء ، وإثارة الشكوك حولها ،ونحو ذلك ، ولعل من أول تلك الإساءات لهذه العباد ات هي ما انبرأ لها شقي حينما ألقى سلا جزور على كتفي رسول وهو ساجد يصلي في البيت ، وفيه : فانبعث أشقى القوم فأخذه ، فلما سجد النبي وضعه بين كتفيه ! ، قال - وهو ابن مسعود τ - : فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل على بعض ، وأنا قائم أنظر ، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله ، والنبي ساجد ما يرفع رأسه ،حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها ، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه ، ثم أقبلت عليهم تشتمهم ، فلما قضى النبي صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً وإذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال : (اللهم عليك بقريش) ثلاث مرات ، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ثم قال (اللهم عليك بأبي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة ابن ربيعة والوليد بن

---

(1) مجموع الفتاوى ، ص ١٠ ، ص ١٤٩. وانظر : الفتاوى الكبرى ، ج ٥ ، ص ١٥٤ .والعبودية ، ص ٣ . وشرح قصيدة ابن القيم ، ج ٢ ، ص ٢٥٩ .
(2) فتح المجيد ، ص ١٤ .
(3)مدارج السالكين ، ج ١ ، ص ١٠٩ .
(4) سورة النساء ، آية : ٧٨ .
(5) كتاب الإيمان ، باب بني الإسلام على خمس ، برقم ٧ .
(6) كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، برقم ١٩ .
(7) كتاب الإيمان ، باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، برقم ٢٠ .

عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط) (وذكر السابع ولم أحفظه) فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذين سمى صرعى يوم بدر ، ثم سُحبوا إلى القليب قليب بدر) [١] .

أما الذين يرون أنه لا قداسة لشيء سوى العقل وما أحسوا به ، فقد دنسوا كل مقدس ، واستباحوا من محرم ، وتحرروا من كل ممنوع ، واسقطوا الموازين وأخلوا بها .

يقول أحدهم في كلام بشع وخبيث : " إن الرسول أتى بما كان منافراً للعقول ،مثل الصلاة ،وغسل الجنابة ،ورمي الحجارة ،والطواف حول بيت لا يسمع ولا يبصر ، والعدو بين حجرين لا ينفعان و لا يضران ، وهذا كله مما لا يقتضيه عقل ...،وما الطواف على البيت إلا كالطواف على غيره من البيوت " [٢] .

وتائه في سراديب الغواية والإلحاد يقول : " ولو ظهرت عقيدة بين البهائم العجماء لما كانت أقل من هذه العقيدة (الوسخة) لا في المقاصد ولا في الأصول " [٣] .

ومن إساءات القوم : الاستهزاء بالصلاة : فهذا سفيه مستهزئ يقول : " أيها المصلون إذا ذهبتم للجنة فخذونا معكم " .[٤]

وهذا نفعي مستهزئ يستقدم عاملاً كافراً مفضلاً إياه على العامل المسلم ثم يتبجح بقوله : " لو أتينا بمسلم لأشغلنا وقطع وقتنا وعملنا بالصلاة " [٥] .

وصدق الله حيث يقول قال : (وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاَةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ) [٦] .

وفي الأذان : يقول ماجن عندما سمع المؤذن : " اسدلي الستائر ، قد ينخفض صوت هذا الغبي الذي ينهق ، يجب أن يعاش الدين في صمت وتأمل ، وليس في هذه الجلبة التي تكدر صفو ملائكة القدر " [٧] .

ومثل هذه الإساءة إساءة أخرى ، وهي ما صورته إحدى المجلات ، حيث أخرجت للناس رسماً كاريكاتورياً تصور فيه شاباً متديناً له لحية طويلة جداً يؤذن في منارة مسجد ، فبدلاً من أن يقول : حي على الفلاح قال : حي على السلاح ! ،ثم رسمته في وضع آخر وهناك يد خفية تدس في رأسه شريط (كاسيت) وفي فمه مسدس !.[٨]

وحول الحج وجبل عرفات ، ووصفهم للحج وأعماله بأنها وثنية جديدة لا تتناسب مع القرن العشرين ، بل تصلح للقرون البدائية ، وحول هذه المفاهيم السيئة وغيرها يقول أحدهم : " بعضهم يفكر جدياً في شراء سور الصين ، وجلب جبل جليد من القطب الشمالي لتحويل جبل عرفات إلى ملعب للتزلج .

---

(1) سبق تخريجه ، أنظر : ص ١٦١ .
(2) وقد نقل هذا الإلحاد أدونيس عن الزنديق ابن الراوندي ، في الثابت والمتحول ، تأصيل الأصول ، ص ٧٤ . أنظر : الانحراف العقدي ، ج ٣ ، ص ١٧٨٨ .
(3) مذهب ذوي العاهات للعقاد ، ص ٢٩ . نقلاً عن الانحراف العقدي ، ج ٣ ، ص ١٦٦٦ .
(4) أنظر : الاستهزاء بالدين وأهله ، ص ٣٠ .
(5) المرجع السابق ، ص ٣٠ .
(6) سورة المائدة ، آية : ٥٨ .
(7) وهي لابن جلوان ، في ليلة القدر ، ص ١٩ . نقلاً عن الانحراف العقدي ، ج ٣ ، ص ١٦٧٧ .
(8) مجلة : روز اليوسف ، في العدد ٣٣٢٢ . نقلاً عن الاستهزاء بالدين وأهله ، ص ٢٩ .

هؤلاء العرب البراميل أحفاد أولئك الذين اخترعوا الإبل والشعر والنساء والفتوحات حتى وصلوا إلى الصفر " [١] .

وبمثل ما تحدث الأبواق يتحدث أحد المذيعين الأمريكيين عبر شبكة تلفزيونية وهي (msnbc)، ويستهزىء بالمسلمين في حادث منى ، ويصفهم بقطعان الماشية . [٢]

ومن ذلك أيضاً الإساءة إلى حجاب المرأة المسلمة ، ـ وهذا من أكثر صور الاستهزاء المنتشرة اليوم حيث تشن حرب مسعورة محمومة على الحجاب والمحجبات ، يقود هذه الحرب الدنسة أصحاب الميل للشهوات ، والمتاجرون في سوق النخاسة بأعراض الناس ـ ، تقول إحداهن : " عجبت لفتيات مثقفات يلبسن أكفان الموتى ،وهنَّ على قيد الحياة " . [٣]

وهم بذلك وبغيره قد انحدروا أيما انحدار وسفلوا في أحط دركات التيه ، فعميت بصائرهم قبل أبصارهم ، يقول تعالى (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ) [٤].

ويقول سبحانه (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) [٥] .

٣ـ الأخلاق والسلوك :

للأخلاق في الإسلام منزلة رفيعة ، ودرجة كبيرة ، فليست قاصرة على التعامل المحض والمجرد ، بل هي من الإيمان ،بل جعل الرسول صاحب الخلق الحسن أكمل الناس إيماناً ،فعن أبي هريرة τ قال قال رسول الله : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً ،وخياركم خياركم لنسائهم خلقاً) [٦] .

ويقول سبحانه مادحاً رسوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) [٧] ،وهذا الخلق الموصوف بالعظيم إنما هو : الدين ، أو إنك يا محمد على دين عظيم ،وهو الإسلام . [٨]

---

(1) وهي للحداثي الليبي فرج العشقة ، مجلة الناقد ، العدد الثامن ، ١٤٠٩ هـ . نقلاً عن الانحراف العقدي ، ج ٣ ، ص ١٧٠٧ .

(2) أنظر : مجلة المستقبل ، العدد ١٧٨ ، لعام ١٤٢٧ هـ

(3) وهذا من أقوال أمينة السعيد ، نقلاً عن الاستهزاء بالدين وأهله ، ص ٣٠ .

(4) سورة الأعراف ، آية ١٧٩ .

(5) سورة الحج ، آية : ٤٦ .

(6)رواه الترمذي في الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، برقم ١٠٨٢ . وقال : هذا حديث حسن صحيح .وأبو داود في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه ، برقم ٤٠٦٢ . وأحمد في المسند برقم ٧٠٩٥ .قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وفيه محمد بن عمرو وحديثه حسن وبقية رجاله رجال الصحيح . ج ٤ ، ص ٥٥٦ . وقد صححه الألباني في أكثر من موضع ، أنظر : الجامع الصغير وزيادته ، ص ٢١١ .وقال في صحيح الترغيب والترهيب : حسن صحيح ، ج ٢ ، ص ١٩٤.و سنن أبي داود ، ج ٢ ، ص ٦٣٢ . كما صححه شعيب الأرنؤوط ، أنظر : المسند ، ج ٢ ،ص ٥٢٧ .

(7) سورة القلم ، آية : ٤ .

(8)وبه قال ابن عباس رضي الله عنهما . أنظر : جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ١٧٩ .

وقال الإمام الطبري : " وإنك يا محمد لعلى أدب عظيم ،وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به ،وهو الإسلام وشرائعه " . (١)

يقول شيخ الإسلام عن أهل الحق : " ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة ،ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ،ويحافظون على الجماعات ،ويدينون بالنصيحة للأمة ،ويأمرون بالصبر عند البلاء ،والشكر عند الرخاء ،والرضا بمرِّ القضاء ،ويدعون إلى مكارم الأخلاق ،ومحاسن الأعمال ،ويعتقدون معنى قوله : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) ،ويندبون إلى أن تصل من قطعك ،وتعطي من حرمك ،وتعفو عمن ظلمك ،ويأمرون ببر الوالدين ،وصله الأرحام ،وحسن الجوار ،والإحسان إلى اليتامى ،والمساكين وابن السبيل ،والرفق بالمملوك ،وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ،ويأمرون بمعالي الأخلاق ،وينهون عن سفسافها ،وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة " (٢).

إذا كان الإيمان : قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح (٣) ، فإن الإسلام وحدة متكاملة لا يمكن أن ينفصل منه جزء عن الآخر ، فالأخلاق وما يكون من نتاجها إنما هو من الإيمان ،فعن أبي هريرة τ عن النبي أنه قال : (الإيمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الإيمان) " (٤) .

وعند قوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) (٥)، يقول القرطبي : " ففي هذا دليل لمن قال : إن الإيمان والإسلام شيء واحد ،وعضدوا هذا بقوله تعالى في الآية الأخرى (فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ) (٦) . (٧)

لكن الأعداء على اختلاف مللهم وعقائدهم قد اتخذوا الإساءة إلى الإسلام منهجاً للنيل منه والحط من قدره ، فمارسوا صنوف الإساءة من السخرية والاستهزاء والتنقيص من الأخلاق الإسلامية وأهلها ، وهذا شأن من ناصبوا الإسلام العداء كما هو شأن من وافقهم من المنافقين وغيرهم من الذي انبهروا بثقافة الغرب فنظروا إلى ما هو عليه من التقدم الصناعي والتقني والتي انفصلت عن الأخلاق ،ونسوا أو تناسوا ما هو غارق فيه من الملذات والشهوات ،وانعدام كثير من الأخلاق عندهم مصداقاً لهذا يقول سبحانه (إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) (٨) .

وأخوف ما يخافون الإسلام وأخلاق الإسلام ،سيما وأنهم لا يملكون مقوماً أخلاقياً يمكن أن يوازي الأخلاق الإسلامية أو يدانيها ، يقول أحدهم : " إن المسلمين يمكنهم أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها بها سابقاً ، بشرط أن يرجعوا إلى الأخلاق

(1) المرجع السابق ، ج ١٢ ، ص ١٧٩ .
(2) العقيدة الواسطية ، ص ٣٢ .
(3) سبق تعريف الإيمان في الفصل التمهيدي ، أنظر : ص ٢٧ .
(4) رواه البخاري في الإيمان ، باب أمور الإيمان ، برقم ٨ . ومسلم في الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها ، برقم ٥٠ .
(5) سورة آل عمران ، آية : ١٩ .
(6) سورة الذاريات ، الآيتان ٣٥ ، ٣٦ .
(7) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٢ ، ص ١٢٥ .
(8) سورة الفرقان ، آية : ٤٤ .

التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول ، لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم " [١] .

والحقيقة أن هذا باب واسع ، فلقد سلكوا سبلاً شتى وطرقاً كثيرة لزعزعة الأخلاق بين أبناء المسلمين ، فمن التبشير والغزو الفكري ونشر الإلحاد والمخدرات والمسكرات والجنس والفواحش ، والمجلات الهابطة والبث الأرضي (التلفاز) ثم جاءت الفضائيات [٢]،ووصولاً إلى الإنترنت وتقنيت البرامج الحاسوبية والهواتف النقالة ، وفي كل هذه الأدوار كانت المرأة هي العنصر الفاعل ، وكل الوسائل - في تطور مهول لمن يتابع - استخدمت من قِبَل الأعداء وبعض المنتسبين من (الصنابير) لتلك الدعوات ليصبوا جام الثقافة المنحلة والشاذة في بلاد الإسلام ، لهدم الجدار الصلب ، وهو الأخلاق الإسلامية ،التي هي أبرز ظاهرة تميز المسلم عن غيره .

ولم يتوان بعض المخدوعين من أن يتلقوا تلك الثقافات المستغربة ، بخيرها وشرها ، بل ربما بشروا بها جملة وتفصيلاً ، يقول سبحانه وتعالى (وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ) [٣].

ولا تستحي أحداهن لتعلن أن الفوضى هي المسيِّر ،وأنه لا حرام أبداً ،فلا عجب إذا جحدت ألوهية الله تعالى أن تقول ما قالت : " لا شيء محرم ...، كل شيء مباح ، لا شيء ينجو من دراسة العلم الذي اخترق سر الطبيعة ...، أصبح الإنسان مع نزع هالة التقديس والألوهية عن الكون ومدبره ، أصبح يقع في مركز الكون ، ويشكل مبدأ القيم والغايات ، وعندئذٍ ترسخت الحرية الإنسانوية ، توقف الإنسان عن الدوران حول المقدس ، وحلت مشروعية إنسانية جديدة محل المشروعية الدينية السابقة ، ونتج عن ذلك أخلاق جديدة وقوانين جديدة ، تنطبق على البشر دون استثناء ودون اعتبار اللون والعرق أو المذهب والدين " . [٤]

وآخر من ذلك الطابور يتجرأ ، فيقول : " ...، أما ما جاء فيه - يعني الإسلام - من أحكام وتشريعات دنيوية ، فقد كانت من قبيل ضرب المثل ، ومن باب تنظيم حياة في مجتمع بدائي إلى حد كبير ، ومن ثم فهي لا تلزم عصرنا ومجتمعنا " . [٥]

ويصرح أحدهم ثائراً على قيم وأخلاق ومسلمات الأمة ، فيقول : " ...، إنها فكرة متطرفة أن نحاول اليوم تطبيق نظام اجتماعي يعود لما قبل خمسة عشر قرناً " . [٦]

---

(1) قادة الغرب يقولون ، ص ٥١ .
(2) في الوقت الذي ينتشر فيه (الدش) في بلاد المسلمين انتشار النار في الهشيم ، تحت قصة جديرة بالتأمل وتحديداً لمبتعث عربي إلى ألمانيا ، وذلك أن صاحبنا قد اشترى طبق الاستقبال الدش بمبلغ ٢٥٠ ماركاً - قبل توحيد العملة الأوربية اليورو - ، ثم طلب من إحدى الشركات تركيبه في المنزل الذي يسكن ، فطلبت الشركة أن يحضر موافقة خطية من صاحب المنزل ، وقد ظن بأن الأمر سهل ومضمون - والحمد لله الذي سلمنا من هذا التقعيد ، فنحن نبيع ونشتري ونركب ما نريد في منتهى الحرية ! - ، ولقد امتعض الألماني لماذا لم يستأذن قبل شراء الطبق ، ثم أمهله ثلاثة أشهر ليعرض الأمر على مجلس الحي ليتشاوروا في شأنه ويخرجوا بقرار ، ثم حذره أن يستخدمه ولو في داخل غرفة المنزل .وبعد ثلاثة أشهر يقرر المجلس عدم السماح بمثل هذا الفعل بأي حال كان ، وبأنه هذا ليس تدخلاً في الحريات ولا يتعارض مع مبدأ الديمقراطية ، لكن من حق ألمانيا التي سمحت لهذا العربي ليدرس عندها أن يرجع بالفكر الألماني ، ثم إن السماح له ربما فتح باباً لهذه العادة السيئة عندهم ، وهذا أمر خطير للغاية . مجلة البيان ، العدد٦٩ ، لعام ١٤١٤ هـ .
(3) سورة التوبة ، آية : ٤٧ .
(4) قضايا وشهادات ، لأنيسة الأمين ، نقلاً عن الانحراف العقدي ، ج ٣ ، ص ٢٠١٣ ، ٢٠١٤ .
(5) من أقوال أحمد بهاء الدين ، نقلاً عن الغرب والإسلام ، ص ٢٥٩ .
(6) من أقوال : جمال الغيطاني ، نقلاً عن الانحراف العقدي ، ج ٣ ، ص ٢١٣٢ .

وإن من أقوى تلك الأساليب التي حرَفوا بها كثيراً من أبناء المسلمين الإعلام بأنواعه المسموع والمقروء والمشاهد ، حيث يقول أحدهم : " سلاح الغرب السرَّي ضد الإسلام ليس سلاح الدبابات ، وإنما هو سلاح الفضاء والأقمار الصناعية " [1] ، ولهذا يلاحظ كثير من المتابعين التسابق المهول والمفزع نحو افتتاح القنوات الفضائية ، حتى أصبح الفضاء العربي ميداناً شرساً للتنافس بين مئات القنوات الفضائية ، يقول تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [2].

ومن أساليبهم في تدمير الأخلاق التعليم ،إذ يقولون : " إن أهم الأساليب للوصول إلى تدمير أخلاق المسلم وشخصيته يمكن أن يتم بنشر التعليم العلماني " [3] ، ولذا فقد " بذلوا الجمعيات، ونشروا الدعاة، وبثوا الأطباء، وبنوا المدارس، لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه، التي تشككهم في دينهم " [4] ، وإنك لتعجب من تهافت بعض المخدوعين إما بافتتاح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين ، أو تسجيل أبناءهم بها ، ليخرِّجوا لنا جيلاً بقوالب عربية وعقول غربية .

وعلى الرغم من كل ذلك إلا أن الله تعالى ناصر دينه ومعلياً كلمته ومظهر شريعته على كل دين ،وعلى كل مذهب باطل وملة عوجاء ،وليس لهؤلاء إلا الخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة ، " فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه ،ومن قُتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي " [5] ، يقول الله تعالى (فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) [6] وعند ذلك (وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون . بِنَصْرِ اللَّهِ) [7] .

ويقول تعالى (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [8] ،وفيها أن الله هو الذي تكفل بحفظ هذا الدين ونصره (وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) ، وأن ما أراده الكفار وغيرهم " من إدحاض الحق بالباطل لا يكون ،وأنهم لا يَصِلون إلى ما أرادوا ، بل الذي سيكون هوعكس ما أرادوه " [9]، كما قال سبحانه (وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [10] .

ثانياً : هدم قداسة الدين ونزع هيبته وعظمته من النفوس المؤمنة :

---

(1) مجلة الأسرة ، العدد ٥٠ ، لعام ١٤١٨ هـ .
(2) سورة الأنفال ، آية : ٣٦ .
(3) قادة العالم يقولون ، ص ٥٣ .
(4) تيسير الكريم الرحمن ، ج ٢ ، ص ٩٧ .
(5) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٠٦ .
(6) سورة الأنفال ، آية : ٣٦ .
(7) سورة الروم ، الآيتان ٤ ، ٥ .
(8) سورة الصف ، آية : ٨ .
(9) أضواء البيان، ج ٣ ، ص ٣٧٣ .
(10) سورة التوبة ، آية : ٣٢ .

إن هذا الدين العظيم وهو الإسلام الذي اختاره الله سبحانه واصطفاه لعباده ، منذ أن خلق الخليقة الأولى آدم υ ، إلى أن جعل شريعة محمد خاتم الرسالات السماوية ، والتي ميزها عما سواها من الشرائع السابقة ، وجعل لها من أسباب الدوام والبقاء مالم يجعل لغيرها ، فصلاحها لكل زمان ومكان ، وما فيها من العدل والتوسط والتوازن ، وما حوته من الثبات والشمول ، وما تضمنته من حفظها لمصالح العباد ، ثم جعلها ناسخة لجميع الشرائع والأديان السالفة ، ومهيمنة عليها، كل ذلك وغيره من الخصائص الربانية والمنح الإلهية ،التي أكرم الحق سبحانه بها هذه الشريعة الخالدة .

ولهذا فإن الله سبحانه لا يقبل من أحد سوى هذا الدين ، كما قال (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) (١) ، قال ابن كثير عن هذه الآية : " إخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام ،وهواتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين ،حتى خُتِموا بمحمد الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ،فمن لقي الله بعد بعثة محمد بدين على غير شريعته ،فليس بمُتقبَّل كما قال تعالى : وقال تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢) ،وقال في هذه الآية مخبراً بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ) " . (٣)

ويقول جل في علاه (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً) (٤) ،فهذا الدين " ليس يُقبل فيه عمل غير الإسلام ،وهي الحنيفية " (٥) ،وهذا هو المحور الوحيد لهذا الدين إلى يوم القيامة ، وهو توحيده جل وعلا ، وهو الذي كان يدعو إليه جميع الأنبياء والرسل أقوامهم وأتباعهم ، يقول جل ثناؤه: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (٦) .

وعندما كان الرعيل الأول مستمسكاً بهذا الدين ،ويعيش له ومن أجله ،ويذود عن حياضه بكل ما أوتي من أن يناله أحد بسوء ،كانت له القوة والغلبة والمنعة ، ومن ثم قيَّض الله له التمكين في الأرض .

ولكن بعد أن ابتعد الناس عنه ،وبالخصوص بعد القرون المفضلة والعصور الزاهرة له ـ والتي لم تخل من الإساءة ـ ،حصل الخلل ووقع ما يُكره ، فتسلط الأعداء واستأسدوا ، وملكوا وأصبحت لهم الكلمة الفصل في شأن كثير من شؤون المسلمين ، وهو يتفاوت بُقدر بُعد الناس عن أنوار الرسالة المحمدية ، وانشغالهم بالدنيا وانغماسهم بالملهيات .

فصَدَق على واقع كثير المسلمين في تلك الأزمنة وحقب التأريخ المتعاقبة ما أخبر عنه الرسول بقوله (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : (بل أنتم يومئذ كثير ،ولكنكم غثاء كغثاء السيل ،ولينزعن الله من

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٩ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ٨٥ .
(3) تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٤٧١ . وللاستزادة أنظر : اقتضاء الصراط ، ص ٣ . ومفتاح دار السعادة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .
(4) سورة النساء ، آية : ١٢٥ .
(5)جامع البيان ، ج ٤ ، ص ٢٩٦ .
(6) سورة النحل ، آية : ٣٦ .

صدور عدوكم المهابة منكم ،وليقذفن الله في قلوبكم الوهن) فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : (حب الدنيا وكراهية الموت) [١] .

وعندما يشخص الداء فإنه يصف الدواء ، ففي الانغماس بالدنيا وملهياتها الداء وفي التمسك بالدين والعمل به الدواء ، إذ يقول (إذا تبايعتم بالعينة ،وأخذتم أذناب البقر ،ورضيتم بالزرع ،وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم) [٢] .

كما رسم القرآن الكريم ـ قبل ذلك ـ لنا منهجاً واضحاً حيال أولئك المسيئين والموقف منهم ، فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) [٣] .

ونتيجة لذلك أخذ الأعداء يطمعون بالأمة وبدينها ،ويرونها لقمة سائغة بسبب بعدها عن دينها ، فسلكوا سبل الإساءة وطرق الغواية لإضعافها والنيل منها والحط من قدرها ،وإذابة صدق الانتماء إلي دينها ، وتقليل شأنه في نفوس أبناءه ، وإزاحة قداسته من نفوسهم ، وهذا هدف خطير ومقصد خبيث للمتربصين به وبأهله .

وفي هذه الأزمنة المتأخرة تفنن الكفار والمنافقون في الإساءة إلى الإسلام ، بغية هدم قداسته وهيبته في نفوس المؤمنين ، وذلك لأنهم ينطلقون من رؤى معينة ، فعندهم " الدين واللغة والتقاليد : ثلاثة أمراض اجتماعية ..." [٤] ، فهم مرة يسيئون إلى الله سبحانه وتعالى بالسخرية منه والاستهزاء به ، ومرة إلى الملائكة عليهم الصلاة والسلام ،ومرة يسيئون إلى الرسول بالسخرية والاستهزاء ، ومرة إلى الشعائر التعبدية ، ومرة إلى النقلة الأمناء لهذا الدين من الصحابة الكرام ψ ، ومرة إلى النظام الإسلامي ، إلى غير ذلك ، وكله بهدف الإساءة إلى الدين .

فهذا غربي يفصح عن قوة الإسلام ورغبة الناس به كما أنه يتخوفه ، فيقول : " لا يوجد مكان على سطح الأرض إلا واجتاز الإسلام حدوده وانتشر فيه ، فهو الدين الوحيد الذي يميل الناس إلى اعتناقه بشدة تفوق كل دين آخر " [٥] ، ويقول آخر هو أشد خوفاً : " لم يتفق قط أن شعباً مسيحياً دخل الإسلام ثم عاد نصرانياً " [٦] ، ولهذا فإن الدوائر الغربية تخاف من الإسلام ، وتراقب نموه وسرعة انتشاره ، وهذا مما غاضهم ، لأن الإسلام ـ كما يقولون ـ بدأ يصحوا من جديد .

ورغم خوفهم وقلقهم إلا أن أعظم دور للهدم وأبشع صور لتشويه الإسلام لا يحمل الغرب حياله أي همَّ للقيام به ، ما دام لهم أبناء بررة وأحفاد يقومون بتلك الأدوار ،ربما أفضل منهم لو قاموا هم بها ، فهم يؤدونها بإخلاص وتفان .

ومن هذه الأدوار الهدامة لهؤلاء الذين كفروا بالإسلام وما جاء به الإسلام ، ولم يقدروا الله حق قدره ، فكان من أقبح كفرهم الاستهزاء بالله ، فأحد المارقين يقول : " صار الله رماداً ،

---

(1) رواه أحمد برقم ٢١٣٦٣ . وأبو داود في الملاحم ، باب في تداعي الأمم على الإسلام ، برقم ٣٧٤٥ . وقد صححه الألباني في أكثر من موضع ، أنظر : السلسلة الصحيحة ، ج ٢ ، ص ٦٤٧ . الجامع الصغير وزيادته ، ص ١٤١٥ . ومشكاة المصابيح ، ج ٣ ، ص ١٦٥ . كما حسنه شعيب الأرنؤوط ، أنظر : مسند أحمد ، ج ٥ ، ص ٢٧٨ .
(2) سبق تخريجه ، أنظر : ص ٢٥٠ .
(3) سورة المائدة ، آية : ٥٧ .
(4) جريدة الرياضية ، العدد ١٥٣٢ ، نقلاً عن : الاستهزاء بالدين ، ص ٣١٥ .
(5) قادة الغرب يقولون ، ص ٣٨ .
(6) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

صمتاً رعباً في كف الجلادين ، حقلاً ينبت سبحات وعمائم بين الرب الأغنية الثروة والرب القادم من هوليوود ، كان الله قديماً حباً ، وكان نهاراً في الليل أغنية تغسل بالأمطار الخضراء تجاعيد الأرض " [١].

وملحد دخل الكفر من أوسع أبوابه ، حيث يقول : " الله في مدينتي يبيعه اليهود ، الله في مدينتي مشرد طريد ، أراده الغزاة أن يكون لهم أجيراً شاعراً قواداً ، يخدع في قيثارة المذهب العباد لكنه أصيب بالجنون ، لأنه أراد أن يصون زنابق الحقول من جرادهم أراد أن يكون " [٢]
.

تعالى الله وتقدس عما يقوله الظالمون علواً كبيراً (سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) [٣] ، فما أعظمها من جرأة وما أقبحها من فرية (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ) [٤] .

ولكن (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأُوْلئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ) [٥] .

وكم ستؤثر هذه الصور السيئة من هؤلاء المفترين على أهل الإسلام في نفوس البعض من أبناءه ، فربما نزعت هيبته الدين وعظمته من بعض القلوب ، وقادتهم إلى مهاوي الردى ومسالك الغواية ، حينما يتجرأت البعض منهم على مقارفة شيء منها ، نسأل الله العافية .

ومع تلك الإساءات والهجمات الشرسة ، فإنه مهما حاول المفسدون في الأرض النيل من ديننا والحط منه فلن يستطيعوا بإذن الله ، لأنه قد تكفل بحفظ دينه ونصرته على من بغى عليه (يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) [٦] ،ويقول الحافظ سبحانه (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [٧] ،ولأن من " لوازم حفظ هذا الدين حفظ عقيدته وشريعته ، وقيمه وأخلاقه " [٨] .

وما دامت الأمة تقدِّم لدينها وتعمل له وقبل ذلك تمتثل أمره ونهيه ،فإن الله تعالى سيحفظها بحفظه ويكلأها برعايته ، يقول تعالى (وَاللّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [٩]

ولا نقول هذا من باب تصديق الأماني ، إنما نقوله على ثقة بوعد الله ، وعلى ضوء السنن الربانية التي يجريها الله سبحانه ويُجْرِي بها أمور البشر ،قال تعالى(وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْوَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُون) [١٠]

---

(1) وهي لعبد العزيز المقالح ، وقد نشرت في المجلة العربية ، عدد شعبان ١٤٠٥هـ ، نقلاً عن : الحداثة في ميزان الإسلام ، ص ٨٦ ، ٨٧

(2) وهي لعبد الوهاب البياتي ، من ديوانه (كلمات لا تموت) ، نقلاً عن : الحداثة في ميزان الإسلام ، ص ٩٣ .

(3)سورة النــور، آية : ١٦ .

(4)سورة الصافات ، آية : ١٨٠ .

(5) سورة النحل، آية : ١٠٥ .

(6) سورة الصف ، آية : ٨ .

(7) سورة الحجر ، آية : ٩ .

(8) الاستهزاء بالدين ، ص ٦٣٥ .

(9) سورة يوسف ، آية : ٢١.

(10) سورة النور ، آية : ٥٥ .

ثالثاً : عرقلة مسيرة الدعوة إلى الله :

الدعوة إلى الله هي المهمة الأسمى للرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الذين اختارهم الله لهذه الوظيفة العظيمة ، فقال سبحانه (اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (١) .

ثم إنه سبحانه كلفهم بإبلاغها إلى أممهم ، وهيأهم لحملها ، وزودهم بما يعينهم على أدائها ، قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ) (٢) ، ومن التسلية لرسول الله أن يبين الله له حال إخوانه ممن سبقوه ، وحال أممهم معهم ومن دعوتهم قال تبارك وتعالى (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ وَلَقدْ جَاءكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ)(٣) .

وقد ختمت هذه الرسالات والدعوات لأنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام بأفضلهم وأكرمهم عليه سبحانه وهو رسولنا محمد ، وأمره بإبلاغ هذا الدين فقال سبحانه (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (٤) .

ثم إن الله تبارك وتعالى قد لخص مهمته ومسؤوليته بقوله عز من قائل (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) (٥) .

وقد بين الحق سبحانه لرسوله منهج هذه الدعوة ورسم له طريقها وخط له معالمها ، وكما هي له فهي لمن بعده من أتباعه الدعاة إلى دينه يقول تعالى (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (٦) .

وقد مدح الله القائمين على هذه الدعوة ، وأثنى عليهم لقيامهم بأعظم رسالة ، وهي رسالة الأنبياء فقال سبحانه (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) (٧) .

كما بين أن أهل الدعوة هم أهل النجاة من عقوبات الدنيا والآخرة ، فقال سبحانه (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) (٨) .

وإن من أبرز الملامح التي تبين حاجة الأمة إلى الدعوة أنها تتعرض لهجمات شرسة لا هوادة فيها ، وهذا كما كان في السابق إلا أنه في الوقت الراهن أكثر شراسة وأعظم حدة ، فمشروع الصدَّ الشيطاني عن دين الله هو من القديم الجديد ، يقول الله حكاية عن الشيطان (قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ) (٩) ، ثم إن أتباعه من الجن والإنس قد ساروا على منهجه وارتسموا

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١٢٤ .
(2) سورة النساء ، آية : ٦٤ .
(3) سورة الأنعام ، آية : ٣٤ .
(4) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(5)سورة الأحزاب ، الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .
(6) سورة يوسف ، آية : ١٠٨ .
(7) سورة فصلت ، آية : ٣٣ .
(8) سورة الأعراف ، آية : ١٦٥ .
(9)سورة ص ، آية : ٨٢ .

خطاه الشيطانية ، قال تعالى (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا) [١] .

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله : " وما أكثر أعداء الرسل من شياطين الإنس الذين ظهروا في كل عصر وبلد وفي كل فترة ،وهم أشد ضرراً من شياطين الجن ...، الذين ينشرون المبادىء الهدامة ، والنظريات المظللة ، والفرقة لصفوف الأمة ...، ويلبسون الحق بالباطل بأروع فنون الجدل ، لترويج مذاهبهم ، وتنفيذ مقاصدهم ، بشتى الوسائل والأساليب ، ويسلكون لكل طبقة مسلكاً ، ويلبسون للناس الأثواب المتنوعة " [٢] .

وإن من أبرز الذين حاولوا وما زالوا يحاولون إعاقة مسيرة الدعوة وعرقلة تقدمها صنفان [٣]،هما :

الأول : عموم الكفار من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم :

وأكثر من عانى أشد الألم من هؤلاء هو الرسول ، حيث مارس معه أعداؤه من المشركين واليهود صنوفاً قاسية من الاعتداء ،وألواناً عديدة من الهجر والصدَّ والإبعاد .

فقريش وهم أهله وعشيرته قد واجهوا دعوته بالتكذيب والجحود والحرب والاعتداء والمقاطعة والمحادة ، فلم تشفع له قرابته منهم ، بل زاد عنادهم وجحودهم له ولدعوته .

قال ابن إسحاق : " ثم إن قريش اشتد أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ومن أسلم معه منهم ،فأغروا برسول الله : سفهاءهم ،فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله مظهر لأمر الله لا يستخفي به مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم ،واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم كفرهم " [٤] .

أما أهل الكتاب من اليهود فقد حملهم الحقد والحسد إذ هم أخبث الناس وأحسدهم على ردِّ الدعوة وتكذيب الداعي ، فاتخذوا أساليب المراوغة والغدر ، فمن ذلك : أن بعضهم أظهر الإسلام نفاقاً واستهزاء برسول وبدينه .

قال ابن إسحاق : " وكان ممن تعوذ بالإسلام ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو منافق من أحبار يهود ومن بني قينقاع : سعد بن حنيف وزيد بن اللصيت ونعمان بن أوفى ابن عمرو وعثمان بن أوفى ،وزيد بن اللصيت الذي قاتل عمر بن الخطاب τ بسوق بني قينقاع ،وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رحله ودل الله تبارك وتعالى رسوله على ناقته : إن قائلاً قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته ؟ (وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلني الله عليها ،فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها) فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله وكما وصف ...، ورافع بن حريملة ورفاعة بن زيد بن التابوت " [٥] .

---

(1) سورة الأنعام ، آية : ١١٢ .

(2) اليهود والماسونية ، للدوسري ، ص ١١٣ ، ١١٤ .

(3) وقد مرَّ بك في الفصل الثاني صوراً عديدة ، تبين حجم الإساءة ومن هدفها إعاقة مسيرة الدعوة .

(4) سيرة ابن هشام ، ج ٢ ، ص ١٢٦ .

(5) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٦٠ . وانظر : البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٢٤٠ . ج ٥ ، ص ٩ .

قال الله تعالى (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ . وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [١]

وهم بذلك يريدون فتنة الناس عن دينهم وإبعادهم عن دعوة الحق ، قال تعالى (وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [٢] .

قال الطبري : " ويعني بقوله جل ثناؤه : (حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم) أن كثيراً من أهل الكتاب يودون للمؤمنين ما أخبر الله جل ثناؤه عنهم ،أنهم يودونه لهم من الردة عن إيمانهم إلى الكفر حسداً منهم وبغياً عليهم " [٣] .

أما ما جاء عن دور النصارى في الصد عن دين الله ومحاولة إعاقة مسيرة الدعوة ما ورد حول شكوكهم ومحاولة تشكيكهم بدعوة رسول الله وإثارة الشبه فأنه : " لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله أتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله فقال رافع بن حريملة : ما أنتم على شيء وكفر بعيسى وبالإنجيل فقال رجل من أهل نجران من النصارى لليهود : ما أنتم على شيء وجحد نبوة موسى وكفر بالتوراة فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَىَ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [٤] ، أي كل يتلو في كتابه تصديق ما كفر به أي يكفر اليهود بعيسى وعندهم التوراة فيها ما أخذ الله عليهم على لسان موسى υ بالتصديق بعيسى υ وفي الإنجيل ما جاء به عيسى υ من تصديق موسى υ وما جاء به من التوراة من عند الله وكل يكفر بما في يد صاحبه " [٥] .

ومن الصور أيضاً في ذلك : " أن أبا رافع القرظي قال حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ودعاهم إلى الإسلام : أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له : الربيس ـ ويروى : الريس والرئيس ـ : أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعونا ؟

فقال رسول الله : (معاذ الله أن أعبد غير الله ،أو آمر بعبادة غيره ،فما بذلك بعثني الله ولا أمرني) " [٦] .

وهكذا هم دائماً يحاولون " خلط عقيدة التوحيد الصافية بعقيدة النصارى ، حيث اتخذوا عيسى ابن مريم υ إلهاً مع الله تعالى ، أو هو الله أو ابن الله ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً " [٧] ، (فَتَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) [٨] .

---

(1) سورة آل عمران ، الآيتان ٧١ ، ٧٢ .
(2) سورة البقرة ، آية : ١٠٩ .
(3) جامع البيان ، ج ١ ، ص ٥٣٤ .
(4) سورة البقرة ، آية : ١١٣ .
(5) سيرة ابن هشام ، ج ٣ ، ص ٨٥ ، ٩٠ .
(6) المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٩١ . وانظر : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٥٠١ .
(7) الاستهزاء بالدين ، ص ٦٧٨ .
(8) سورة الأعراف ، آية : ١٩٠ .

وهذه الوسيلة هي من أكثر الوسائل التي يعول عليها النصارى ، ولهذا فإن غالب ما يذكره المستشرقون [1] هو من قبيل هذا من التشكيك وإثارة التهم ، يقول أحدهم : " إن المسلمين يدَّعون أن في الإسلام ما يلبي كل حاجة اجتماعية في البشر ، فعلينا نحن المبشرين أن نقاوم الإسلام بالأسلحة الفكرية والروحية " [2].

ومن آخر هذا التهم المعلبة ضد كل ما هو إسلامي الإرهاب والتطرف ، فيصفون الإسلام بذلك ويصمون المسلم به ، ومرة يقولون : الأصولية الإسلامية ، أو التطرف الإسلامي ، أو الإرهاب الإسلامي ،وهو مصطلح ناشيء عن بعض الجماعات النصرانية ، ثم نقلوه إلينا وعيَّرونا به !

يقول أحدهم : " ليس في جعبتنا أمام هذا التاريخ الطويل أدلة مادية ملموسة على وجود الإله ..." [3] ،وقال آخر : " ليس من الضروري أن يتنصر العالم الإسلامي وهذا غير وارد ...، وكل ما يمكن قوله أن الإسلام يجب أن يعاد تفسيره في ضوء معطيات الحضارة الإنسانية الواحدة " [4].

وهذه المحاولات الفاشلة مازالت مستمرة إلى اليوم ، فتراهم يثيرون شبهاً ، ويكيلون تهماً ، ويصطنعون كذباً وافتراءً ، وهي تسير على منوال ما قد سبقها ، إلا أن الوسيلة قد تتغير من وقت لآخر ، قال تعالى (أَتَوَاصَوْاْ بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [5] .

الثاني : الذين يظهرون انتسابهم إلى الإسلام نفاقاً :

لأن أثبتت وقائع التأريخ يوماً بعد آخر أن رزية الأمة بالمنافقين عظيمة ،وأنها تسبق كل الرزايا والنكبات والجنايات ، فإن الواقع خير شاهد على ذلك ،فالكفار الصرحاء ـ على خطرهم وضررهم البيِّن ـ إلا أنهم كثيراً ما يعجزون عن إخضاع الأمة ،أو النيل منها ،أو أن ينتصروا علىها انتصاراً شاملاً ، مالم يكن مسنوداً بأولئك المندسين بين صفوف الأمة ، يُسَهّلون لهم كل عسير ،ويزيلون عنهم كل لبس ،ويفتحون أمامهم كل مغلق ،ويعبِّدون لهم كل طريق .

فخطرهم أعظم ممن سبقهم لتسترهم باسم الإيمان وإظهار أعمال الإسلام ، يقول الله تعالى (وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكْمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ) [6] .

ولقد وصف الإمام ابن العربي فريضة جهاد المنافقين بأنها دائمة ، إذ يقول : " وأما إقامة الحجة باللسان فكانت دائمة " [7]، ولو تأملت في هذا الوصف لرأيت فروقاً بين فريضتي جهاد الكفار وجهاد المنافقين ، فمن هذه الأوجه ما يلي :

---

(1) أنظر مثلاً : نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر ، ص ٢٥٩ ـ ٢٧٠ .و مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، لعبد العظيم المعطي ، ص ١٣ ـ ٧٠ . وغيرها .
(2) قادة الغرب يقولون ، ص ٥٧ .
(3) وهي لعلاء حامد ، مسافة في عقل رجل ، ص ١٥٠ ، ١٥١ . نقلاً عن الانحراف العقدي ، ج ١ ، ص ١٥٠ .
(4) ليوسف الخال ، أسئلة الشعر ، ص ١٦٣ ، نقلاً عن المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٨٣٧ .
(5) سورة الذاريات ،آية : ٥٣ .
(6) سورة البقرة ، آية : ١٤ .
(7) أحكام القرآن ، ج ٤ ، ص ٣٥٤ .

١ـ أن جهاد الكفار يجيء ويذهب باختلاف الأزمنة والأمكنة ، وهذا بحسب وجود دواعيه ومسبباته ،كمداهمة الكفار لبلد الإسلام ، أما المنافقين فجهادهم قائم ودائم في السلم والحرب ، لاتصافهم بالأذى الموصول في السلم والحرب .

٢ـ أن عِداء الكفار للإسلام وأهله معلن جليّ ، أما عِداء المنافقين ـ في الغالب ـ مستتر خفي ، ومما لا شك فيه أن المستعلن بالعداء يُعطي من يعاديه فرصة للتحفز والاستعداد وأخذ الحذر ، بخلاف من يتآمر بالخفاء ويموه العداء ويُظهر الصفاء .

٣ـ تكمن خطورة الكفار بمجيء ضررهم من الخارج ـ وهذا في غالب الأحيان ـ ، بينما خطر المنافقين ينطلق من الداخل بين صفوف المسلمين ، مما يعني استفحال خطر الخارج بمساندة خطر الداخل .

٤ـ أن عداوة المنافقين شاملة لا تقتصر على جانب دون آخر ، فهي تبدأ من الكلمة بهمز و لمز أوسخرية واستهزاء ، وتنتهي بالخيانة العظمى حين الاصطفاف في صفوف الكفار للقتال معهم ضد المسلمين وتحت رايتهم والتآمر معهم ضد المسلمين وكشف أسرارهم .

٥ـ أن جهاد الكفار قد يكون على العين أو الكفاية ، بل ربما سقط بالأعذار أو الإعذار ، أما جهاد المنافقين فهو غير قابل للإسقاط إذا وجدت مسوغاته ، إذ يجب على كل مكلف بحسبه ، ففي الحديث عن عبد الله بن مسعود τ أن رسول الله قال : (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب ،يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ،ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ،ويفعلون ما لا يؤمرون ،فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ،ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ،ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ،وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) (١) .

ولا غروا في هذا كله إذا قرأنا وتأملنا في قوله تعالى (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) (٢) .

يقوله الإمام الطبري : " يقول جل ثناؤه : يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم كل صيحة عليهم ،لأنهم على وجل أن ينزل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم ،فهم من خوفهم من ذلك كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم ،يقول الله جل ثناؤه لنبيه : هم العدو يا محمد فاحذرهم فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ،فهم عين لأعدائكم عليكم " (٣) .

ومن مواقف المنافقين لعرقلة مسيرة الدعوة إلى الله زمن الرسول : التثبيط والتخذيل وإشاعة الفشل بين المؤمنين ، وفي هذا قد قال الله عنهم (وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ

---

(1) رواه مسلم في الإيمان ، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ، برقم ٧١ .
(2) سورة المنافقون ، آية : ٤ .
(3) جامع البيان ، ج ١٢ ، ص ١٠١ .

وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [١] ،وقال سبحانه (الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ) [٢] .

وأيضاً موقف يبين وبوضوح وممارسة عملية للتثبيط والتخذيل ، فعندما عزمت قريش على الثأر لهزيمتها في بدر الكبرى ، فعلم الرسول بنوايا القوم فقرر بعد المشورة أن يخرج لملاقاة العدو وألا يمكث في المدينة ، وعلى هذا الأمر خالف زعيم المنافقين ابن سلول ، ثم خرج الرسول ومن معه من الصحابة ψ حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنه عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ،ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس ، فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والريب ،واتبعهم عبدالله بن عمرو بن حرام τ أخو بني سلمة يقول : يا قوم أذكركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيكم عندما حضر من عدوهم فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ،ولكنا لا نرى أنه يكون قتال ،قال فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال : أبعدكم الله أعداء الله ،فسيغني الله عنكم نبيه [٣] .

وموقف يكرر فيه أهل النفاق شيئاً من أخلاقهم ، كما في غزوة الأحزاب ، حيث أخذوا يتراجعون ويتثاقلون ويظهرون السآمة ، حيث شكك بعضهم في نجاح فكرة الخندق ،بل تحدث بعضهم بالتثبيط وإشارات الوهن لترويج الشائعات وبث الفرقة ، ثم تجاسر أحدهم فقال : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط ، وحتى قال آخر : يا رسول الله إن بيوتنا عورة من العدو ،وذلك عن ملأ من رجال قومه ،فأذن لنا أن نرجع إلى دارنا فإنها خارج من المدينة " [٤] ،وفيهم يقول الله تعالى (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا . وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) [٥] .

ومنها مسجد الضرار الذي يبين أن هؤلاء المندسين لا بد أن يتخذوا لهم وكراً منه يرصدون ومنه ينطلقون نحو أهدافهم لمحاربة الدعوة وحصار أهلها ، يقول سبحانه (وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) [٦] .

فالأمر لا يعدو أن يكون دائراً بين التثبيط وإثارة الشكوك والاستهزاء ، إذ أن ذلك من أقوى أساليبهم للصد عن الدعوة ومحاربتها وحصار أتباعها .

وهذه شخصية المنافقين خيانة وتآمر ، ووضاعة وتخاذل ، وشك فيما وعد الله ، ونقض لما عاهدوا الله عليه ، يقول سبحانه (وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا) [٧] .

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٥٤ .
(2) سورة آل عمران ، آية : ١٦٨ .
(3) أنظر : سيرة ابن هشام ، ج ٤ ، ص ٩ .
(4) أنظر : البداية والنهاية ، ج ٤ ، ص ١٠٤ .
(5)سورة الأحزاب ، الآيتان ١٢ ، ١٣ .
(6) سورة التوبة ، آية : ١٠٧ .
(7) سورة الأحزاب ، آية : ١٥ .

ولكن هذا الجبن والخور سرعان ما يتحول إلى شجاعة مصطنعة ، تقذف بالسموم ، وذلك حين يولي الخطر وينقشع الغبار ، يقول تعالى (فَإِذَا جَاء الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) [١] .

ومنافقوا اليوم هم منافقوا الأمس ، ربما اختلفت الوسيلة وتباينت الطريقة من زمن لآخر ، إلا أن الهدف واحد ، وهو حرب هذا الدين (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [٢] .

ولنأخذ مثالاً على ذلك في مسألة الإساءة إلى الرسول بالرسوم الدانماركية ، فلقد استماتوا بين الاعتذار لهم وبين إلقاء اللوم على المسلمين وبأنهم قد قصروا [٣] ، وذلك لمحاولة امتصاص الغضب لدى المسلمين ، فالتبريرات والاعتذارت قد ملأت بعض الصحف ، كما ملأتها اتهاماً للمسلمين ، فأصبح المظلوم ظالماً !

وإن أقبح ما في الأمر أنهم حوّلوا ـ في هذا الظرف الحساس والعظيم الذي نعيشه ـ الأمر إلى افتعال المعارك وإشعال الخصومات ، لصرف النظر عن المعركة الحقيقية لتكون معركة داخلية ، لأجل تصفية الحسابات ، وإلقاء الاتهامات ،وبأن ذلك تم بمؤامرة وتخطيط ، ثم إن الأمة قد تبعت هؤلاء كالقطيع دون تفكر ولا تروٍّ .

نخلص من هذا أن مواجهة الدعوة بما ذُكر أسلوب من أساليب الأعداء على اختلافهم لعرقلة مسيرتها والحد من انتشارها وتنفير الناس منها ، ثم إنهم لا يقدمون إلا بديلاً منحطاً في الشكل والمضمون ، وما وسائل الإعلام التي يسيطرون عليها إلا مشهد حي على إيرادة ملحّة لتوجيه مسار الأمة نحو ظلمات التيه والضياع الذي نبتوا في أرضه ورووا من كدره .

الخاتمة

(1) سورة الأحزاب ،آية : ١٩ .
(2) سورة الذاريات ، آية : ٥٣ .
(3) أنظر : الفصل الثاني المطلب الثاني ، تحت عنوان : المتخاذلون في زمن النصرة ، ص ٢١٧ .

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ،،، وبعد

فلقد فرغت بحمد الله وعونه وتوفيقه من إعداد هذه الرسالة ،وفي نهاية كتابة فصولها ومباحثها فإني أشير إلى أبرز النتائج وأهم التوصيات ، وذلك جرياً على عادة الباحثين ، ولأهمية ذلك في الرسائل العلمية .

- **أبرز النتائج :**

١- أن الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو السبيل الوحيد الذي يصل العبد بربه سبحانه ، فلا طريق له سواه ، فإيمانه لا يمكن أن يتحقق إلا أن يؤمن بهم أجمعين .

وهذا الإيمان يكون على وجهين متلازمين :

الأول : الإيمان المجمل : وهو الإيمان بأن الله تعالى قد بعث في كل أمة رسولاً ، يدعوهم إلى عبادة الله وحد لا شريك له .

الثاني : الإيمان المفصل : وهو الإيمان بمن سمى الله في كتابه أو ثبت في سنة رسوله ، إيماناً مفصلاً على نحو ما جاءت به النصوص ، كأسمائهم وأخبارهم ونحو ذلك .

كما أن من أصول الدين ألا يُفرَّق بينهم في الإيمان ،رغم تفاضلهم في غيره كما في الشرائع ،ومما يستلزمه الإيمان بما جاءوا به من عند الله وهو توحيده سبحانه .

٢- أن لهذا الرسول الكريم فضل لا يدانيه فضل أحد من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ،فضلاً عن غيرهم من الناس ، فبه - بعد الله تعالى - أخرج الناس من الظلمات إلى النور ،ومن العمى إلى نور البصيرة ، وهذا من منة الله تعالى على خلقه ، قال سبحانه (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ) (1) ، ولشرف مقامه وعلو مكانه فقد تولى سبحانه بيان هذا الفضل العظيم في كتابه الكريم .

٣- علمنا أن الإيمان بالرسول : هو تصديقه وطاعته واتباعه ، وهو قائم على أصلين عظيمين هما :

الأول : التصديق : وهو إثبات نبوته وصدقه فيما بلغ ، وكذلك الإيمان فيما جاء به من عند الله تعالى .

الثاني : الطاعة والاتباع ، وهو الانقياد له .

ومن هذا يُعلم معنى شهادة أن محمداً رسول الله .

٤- أن لهذا الإيمان بالنبي نواقض عديدة ، تهدم أركانه وتزلزل بنيانه ، وضابط المسألة : قصد الإساءة إلى شخص النبي ، أو إلى دين النبي ، وذلك مثل السخرية والاستهزاء أو السب والشتم ، أو ما دونهما مما يدخل في حكمهما ، أو الإساءة إلى أهل بيته أو أصحابه ψ ، وأيضاً عدم الإيمان بعموم رسالة الرسول إلى جميع أهل الأرض ،ومما يدخل في هذا الحكم الكفر بنبي من الأنبياء أو رسول من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٥- إذا كان كذلك فإن الله تعالى قد خص رسوله بخصائص عديدة ومزايا كريمة ،إذ جعل طاعته طاعة له سبحانه ، فقال سبحانه (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ وَمَن تَوَلَّى فَمَا

---

(1) سورة آل عمران ، آية : ١٦٤ .

أرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) [١] ،ولذا جعل له على أمته حقوقاً عظيمة وواجبات كبيرة ،ألزمهم القيام بها وعدم الإخلال بشيء منها .

٦- أن الله تعالى قد تولى حفظ نبيه بنفسه ، فتولاه بحفظه وكلأه برعايته ، قال تعالى (وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) [٢] ،وهذا مما اختصه به على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ،لكن هذا لا يعني أنه سبحانه قد تخلى عنهم .

ومن خلال عرض بعض صور الإساءة إلى النبي يتبين عظيم حفظه لحبيبه ، ثم إن خطورة الإساءة إلى الرسول تكمن بأنها إساءة إلى الله تعالى ،وما يترتب عليها من كفر المسيء ووجوب قتله .

٧- تنوعت أساليب المسيئين إلى الرسول في العصر الحاضر ، إلا أنها تتفق وتتشابه وبشكل كبير من حيث المضمون مع إساءات المتقدمين ،كما قال تعالى (أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ) [٣] ، والتي تحمل الحسد الدفين والحقد المتأصل في نفوس أعداء الرسالة .

٨- لقد كانت إساءة الدانمارك ، والتي كان لها مدلولات كثيرة منها أنها أعادت للأذهان الحروب الصليبية ،ومنها التحول في المواجهة من قبل دول شمال أوروبا ، والتي يقال عنها بأنها مسالمة ! ومنها تداعي أمم الكفر وتعاضدها على تكرار الجريمة ، حتى سقط كبيرهم في حمأة الرذيلة ،ومنها أن القوم الكافرين ليس عندهم شيء مقدس ، حتى أنهم تجرأون على ذات الرب سبحانه ، فكل شيء مباح بدعوى حرية التعبير ، ويكفي دعاة التقارب بين الأديان هذا الصورة المقيتة لفض دعواهم (هَاأَنتُمْ أُوْلاء تُحِبُّونَهُمْ وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) [٤] .

وهذا جزء يبين موقف الغرب من الرسول ، فبرغم اختلاف التوجهات والمدارس الفلسفية في الغرب عامة ، إلا أن هناك شبه إجماع على حرب دين الإسلام ورسوله ، إذ أن المشكلة في الفكروالتصور الغربي ، حيث يهدم الإسلام جُلَّ فكرهم ، وبالتالي فهو يمثل تحدياً للغرب الصليبي .

٩- وليس ببعيد عن موقف الغرب موقف إخوانهم من المنافقين ، الذين فاق بعضهم في إساءته إساءة الغرب ،حتى أشاروا على بعض المنصفين من الغربيين بأن يعيدوا النظر في مبادىء حرية التعبير واحترام القانون ! ، فموقفهم يحوطه شك واستغراب وريبة بل واستهزاء وسخرية .

١٠- عندما وقعت الكارثة ، التي حركت قلوب الغيورين من المؤمنين في العالم لجأ كثير منهم إلى خيار المقاطعة الاقتصادية ، والتي كان لها أثر إيجابي ، حيث وحدت الصف الإسلامي في خطوة غير مسبوقة ، ، كما أثبتت أن أمتنا عظيمة ، وأنها قد تمرض ولكن لا تموت ، حيث أعادت للأمة شيء من وزنها وثقلها أمام الغرب المتغطرس ، وجعلت كل متربص يتريث ولا يستعجل .

---

(1)سورة النساء ، آية : ٨٠ .
(2) سورة المائدة ، آية : ٦٧ .
(3) سورة الذاريات ، آية : ٥٣ .
(4) سورة آل عمران ، آية : ١١٩ .

١١- الإساءة إلى الرسول لا تقتصر على السخرية والاستهزاء ونحوهما من لدن الكافرين أو المنافقين ، بل تشمل صوراً يغشاها المسلمون إما جهلاً منهم أواتباع هوى أوتقليد ، وهي مما تختص بالمسائل الشرعية ونحوها ، كترك الأدب معه ، أو الغلو فيه وإنزاله فوق منزلته التي أنزله ربه إياها ، ونحو ذلك مما ذكرنا .

١٢- كل الإساءات لها بواعث في نفوس المسيئين ، تختلف من شخص لآخر ، ومن وقت لآخر ، فمثلاً الذي يبعث الكافر أوالمنافق على الإساءة قد يكون من الحسد أو الكبر أو غيرهما ،وقد يشاركهما المسلم المسيء في الباعث وقد ينفرد في جهله بما هو إساءة وما ليس كذلك ، وهذا ما يدعو إلى التشابه إلى حد ما في بواعث المسيئين ، لكن هذا لا يعني أن حكمهم في الإساءة واحد .

١٣- حرية التعبير في الإسلام حق مصون ولا جدال في ذلك ، بشرط ألا يتعارض مع المبادىء الشرعية والمصالح المرعية ،ومن ذلك أنه يحرم على المسلم التعرض للمقدسات وكرامة الأنبياء ونحو ذلك ، لكن هذا الأمر في الغرب يختلف تماماً ، فليس أمام حرية التعبير شيء محرم أو مقدس مما له صلة بالدين ، فاختلت الموازين وضيعت الحقوق باسم التعبير ، وهي تقف صفاً منيعاً ، بل تعاقب أشد العقوبات أمام نشر بعض الأراء وإثارة بعض القضايا الحساسة عندهم ،كالمحرقة المزعومة لليهود .

وهذا ما يعطيك دلالة على التحيز الغربي ضد كل ما هو إسلام أو مسلم ، وفي الحقيقة أنها أضحت قضية تتحدى المسلمات الغربية وتختبر قوة صمودها ، وفي الواقع أنها فشلت أمام اختبار (إساءة الدانمارك) ،ولعل أبرز ما يذكي جذوة الصراع الغربي ضد الإسلام العداء القديم ، سيما إذا قرنته بالعداء الجديد ، كما في الإساءة والحروب الغربية ضد دول إسلامية .

١٤- شرع الحكم العدل سبحانه العقوبات لحِكَم عظيمة ومقاصد جليلة ، وهي إما أن تكون عامة كالمقاصد الضرورية أو الحاجية أو التحسينية ، أو خاصة كتأديب الجاني وزجر غيره ونحو ذلك .

والعقوبات - حسب جسامتها وشدتها - تنقسم إلى : أ- عقوبات الحدود ، ب - عقوبات القصاص والدية ، ج - عقوبات التعزير ،وهي إما : عقوبات الحدود أو القصاص العمدي ، أو العقوبات التي لا حد فيها ولا قصاص .

١٥- في مسألة (حكم رسم صورة الرسول) بهذا المعنى لم أجد أن الفقهاء قد تعرضوا لها ، لكنني حاولت أن أخرج بحكم لها من خلال الأدلة الشرعية وكلام بعض العلماء ، وذلك من خلال إنزال المسألة على حكم التصوير من بعض الأوجه ،وبعض المسائل المقررة عند العلماء ، ثم خرجت بتحريم رسم صورة الرسول .

١٦- أن الإساءة إلى الرسول بالسب أوالشتم أوبأي صورة تدل على هذا أو شيء منه يعد ناقضاً من نواقض الإيمان التي توجب الكفر ظاهراً وباطناً ، سواء استحل ذلك أم لم يستحله ،لأنه ذلك يدل على الاستخفاف بالمسبوب والمشتوم ، وهو من الاستهزاء ، قال تعالى (لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ) [(1)]،وقد نقل شيح الإسلام - رحمه الله - إجماع الصحابة ψ على كفر الساب للنبي ، كما نقل عدد من الأئمة الإجماع على ذلك ،وبهذا يتقرر كفر المسيء للرسول بما ذُكر .

(1) سورة التوبة ، آية : ٦٦ .

١٧ـ للإساءة آثارها على المسيء في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا ينزل الله بهم عقوباته الأليمة والمهلكة ، وذلك كما حصل لمن سبق من الأمم ، ممن كذَّب الرُّسولَ فحق وعيد الله بهم ، كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ، ومثله ما أنزله الله تبارك وتعالى بصناديد قريش يوم بدر ، حيث أخزاهم الله ونصر رسوله على المعتدين المسيئين .

أمافي الآخرة فإن من حكمة الله تعالى وسنته التي لا تختلف أن جعل الجزاء من جنس العمل سواء في الخير أو الشر ، ومثله في القرآن الكريم قوله تعالى (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا . قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى . وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) (1) ، وقوله تعالى (الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (2) .

١٨ـ لقد أدرك العدو الظاهر والمستبطن أن سر قوة الأمة في عقيدتها وتمسكها في دينها ، لهذا أخذوا يكيلون الضربات والطعنات لزعزعة هذا البنيان الثابت ثبات الجبال ، وبدأ المندسون يشيعون بين الناس أن الخلاف بسيط إنما هو بين شرق وغرب أو بين ثقافتين لا تعرف أحدهما الأخرى ، ولكنهم كذبوا كعادتهم ، فالخلاف طويل وعريض ، فلا لقاء بيننا وبينهم ، إنه تصادم بين عقيدتين وتعارض بين دينين إنه تضاد بين إيمان وكفر .

وفي جانب العبادة أخذوا يواجهونها بالإساءات المتكررة ، من السخرية والاستهزاء ، وإثارة الشكوك حولها ، وكذا فعلوا في الأخلاق والسلوكيات ، فبثوا سمومهم عبر وسائل عديدة وقنوات مديدة ، حتى أصبح الإسلام وأهله مادة دسمة لإضحاك الجمهور الغبي واستغفاله .

ونتيجة لذلك أخذ الأعداء ببث أفكارهم المضللة وتمرير مخططاتهم الشريرة ، بسبب بعد كثير من المسلمين عن دينهم ، فسلكوا سبل الإساءة وطرق الغواية لإضعاف الأمة والنيل منها والحط من قدرها ،وإذابة صدق الانتماء إلي دينها ، وتقليل شأنه في نفوس أبناءه ، وإزاحة قداسته من نفوسهم ، وهذا هدف خطير للأعداء .

كما حاولوا عرقلة مسيرة الدعوة إلى الله ،وهذا منذ زمن النبي ، فللمشركين واليهود مواقف وكذلك النصارى والمنافقين مواقف ضد الدعوة لحصارها والتضييق عليها وحسر مدها ، وهذا مستمر إلى اليوم .

- **أهم التوصيات :**

١ـ يجب على أمة الإسلام العودة الصادقة إلى دينها عقيدة وشريعة قولاً وعملاً ، وذلك في جميع مناحي الحياة العامة والخاصة ، وخاصة معرفة ما لرسول على أمته من الحقوق والواجبات ، وحفظ حرمته في نفسه وأهله وأصحابه ψ ، وفي سنته وهديه ، وفق فهم السلف الصالح والبعد عن مناهج الغلو أو الجفاء ،وعلى هذا يجب أن يجتمع الناس ويدعوا إليه لا على غيره .

٢ـ يجب أن يقوم العلماء الربانيون والدعاة المخلصون على منهج سلف الأمة بالدور الأول والمحرك لنصرة النبي ، وذلك لتفادي التجاوزات الفردية والمنهجية التي قد تحدث ، كالانطراح بين أحضان الغرب بدعوى تعريفهم بنبينا الذي يجهلون ، ومثل الإسهاب في إثبات

(1) سورة طه ، الآيات ١٢٥ ـ ١٢٧ .
(2) سورة التوبة ، آية : ٧٩ .

النبوة بالمعجزات ، حيث يصرف بعض الناس عن معرفة حقيقة الرسالة ، فالمعجزة الحقيقية لرسالة محمد تكمن في تضمنها لهداية الخلق وإسعادهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور وما تحويه من العلوم النافعة الأخرى.

٣ـ كشف مخططات الأعداء وموقفهم من الإسلام ورسوله عبر الوسائل المتوفرة في العالم ،وذلك منذ زمن البعثة ومروراً بالحملات الصليبية وانتهاء بالأحداث الأخير في حروبهم لبلدان إسلامية وإساءتهم لخير البرية ، لاستبانة سبيلهم ،وإعذاراً أمام الله ،وتحذيراً للأجيال القادمة .

٤ـ نظراً للنقص الكبير في الدراسات المتخصصة في شؤون العالم الغربي سيما الدينية منها والاجتماعية ، لذا فإننا بحاجة لإنشاء مراكز بحثية وأقسام جامعية ودراسات عليا متخصصة في هذا الشأن وللحد من الابتعاث الخارجي ، ورصد المكافآت لهذا الغرض ومن يعملون لتحقيقه ، وذلك كله إما لحوارهم وفق معلومات موثقة وواقعية عن واقعهم ونظام حياتهم وانتهاز فرصة التواصل مع المؤسسات الغربية المنصفة ،ويمكن أن يكون عن طريق الجمعيات والمنظمات الإسلامية في العالم عامة والغرب خاصة، وإما المواجهة لحملات المغرضين والمعتدين .

٥ـ إكمال ما بدأت به الدول الإسلامية التي تقدمت بمشروع قرار إلى الأمم المتحدة ينص على حظر ازدراء الأديان، وينبغي المطالبة بالعمل على استصدار تشريعات وقوانين وقرارات دولية تحرم وتجرم الإساءة للأنبياء والمرسلين ، والمسارعة إلى التوقيع على المعاهدات والاتفاقيات الدولية التي تجرم الإساءة إلى المقدسات وفق الضوابط الشرعية .

٦ـ دعم سبل المقاطعة الاقتصادية والتأكيد عليها وفق آلية مرسومة تحدد متى تبدأ ومتى تنتهي ، لكي يكون لها أثرها في ردع العدوان ، أما تركها عائمة فسيخف تأثيرها مع مرور الأيام .

٧ـ دعم وزارات التربية والتعليم في العالم الإسلامي بوضع منهج للسيرة النبوية الشريفة يدرّس في مراحل التعليم المختلفة، والاستفادة من تجارب بعض الدول الإسلامية في ذلك ، لغرس محبة النبي في قلوب الطلاب والتربية على اتباعه والتأسي به من خلال تعريفهم بسيرته العطرة .

٨ـ على دعاة الإسلام في جميع أنحاء العالم والمتمثلة في الصحوة المباركة الالتفاف حول العلماء الربانيين وفتح قنوات التعاون وتبادل الخبرات وعقد المؤتمرات لتعزيز كل ما يخدم الدعوة إلى الله تعالى ،وعليهم الحذر من المندسين وبيان سبيل المجرمين بين الصفوف وفضح مؤآمراتهم للأمة .

٩ـ الاستفادة من التقنيات العصرية في نصرة النبي ودعوة أمم العالم إلى دين الإسلام ، وألا تقتصر على الغرب بل مخاطبة الجميع قدر الاستطاعة ،وذلك عبر الوسائل المتاحة وبذل المال وتشجيع الحكومات ، مثل إنشاء قنوات فضائية متخصصة في ذلك ومواقع إنترنت ومجلات ودوريات وصحف وغير ذلك .

١٠ـ العمل على تأسيس محكمة إسلامية عالمية ، تكون من أولوياتها إصدار الأحكام الشرعية على المتطاولين على الإسلام والمسيئين إلى رسول الله ، والمطالب بتنفيذ ما يصدر من أحكامها ومتابعة كل المجرمين والمطالبة بهم .

١١ـ إقامة معرض عالمي متنقل ، يختص بدعوة الناس إلى الإسلام ، ويبرز دعوة الرسول وشخصيته ومكانته وكيف كانت حالة العرب قبل مجيئه بدعوة التوحيد الخالص من

الله تبارك وتعالى ، ويصاحب المعرض عقد المؤتمرات والمحاضرات والمناظرات وتوزيع الكتب والنشرات التعريفية بالإسلام ورسوله وفتح باب الحوار للناس للإجابة عن أسئلتهم ونحو ذلك .

١٢ - تخصيص دراسة حول إساءات المنافقين ، تبين موقفهم من الإسلام ورسوله وكذلك حالهم مع الدعوة .

وبالله التوفيق والحمد لله ،،، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهارس

*** فهرس المصادر والمراجع .**
*** فهرس الموضوعات .**

فهرس المصادر والمراجع

١ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .

٢ - إعلام المسلمين بعصمة النبيين ، ابن عقيل ، إسحاق عزوز المكي ، دار ابن حزم - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ .

٣ - الإبانة عن أصول الديانة ، الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر أبو الحسن ، تحقيق : فوقية حسين محمود ،الناشر : دار الأنصار – القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٧هـ .

٤ التعبير عن الرأي ضوابطه ومجالاته في الشريعة الإسلامية ، الشمراني ، خالد بن عبد الله ، رسالة دكتوراه ، لم تنشر، جامعة أم القرى ،مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٣ هـ

٥ - الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : د.علي حسن ناصر وآخرون ، الناشر : دار العاصمة – الرياض ،الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ .

٦ - الرد على البكري ضمن (تلخيص كتاب الاستغاثة) ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، تحقيق محمد على عجال ، مكتبة الغرباء الأثرية ، الطبعة الأولى ، المدينة المنورة ، ١٣١٧ هـ .

٧ - الرسوم الساخرة في الصحافة (دراسة تحليلية تقويمية)، الشبانة ، لسليمان ، رسالة ماجستير لم تنشر ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ، ١٤٠٧هـ .

٨ - السنة ، المروزي ، محمد بن نصر بن الحجاج أبو عبد الله ، تحقيق : سالم أحمد السلفي ، ط بدون ، ت بدون

٩ - العلو للعلي الغفار ، الذهبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان، تحقيق : أبو محمد أشرف بن عبد المقصود ،الناشر : مكتبة أضواء السلف - الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .

١٠ - الملل والنحل ، الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، تحقيق : محمد سيد كيلاني ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤هـ .

١١ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ،الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ .
١٢ ـ تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، الجبرتي ، عبد الرحمن بن حسن ،الناشر : دار الجيل – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
١٣ ـ تذكرة الحفاظ ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله ، دار الفكر العربي ، ط بدون ، ت بدون .
١٤ ـ تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : المكتبة الإسلامية ، دار الراية للنشر ، الطبعة : الثالثة – ١٤٠٩هـ .
١٥ ـ غريب الحديث ، ابن سلام ، القاسم الهروي أبو عبيد ، تحقيق : محمد عبد المعيد خان ، ط بدون ، ت بدون .
١٦ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر ، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، تصحيح محب الدين الخطيب ، الناشر : دار المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩هـ
١٧ ـ محمد أعظم عظماء العالم ، أحمد ديدات و مايكل هارت ، ترجمة على الجوهري ، مكتبة القرآن ـ القاهرة ، ط بدون ، ت بدون .
١٨ ـ نصب الراية لأحاديث الهداية ، الزيلعي ، عبدالله بن يوسف أبو محمد الحنفي ، تحقيق : محمد يوسف البنوري ، الناشر : دار الحديث - مصر ، ١٣٥٧هـ .
١٩ ـ إبطال التنديد باختصار شرح كتاب التوحيد ، ابن عتيق ، حمد بن علي ، مراجعة إسماعيل بن سعد بن عتيق ، تحقيق عبد الإله بن عثمان الشايع ، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
٢٠ ـ اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .
٢١ ـ أحكام القرآن ، ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل ـ بيروت ،ط بدون ، ١٤٠٨هـ .
٢٢ ـ أحكام القرآن ، الجصاص ، أحمد بن علي الرازي أبو بكر ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ .
٢٣ ـ أحكام أهل الذمة ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : يوسف أحمد البكري وشاكر توفيق العاروري ، الناشر : رمادى للنشر - الدمام ،و دار ابن حزم – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م .
٢٤ ـ إحياء علوم الدين ، الغزالي ، محمد بن محمد أبو حامد ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٢٥ ـ أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في أبوي الرسول ، القاري ، علي بن سلطان محمد ، تحقيق : مشهور بن حسن بن سلمان ،الناشر : مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣ .
٢٦ ـ آراء خاطئة وروايات باطلة في سير الأنبياء والمرسلين ، السدحان ، عبد العزيز بن محمد ، مطابع الفسطاط ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ .
٢٧ ـ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود ، محمد بن محمد العمادي ، ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٢٨ ـ أركان الإسلام ، ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله ، إعداد محمد السلفي ، دار الداعي للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ .
٢٩ ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الثانية ـ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .

٣٠ ـ استجلاء ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول وذوي الشرف ، السخاوي ، الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، تحقيق خالد بابطين ، دار البشائر الإسلامية - بيروت ،الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
٣١ ـ أسرار الهجوم على الإسلام ونبي الإسلام ، الشدي ، عادل بن علي ، مدار الوطن للنشر ، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
٣٢ ـ أسنى المطالب شرح روض الطالب ، الأنصاري ، أبو يحيى القاضي زكريا الأنصاري الشافعي ، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ، ط بدون ، ت بدون .
٣٣ ـ أصول السنة ، ابن حنبل ، الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبدالله ، الناشر : دار المنار - الخرج ، الطبعة الأولى ، ١٤١١هـ .
٣٤ ـ أضواء البيان تفسير القرآن بالقرآن ، الشنقيطي ، محمد الأمين ، عالم الكتب ـ بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٣٥ ـ أعلام السنة المنشور لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، حكمي ، حافظ بن أحمد ، تحقيق حازم القاضي ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط بدون ، ١٤٢٠ هـ .
٣٦ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين ،ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، الناشر : دار الجيل - بيروت ، ١٩٧٣.
٣٧ ـ أعلام النبوة ، الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب ، ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧هـ
٣٨ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .
٣٩ ـ افتراءات المستشرق كارل بروكلمان على السيرة النبوية ، جريس ، غيثان بن علي ، الدار بدون ، ط الثالثة ، ١٤١٥هـ .
٤٠ ـ افتراق الأمة إلى نيف وسبعين فرقة ، الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الأمير ، تحقيق : سعد بن عبد الله بن سعد السعدان ، الناشر : دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
٤١ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، ، دار عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة السابعة ، ١٤١٩ هـ .
٤٢ ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، ابن بطة ، أبو عبدالله عبيدالله بن محمد العكبري الحنبلي ، تحقيق : عثمان عبد الله آدم الأثيوبي ،الناشر : دار الراية – الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨هـ .
٤٣ ـ الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان ، أبو زيد ، بكر بن عبد الله ، الناشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢م .
٤٤ ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، الماوردي ، أبي الحسن علي بن محمد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٤٥ ـ الإحكام في أصول الأحكام ، ابن حزم ، علي بن أحمد الأندلسي أبو محمد ، الناشر : دار الحديث – القاهرة ، ط الأولى ، ١٤٠٤هـ .
٤٦ ـ الإحكام في أصول الأحكام ، الآمدي ، علي بن محمد ، تحقيق : د. سيد الجميلي ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، ط الأولى ، ١٤٠٤هـ .
٤٧ ـ الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد ، الفوزان ، صالح بن فوزان ، الدار بدون ، ط الأولى ١٤٢٤هـ .
٤٨ ـ الاستقامة، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم ،الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
٤٩ ـ الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره ، القرشي ، أحمد بن محمد ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .

٥٠ ـ الاستهزاء بالدين وأهله ، القحطاني ، محمد بن سعيد ، مكتبة السنة ـ القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .
٥١ ـ الإسلام أصوله ومبادئه ، السحيم ، محمد بن عبد الله ، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الأولى ١٤٢٥هـ .
٥٢ ـ الإسلام في عيون غربية بين افتراء الجهلاء وإنصاف العلماء ، عمارة ، محمد ، دار الشروق ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م .
٥٣ ـ الإسلام في عيون غربية منصفة ، معدي ، الحسيني الحسيني ، دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .
٥٤ ـ الإسلام والغرب الحاضر والمستقبل ، ميلاد ، زكي ،وتركي الربيعو ، دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .
٥٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،تحقيق : علي محمد البجاوي ، الناشر : دار الجيل – بيروت ، ط الأولى ، ١٤١٢هـ .
٥٦ ـ الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب أهل السلف وأهل الحديث ، البيهقي ، أحمد بن الحسين ، تخريج وتعليق فريح البهلال ، طبع ونشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ .
٥٧ ـ الإقناع لطالب الانتفاع ، الحجاوي ، شرف الدين موسى بن أحمد بن موسى الحجاوي المقدسي ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
٥٨ ـ الأم ، الشافعي ، محمد بن إدريس ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ .
٥٩ ـ الإمبراطورية بعد احتلال العراق ، بول كينيدي ، وآخرون ، ترجمة تركي الزميلي ، منشورات موقع الإسلام ومركز القارئ للدراسات والترجمة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
٦٠ ـ الأمثال في القرآن الكريم، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : إبراهيم بن محمد ، الناشر : مكتبة الصحابة – طنطا ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .
٦١ ـ الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ، الغامدي ، سعيد بن ناصر دار الأندلس الخضراء ـ جدة ، الطبعة الثانية ١٤٢٥ هـ .
٦٢ ـ الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما في حياة الأمة ، الزهراني ، علي بن بخيت ، دار طيبة ـ مكة المكرمة ، دار آل عمار ـ الشارقة ، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
٦٣ ـ الإنصاف ، المرداوي ، علي بن سليمان ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار إحياء التراث ـ بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٦٤ ـ الإيمان ، ابن مندة ، محمد بن إسحاق بن يحيى ، تحقيق : علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ط الثانية ، ١٤٠٦هـ .
٦٥ ـ الإيمان ، أحمد ، الأمين الحاج محمد ، دار المطبوعات الحديثة ـ جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ .
٦٦ ـ الإيمان بالأنبياء بجملتهم وضعف حديث أبي ذر في عددهم ، المحمود ، عبد الله بن زيد ، رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية بقطر ، ط الثانية ١٤٠٢ هـ .
٦٧ ـ الإيمان هو الأساس ، الأهدل ، عبد الله قادري ، دار القلم ـ دمشق ، الدار الشامية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م .
٦٨ ـ الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ، لابن كثير إسماعيل بن الشيخ أبي حفص شهاب الدين عمر ، تأليف : شاكر ، أحمد محمد ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض ، ط بدون ، ١٤١٦هـ .
٦٩ ـ البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ابن بكر ، زين بن إبراهيم بن محمد ، دار المعرفة بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٧٠ ـ البداية والنهاية ، ابن كثير ، إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء ، الناشر : مكتبة المعارف – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .

٧١ ـ البصائر والذخائر ، التوحيدي ، أبو حيان علي بن محمد بن العباس ، تحقيق وداد القاضي ، دار صادر الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٧٢ ـ البيان والتبيين ، الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، تحقيق : المحامي فوزي عطوي ،الناشر : دار صعب – بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٩٦٨م .

٧٣ ـ التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، الإسفراييني ، طاهر بن محمد ، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، الناشر : عالم الكتب - بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٨٣هـ .

٧٤ ـ التبيان في أقسام القرآن ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الفكر ، ط بدون ، ت بدون .

٧٥ ـ التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، محمد الطاهر ، مكتبة المدينة المنورة ،ط بدون ، ت بدون .

٧٦ ـ التحقيق في أحاديث الخلاف ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، تحقيق : مسعد عبد الحميد محمد السعدني ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .

٧٧ ـ التدمرية تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق محمد بن عودة السعوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٨م .

٧٨ ـ التشريع الجنائي الإسلامي المقارن ، الحميد ، عبد الله بن سالم ، دار طويق ، الطبعة الخامسة ، ١٤١٨ هـ .

٧٩ ـ التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي ، عودة ، عبد القادر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ

٨٠ ـ التكفير وضوابطه ، الرحيلي ، إبراهيم بن عامر ، دار الإمام البخاري ـ قطر ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م .

٨١ ـ التمثيل . حقيقته ، تاريخه ، حكمه ، أبو زيد ، بكر بن عبد الله ، دار الراية الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

٨٢ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ، تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ،محمد عبد الكبير البكري ،الناشر : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، ١٣٨٧هـ .

٨٣ ـ التوقيف على مهمات التعاريف ، المناوي ، محمد عبد الرؤوف ، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ

٨٤ ـ التيارات الوافدة وموقف الإسلام منها ، مزروعة ، محمود محمد ، الناشر دار الرضا ـ مصر ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .

٨٥ ـ الجامع الصحيح المختصر، البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله ، تحقيق :مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ .

٨٦ ـ الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، عبد الله بن محمد بن أحمد ، دار الفكر ، ط بدون ، ت بدون .

٨٧ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب أبو بكر ، تحقيق : محمود الطحان ، الناشر : مكتبة المعارف - الرياض ، ١٤٠٣ هـ .

٨٨ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .

٨٩ ـ الحداثة في ميزان الإسلام ، القرني ، عوض بن محمد ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .

٩٠ ـ الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، الأنصاري ، زكريا بن محمد بن زكريا أبو يحيى ، تحقيق : مازن المبارك ،الناشر : دار الفكر المعاصر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

٩١ ـ الحسام الممدود في الرد على اليهود ، المغربي ، عبد الحق الإسلامي ، تحقيق عمر وفيق الداعوق ، دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ، الطبعة الأول ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١م .

٩٢ ـ الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب) ، الجراوي ، أحمد بن عبد السلام الجراوي التادلي ، تحقيق محمد رضوان الداية ، دار الفكر المعاصر ـ بيروت ، دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
٩٣ ـ الدر المنثور ، السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ،ط بدون ، الناشر : دار الفكر ـ بيروت ، ١٩٩٣م .
٩٤ ـ الدرر المنتشرة في الأحاديث المنتشرة ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ، تحقيق لطفي الصباغ ، مكتبة الوراق ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .
٩٥ ـ الرحيق المختوم ، المباركفوري ، صفي الرحمن ، دار الوفاء ، مصر، ط بدون ، ١٤١١ هـ .
٩٦ ـ الرد على البكري ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد علي عجال، الناشر : مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة ، ط الأولى ، ١٤١٧هـ .
٩٧ ـ الرد على شبهات المستغيثين بغير الله ، ابن عيسى ، أحمد بن إبراهيم ، المطبوع ضمن الجامع الفريد ، السعودية ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ .
٩٨ ـ الرسول في الدراسات الاستشراقية المنصفة ، الشيباني ، لمحمد شريف ،دار الحضارة العربية ـ بيروت ، ط الأولى ١٤٠٨ هـ .
٩٩ ـ الرسول في كتابات المستشرقين ، حمدان ، نذير ، دار المنارة للنشر والتوزيع ، ط الثانية ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .
١٠٠ ـ الروح ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط بدون ، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م .
١٠١ ـ الروض المربع بشرح زاد المستقنع ، البهوتي ، منصور بن يونس ، مكتبة العبيكان ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
١٠٢ ـ روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ابن حيان ، محمد بن حبان البستي أبو حاتم تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٧ – ١٩٧٧ .
١٠٣ ـ الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهر أبو منصور، تحقيق محمد جبر الألفي، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت ،الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ ،.
١٠٤ ـ السلسلة الصحيحة ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، مكتبة المعارف ، الرياض ،ط بدون ، ت بدون .
١٠٥ ـ السنة ، الخلال ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد ، تحقيق : د. عطية الزهراني ، الناشر : دار الراية – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ .
١٠٦ ـ السنة ، الشيباني ، عبد الله بن أحمد بن حنبل ، تحقيق : محمد سعيد سالم القحطاني ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
١٠٧ السنة ، المروزي ، محمد بن نصر بن الحجاج أبو عبد الله ، تحقيق : سالم أحمد السلفي، الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
١٠٨ ـ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (دراسة تحليلية) ، أحمد ، مهدي رزق الله ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
١٠٩ ـ السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، مؤسسة علوم القرآن ، ط بدون ت بدون .
١١٠ ـ السيف المسلول على من سب الرسول ، السبكي ، تقي الدين علي بن عبد الكافي ، تحقيق سليم بن عيد الهلالي ، دار ابن حزم ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
١١١ ـ الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح ، الأبناسي ، إبراهيم بن موسى بن أيوب البرهان ، تحقيق : صلاح فتحي هلل ، الناشر : مكتبة الرشد ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .
١١٢ ـ الشرح الصغير على أقرب المسالك إلى مذهب الإمام مالك ، الدرديري ، أبو البركات أحمد بن محمد بن أحمد ، وبهامشه حاشية أحمد بن محمد الصاوي على الشرح الصغير ، تحقيق مصطفى كمال وصفي ، دار المعارف ، ط بدون ، ت بدن .

١١٣ ـ الشرح الكبير ، المقدسي ، شمس الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي ، بحاشية المقنع ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار عالم الكتب ـ الرياض ، ١٤٢٦هـ .
١١٤ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، القاضي عياض ، بن موسى بن عياض اليحصبي ، تحقيق حسين عبد الحميد نيل ، شركة دار الأرقم بن الأرقم ـ بيروت ، ط بدون ، ١٤١٥هـ .
١١٥ ـ الصارم المسلول على شاتم الرسول ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد عبد الله عمر الحلواني ، محمد كبير أحمد شودري ، الناشر : دار رمادي الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ .
١١٦ ـ الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، البديعي ، يوسف ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، دار المعارف ، ط الثالثة . ت بدون .
١١٧ ـ الصحابة ومكانتهم في الإسلام ، الأميني ، نور عالم خليل ، دار الصحوة للنشر والتوزيع ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩م ،.
١١٨ ـ الصحاح ، الجوهري ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، تحقيق أحمد عبد الغفار عطار ، دار العلم للملايين ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ .
١١٩ ـ الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سور الأعراف ، أبو العلا ، عادل بن محمد صالح ، من مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ بالرياض ، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م .
١٢٠ الصفحة السوداء للكتاب المقدس ، يوسف ، محمد حسني ، دار الكتاب العربي ـ دمشق ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .
١٢١ ـ الصفدية ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .
١٢٢ ـ الصلاة وحكم تاركها وسياق صلاة النبي من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : بسام عبد الوهاب الجابي ، الناشر : الجفان والجابي ـ دار ابن حزم ـ قبرص – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦م .
١٢٣ ـ الصليبية الحديثة ماذا تريد ؟ الشقيري ، مصطفى ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
١٢٤ ـ الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة ، ابن حجر الهيتمي ، أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي ، تحقيق : عبدالرحمن بن عبدالله التركي وكامل محمد الخراط ،الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .
١٢٥ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : علي بن محمد الدخيل الله ، الناشر : دار العاصمة ـ الرياض، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـ ١٩٩٨ م .
١٢٦ ـ العبودية ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٧هـ .
١٢٧ ـ العرب وعالم ما بعد ١١ سبتمبر ، غليون ، برهان ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ .
١٢٨ ـ العظمة ، ابن حيان الأصبهاني ، عبد الله بن محمد بن جعفر أبو محمد ، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، الناشر : دار العاصمة – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
١٢٩ ـ العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، ابن باديس ، عبد الحميد ، رواية محمد الصالح رمضان ،الناشر : دار الفتح – الشارقة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٥م .
١٣٠ ـ العقد الفريد ، الأندلسي ، ابن عبد ربه ، أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، تحقيق مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط بدون ، ١٤١٧هـ .
١٣١ ـ العقيدة الأصفهانية ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : إبراهيم سعيداي
، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ .
١٣٢ ـ العقيدة الطحاوية وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة ، الطحاوي ، أبو جعفر الطحاوي ، مؤسسة الريان ، الطبعة الأولى ١٤١٤هت .

١٣٣ ـ العقيدة الواسطية ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، مكتبة المعارف ـ الرياض ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ .
١٣٤ ـ الغرب والإسلام ، عمارة ، محمد ، الناشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط بدون ، ٢٠٠٤م .
١٣٥ ـ الغرب والإسلام أين الخطأ ؟ وأين الصواب ؟ ، عمارة ، محمد ، مكتبة الشروق الدولية ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م .
١٣٦ ـ الغنية في أصول الدين ، المتولي ، عبدالرحمن بن محمد الشافعي ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، الناشر : مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
١٣٧ ـ الفتاوى الكبرى ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : حسنين محمد مخلوف ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦هـ .
١٣٨ ـ الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية ، البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد أبو منصور ، الناشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧م .
١٣٩ ـ الفروع ، ابن مفلح ، شمس الدين محمد بن محمد المقدسي ، عالم الكتب ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .
١٤٠ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي ،الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة ، ط بدون ، ت بدون .
١٤١ ـ الفوائد ،ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت
١٤٢ ـ الفواكه الدواني على رسالة أبي زيد القيرواني ، الأزهري ، أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي ، دار المعرفة ـ بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
١٤٣ ـ القاموس المحيط ، الفيروز آبادي ، محمد يعقوب ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ .
١٤٤ ـ الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل ، ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد المقدسي أبو محمد ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
١٤٥ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، الزمخشري ، جارالله بن أبي قاسم محمود ، ، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ، مكتبة العبيكان ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
١٤٦ ـ الكفاية في علم الرواية ، البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت أبو بكر الخطيب ، تحقيق : أبو عبدالله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، الناشر : المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة ، ط بدون ، ت بدون .
١٤٧ ـ المبسوط ، السرخسي ، شمس الدين السرخسي ، دار المعرفة ـ بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
١٤٨ ـ المجتبى من السنن ، النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها ،الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .
١٤٩ ـ المجموع شرح المهذب ، النووي ، محيي الدين بن شرف النووي ، تحقيق محمد نجيب المطيعي ، دار الكتب العلمية ـ الرياض ، ط بدون ، ١٤١٨هـ .
١٥٠ ـ المحصول في علم الأصول ، الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، الناشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٠هـ .
١٥١ ـ المحلى في شرح المجلى بالحجج والآثار ، ابن حزم الأندلسي ، علي بن أحمد بن سعيد ، الأردن ، الطبعة الأولى ت بدون .
١٥٢ ـ المحيط في اللغة ، الصاحب ابن عباد ، أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، دار عالم الكتب ـ بيروت ، ط بدون ، ١٤١٤هـ .
١٥٣ ـ المدونة الكبرى ، الإمام مالك ، مالك بن أنس ، دار صادر ، مطبعة السعادة ـ مصر ، الطبعة الأولى ١٣٢٣هـ .

١٥٤ ـ المستدرك على الصحيحين ، الحاكم ، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩٠م .
١٥٥ ـ المستشرقون والسيرة النبوية ، خليل ، عماد الدين ، دار الثقافة ـ الدوحة ، ط بدون ، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م .
١٥٦ ـ المستصفى في علم الأصول ، الغزالي ، محمد بن محمد أبو حامد ، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي
، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ .
١٥٧ ـ المسيحية (دراسة وتحليل) ، مِير ، ساجد ، دار السلام للنشر والتوزيع ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ .
١٥٨ ـ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقري ،المكتبة العلمية بيروت ، ط بدون .
١٥٩ ـ المعجم الإعلامي ، حجاب ،محمد منير ، دار الفجر للنشر والتوزيع ـ القاهرة ، ط الأولى ، ٢٠٠٤م .
١٦٠ ـ المغرب في ترتيب المعرب ، بن المطرز ، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي ، تحقيق : محمود فاخوري و عبدالحميد مختار ، الناشر : مكتبة أسامة بن زيد – حلب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .
١٦١ ـ المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ،ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد المقدسي أبو محمد ،الناشر : دار الفكر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .
١٦٢ ـ المقاطعة الاقتصادية وأحكامها في الفقه الإسلامي ، الرشودي ، تركي بن عبد الله ،رسالة ماجستير غير منشورة ، المعهد العالي للقضاء ، المملكة العربية السعودية ، ١٤٢٦هـ .
١٦٣ ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ هـ .
١٦٤ ـ المهذب في فقه الإمام الشافعي ، الشيرازي ، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزابادي الشيرازي ، تحقيق زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
١٦٥ ـ الموافقات في أصول الفقه ، الشاطبي ، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي ، تحقيق : عبد الله دراز ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
١٦٦ ـ الموسوعة الإعلامية ، حجاب ، محمد منير ، دار الفجر للنشر والتوزيع ، ط بدون ، ٢٠٠٢م .
١٦٧ ـ الموسوعة السياسية ، الكيالي ، عبد الوهاب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ، ط الثالثة ١٩٩٦م .
١٦٨ ـ الموسوعة العربية العالمية ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
١٦٩ ـ الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، دار ذات السلاسل ـ الكويت ، ط الثانية ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م .
١٧٠ ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف الجهني ، مانع ، تصدر عن دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .
١٧١ ـ الموطأ ، الإمام مالك بن أنس ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٨٥م .
١٧٢ ـ النبوات ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، ط بدون ، الناشر : المطبعة السلفية ـ القاهرة ، ١٣٨٦هـ .
١٧٣ ـ النكت على مقدمة ابن الصلاح ، الزركشي ، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين عبد الله ، تحقيق : زين العابدين بن محمد ،الناشر : أضواء السلف – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .
١٧٤ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي ، الناشر : المكتبة العلمية ـ بيروت ، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م .

١٧٥ ـ النهي عن سب الأصحاب وما فيه من الإثم والعقاب ، المقدسي ، الحافظ ضياء الدين محمد بن عبد الواحد بن أحمد ، تحقيق محيي الدين نجيب ، مراجعة عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار العروبة ـ الكويت ، دار ابن العماد ـ بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ١٩٩٢ م .
١٧٦ ـ الهمة العالية معوقاتها ومقوماتها ، الحمد ، محمد بن إبراهيم ، تعليق سماحة الشيخ ابن باز ، دار القاسم ـ الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ .
١٧٧ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : محمد عبد الرحمن عوض ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .
١٧٨ ـ اليهود والماسونية ، الدوسري ، عبد الرحمن ، تحقيق مصطفى العدوي و عبد الرحمن الحقيل ، دار السنة للنشر والتوزيع ـ الخبر ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م .
١٧٩ ـ إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ، ابن الوزير ، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية ، ١٩٨٧م .
١٨٠ ـ إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل ، ابن جماعة ، محمد بن إبراهيم بن سعد الله ، تحقيق : وهبي سليمان غاوجي الألباني ، الناشر : دار السلام ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٠ م .
١٨١ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ، الكاساني ، علاء الدين أبي بكر بن مسعود ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٧هـ .
١٨٢ ـ بداية السول في تفضيل الرسول ، للعز بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
١٨٣ ـ بستان العارفين ، النووي ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار الكتاب العربي الطبعة الأولى ١٤١٠٥ هـ .
١٨٤ ـ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ،ا بن تيمية ، ، أحمد عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، الناشر : مطبعة الحكومة ـ مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٢هـ .
١٨٥ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدي ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
١٨٦ ـ تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، محمد بن جرير أبو جعفر ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .
١٨٧ ـ تاريخ الخلفاء ، السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ،الناشر : مطبعة السعادة – مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .
١٨٨ ـ تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، عباس ، إحسان ، دار الثقافة ـ بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٣م .
١٨٩ ـ تأويل مختلف الحديث ، ابن قتيبة ، عبدالله بن مسلم الدينوري ، تحقيق : محمد زهري النجار ، الناشر : دار الجيل - بيروت ، ١٣٩٣ هـ ١٩٧٢م .
١٩٠ ـ تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، ابن عساكر ، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .
١٩١ ـ تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الرابعة ، ت بدون .
١٩٢ ـ تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، النووي ،يحيى بن شرف بن مري النووي ،تحقيق : عبد الغني الدقر
الناشر دار القلم – دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
١٩٣ ـ تحريم آلات الطرب ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : مكتبة الدليل ، الطبعة : الأولى – ١٤١٦هـ .

١٩٤ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، المباركفوري ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
١٩٥ ـ تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ، العراقي ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م .
١٩٦ ـ تخريج أحاديث مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام،الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الأولى ـ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٤ م .
١٩٧ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض ، ط بدون ، ت بدون .
١٩٨ ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة ـ الرياض ، ط بدون ، ت بدون .
١٩٩ ـ تطهير الاعتقاد عن درن الإلحاد ، الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الأمير ، ط السادسة ١٤٢٥ هـ ، (ضمن الجامع الفريد) ، الدار بدون .
٢٠٠ ـ تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها أو استهزأ بشيء منها ، السحيباني ، عيد القيوم ، دار القاسم ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٢٠١ ـ تعظيم قدر الصلاة ، المروزي ، محمد بن نصر بن الحجاج أبو عبد الله ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي ، الناشر : مكتبة الدار ـ المدينة المنورة الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
٢٠٢ ـ تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، إسماعيل بن عمر الدمشقي أبو الفداء ، مؤسسة الطباعة والنشر والتوزيع ، ط بدون ، ت بدون .
٢٠٣ ـ تلبيس إبليس ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، تحقيق : السيد الجميلي الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م .
٢٠٤ ـ تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، الألباني محمد ناصر الدين ،الناشر : المكتبة الإسلامية ، دار الراية للنشر، الطبعة : الثالثة ١٤٠٩هـ .
٢٠٥ ـ تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء ، السبتي ، علي بن أحمد الأموي ، تحقيق حسان أحمد المصري ، دار سعد الدين ـ دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ .
٢٠٦ ـ توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ، الصنعاني ، محمد بن إسماعيل الأمير الحسني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر : المكتبة السلفية ـ المدينة المنورة ، ط بدون ، ت بدون .
٢٠٧ ـ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، ابن عيسى ، أحمد بن إبراهيم ، تحقيق : زهير الشاويش ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦هـ .
٢٠٨ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، آل الشيخ ، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب
٢٠٩ ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١هـ .
٢١٠ ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، الثعالبي ، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، تحقيق إبراهيم صالح ، دار البشائر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
٢١١ ـ ثناء الغربيين على سيد المرسلين ρ ، العيدروس ، محمد بن علوي ، دار الضياء ، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ
٢١٢ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م .
٢١٣ ـ جامع العلوم والحكم ، ابن رجب ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .
٢١٤ ـ جامع بيان العلم وفضله ، ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، نشر إدارة المطبوعات المنبرية ـ دمشق ، ١٣٩٨هـ .
٢١٥ ـ جرائم الرأي والإعلام في التشريعات الإعلامية وقانون العقوبات والاجراءات الجنائية (دراسة تحليلية) ، صدقي ، عبد الرحيم ، ط بدون ، ت بدون ، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي .

٢١٦ ـ جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام ،ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ، الناشر : دار العروبة – الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .
٢١٧ ـ حاشية ابن القيم على سنن أبي داود ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ .
٢١٨ ـ حاشية السندي على النسائي ، السندي ، نور الدين بن عبدالهادي أبو الحسن ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .
٢١٩ ـ حاشية العدوي على شرح أبي زيد القيرواني ، المسمى (كفاية الطالب الرباني لرسالة أبي زيد القيرواني) ، العدوي ، علي الصعيدي ، دار إحياء الكتب العربية ، ط بدون ، ت بدون .
٢٢٠ ـ حاشية ثلاثة الأصول ، ابن قاسم ، عبد الرحمن بن محمد ، الدار بدون ، ط السادسة ، ١٤٠٨ هـ .
٢٢١ ـ حاشية رد المحتار على الدر المختار ، ابن عابدين ، محمد بن أمين المشهور بابن عابدين ، دار الفكر ،الطبعة الثانية ١٣٨٦هـ .
٢٢٢ ـ حرية التعبير في الغرب من سلمان رشدي إلى روجيه جارودي ، عبد العظيم ، شريف ، الناشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ١٩٩٨م .
٢٢٣ ـ حرية الرأي والعقيدة والتعبير ، إعداد مركز محروس للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات ـ مصر ، ط بدون ، ت بدون .
٢٢٤ ـ حقوق آل البيت ، ابن تيمية ، ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .
٢٢٥ ـ حقوق الإنسان في الإسلام (دراسة مقارنة مع الإعلان العالمي والإعلان الإسلامي لحقوق الإنسان) ، الزحيلي ، محمد ، دار ابن كثير ـ دمشق و بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٢٢٦ ـ حقوق الإنسان في الإسلام ، الغامدي ، عبد اللطيف بن سعيد ، مركز الدراسات والبحوث جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م .
٢٢٧ ـ حقوق النبي ρ على أمته ، التميمي ، محمد بن خليفة ، دار أضواء السلف ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ .
٢٢٨ ـ حكاية المناظرة في القرآن مع بعض أهل البدعة ، المقدسي ، عبد الله بن أحمد بن محمد أبو محمد ، تحقيق : عبد الله يوسف الجديع ، الناشر : مكتبة الرشد – الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ .
٢٢٩ ـ حكم الإسلام في جرائم سلمان رشدي ، خروفة ، علاء الدين ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .
٢٣٠ ـ خزانة الأدب وغاية الأرب ، ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري ،تحقيق : عصام شعيتو ، الناشر : دار ومكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .
٢٣١ ـ خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء ، إبراهيم ، الصادق بن محمد ، ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .
٢٣٢ ـ خطبة الحاجة التي كان رسول الله يعلمها أصحابه ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، ط بدون ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
٢٣٣ ـ درء تعارض العقل والنقل، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم
، الناشر : دار الكنوز الأدبية ـ الرياض ، ١٣٩١هـ .
٢٣٤ ـ دراسة المضمون الروائي في (أولاد حارتنا) ، المهنا ، عبد الله بن محمد ، دار عالم الكتب ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٦م .
٢٣٥ ـ دقائق التفسير ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد السيد الجليند الناشر : مؤسسة علوم القرآن – دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ .
٢٣٦ ـ دمعة على حب النبي ، الخضيري ، عبد الله بن صالح ، سلسلة كتاب البيان ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

٢٣٧ ـ رد الطعون الواردة في الموسوعة العبرية عن الإسلام ورسوله ، البسيط ، موسى ، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط بدون ، ت بدون .
٢٣٨ ـ رسالة التوبة (ضمن جامع الرسائل) ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد رفيق سالم ، ط بدون ، ت بدون .
٢٣٩ ـ رسالة التوحيد ، الدهلوي ، إسماعيل بن عبد الغني ، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة بدون ، ١٤١٧هـ .
٢٤٠ ـ رسالة إلى أهل الثغر ، الأشعري ، علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق ، تحقيق : عبدالله شاكر محمد الجنيدي ،الناشر : مكتبة العلوم والحكم - دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٨م .
٢٤١ ـ رسالة خاتم النبيين محمد ضرورتها وطرائق إثباتها ولوازمها ، غشيان ، ثامر بن ناصر ، مكتبة الرشد ناشرون ، ط الأولى ، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م .
٢٤٢ ـ رسالة في أسس العقيدة ، السعوي ، محمد بن عودة ، ط الأولى ١٤٢٥ هـ ،الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية .
٢٤٣ ـ رسالة في أفضلية محمد للعلامة شمس الدين أحمد سليمان باشا ، (تحقيق ودراسة) ، العمر ، عبد العزيز بن سالم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، ١٤٠٥ هـ ، مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ الرياض .
٢٤٤ ـ رسومات شيطانية ، للدكتور ، عبد الواحد ، عبد الرحيم و مصطفى محمد ، ميديا هب أنترناشيونال ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦ م .
٢٤٥ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الألوسي ، محمود أبو الفضل ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٢٤٦ ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت ، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م .
٢٤٧ ـ زاد المسير في علم التفسير ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ،الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ .
٢٤٨ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط ، الناشر : مؤسسة الرسالة مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت ،ط الرابعة عشر ، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م .
٢٤٩ ـ سمط الآلي ، البكري ، ، أبو عبيد الوزير البكري الأونبي ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب العلمية ، ط بدون ، ت بدون .
٢٥٠ ـ سنن ابن ماجة ، الحافظ أبي عبد الله محمد القزويني ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٨٧ م .
٢٥١ ـ سنن أبي داود ، لأبي داود سليمان بن الأشعث ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٩هـ .
٢٥٢ ـ سنن الترمذي ، أبو عيسى محمد بن عيسى ، المكتبة الإسلامية ، ١٩٨٣م .
٢٥٣ ـ سنن الدارمي ، أبو محمد الدارمي ، تحقيق مصطفى البغا ، دار الكتاب العربي ، ١٩٨٧م .
٢٥٤ ـ سنن النسائي الكبرى، النسائي ، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن ، تحقيق : عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩١م .
٢٥٥ ـ سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد ، تحقيق بشار بن عواد ومحيي هلال ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، الطبعة التاسعة ١٤١٣هـ .
٢٥٦ ـ شبهات القرآنيين ، معلم ، عثمان معلم ، من بحوث ومطبوعات ندوة : عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه ، في الفترة ٣ ـ ٦ /٧ / ١٤٢١هـ .
٢٥٧ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، اللالكائي ، أبو القاسم ، تحقيق أحمد سعيد حمدان ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ، ت بدون .
٢٥٨ ـ شرح الأربعين النووية ، ابن دقيق العيد ، محمد بن علي بن وهب ، تعليق : أسامة عبد الكريم الرفاعي ، دار السلام العالمية ، ط بدون ، ١٩٨٠م .

٢٥٩ ـ شرح الدرر المضية في عقد أهل الفرقة المرضية ، الفوزان ، صالح بن فوزان ، الدار بدون ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م .
٢٦٠ ـ شرح السيوطي لسنن النسائي ، السيوطي، عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ،الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م .
٢٦١ ـ شرح العقيدة الطحاوية الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الثانية – ١٤١٤هـ ، وربما رجعت إلى تحقيق عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ .
٢٦٢ ـ شرح سنن ابن ماجه ، السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ، وغيره ، عبدالغني ، فخر الحسن الدهلوي ، الناشر : قديمي كتب خانة – كراتشي ، ط بدون ، ت بدون .
٢٦٣ ـ شرح فتح الجليل على مختصر خليل ،عليش ، محمد ، مكتبة النجاح طرابلس ـ ليبيا ، ط بدون ، ت بدون .
٢٦٤ ـ شرح فتح القدير للعاجز الفقير ، ابن عبد الواحد السيواسي ، كمال الدين محمد ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط بدون ، بدون .
٢٦٥ ـ شرح مختصر خليل ، الخرشي ، محمد بن عبد الله بن علي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٣١٧هـ .
٢٦٦ ـ شرح معاني الآثار ، الطحاوي ، أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك بن سلمة أبو جعفر ، تحقيق : محمد زهري النجار ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٩٩هـ .
٢٦٧ ـ شرح منتهى الإرادات دقائق أولى النهى لشرح المنتهى ، البهوتي ، منصور بن يونس ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ .
٢٦٨ ـ صب العذاب على من سب الأصحاب ، الألوسي ، لعلامة العراق أبي المعالي محمود شكري ، تحقيق عبد الله البخاري ، دار أضواء السلف ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م ،.
٢٦٩ ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، القلقشندي ، أحمد بن علي ، تحقيق يوسف على طويل ، ، دار الفكر ، بيروت ، ط بدون ، ١٩٨٧ .
٢٧٠ ـ صحيح البخاري ،الإمام البخاري ، دار القلم ـ بيروت ، ١٩٨٧م .
٢٧١ ـ صحيح الترغيب والترهيب ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة : الخامسة ، ت بدون .
٢٧٢ ـ صحيح الجامع الصغير وزياداته (الفتح الكبير) ، الألباني ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ .
٢٧٣ ـ صحيح السيرة النبوية ، الألباني، محمد ناصر الدين ،الناشر : المكتبة الإسلامية ـ عمان – الأردن ، الطبعة : الأولى ، ت بدون .
٢٧٤ ـ صحيح سنن ابن ماجة ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .
٢٧٥ ـ صحيح سنن الترمذي ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
٢٧٦ ـ صحيح مسلم ، الإمام مسلم بن الحجاج ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، ١٩٨٥م .
٢٧٧ ـ صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : المكتب الإسلامي ـ بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٢٧٨ ـ صراخ الحضارات أزمة الرسوم المسيئة للرسول ، حمود ، عبد الحليم ، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م .
٢٧٩ ـ صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ، الحراني ، الإمام أحمد بن حمدان الحنبلي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الرابعة ١٤٠٤هـ .

٢٨٠ ـ صفة النفاق وذم المنافقين ، الفريابي ، الحافظ ، بدون أي معلومات أخرى .
٢٨١ ـ صفة صلاة النبي من التكبير إلى التسليم كأنك تراها ، الألباني ، محمد ناصر الدين ،الناشر : مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض ، ط بدون ، ت بدون .
٢٨٢ ـ صناعة الهولوكوست تأملات في استغلال المعاناة اليهودية ، نورمان فنكلستين، ترجمة سماح إدريس ، دار الآداب ـ بيروت ، الطبعة الأولى ٢٠٠١م .
٢٨٣ ـ صورة الإسلام في التراث الغربي (دراسات ألمانية) ترجمة عيد ، ثابت ، الناشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط بدون ، ١٩٩٩م .
٢٨٤ ـ صورة العرب في أمريكا للكاتب السويسري رتوربيت ، ترجمة ، عيد ، ثابت ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط بدون، ١٩٩٩م .
٢٨٥ ـ ضعيف الترغيب والترهيب ،الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : مكتبة المعارف – الرياض ، ط بدون ، ت بدون .
٢٨٦ ـ ضعيف سنن ابن ماجة ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ، ط بدون ، ت بدون .
٢٨٧ ـ طرح التثريب في شرح التقريب ، زين الدين أبي الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، ط بدون ، ت بدون .
٢٨٨ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ،الناشر : دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م .
٢٨٩ ـ طه حسين الجريمة والإدانة ، رزق ، جابر ، دار الاعتصام ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
٢٩٠ ـ طه حسين بين الشك والاعتقاد ، عويضة ، كامل محمد محمد ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .
٢٩١ ـ ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة : الثالثة – ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .
٢٩٢ ـ ظلام من الغرب ، الغزالي ، محمد ، الناشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ٢٠٠٥م .
٢٩٣ ـ عالم ما بعد ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإشكاليات الفكرية والاستراتيجية ، ولد أباه ، السيد ، الدار العربية للعلوم ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م .
٢٩٤ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ،ابن القيم ،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، تحقيق : زكريا علي يوسف ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط بدون .
٢٩٥ ـ عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها أو ينقصها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك ، الفوزان ، صالح بن فوزان ، بدون أي بيانات أخرى .
٢٩٦ ـ عقيدة الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة ، ابن عبد الوهاب ، محمد بن سليمان ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٣٩٧هـ .
٢٩٧ ـ عقيدة ختم النبوة ، الغامدي ، أحمد بن سعيد ، دار طيبة ـ الرساض ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
٢٩٨ ـ علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح) ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري
الناشر : مكتبة الفارابي ، الطبعة : الأولى ١٩٨٤ م .
٢٩٩ ـ عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، العيني ، بدر الدين ، مكتبة الحلبي ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ ، ط بدون ، ت بدون .
٣٠٠ ـ عولمة الكراهية الغرب يقابل الحضارة الإسلامية بحروب الإلغاء ، طحان ، أحمد ، دار المعرفة ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م .
٣٠١ ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود ، أبو الطيب ، محمد شمس الحق العظيم آبادي ،الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥هـ .

٣٠٢ ـ عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ،تحقيق علي يوسف طويل ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، ط بدون ، ١٩٨٥م .
٣٠٣ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، الألباني ، محمد ناصر الدين ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ .
٣٠٤ ـ غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب ، السفاريني ، محمد السفاريني الحنبلي ، مؤسسة قرطبة ، ط بدون ، ت بدون .
٣٠٥ ـ غريب الحديث ، ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، تحقيق : عبدالمعطي أمين قلعجي ، الناشر : دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ م .
٣٠٦ ـ غريب الحديث ، ابن سلام ، القاسم الهروي أبو عبيد ، تحقيق : محمد عبد المعين خان ، الناشر : دار الكتاب العربي ـ بيروت ، الطبعة ألأولى ١٣٩٦ .
٣٠٧ ـ فتح القدير ، الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، تعليق سعيد اللحام ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ
٣٠٨ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، آل الشيخ ، عبد الرحمن بن حسن ، إشراف إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ .
٣٠٩ ـ فتح المغيث شرح ألفية الحديث ، السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، الناشر : دار الكتب العلمية – لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .
٣١٠ ـ فضل أهل البيت وعلو مكانتهم ، البدر ، عبد المحسن بن حمد ، دار ابن الأثير ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٣١١ ـ في ظلال القرآن ، قطب ، سيد ، دار الشروق ، الطبعة التاسعة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م .
٣١٢ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المناوي عبد الرؤوف ، تعليقات يسيرة لماجد الحموي ، المكتبة التجارية الكبرى مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٦هـ .
٣١٣ ـ قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدوا أهله ، العالم ، جلال ، الدار بدون ، الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .
٣١٤ ـ قاعدة في المحبة ، ابن تيمية ، أحمد عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الناشر : مكتبة التراث الإسلامي – القاهرة ، ط بدون ، ت بدون .
٣١٥ ـ قالوا عن الإسلام ، خليل ، عماد الدين ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ
٣١٦ ـ قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، يعقوب ، راميل وآخرون ، دار العلوم للملايين ـ بيروت ، ط الأولى ١٩٨٧م .
٣١٧ ـ موسوعة المورد ، البعلبكي ، منير ، ، دار العلوم للملايين ـ بيروت ، ط بدون ، ت بدون .
٣١٨ ـ قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر ، القنوجي ، محمد صديق حسن خان ، تحقيق : عاصم بن عبدالله القريوتي ، الناشر : عالم الكتب ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٤م .
٣١٩ ـ قوادح عقدية في بردة البوصيري ، آل عبد اللطيف ، عبد العزيز بن محمد ، المطبوع ضمن (حقوق النبي بين الإجلال والإخلال) ، سلسلة كتاب البيان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٣٢٠ ـ كتاب أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة ، إعداد نخبة من العلماء ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط بدون ، ١٤١٢هـ .
٣٢١ ـ كتاب أصول الدين ، الغزنوي ، جمال الدين أحمد بن محمد بن محمود بن سعيد ، تحقيق : عمر وفيق الداعوق ، الناشر : دار البشائر الإسلامية ـ بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .
٣٢٢ ـ نعمة الذريعة في نصرة الشريعة ، الحلبي ، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم ، تحقيق : علي رضا بن عبدالله علي رضا ، الناشر : دار المسير ـ الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٨م .
٣٢٣ ـ كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، الطبعة الثانية ١٩٧٠م .
٣٢٤ ـ كتاب العين ، الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، تحقيق : مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال ، ط بدون ، ت بدون .

٣٢٥ ـ كتاب المواقف ، الإيجي ، عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، الناشر : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م .

٣٢٦ ـ كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، الباقلاني ، أبو بكر محمد بن الطيب بن جعفر بن القاسم أبو بكر ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ،الناشر : مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٧م .

٣٢٧ ـ كتاب حجج القرآن ، الرازي ،أبو الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن المختار ،تحقيق : أحمد عمر المحمصاني ، الناشر : دار الرائد العربي - بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .

٣٢٨ ـ كتاب دلائل النبوة ، الأصبهاني ، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي ، تحقيق : محمد محمد الحداد ، الناشر : دار طيبة – الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٩هـ .

٣٢٩ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر ،الناشر : دار الفكر، بيروت - ١٤١٢ هـ .

٣٣٠ ـ كتاب شرح السنة ، البربهاري ، الحسن بن علي بن خلف ، تحقيق : محمد سعيد سالم القحطاني ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٣٣١ ـ كشف الخفاء ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس ، العجلوني ، إسماعيل بن محمد ، تعليق أحمد القلاش ، مؤسسة الرسالة ، اطبعة الخامسة ١٤٠٨هـ .

٣٣٢ ـ كشف الشبهات في التوحيد ، عبد الوهاب ، محمد ، والمطبوع ضمن الجامع الفريد ،المملكة العربية السعودية ، الطبعة السادسة ١٤٢٥هـ .

٣٣٣ ـ كلمة الإخلاص وتحقيق معناها ، ابن رجب ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد الحنبلي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، ن بدون ، الطبعة : الرابعة ، ت بدون .

٣٣٤ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، الهندي ، علي بن حسام الدين المتقي ،الناشر : مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م .

٣٣٥ ـ الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ،الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط بدون ، ت بدون .

٣٣٦ ـ لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ،ت بدون .

٣٣٧ ـ لماذا يكرهونه ؟ ، خفاجي ، باسم ، سلسلة كتاب البيان ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

٣٣٨ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ، الناشر : دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ .

٣٣٩ ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟ الندوي ، علي الحسني أبو الحسن ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، طبعة جديدة ١٤١٠هـ ١٩٩٠م .

٣٤٠ ـ مأزق التدخل الأميركي وإمكانيات الفعل العربي ، شعبان ، بثينة ، دار الفكر ـ دمشق ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .

٣٤١ ـ مجمع الأمثال ، الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط بدون ، ت بدون .

٣٤٢ ـ مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط بدون ، ١٤١٦هـ ٢٠٠٦م .

٣٤٣ ـ مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، ابن باز ، عبد العزيز بن عبد الله ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الرابعة ١٤٢٣هـ .

٣٤٤ ـ محاضرات في العقيدة والدعوة ، الفوزان ، صالح بن فوزان الفوزان ، تحت إشراف إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م .

٣٤٥ ـ محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، عثمان ، عبد الرؤف محمد ، إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ،

٣٤٦ ـ محبة النبي وتعظيمه ، الحسن ، عبد اللطيف بن محمد ، المطبوع ضمن (حقوق النبي بين الإجلال والإخلال) ، سلسلة كتاب البيان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٣٤٧ ـ محمد كما ورد في كتاب اليهود والنصارى ، داود ، عبد الأحد ، الناشر نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٩٩٥م .
٣٤٨ ـ محمد نبي الإسلام في التورة والإنجيل والقرآن ، الطهطاوي ، محمد عزت ، مكتبة النافذة ، الطبعة الثانية ٢٠٠٦م .
٣٤٩ ـ محمد والخناجر المسمومة الموجهة إليه ، بباوي ، نبيل لوقا ، دار البباوي للنشر ، مصر ، ط بدون ، ت بدون .
٣٥٠ ـ محمد أعظم عظماء العالم ، ديدات ، أحمد و مايكل هات ، ترجمة عبي الجوهري ، مكتبة القرآن ـ مصر ط بدون ، ٢٠٠٢ م .
٣٥١ ـ محمد رسول الله ، البياتي ، منير ، دار النفائس ـ الأردن ، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
٣٥٢ ـ مختار الصحاح ، الرازي ،محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون بيروت ، ط بدون ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م .
٣٥٣ ـ مختصر سيرة الرسول ، عبد الوهاب ، الإمام محمد بن سليمان ، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط الأولى ١٤١٨هـ .
٣٥٤ ـ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن القيم ،محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،تحقيق : محمد حامد الفقي ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ ـ ١٩٧٣ .
٣٥٥ ـ مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان ، اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان عفيف الدين اليافعي ، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ، الطبعة ، ١٤١٣هـ .
٣٥٦ ـ مزاعم وأخطاء وتناقضات وشبهات بودلي في كتابه (الرسول حياة محمد) دراسة نقدية ، أحمد ، مهدي بن رزق الله ، الناشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط بدون ، ت بدون .
٣٥٧ ـ مسند الإمام أحمد ، أحمد بن حنبل ، دار الفكر ، ١٤١١هـ .
٣٥٨ ـ مشكاة المصابيح ، التبريزي ، محمد بن عبد الله الخطيب ، تحقيق : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٥ هـ .
٣٥٩ ـ مصنف عبد الرزاق ، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ .
٣٦٠ ـ مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى ، السيوطي ،مصطفى السيوطي الرحيباني ، المكتب الإسلامي ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٠هـ .
٣٦١ ـ مظاهر الغلو في قصائد المديح النبوي ، الفريجي ، سليمان بن عبد العزيز ، المطبوع ضمن (حقوق النبي بين الإجلال والإخلال) ،سلسلة كتاب البيان ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٣٦٢ ـ معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول ، حكمي ، حافظ بن أحمد ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، الناشر : دار ابن القيم – الدمام ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م .
٣٦٣ ـ معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد ، الناشر : دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥ م .
٣٦٤ ـ معالم التنزيل ،البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود ، تحقيق عثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ ١٣٩٧م .
٣٦٥ ـ معجم التعريفات ، الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ ،.
٣٦٦ ـ معجم مصطلحات الإعلام ، بدوي ، أحمد زكي ، دار الكتاب المصري ـ القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ، ط الأولى ، ١٤٠٥ هـ .
٣٦٧ ـ مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج ، الشربيني ، محمد الخطيب ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط بدون ، ت بدون .

٣٦٨ ـ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ت بدون .
٣٦٩ ـ مفردات ألفاظ القرآن ، الأصفهاني ، الراغب ، تحقيق صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ـ بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
٣٧٠ ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، الأشعري ، علي بن إسماعيل أبو الحسن ، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ت بدون .
٣٧١ ـ مقامات الحريري ، الزمخشري ، جارالله بن أبي قاسم محمود ، المطبعة الأدبية ـ بيروت ، ١٩٠٣م .
٣٧٢ ـ مكانة النبي عند ربه كما يصورها القرآن الكريم ، هوساوي ، عبد الرحمن عبد الجبار ، دار الذخائر للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م .
٣٧٣ ـ منار السبيل في شرح الدليل ، ابن ضويان ، إبراهيم بن محمد بن سالم ، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
٣٧٤ ـ منهاج السنة النبوية ، ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس ، تحقيق : محمد رشاد سالم
، الناشر : مؤسسة قرطبة ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ .
٣٧٥ ـ مواجهة صريحة بين الإسلام وخصومه ، المطعني ، عبد العظيم إبراهيم ، مكتبة وهبة ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م .
٣٧٦ ـ موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ـ مصر ، ط بدون ، ت ١٣٩٠ هـ .
٣٧٧ ـ موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، إعداد مجموعة من المختصين ، بإشراف صالح بن حميد وعبد الرحمن بن ملوح ، دار الوسيلة للنشر والتوزيع ،ط الثالثة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤ م .
٣٧٨ ـ موقف الشيعة الأثنى عشرية من صحابة رسول وψ ، صوفي ، عبد القادر بن محمد ، دار أضواء السلف ـ الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م .
٣٧٩ ـ موقف الغرب من الإسلام محاصرة وإبادة ، عبد العزيز ، زينب ، دار الكتاب العربي دمشق ـ القاهرة ، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م .
٣٨٠ ـ موقف اليهود والنصارى من المسيح عليه السلام وإبطال شبهاتهم حوله ، العبادي ، سارة بنت حامد ، مكتية الرشد ناشرون ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م .
٣٨١ ـ نبوة محمد ρ في الفكر الاستشراقي المعاصر ، شايب ، لخضر ، مكتبة العبيكان ، السعودية ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ
٣٨٢ ـ نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ، الألباني، محمد ناصر الدين ،الناشر : المكتب الإسلامي - بيروت
الطبعة : الثالثة ـ ١٤١٧ هـ ١٩٩٦ م .
٣٨٣ ـ نقد المنقول والمحك المميز بين المردود والمقبول ، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ،تحقيق : حسن السماعي سويدان ، الناشر : دار القادري – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م .
٣٨٤ ـ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، ابن حمزة الرملي ، شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن شهاب ، دار الكتب العلمية ، ط بدون ، ١٤١٤هـ .
٣٨٥ ـ نواقض الإسلام ، ابن عبد الوهاب ، محمد بن سليمان ، والمطبوع (ضمن جامع المتون) لراشد الزهراني ، شركة دار الأوفياء ، ط الأولى ، ١٤٢٥ هـ .
٣٨٦ ـ نواقض الإيمان الاعتقادية ، وضوابط التكفير عن السلف ، الوهيبي ، محمد بن علي ، دار المسلم للنشر والتوزيع ـ الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م .
٣٨٧ ـ نواقض الإيمان القولية والعملية ، العبد اللطيف ، عبد العزيز بن محمد ، مدار الوطن للنشر ، ط الثانية ١٤٢٧هـ .

٣٨٨ ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، تعليقات يسيرة لمحمد منير الدمشقي ،الناشر : إدارة الطباعة المنيرية ، ط بدون ، ت بدون .
٣٨٩ ـ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم ، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله ، الناشر : الجامعة الإسلامية ـ المدينة المنورة ، ط بدون ، ت بدون .

الصحف والمجلات :

٣٩٠ ـ جريدة الشرق الأوسط ، في ١٢ / ١ / ١٤٢٧هـ .
٣٩١ ـ جريدة الوطن ، في ١٠ / ١ / ١٤٢٧هـ ، وفي يوم ٨ / ١ / ١٤٢٧هـ .
٣٩٢ ـ جريدة عكاظ عدد يوم ٩ / ١ / ١٤٢٧ هـ ، وعدد يوم ١٢ / ١ / ١٤٢٧هـ ، وعدد ١٦ / ٥ / ١٤٢٦هـ .
٣٩٣ ـ مجلة الأسرة ، العدد ٥٠ ، لعام ١٤١٨ هـ .
٣٩٤ ـ مجلة البحث العلمي الإسلامي ـ بيروت ، العدد السابع ، ١٤٢٧هـ .
٣٩٥ ـ مجلة البيان ، العدد ٦٩ لعام ١٤١٤هـ ، و العدد ٢٢٢ لعام ١٤٢٧هـ .
٣٩٦ ـ مجلة المجتمع ، العدد ١٧٢٠، رمضان ١٤٢٧هـ .
٣٩٧ ـ مجلة المستقبل ، العدد ١٧٨ ، لعام ١٤٢٧هـ .
٣٩٨ ـ مجلة الوعي الإسلامي ، العدد ٤٩٤ ،شوال ، لعام ١٤٢٧هـ .

المراجع الإلكترونية :

٣٩٩ موقع صيد الفوائد : http://saaid.net/mohamed/3.htm
٤٠٠ ـ موقع نبي الإسلام http://islamprophet.ws/naby/index.php?pg=des&id=38
٤٠١ ـ موقع صيد الفوائد على الربط الآخر : http://saaid.net/mohamed/48.htm
٤٠٢ ـ موقع شبكة المشكاة الإسلامية : http://www.meshkat.net/new/contents.php?catid=5&artid=5125
٤٠٣ ـ موقع رابطة العالم الإسلامي على الرابط الآخر :
http://www.themwl.org/Bodies/Decisions/default.aspx?d=1&did=138&l=AR
٤٠٤ ـ موقع رابطة العالم الإسلامي
http://www.themwl.org/Fatwa/default.aspx?d=1&cidi=157&l=AR&cid=15
٤٠٥ ـ موقع دليل سندباد http://news1.sendbad.net/alja.php?getnews=/NR/exeres/434C5B46-D959-4153-9E1C-8C50A520E3C6.htm
٤٠٦ ـ موقع بيت الكرتون ،http://www.arabcartoon.net/a/study/2006/study07.html
٤٠٧ ـ موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا ، http://ar.wikipedia.org/wiki
٤٠٨ ـ موقع المؤتمر العالمي لنصرة النبي . http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1775
٤٠٩ ـ موقع المؤتمر العالمي لنصرة النبي . http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1775
٤١٠ ـ موقع العربية (العربي . نت) http://www.alarabiya.net/Articles/2004/10/13/7107.htm ،
٤١١ ـ موقع الإسلام اليوم على الرابط الآخر :.http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content
٤١٢ ـ موقع الإسلام اليوم : http://www.islamtoday.net/articles/show_articles_content.cfm
٤١٣ ـ موقع إلا رسول الله : http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1777
٤١٤ ـ موقع إسلام أون لاين : http://www.islamonline.net/Arabic/news/2006-02/12/article06.shtml
٤١٥ ـ موقع : صيد الفوائد : http://www.saaid.net/Doat/alahdal/25.htm
٤١٦ ـ موقع : اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية ، 1365= http://www.islamudeni.net/?c=127&a=1362
٤١٧ ـ موقع : إلا رسول الله ، http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=2785 - 70k
٤١٨ ـ موقع المكتب السياسي للاتحاد الإسلامي الكردستاني
http://nosra.islammemo.cc/index.aspx?catid=13&subcatid=20
٤١٩ ـ موقع المؤتمر العالمي لنصرة ، http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=2068
٤٢٠ ـ موقع شبكة المشكاة الإسلامية على الرابط الآخر :
http://meshkat.net/new/contents.php?catid=6&artid=7199
٤٢١ ـ موقع المقاطعة الاقتصادية: http://www.alarabnews.com/alshaab/2006/17-02-2006/6.htm .
٤٢٢ ـ موقع المسلم http://www.almoslim.net/admin_prod/show_chapter_main.cfm?id=337&bid=37
٤٢٣ ـ موقع : اللجنة الأوروبية لنصرة خير البرية ، http://www.islamudeni.net/?c=127&a=1362

فهرس الموضوعات

الفصل الأول
الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام
وفيه ثلاثة مباحث

الفصل الثاني
الإساءة إلى النبي وحرية التعبير
وفيه أربعة مباحث